

إطار الملامح المجتمعية وصورة العصر

# نظرة الصحافاة القرية في مصر

أنور الجندى

# تطور الصحافة العربية

## وأثرها في الأدب العربي المعاصر

- ( الأول ) : الصحافة السياحية في مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية (صدر)
- ( الثاني ) : تطور الصحافة العربية في مصر (إطار للامح المجتمع وصورة العصر)
- ( الثالث ) : تطور الصحافة العربية بين الحربين ( ١٩١٩ - ١٩٣٩ )  
في العالم العربي ( تحت الأعداد )
- ( الرابع ) : تطور الصحافة في العالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم  
( تحت الأعداد )

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تصدير

في مجال البحث في تاريخ الأدب العربي المعاصر منذ أوائل حركة اليقظة في العقد السابع من القرن التاسع عشر إلى أوائل الحرب العالمية الثانية ، تجيء الصحافة في المكان الأول من نهضة الكلمة وأثرها البعيد المدى ، فإذا قلنا أن الحركة السياسية والاجتماعية والتطور الفكري والبياني ، والمؤلفات والأبحاث والدراسات المختلفة ، كل هذا إنما خرج إلى الرأي العام من نافذة الصحافة أولا ، لاندو قول الحقيقة ، ولأهمية الصحافة ، هذه الأهمية البالغة كان لابد من إجراء دراسة واسعة في قطاعين هامين : القطاع السياسي ، والقطاع الاجتماعي .

وقد كان كتابنا « الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها إلى أوائل الحرب العالمية الثانية » قد حفل بالدراسات الخاصة بالقضايا السياسية ، وقد وجد إهتماما طيبا من الباحثين ، والدارسين في هذا الحقل ، مما دفعنا إلى إستكمال البحث في نفس المرحلة بالنسبة للقطاع الاجتماعي ، فكان ثمرة العمل ، هذا البحث الذي أقدمه اليوم ، والذي يعد موازيا للبحث السياسي في نفس الزمن والراحل ومكملا له . .

وقد كان أهم ما عني به هذا البحث : محاولة رسم إطار للملامح المعاصرة وصورة المجتمع ، وهو في هذا المجال يكمل دراستنا المستقلة « الشرق في فجر اليقظة » وكنا قد تناولنا في كتابنا « الفكر العربي للمعاصر في معركة التخريب والتبعية الثقافية » عديد من القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية - في مرحلة ما بين الحربين - ومن هنا ، فأننا لم نكرر أنفسنا في هذا الكتب الأربعة التي ذكرناها وقد اخترص كل منها بجانب مستقل ، وهي

في مجموعها تسكل بعضها البعض في دراسة شاملة للمصر كله منذ ( ١٨٧١ تقريباً إلى ١٩٣٩ )  
( صحافة - سياسة - مجتمع - حضارة - فكر ) . بوصفها مرحلة متكاملة في تاريخ  
الشرق الاسلامي والعالم العربي .

أما هذه الدراسة التي بين أيدينا فقد إمتازت بأنها قدمت أبحاثاً جديدة أهمها :

- ( ١ ) نماذج متعددة لتطور الأسلوب منذ فجر الصحافة إلى نهاية الفترة .
- ( ٢ ) تراجم عديدة للصحفيين ، ودراسة لرؤساء التحرير .
- ( ٣ ) معارك ومساجلات الصحف .
- ( ٤ ) قضايا الصحف ، طرائف الصحافة ، الأخطاء المطبعية ، توقيعات الصحفيين .
- ( ٥ ) خطوط عريضة للمجتمع في مرحلتيه : قبل الحرب الأولى وبين الحربين  
في مجال المسرح ، والمجتمع ، والأزهر ، والرحلة ، والفكاهة ، والأغاني .
- ( ٦ ) مذكرات الصحفيين ، والكتابات في مجال العمل الصحفي .
- ( ٧ ) صحافة النقد السياسي الساخر ، وصحافة الأدب والثقافة .
- ( ٨ ) الكاريكاتير والصحف الهزلية .
- ( ٩ ) دراسة شاملة للمصاحفين ( الكتاب الذين يكتبون في الصحف من غير محرريها ) .
- ( ١٠ ) دراسة دخائل الصحافة وأسرارها من الداخل .

\* \* \*

ويمكن القول أنه بهذا الكتاب تكون دراسات الصحافة العربية في مصر  
( إلى أوائل الحرب العالمية الثانية ) قد يسرت بجهد المقل ، وإن صورة للمجتمع  
قد وجدت ، وأصبحت قادرة أن ترسم ملامح العصر ، وإن كانت في حاجة إلى استيفاء  
بدراسة أرجو أن أجد من الله العون على إتمامها وهي :

« جبرتي مصر الحديث » : [الأخبار والتراجم] ؛ وستضم شحنة ضخمة من يوميات



المصحف في مختلف الأحداث الكبرى خلال هذه المرحلة التي اخترنا تنظيها . فإذا راجعنا هذا العمل - الذي بدأناه معتمدين على الله منذ مطلع الشباب ونحن اليوم على أبواب الخمسين من العمر - لوجدنا أن دراسة تضم الآن (١٨) مجلداً قد أصبحت في يد الباحث :

(١) الشعر (٢) القصة (٣) النثر (٤) اللغة العربية (٥) أدب المرأة (٦) الترجمة (٧) الفكر العربي (٨) أدب المقاومة والتجمع (٩) الصحافة السياسية (١٠) الصحافة الإجتماعية ( هذا الكتاب ) (١١) الممارك الأدبية (١٢) الشرق في فجر اليقظة (١٣) الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا (١٤) أضواء على الأدب العربي المعاصر (١٥) صفحات مبعولة من الأدب العربي المعاصر (١٦) مفكرون وأدباء، وهي تضم ٢٧٥ شخصية في العالم العربي .

وفي مجال الترجمة للأعلام خارج مجال الأدب قدمنا : (١٧) أعلام ورجال أعلام (١٨) أعيان الجيل ، وتضمنان دراسة لـ ١٢٥ عالماً ، وبهذا يمكن القول بأن الدراسة جميعها تكون قد شملت ٤٠٠ شخصية من أبرز المفكرين والباحثين في العالم العربي كله عبر فترة من أدق فترات اليقظة في الشرق ( ١٨٧١ - ١٩٣٩ ) خلال ما يقرب من سبعين عاماً .

\* \* \*

وتبلغ حصيلة هذه الدراسة حتى الآن عشرة آلاف صفحة ، وقد استنفدت من الجهد والوقت سبعة عشر عاماً كاملة ، فقد بدأت هذه المراجعات في دار الكتب المصرية بباب الخلق والقلعة بالقاهرة عام ١٩٥٠ ومضيفاً نواصل البحث خلال هذه السنوات ، لا نتخلف يوماً ، لا لكشف عن النائب في مجال توقف بحث الباحثين فيه من حدود المؤلفات المطلوبة ، ولذلك فإننا لا نبالغ إذا قلنا أن أبرز ما في هذه الدراسات ، أنها تقدم المادة الخام المدفونة في بطون الصحف والتي لم يتحقق لها أن تنسق في مؤلفات أو دراسات قبل ذلك ، وإني لأرجو

أن أوصل هذا العمل حتى استكمل قطاع اليوميات الوطنية والأحداث التاريخية والوفيات والمواقع والتراجم ، خلال هذه الفترة على نحو يضع بين يدي القارىء «الخطوط العامة للمصر كله» من خلال الصحافة ، وهذا هو العمل الذى أطلقت عليه « جبرتي المصر الحديث » .

وقد تقدمنى فى هذا المجال ثلاثة أعلام : (١) عبد الرحمن الجبرتي ، فى موسوعته التى توقفت منذ عام ١٨٢٥م (٢) أمين سامى فى موسوعته « تقويم النيل » . . . (٣) أحمد شفيق باشا فى موسوعة « حوليات مصر السياسية » . . .

فإذا أتممت هذا العمل رجوت أن أكون قد قدمت فى مجال الأدب والصحافة للماصرة حفرية نافعة ، تسد نقصا ، وتحقق عملا يلقى الضوء على هذه المرحلة الهامة الدقيقة من تاريخ الأمة العربية ، وإذا كان هذا العمل قد استطاع فعلا أن ينفذ فى مجال الأدب العالم العربي كله خلال تلك المرحلة ، فإنه فى مجال الصحافة لم يتحقق بعد تغطية تطور الصحافة فى غير مصر ، وقد حاولنا محاولات كثيرة مستهينين بالصحف الموجودة فى دار الكتب بالقلمة ، لإتمام هذه الدراسة ، غير أن الدوريات العربية على كثرتها وتنوعها لم تكن كافية كفاية فنية لأن تحقق رسم صورة كاملة للصحافة العربية وتطورها توازى ما استطعنا أن نحققه بالنسبة لمصر ، وذلك لأسباب عدة أهمها : أن الصحف الوطنية فى هذه الأقطار لم تكن - فى خلال تلك المرحلة - وهى مرحلة إحتلال لأغلب هذه الأقطار - تصل إلى القاهرة ، وإنما كانت تصل الصحف الموالية للاستعمار والحكومات التى يقيمها الإحتلال .

ومن هنا فإن الصورة التى يمكن أن ترسم عن المغرب أو العراق لا يمكن أن تكون كاملة ، لأن صحافتها الوطنية المدافعة عن الحرية والمقاومة للاستعمار غائبة عن مجال البحث ، ولذلك فإننى أرجو أن نتاح لنا الفرصة لزيارة علمية واسعة خلال وحدات العالم العربي نستطيع فيها إتمام هذا

البحث واستكمال ما يحتاج إليه الدراسة الموضوعية من رسم صورة المجتمع، والمعارك الأدبية، ودراسة الأعلام على نحو يوفى حواشى الصورة العربية ويكملها ، وذلك أمل مقنود بفضل الله وهو المستول عن تحقيقه .

\* \* \*

وفي هذا المجال نستطيع أن نتحدث عن « الموسوعة » فنقول إننا قرأنا لها ألفى مرجع وإطلعنا على ثلاثة آلاف دورية .

وانت كانت الفكرة أساساً هي « القضاء على النظرة الإفليمية الضيقة » التى كانت سائدة فى دراستنا عن الأدب العربى ، لذلك كان من الضرورى أن يكتب الأُدب العربى من جديد على نحو موحد تدرس فيه الظواهر المختلفة التى مرت بالوطن العربى فى ضوء « وحدة الفكر والضمير والشعور والقوى » . وقد كشفت « دراستنا فى أدب المقاومة عن هذه الحقيقة فى مواجهة « النفس العربية » للاحتصار والاحتلال ومعارك المقاومة ، والثورات المتعددة ، وكان من الضرورى أن يرود هذا العمل « كاتب » لا يتطلع إلى الثمرة السريعة ، ولا الجزاء المادى ، فيكتب دراسة على مستوى الأمة العربية فى فترة تبلغ حوالى سبعين عاماً ، وهى الفترة التى واجهت فيها الغزو الاستعماري والاحتلال .

ولست أذكر مدى الجهد الذى بذلته والذى اضطررتى إلى اتخاذ « نظارة » طبية ، وكيف أمضيت أكثر من ثلاثة أعوام مقيماً إقامة تامة فى مكتبة القلعة بالقاهرة بين الأضابير القديمة من الصحف والدوريات ، واسكنى أذكر أننى لا أعد هذا العمل شيئاً كبيراً أو عظيماً ، وإنما - أعده غلصاً - عملاً تمهيدياً لعمل أكبر منه وأكثر شمولاً وتحقيقاً ، ومع ذلك فإن عملى بالنسبة لهذه الدراسة لما ينته بهد ، فقد تولدت عشرات الموضوعات والدراسات الفرعية التى تحتاج إلى مزيد من العمل ، ومع هذا الجهد الذى بذلت ، وقد طبع أغلب هذه الأجزاء على حسابى الخاص ومن رزق أولادى ، فإن قليلين جداً

هم أولئك الذين أولوا «الموسوعة» بالنظره الفاحصة والقد البناء أو ألقوا الضوء على بعض أجزائها ، ولم يكن مطمحى فى هذا تطلعا إلى شىء ما سوى الرغبة فى الاقتناع بأراء الباحثين ووجهات النظر الأخرى التى توسع أمامى أفاق البحث .

وقد أعطفتى هذه دراسة التى مازلت أعيش فى دائرتها ، أعطفتى فكرة ونظرية ، أما «الفكرة» فهى أن فكرنا العربى الإسلامى: فكر حى متحرك إيجابى مرن متطور ، قادر على الحياة والاستمرار والنمو ، والتجاوب على المستويين : الزمنى والبيئى ، فهو يعقد «زمنيا» دون أن يتحطم ، ويقاوم كل مؤامرات تمزيقه أو تدميره ، ويعقد «بيئيا» فيشمل العالمين العربى والإسلامى ، فضلا عن أنه قدم إلى أوروبا أعظم مقومات الفكر الأوروبى المعاصر وهو «المنهج التجريبى» ، فضلا عن عديده من المقومات التى قامت عليها النهضة والحضارة الحديثة أما «النظرية» فهى أننا فى حاجة إلى تأكيد أساس فكرى قيم عليه نهضة فكرنا الحديث ، هذا الأساس الذى لا يمكن أن نستقدمه إلا من جوهر فكرنا العربى الإسلامى ، وتتمثل فيه قيمه الأسيلة ومقوماته الأساسية . فقد كان فكرنا دائما مفتوحا وقادرا على الأخذ والعطاء ، وله من مقوماته ما يمكنه من الحفاظ على شخصيته وملاحه ولن يستطيع أبدا أن يتخطى هذه المقومات .

ولن أستطيع أن أنسى فى هذا المجال أنه بالرغم من قصور التقدير الأدبى لهذا العمل ، ربما لجفوح الباحث عن الدعاية لنفسه ، لن أنسى أوائك الأبرار الكرام من شبابنا الذين إنصلوا بى وما زالوا يتصلون وهم يمدون رسائلهم وأطروحاتهم وسأظل بعمون الله مستعداً لأن أكون فى خدمة أى باحث فى هذا المجال بكل ما يمكن تقديمه من أجل إحسان العمل وإبلاغه من السكالم قدر المستطاع .

هذا وبالله التوفيق

أسود الجندى

نهاية ١٩٦٧ م

## موضوعات البحث

س

### ( القسم الأول )

( الباب الأول ) صحف وأقلام وصراع أفكار . . . . . ١٧

« تطور صحافة الرأي في أوائل الحرب العالمية الأولى »

- ٢٣ . . . : صحافة جمال الدين  
٢٥ . . . . . جريدة مصر  
جريدة مرآة الشرق ( سليم عنبري )  
٢٨ . . . ( وإبراهيم القفاني )  
٣١ . . . : تلاميذ جمال الدين بعد سفره من مصر  
٣٢ . . . جريدة مصر للقاهرة ( أديب اسحق )  
أثر الصحافة في مجلس شورى القوانين  
٢٤ . . . ( عبد السلام لاوي )  
٣٦ . . . صحف عربية في لندن وباريس  
٣٦ . . . مرآة الأحوال : رزق الله حمون  
٣٧ . . . الخلافة : لويس صابونجي

قبل الاحتلال وبعده :

- ٣٩ . . . « الأهرام » : آل تولا . . .  
٤٢ . . . ( عبد الله نديم ) . . .  
٤٤ . . . : العروة الوثقى : جمال الدين وعبد الله  
٤٦ . . . : الأقطام : صروف ونمر ومكاريموس  
٤٩ . . . : المؤيد : علي يوسف . . .  
٥١ . . . : اللواء : مصطفى كامل . . .  
٥٢ . . . : الجريدة : لطفي السيد . . .

( الباب الثاني ) دلائل الصحافة . . . . . ٥٣

س

### ( الباب الثالث ) معارك ومساجلات الصحف :

- ٦٦ . . . بين للؤيد والواء والجريدة  
الصحافة الوطنية والاحتلال ( سكرومر  
والصحافة ) . . . . . ٧٨  
الصحافة ومقالة قناة السويس . . . ٨٥  
بين مصطفى كامل وعلى يوسف . . . ٨٨  
صحف وطنية وصحف معقدة . . . ٩١  
للنير : حافظ عوض وعبد محمود —  
الظاهر : محمد أبو شادي . . . ٩٣  
بين فريد وجدي (المستور) واطن السيد  
( الجريدة ) . . . . . ٩٧  
مذكرات صحفى : سليم مركاتيس (لسان  
الحال) . . . . . ١٠٢

### ( الباب الرابع ) : إطار لصورة العصر والمجتمع ( من الاحتلال إلى أوائل الحرب

- العالمية الأولى ) . . . . . ١١٧  
(١) الأزمير . . . . . ١١٩  
(٢) لاراة . . . . . ١٢٨  
(٣) الرحلة . . . . . ١٣٩  
(٤) الصحافة . . . . . ١٤٥

عنايات للصحافة :

- (عائكة عبد العزيز جاويز) . . . ١٥٠  
قضية السكاملين . . . . . ١٥٧  
قضية ذكرى دلهواى . . . . . ١٦٣  
قضية التفرقات . . . . . ١٧٤  
عائكة أصحاب المقطم . . . . . ١٧٦



١٧٧	قصيدة قدوم
١٨٠	المجوم على أسرة محمد علي
١٨٢	(٥) المجتمع
١٨٢	الأغاني والأناشيد
١٨٣	المرح
١٨٤	الأعياد
١٨٥	الحاكم
١٨٩	دولة الخيم
١٩٠	قصة الترام

( الباب الخامس ) : طرائف الصحافة :

١٩١	(الإضاءات المتناثرة)
١٩٤	المقدمات والمقارنات
١٩٧	المواقف الحرجة
	مذكرات أحمد حافظ هوش (الصحافة بين
٢٠١	١٨٩٨ — ١٩١٤)
٢٠٩	النقد الاجتماعي
٢١٢	الاصطلاحات الصحفية
٢١٥	طرائف الصحافة
٢١٩	وفيات الأعيان
٢٢٢	نقد الصحافة والمجتمع

( القسم الثاني )

(الباب السادس) : صحافة ما بين الحربين وتطور الصحافة في الأسلوب والمضمون

( بين ١٩١٩ - ١٩٣٩ ) . . . . . ٢٢٥

مدخل تاريخي للفترة . . . . . ٢٢٧

الصحافة خلال الحرب الأولى . . . . . ٢٣٣

الصحافة في ثورة ١٩١٩ . . . . . ٢٣٧

رئيس التحرير . . . . . ٢٤٣

داوود بركات ، خليل ثابت . . . . . ٢٤٨

أمين الرافعي . . . . . ٢٤٨

عبد القادر حزة . . . . . ٢٤٩

حسين هيكل ، حافظ هوش ، أنطون الجميل ،

خليل ثابت . . . . . ٢٤٩

الدكتور هيكل . . . . . ٢٥٠

عبد القادر حزة ، التابى ، توفيق هباب ،

عباس العقاد . . . . . ٢٥١

التابى . . . . . ٢٥٢

فكري أباطة . . . . . ٢٥٥

إبراهيم عبد القادر المازني . . . . . ٢٥٨

أحمد حسين . . . . . ٢٦٠

عمود كامل . . . . . ٢٦٣

توفيق حبيب . . . . . ٢٦٣

توفيق دياب . . . . . ٢٦٥

لطف جمه . . . . . ٢٦٧

(الباب السابع) : دخائل الصحافة : في مرحلة ما بين الحربين . . . . . ٢٦٩

أثر الاحتلال في الأدب والصحافة ( زكي

مبارك ) . . . . . ٢٧٧

صناعة الأخبار . . . . . ٢٨١

المخبرون . . . . . ٢٨٢

أخبار الأقاليم . . . . . ٢٨٣

ما لا ينبغي في حينه . . . . . ٢٨٤

أثر السوريين في الصحافة [ . . . . . ٢٨٤

- ٢٨٦ . . . . . محاكمات الصحف
- ٢٨٩ . . . . . الهجوم على الصحف وتعليقها
- ٢٩٠ . . . . . كلمة مابرة أحدثت أزمة
- ٢٩١ . . . . . سالون الأهرام
- ٢٩٢ . . . . . الأخطاء الطبعية
- ٢٩٩ . . . . . (الباب الثامن) : تطور الصحافة الأسبوعية
- ٣٠١ . . . . . صحافة النقد السياسى الساخر
- ٣٠٤ . . . . . روز اليوسف والكشكول
- ٣٠٩ . . . . . الأدب للكشوف
- ٣١٠ . . . . . تجربة حينه عفيفى المصرى
- ٣١٥ . . . . . الكاريكاتير والصحف المزلية
- ٣١٧ . . . . . فن الكاريكاتير
- ٣٢٢ . . . . . سائنس وصاروخان
- ٣٢٤ . . . . . صحافة الأدب والثقافة
- ٣٣١ . . . . . (الباب التاسع) : الكتاب والمصاحفون
- . . . . . مرحلة ما قبل الحرب الأولى
- ٣٣١ . . . . . ميخائيل عبد الحيد
- سليم منجورى ، محمد بريم ، حمزة فتح الله
- أديب اسحق ، أمية الحداد ، إبراهيم
- ٣٣٧ . . . . . القانى
- أحمد حلمى ، حسن حسنى الطويرانى ، الشيخ
- ٣٣٣ . . . . . الميربلى
- ٣٣٤ . . . . . يوسف الخازن
- ٣٣٥ . . . . . خليل مطران ، نقولا الحداد

س

( مرحلة بين الحربين ) . . .

- ٣٣٦ . داود بركات ، عبد القادر حزة  
عباس العقاد ، ابراهيم عبد القادر المازني ،  
٣٣٧ . . . . . أحمد ولبق  
٣٣٨ . عبد الله حسين ، الدكتور محمد أبو طايبة  
٣٣٩ . جورج طنوس ، نجيب هاشم ، منيرة ثابت  
٣٤٠ . . . . . سعيد علي  
٣٤١ . الشيخ صالح روتر ، الدكتور سيد كامل  
٣٤٢ . توليق حبيب ، عمود حمزي  
٣٤٣ . . . . . فكري أباطة  
٣٤٤ . . . . . محمد الممبواوي  
٣٤٥ . توقيعات الصحفيين . صحفيون اجتمع بهم الصحافة  
٣٤٦ . . . . . للرأى في الصحافة

المصاحفون ( فترة ما بين الحربين ) .

- عمود أبو الميوني ، أحمد زكي باهيا ، محمد  
٣٤٧ . مسعود ، منصور فهمي . . .  
محمد صبري ، وحيد ، محمد ابيب  
البتانوني ، التفتازاني ، توليق  
اسكاروس ، محمد فريد وجدي ،  
٣٤٨ . سليم حسن ، أحمد فلوش ، مي زيادة  
مرطوسون ، أحمد فؤاد ، علي مصطفى  
معرفة ، أحمد عفيق ، عزيز غانسي  
لطف الله ، عبد الفضال الصمدي ،  
٣٤٩ . محمد رمزي ، شكيب أرسلان . .  
الأب الماس الكرمل ، الزهاوي ،  
حسن القاياتي ، محمد ثابت . . . ٣٥٠ .  
٣٥١ . اسكريم السكتاب ( الدكتور هيكل )  
٣٥٥ . الصحف العربية في مرآة الصحف الأجنبية

س

﴿الباب العاشر﴾ : إطار لصورة العصر وملامح المجتمع (بين الحربين) . . ٣٥٧

- (١) تحرير للراء . . . . ٣٥٩  
(٢) مجتمع القاهرة . . . . ٣٦٤  
(٣) لقائى . . . . ٣٦٦  
(٤) منم السكرات . . . . ٣٦٧  
(٥) بنك مصر . . . . ٣٦٩  
(٦) الأزهر . . . . ٣٧٢  
(٧) سهرات ومضدان . . . . ٣٧٥  
(٨) الولد النبوى . . . . ٣٧٥  
(٩) الطرق الصوفية . . . . ٣٧٦  
(١٠) أصحاب الحق . . . . ٣٧٩  
(١١) لباس الرأس . . . . ٣٨٠  
(١٢) التجميل . . . . ٣٨١  
(١٣) المسكاهة . . . . ٣٨١  
(١٤) الأغاني الشعبية . . . . ٣٨٢  
(١٥) الأفراح الشعبية . . . . ٣٨٦  
الشاعر على الربابة . . . . ٣٨٨  
(١٦) تطور المجتمع بعد ثورة ١٩١٩ . . ٣٨٩  
(١٧) توت هنيخ آمون . . . . ٣٩١  
لعنة الفراعنة . . . . ٣٩٣  
(١٨) أمير الشعراء . . . . ٣٩٤  
(١٩) جمال الدين ومحمد عبده . . . . ٣٩٥  
(٢٠) مدام جوليت أدام . . . . ٣٩٨  
(٢١) مصريون في مالطة . . . . ٤٠٠

## مصادر البحث

إذا كانت الآثار المكتوبة في العصر الحديث هي الكتاب والصحيفة ، فإن « الصحافة » : هي أبرز النوافذ وأهمها في مجال البحث والدراسة والتأريخ ، وعن طريقها يمكن رسم إطار لصورة العصر والمجتمع والصحافة نفسها ، هذه الصورة التي نحاول أن نرسمها من خلال هذه الدراسة . أما « الكتاب » فهو موجود في أيدي الباحثين . أما الآثار الصحفية المنشورة في بطون « الدوريات » : الجرائد على اختلاف أنواعها وأبحاهاها فهي ما تزال أشبه بالضائمة ما لم نجد من يقاها له الفرصة لمراجعتها وتنسيقها واستخلاص عصارتها . وهذا ما حاولنا أن نقوم به في سبيل رسم « إطار لصورة العصر والمجتمع » من خلال الصحافة . فلقد كانت الصحافة نفسها أبرز المجالات لتأريخ العصر ورسم صورة المجتمع في مختلف أدواره وأحداثه ومواقفه وقضاياها ، وفي مجال للمارك الفسكرية والأدبية والاجتماعية ، وعن طريق الصحافة ظهر الأدب وتطور الأسلوب وبرزت مختلف قضايا الاجتماع والاقتصاد والسياسة ، ولقد حرصنا في هذا البحث أن لا نكرر ما أوردته الكتب والمؤلفات ، وإنما رغبنا في أن نضيف إضافات جديدة تحقق للباحث آفاقاً أرحب من خلال نظره محدثه ووثائق مطوية .

أم المصادر :

— المجلات —

( ١ ) كل شيء والدنيا والائنين - ١٩٢٩ ( ٥ ) الكشكول - ١٩٢٢

( ٢ ) مصر الحديثة المصورة - ١٩٢٩ ( ٦ ) روز اليوسف - ١٩٢٦

( ٣ ) المصور - ١٩٢٦ ( ٧ ) السياسة الأسبوعية - ١٩٢٦

( ٤ ) اللطائف المصورة - ١٩١٦ ( ٨ ) البلاغ الأسبوعي - ١٩٢٦

— الصحف اليومية —

( ١ ) جريدة الأهرام - ١٨٧٥ ( ٥ ) الأخبار « أمين الرافعي » - ١٩٢٢

( ٢ ) اللواء - ١٩٠٠ ( ٦ ) البلاغ - ١٩٢٣

( ٣ ) المؤيد - ١٨٨٩ ( ٧ ) السياسة اليومية - ١٩٢٢

( ٤ ) الجريدة - ١٩٠٧ المراجعة ( إلى عام ١٩٣٩ )



# صحف وأقلام وصراع أفكار

## تطور صحافة الرأي إلى أوائل الحرب العالمية الأولى



يدور البحث حول رسم إطار للعصر والمجتمع من خلال نافذة الصحافة في هذه المرحلة ، من ظهور صحافة الرأي في مصر إلى أوائل الحرب العالمية الأولى . وقد بدأت صحافة الرأي في اعتقادي بظهور الصحف التي وجهها جمال الدين الأفغاني منذ ١٨٧١ . . . . . هذه هي المرحلة الأولى التي عمقت مفاهيم الكتابة بظهور صحافة أكثر إيماناً بالرأي الحر وأكثر قدرة على التعبير المعصرى المتحرر من قيود السجع والصناعة اللفظية ، ثم كان تحول الوقائع المصرية<sup>(١)</sup> إلى صحيفة رأى عام ١٨٧٩ بإشراف الشيخ محمد عبده ، وجاءت المرحلة التالية في هذا التطور بظهور « المؤيد » سنة ١٨٨٩ كأول صحيفة وطنية مصرية وذلك بعد فترة السنوات الأولى من الاحتلال ثم توالى الصحف اليومية السياسية : اللواء ، الجريدة ، الدستور ، ثم كان الصراع بين اللواء والمؤيد ، وبين المؤيد والجريدة ، وبين الدستور وهذه الصحف جميعا .

لا بد لي أن تكون « صورة العصر » واضحة من خلال الصحافة ، بوصفها المجال الحيوى ، لليقظة الفكرية وللحركة الوطنية ، والذي كان أشبه بنهر يجرى ، حاملا كل شيء في طريقه ، رأى الأحرار ، ورأى النفوذ الأجنبي : بريطانيا أو فرنسا ، ورأى الخديو وقصر عابدين ، ورأى السلطان وقصر يلدز ، وحتى تكتمل الصورة لا بد من إلقاء نظرة على أطرافها ، فالدولة العثمانية قاعة تضم العالم العربى ، ومصر منذ أوائل القرن واجهت الحملة الفرنسية التي جربت حظها كأول حملة استعمارية في العصر الحديث ، وقد حاولت أن تسيطر لإقامة

---

(١) صدرت الوقائع المصرية ٣ / ٨ / ١٨٢٨ ، أدخل عليها تعديل جعلها صحيفة رأى باشتراك محمد عبده وتلاميذه سعد زغلول وعبد الكريم سلمان وإبراهيم الهلباوى وصدرت بعد : روضة الأخبار عبد الله أبو السعود ( ٢٩ / ١١ / ١٨٧٤ ) فالإحرام ( سليم وبشارة نقلا ) ٥ / ٨ / ١٨٧٦ والوطن ( جندى إبراهيم وميخائيل عبد السيد ) ١٧ / ١١ / ١٨٧٧ .

إمبراطورية فرنسية على أرض مصر والشام ، ولكنها فشلت ، وقامت حركات ثلاث تريد أن تجدد الشرق ولكنها لم تستطع أن تتكامل أو تستمر ، وغلبتها القوى التي كانت تتحفظ لالتهم المنطقة ، هي حركة محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وحركة محمد علي في مصر وحركة الإصلاح في تركيا . . . ومن محمد علي إلى إسماعيل حيث التوسع الحضارى والديون وحرق قناة السويس التي كانت نقطة التقاء الغزاة وسيطرة النفوذ الأجنبي ، وفي الشام حلبنة ضراع يقوم به النفوذ الاستعماري ، بين القوتين الغازيتين ، فرنسا مع المارون وأنجلترا مع الدروز ، ثم يقع الصدام ويضع النفوذ الأجنبي يده في نفس الوقت الذي تبدأ فيه حركة المقاومة ، وفي فارس استبداد ومحاولة للتحرر ، وفي تركيا محاولات لإيجاد دستور وحكم نيابي ، وفي مصر نفس المحاولة ، أما الصحافة فهي في أول أمرها لسان الحكام والأمراء والنفوذ الأجنبي ، ثم هي بعد قليل لسان الأمة والنفوذ الأجنبي والحكام جميعا ، ثم هناك الصراع بين الوان النفوذ المختلفة . .

وفي هذه الفترة تبرز مواقف متعددة ترسم حركة التاريخ :

(١) صدر الدستور العثماني الأول ( ٢٣ ديسمبر ١٧٨٦ ) أصدرته وزارة مدحت ، ثم حل السلطان مجلس المبعوثان بعد ( ٤٢ يوماً ) في ٥ فبراير ١٨٧٧ ، وأعيد الدستور ( بعد تسع وعشرين عاماً ) عام ١٩٠٨ .

(٢) بدأت الهجرة من الشام ( لبنان وسوريا وفلسطين ) إلى الولايات المتحدة بأمريكا عام ١٨٧٦ وفي نفس الوقت إلى مصر وإلى مناطق كثيرة من أفريقيا .

(٣) قدم جمال الدين الأفغاني من فارس والهند إلى تركيا ثم إلى مصر عام ١٨٧٠ ثم عاد إلى مصر ١٨٧١ للمرة الثانية فأقام بها حتى ١٨٧٩ .

(٤) في مصر كان حكم إسماعيل في نهايته ، وقد تشكّل مجلس شورى النواب ( إبريل ١٨٦٦ ) ومجلس شورى بديل في أغسطس ١٨٧٨ ثم عزل إسماعيل ٢٦ يونيو ١٨٧٩ وتولى

إبنه محمد توفيق الذى كان قد تعرف على جمال الدين الأفغانى ، وقال له كلمته المشهورة : أنت فى مصر موضع آمالى أيتها السيد ، ثم لم يلبث أن أخرجه من مصر بعد أن تولى الحكم بأيام .

فى هذه الفترة وجد الكتّاب السوريون الذين هاجروا من الشام مجالا فالتفوا حول جمال الدين ، الذى كان قد إحتضنه رياض باشا وأجرى عليه راتباً ، ومن حول جمال الدين تجمع من السوريين العامين فى ميدان الصحافة : أديب اسحق وسليم الفقاش وسليم عنجورى ، وقد صدرت لهم بنفوذ جمال الدين صحفاً ثلاث :

مصر : ( أديب اسحق وسليم الفقاش ) . . . . . ١٨٧٧

التجارة : ( « « « » ) . . . . . ١٨٧٩

مرآة الشرق : ( سليم عنجورى ) . . . . . ١٨٧٩

وقد اشترك فى تحرير هذه الصحف جمال الدين ، ومحمد عبده وإبراهيم الأفغانى - الذى أشرف على مرآة الشرق - ، وتبدأ هذه الصحف مرحلة جديدة يمكن أن يطلق عليها (صحافة الرأى) وقد استمرت على هذا النحو حتى أخرج جمال الدين .

ولكى تكتمل الصورة من بعد نعلم أن الاحتلال عام ١٨٨٢ قد أوقف الصحف الوطنية ، كانت الأهرام هى الصحيفة الوحيدة التى بدأت عام ١٧٧٦ وعادت الصدور بعد الاحتلال مباشرة ، ومضت ثمان سنوات طويلة مريرة ، لم يرتفع فيها صوت وطنى واحد ، حتى أصدر النفوذ الاستعمارى جريدة : ( المقطم أوائل عام ١٨٨٩ ) ، ثم صدر « المؤيد » قبل نهاية العام . وكان كرومر ممثل الاحتلال الإنجليزى فى مصر يرسم للصحافة سياسة مأكرة ، ترمى إلى إطلاق الشحنة الوطنية مما وصف من بعد بعبارة : رفع الغطاء عن الإناء الموضوع فوق القار لتصرف البخار . . .

وكان « المؤيد » صحيفة الوطنية والمقاومة منذ صدر ١٨٨٩ ولم يصدر « اللواء » إلا عام

١٩٠٠ بعد مرور أحد عشر عاماً على صدور المؤيد ، وكان أشد ثقلاً في ميزان الحركة الوطنية ، وأكبر مقاومة للنفوذ الاستعماري ، ومن هنا حرص الاستعمار على مقاومة هذا التيار وتأكيده مركزه فشجع ظهور « الجريدة » عام سنة ١٩٠٧ لساناً لحزب الأمة : حزب للمعتدلين الذين يؤمنون بالاتقاء بالإنجليز في منتصف الطريق .

وكان عام ١٩٠٧ خطيراً حقاً ، فقد تأسست فيه أحزاب ثلاث : « الأمة » وصحيفته الجريدة و « الحزب الوطني » وصحيفته اللواء ، وأسس الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد « حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية » وما كاد كرومر يخرج من مصرف نفس العام حتى تبلور الموقف ، جاء الدون غورست بدلاً منه فأقر مع الخديوي سياسة الوفاق ، فالخديو إلى الإنجليز وأدار ظميره للحركة الوطنية بعد أن كان يشجعها ، وتكشف الموقف عن أربع جهات تمثلها الصحف الأربع :

المقطم : لسان الإنجليز .

المؤيد : لسان الخديو .

الجريدة : لسان الطبقة الجديدة « أصحاب المصالح الحقيقية » التي صفعها الإنجليز

اللواء : لسان الحركة الوطنية عامة والحزب الوطني في هذه المرحلة .

وكانت هناك زعامات مختلفة تصدر العصر في مختلف مجالاته الفكرية :

محمد عبده ( الذي أطلق عليه الشيخ المفتي ثم الأستاذ الامام ) يمثل التحديد الديني واللفوي .

ومصطفى كامل ومحمد فريد من بعده يمثلان الزعامة الوطنية .

ولطفي السيد يمثل فلسفة المفعمة ، ودعوة مصر المصريين ، ومقاومة كلا الدعوتين : الجامعة الإسلامية والحركة الوطنية وفق مفهوم الوطنيين وأسلوبهم .

وقاسم أمين : صاحب الدعوة إلى تحرير المرأة .



## صحافة جمال الدين

قبل الاحتلال كانت صورة جمال الدين الأفغانى هى أبرز الصور ، الرجل الذى قدم مصر من أرض الأفغان تحيط به هالة من الإعجاب والحذر فى أواخر عصر إسماعيل ، وكون مدرسة من الشباب المثقف كانوا يلتفون حوله فى قهوة ( متاتيا <sup>(١)</sup> ) ومن بين هؤلاء كان محمد عبده أبرزهم وأكثرهم إعجاباً بالسيد ، وكان حول جمال الدين مجموعة من الصحفيين السوريين : أمثال أديب اسحق ، سليم عنجورى ، سليم النقاش . . وأغلب هؤلاء قد تحول من بعد وانضوى تحت لواء النفوذ الاستعمارى ، وفى هذا العصر كان ذلك الرجل الذى كسب شهرة أكثر مما يستحق : يعقوب صنوع المسمى « أبو نضارة » <sup>(٢)</sup> وقد ألقى جمال الدين الأفغانى فى هذه الفترة خطباً وأحاديث فى مختلف الأندية وكتب هذه الخطب تلميذه الشيخ محمد عبده ونشرها فى الأهرام والتجارة وغيرها ، ثم سافر السيد مطوفاً فى الأرض ، فلما وقعت الثورة العربية نفى الشيخ المفتى ، وفى باريس التقيا فأصدرا « العروة الوثقى » حتى عاد محمد عبده إلى مصر وقصد جمال الدين إلى استانبول ، وانطوت صفحة وبدأت صفحة جديدة فى ظل الاحتلال ، صفحة ذلك الصراع الضخم بين الوطنية المصرية من ناحية وبين الاحتلال ، ودارت المعركة من خلال الصحف ، كان سلاح هذا الصراع الأول هو : الصحافة والصحف حتى الأحزاب السياسية فى هذه الفترة تسكونت من خلال الصحف ، فقد صدرت الصحف أولاً ثم تسكونت الأحزاب من داخلها ، وفى ظل المرحلة الجديدة ظهرت أقلام كثيرة . . عشرات الأقلام . ولم تسكن كل الأقلام شامية ولكن كانت هناك أقلام مصرية بارزة : إبراهيم القانى ، إبراهيم الموباحى ، على يوسف ، محمد عبده الخ . .

وقد كان أغلب المناضلين والمكافحين فى مجال الوطنية والسياسة والاصلاح الدينى

---

(١) تفاصيل هذه الصورة فى كتابنا « الفرق فى بحر اليقظة » .

(٢) تفاصيل حياته فى كتابنا « القافلة العربية فى معركة التفريق والشعرية » .

والاجتماعى صحفيون أو مصاحفين<sup>(١)</sup> ، كلهم حمل القلم وعمل فى الصحافة ، ومن هنا كانت الصحافة هى الاطار الحقيقي لليقظة الفكرية ، وهى بؤرة النهضة وحركة الحرية واليقظة . جمال الدين الأفغانى ، وسعد زغلول ومحمد عبده ، ومصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاویش وأمين الرافى وأحمد وفيق كل هؤلاء حملوا القلم تحت لواء الصحافة .

هذه أبعاد الصورة فى هذه المرحلة التى تبدأ بظهور صحافة الرأى المعارضة للنفوذ الأجنبى والاستبداد الداخلى ، وقد كانت أولى هذه الصحف «نزهة الأفكار» لإبراهيم المويلحى وعثمان جلال الصادرة ١٨٦٩ والتى أغلقتها حكومة إسماعيل بمد عددين عندما تبين للمستولين خطورتها عليهم .

وعندما وقع الاحتلال توقف إصدار صحف جديدة فى القاهرة ١٨٨٢ ولم يصدر خلال السنوات التالية له صحفاً ذات بال حتى صدر المقطم فى ١٤/٢/١٨٨٩ والمؤيد ١/١٣/١٨٨٩ . وقد استمرت هذه الصحف تؤدى دوراً ثورياً إيجابياً متحرراً حتى أخرج جمال الدين الأفغانى من مصر بمد أن قبض عليه عشية ٢٩ أغسطس ١٨٧٩ ، هنالك نشرت الصحف البلاغ الرسمى الخاص بإبعاده ثم تحولت وجهة أخرى .

وكانت صحيفة مصر توالى نشر كلمات جمال الدين الأفغانى وندواته

---

(١) المصاحف : اصطلاح أطلقه الكتاب غير المحترفين لمهنة الصحافة .

(٢) صدرت جريدة مصر مرة أخرى عام ١٨٩٥ بإشراف قيسر وصوبيل نادرس المنهبادي .

## جريدة مصر

( ٢٣ نوفمبر ١٨٧٨ )

في عشية يوم الجمعة وفد على الإسكندرية سيدنا فهرست كتاب السكال ، وفذلكة حساب الجلال ، أستاذنا الأجل الفيلسوف الأكبر السيد جمال الدين الأنفاني ، فابقسم له الثمر عن درر الهناء به ، وقرر الثناء عليه ، وسمى إليه الفهاء والوجهاء ، وما من جراحة فيهم إلا وهي تود لو كانت أذنا فتلتقط درره وجواهره ، أو عينا لتجتلي مطالعه ومناظره .

وقد أعد له جبريل افندي المجمع نجل بارودي دى فنشى مأدبة فائقة الحسن والظرف تأخذ باللب والظرف ، جامعة لمحاسن السكالات وكالات المحاسن متوفرة أسباب الهناء والسرور كاملة وسائل الأفس والحبور .

\* \* \*

مساء الأربعاء ( ٢١ مايو ١٨٧٩ )

كانت قاعة زرينا محفلا لبهاء الناس ، أهدت الأعين في الحجرات والمقاعد بروح الفضل والحكمة المتجسمة في ذات سيدنا الأستاذ وانتحت الأسماع لالتقاط درر ألفاظ الحكمة والتشفيق بجواهر أقواله الفلسفية ، فقام أعزه الله في هذا المجمع خطيبا ، يصقل الألباب ، ويمهد مناهج الأدب بالكلام البريء السكاف الخالي من السكف حتى تمثلت الجوارح لو كانت آذانا تلتقط درر حكمه .

خطاب جمال الدين في زرينا

يا أيها السادة<sup>(١)</sup> ويا أيها السيدات : أرى من الواجب علىّ أولا أن أثني على الجرائم الشريفة الشرقية التي مضت عليها الدهور ومرت المصور وهي في حالة السكون لمفع الموانع الخارجية وقسر القوامر الداخلية ، ومع ذلك لم تفقد مزايها العالية ولم تعدم سجاياها السامية بل برزت ونمت ، فرأينا أصولها الشريفة سادة شرفوا هذا المحضر لإعلاء كلمة العلم ورفع منار

المعارف وتأيد أمر الفضل إعتقاداً بأن العلم سلطان عادل حكيم، إذا حل ببلد قوم تبعه الفنى والثروة لأنهما لا يحصلان إلا بالتجارة والزراعة والصناعة التى لا تحصل إلا بالعلم .

لا أريد أن أذكركم بعجد آبائكم الكرام وأنسكم إما أن تكونوا من آباء المصريين أو من حفدة الفينيقيين أو من سلالة السككديانيين، وأن المصريين قد بلغوا فى الهندسة ذروتها ومن الحساب غايته ومن المساحة قاصيتها ومن جر الأنقال مفتهاه، وعلّموا اليونان الحكمة والفلسفة، بل إن شخصا واحدا منهم قد بث فى اليونان روح المعرفة وعلمهم فن تدبير المنزل حين كانوا همجا متوحشين، وأبان لهم كيفية الزراعة والصناعة على حين كانوا يعيشون بالصيد والقتص، وإن جل علمائهم ومعلم حكائهم لم يغالوا الفلسفة إلا بما تعلموه فى مدرسة مصر العظيمة. ولا أذكركم بالفينيقيين وأنهم واضعوا أصول الصناعة وخاضوا عباب البحار وكانت إنسكلترا واليونان من مستعمراتهم ولا تزال أسماء بلاد أسبانيا وسلانينا شاهدة بأنهم رفعوا على تلك الأقطار ألوية تمدنهم، وأن أهلها كانوا لا يعرفون الصناعة ولا التجارة بل كانوا يقدمون لجدودكم كفضوز الطبيعة ومعادنها الثمينة، وأنهم علموا اليونان الخط وكان أعظم حكائهم منسوباً إليهم وهو تاليس الصورى .

أن الهرميين والمسلات وأعمدة السكرنك تفقأ بأصابهما الدهرية أعين المعترضين الذين يرمون الشرقيين بالهمجية والقص فى الفطرة، وأن تلؤل نينوى وأطلال صور وبعلبك ومفيس وشبيه ما بقيت إلا لتثير الغبار على أبصار المفكرين الذين ينظرون إلينا بعين الاستخفاف والاحتقار. (وانك) لن تجد لتأخرنا غير سببين أصليين هما : التمهصب والاستبداد فأما الأول فهو عبارة عن سوء استعمال الدين، فأما إذا نظرنا بعين المتأمل البصير إلى الشارعين من عهد (مهاديو) إلى ذردشت إلى موسى إلى عيسى إلى محمد، لا نجد فى شرائعهم إلا الدهوة لمعرفة مبدأ حق، وهو الله، والحث على الفضائل وفعل الخير والزرع عن الرزائل والشرور. ولسكننا إذا نظرنا إلى السكثير ممن أنعموا علينا نراهم قد استعملوا تلك الشرائع للشقاق

والنفاق وانخدوعها وسائط لإضرار الفتن ووسائل لإلقاء الإحن ، حتى أمكن للشاعر  
المربي أن يقول :

إن البيانات ألفت بيننا إحتماً وأودعتنا أفانين العداوات

أما الاستعداد فهو أن نكون أمة من الأمم مقيدة بسلسلة رأى واحد من الناس  
لا نتحرك إلا بإرادته ولا تفعل إلا لارضاءه ، فإذا الأمة على هذه الصورة لزمها لا محالة أن يصرف  
كل منهما ما أودع فيه من العقل والذكاء لمرضاة شخص واحد فيكون الكل فانيا فيه :  
ومن المعلوم أن الرجل الواحد ولو انفرد في العقل والذكاء والهمة وعلو النفس لا يستطيع  
جلب السعادة لنفسه فضلا عن جلبها لأمة كثيرة . . ا . ه .

## د مرآة الشرق ،

× ولما تولى إبراهيم اللقاني تحرير جريدة مرآة الشرق ابتداء من العدد ١٦ ، بدأ طابع جديد من الكتابة الوطنية والسياسية في الصحافة العربية في مصر يمكن أن نستكشفه من نظرة إلى نماذج منه وعلى هذا النحو<sup>(١)</sup> :

على وزرائنا - حفظهم الله - أن يخطوا عن أنفسهم جلايب الراحة ويقاوموا الإغواء ويصلوا شيئاً من بياض نهارهم بسواد ليلهم جداً وسمياً في تحصيل أسباب الإصلاح واستجلاب دواعي السعادة ، نعم ، لا ننكر ما يعترض دون ذلك من المصاعب ولكن هم الرجال تزلزل الجبال وتسهل المشاق ، خصوصاً إذا انبعث السمي عن غيرة حقيقية وحمية وطنية ونفس أبية ضاع حقها وتداعى ركن عزها وانبنى على تدبير محكم وسياسة مستقيمة ، كما يكون سعى وزرائنا فهم وطنيون أحرار الطباع أشرف النفوس لا يرضون الخسف ولا يدينون للعسف وقد توفرت فيهم بواعث السمي ودواعي الاجتهاد .

وتشهد الأحوال الحاضرة أن حكومتنا في قبل هذا الزمان لم تفقد القانون العادل الذي يكفل لكل ذي حق حقه ولكنها فقدت من يقوم بحفظ ذلك القانون ، وذلك لتآلف أعضائها من عبدة الهوى وعبيد الشهوات لا يرون الحق لا ما يوافق أغراضهم ولا ما يوافق القانون ، واستيلاء أفكارهم الرديئة الناشئة عن مبادئهم الفاسدة على أفكار رئيس الحكومة القابض على زمام الأمر فيزينون له المشوه ويحسنون التبييح ويظهرون الحق باطلاً والباطل حقاً .

وأهم المفاصل هي عدم مراعاة الاستحقاق في منح المراتب والمناصب ، فكنت ترى الحاشية والمقررين إليهم يقدمون من شاءوا من أقربائهم وأوليائهم مع مصادرة التيار الجديد .

---

(١) مجلة مرآة الشرق ١٨٧٨ تولى تحريرها إبراهيم اللقاني (العدد ١٦) ١٤ أغسطس ١٨٧٩ .



وقد عارضت الرقابة هذا الاتجاه ولم تقف عن نقده حتى أنها أصدرت أمرها بمصادرة جريدة الوطن خمسة عشر يوماً ، وقد نشرت الوطن هذا القرار في عددها ( ١ - يونية ١٨٧٨ ) تحت عنوان : إخطار رسمي من إدارة المطبوعات « على هذا النحو : » مع سبق إخطار أرباب الجرائد بتعديل مسلكهم بالنسبة للمآل والزمان ، ما زال مشاهداً عدم الالتفات لذلك ، لذلك وحيث أن ما سطر في كل من جريدة الوطن ، وجريدة التجارة مخالف ، قد استوجب الحكم بتعطيل الجريدتين المذكورتين مدة خمسة عشر يوماً « ثم علقت الجريدة قائلة : « .. فامثالاً لهذا الإخطار الرسمي وجب علينا تعطيل جريدتنا مدة خمسة عشر يوماً ، وكنا نود لو صرح في هذا الإخطار بيمض العبارات التي لم تحظ بالقبول أو التي خرجت على الأصول ، وذلك لإصلاح الخلل وعدم الوقوع ثانية في الزلل . لا أن نعمد إلى تعطيلها بدون سبب فإننا لم نعلم سبباً سوى ذكر فصل عن لزوم تنقيض فائدة الديون أما إذا كان التعطيل بسبب ذكر حقوق أعضاء مجلس النواب فهذا ليس بشيء بالنسبة لما هو مذكور .

وقد سئل أحد كبار وزراء أوروبا عن سن قانون لمنع حرية المطبوعات وذلك لمنع الضرر ورفع تشويش الأذهان والخطر ، فقال إن الواقي الوحيد لمنع الخطر هو ذات حرية المطبوعات ، ولم يمرى لقد أصاب هذا التحرير في هذا المقال . فالجرائد هي بمنزلة بلسم للعليل وماء لرواء الغليل ودواء لشفاء السقام ونوراً لأولى الأفهام وهدى لرفع فاسد الأوهام .

\* \* \*

هذا هو الطابع الصحفي الجديد الذي رسم صورة جديدة للكتابة يمكن أن يطلق عليها صحافة الرأي من خلال تلاميذ جمال الدين غير أن أمر هذا اللون لم يطل فلم يلبث أن أبعد جمال الدين الأفغاني<sup>(١)</sup> وسدر بلاغ رسمي بإبعاده نشر على هذا النحو :

رسمي : ( ورد إلينا الإخطار الآتي بطريقة رسمية فنقرناه امتثالاً وهو بالحرف الواحد )

« لما كان الأمن والأمان والراحة والاطمئنان يتوقف عليهما تمام العمران في جميع الممالك والبلدان ومن أنجح الأبواب وأصاح الأسباب التي بها نجاح الممالك وسلوكها في أقوم المسالك قطع دابر المفسدين فيما يضر بالدنيا والدين ، ويكون ذريعة للطائشين المتظاهرين بين الناس بمظهر الحرية بدون أساس البائين ذلك على غير شرع وأصل ثابت وفرع ، وإنما هي مجرد خزعبلات وترهات وإثراك وأحجولات نصبوها لاقتناص أمثالهم السفهاء والجهال الذين هم بمنزل عن معرفة شيء من صوالح الأحوال وللتوصل إلى أغراضهم الفاسدة ومقاصدهم السيئة الكائنة .

وحكومتها . . . التي ما زالت على بصيرة متيقظة كل التيقظ ، فمن ثم قد إستشعرت بأن هناك جمعية سرية من الشباب ذوي الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا المضر بالبرية رئيسها شخص يدعى بجمال الدين الأفغانى مطرود من بلاده ثم من الآستانة العليا لما إرتسكبه من أمثال هذه المفسدة في ديارنا المصرية المتحققة بالقبض من أهل الضبط والتيقظ والربط ، على أوراق عنده مضمونها شاهد عليه بالتوصل بتلك الجمعية إلى السعى في جميع القبائح والمفاسد التي لا تخفى على أهل السكياسة ، خصوصا رجال الحكومة المتمكنين المديرين على السياسة والرئاسة ، فالتزمت هذه الحكومة الحازمة أن تتخذ الطرق اللازمة ، وتستعمل السداد في قطع عرق هذا الفساد فأبعدت ذلك الشخص المفسد عن الديار المصرية بأمر ديوان الداخلية ووجهته من طريق السويس إلى الأقطار الحجازية لإزالة هذا الفساد من هذه البلاد عبرة للمعبرين ولمن يتجاسر على مثل هذا من المفسدين » .

( ٢ ) تلاميذ جمال الدين بعد سفره من مصر

لا شك كان للشاميين في مجال الصحافة العربية دور ، ليس في مصر والشام وحده ، بل في العالم العربي كله ، وفي الجزائر والمغرب الأقصى وتونس . وإذا نظرنا إلى الصورة من الداخل في مصر في مدة ما قبل الاحتلال رأينا مجموعة من شباب الشام ( سوريا ولبنان في الأغلب ) الذين طمعوا في الهجرة إلى مصر ، في ظل تشجيع إسماعيل باشا للمناصر غير المصرية التي كانت تعاونه في هذه الفترة ولخلق ولاء يدين له ، ويخدم أغراضه ، غير أن أغلب هؤلاء لم يلبثوا أن انقضوا عليه ، وعاونوا خصومه ، فسلم تفلأ هاجمه في الأهرام واستظل بالحماية الفرنسية ، ويعقوب صنوع الذي كان معلماً للرقص في قصر عابدين ثم طرده الخديو فسافر إلى باريس أصدر صحفاً متعددة هاجمه فيها وأطلق عليه اسم « شيخ الحارة » منها : أبو نظارة ، أبو نظارة زرقا ، أبو صفارة ، ولم تكن خصومته لإسماعيل ولاءاً لمصر ، ولكنه كان يعمل على ولاء واضح لفرنسا<sup>(١)</sup> .

أما أديب إسحق وسليم عنحورى وسليم الدقاش فقد أخذوا صف جمال الدين خلال إقامته في مصر ، أما أديب إسحق فقد خرج من مصر منافساً للوزير رياض لخلاف شخصي معه وأصدر صحيفة أطلق عليها ( مصر القاهرة ) هاجم فيها الاحتلال البريطاني ( وحده ) وأيد النفوذ الفرنسي ووصفه بالرحمة والعدل ، ثم عاد أديب إسحق إلى مصر وأصدر صحفاً والت الاحتلال البريطاني وأيدت القصر .

وهذا نموذج من كتابات أديب إسحق في جريدته التي أصدرها في باريس :

---

(١) اقرأ دراسة عنه في كتابنا ( الثقافة العربية بين التعريب والشموية ) .

## جريدة مصر القاهرة

مصر «القاهرة» جريدة حرة سياسية ، محرر الجريدة وصاحبها : أديب اسحق  
تطبع في باريس تحت سماء الحرية ، وتذعر ما يعود بالنفع على البلاد العربية .  
وحرية . إزاء . مساواة ، باريس ٢٤ ديسمبر (كانون أول) ١٨٧٩  
[ نعرض أول أعدادها افتتاحية جاء فيها ] :

( الافتتاحية ) إننا على يقين من أن استبداد رياض باشا في الحكومة المصرية يحمله  
على منع البريد المصرى من نقل الجريدة في داخل القطر ، غير أننا لا نعدم الوسيلة لإيصالها إلى  
المشاركين في أوقاتها ، فقد أقمنا في المدن والثغور المصرية وكلاء من الأحناب ترسل إليهم  
الجريدة بطريقة مأمونة العاقبة وأما من رام أخذها بنير واسطة هؤلاء الوكلاء فإننا نرسلها  
إليه في ضمن ظرف على شكل الرسالة فلا تصل يد الاستبداد إلى منعه عنها .

وكل ما يرد إلينا من مستندات الصحيفه ينشر مكتوم النية أو مشهورها على ما يروم  
المرسل . نوافق على ذلك من يكاتبنا من البلاد الشرقية المحفوفة بمكاره الاستعباد ميثاقاً  
نحفظه حفظ الشرف ونصونه صيانة الروح .

هذه صحيفة مصر - طواها الاستبداد فئات شهيدة ثم أحييتها الحرية فماشت سعيدة .  
حاول رياض باشا المتصدر في مصر إطفاء نوري وأبى الله إلا أن يتم نوره وإن كره الظالمون .  
أماننى بدعوى الحرص على الخواطر أن أثيرها إلى الفتنة بل خاف أن أكشف الحجاب  
عن حقيقة أحواله فزعم أنى ناصية الشر لغرة منه أو تشيما لسواه .

مسلكى : أن أكشف حقائق الأمور ملتزماً جانب التصريح متجافياً عن التمرىض  
والتلميح ، وأن أجلو مبادئ الحرية وآراء ذوى النقد وأن أوضح معائب اللصوص الذين  
نسميهم اصطلاحاً أولى الأمر ومثالب الخونة الذين ندعوهم وهما أمناء الأمة ومفسد الظلم  
الذين نلقبهم جهلاً ولالة النظام .

مقصدي : أن أثير بقية الحمية الشرقية وأهيج فضالة الدم العربي وأرفع النشاة عن أعين الساذجين وأحيي الغيرة في قلوب العارفين ليعلم قومي أن لهم حقاً مسلوباً فيلتمسوه ومالاً منهوباً فيطلبوه . وليخرجوا من خلة الخسف وينبذوا عنهم كل مواس ، ويستمتعوا في مجاهدة الدين ببيعهم أبدانهم وأموالهم وأوطانهم إلى الأجانب بما يطمعون في رفعة المقام فمن مات دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد . ومن عاش بعد أولئك الشهداء فهو شهيد .

ومضى أديب اسحق يهاجم حكومة رياض باشا فإذا تعرض للاستعمار ركز الهجوم على انجلترا فقط ، أما فرنسا فهي ليست في نظره دولة مستعمرة تنسكل بأخواتنا في شمال أفريقيا وإفريقيا مناوئة الحرية يقول :

« على مثل ذلك طبعت حكومة الإنجليز وعلى مثله تراها في الهند قد جمعت أمراءها غلماناً واتخذت أبناءها عبيداً واستخدمت عامتها فيلة وبعرة وبرايا وعلى مثل هذا يراها المصريون أن رضوا برياض باشا وزيراً يقول ليس في هذا القطر من ينقعه بخطاب أو يحسن بجواب أو يميز بين الخطأ والصواب ، ويستقدم الأجانب لأعظم الناصب ويشعروا على الأمير ويشد على الوطنيين النكير ويلغى الجرائد الناطقة بالصدق الرائدة عن الحق .

أما سائر الدول فإنها أقل من تلك الدول شراً وأكثر منها رفقا وبراً . تعامل الخاضعين لها بالتي هي أحسن حتى يكادوا يحمدون وفادتها ويشكرون ولايتها .

ثم يجامل فرنسا فيقول : رياض باشا « أداما خستون » القائل بهمجية المصريين المتعقد بأنحطاط مداركهم المصرح بضعف عزائمهم الجاهل بالازدراء بهم . « الأمة الفرنسية المعروفة بحب الإنسانية المشهورة بالحرص على حقوق الحرية والمدنية القائمة بأمر العدل المتبوءة في قلوب الشرقيين مكاناً عالياً » .

ما هو رياض باها

«رجيل»<sup>(١)</sup> دون الربة . خفيف المعارضة . أغبر اللون . متكسر العين تشير صفحته إلى الضميمة . وتدل تنوء جبهته على صلابة الرأي . فيه مزية العزم والإقدام وهو من بيت الوزان من يهود مصر الأذكىاء . أقيم جده على وزانة النقود فأظهر الإسلام وتبعة بنوه من بعده إلى هذا العهد ، وللناس ما ظهر ولله ما استقر . وهو نبيه الفسکر لو حصل من العلم شيئا لما بعد عن مقام أهل الفضل ، على أنه عريض الدعوى يتعمق في كلامه تغرق الميزاب في كانون فإذا سمعته بعد المهمة والثناء يقول بكلام العوام خدمة الوطن ظنفته من الجديدين . بالرئاسة الخبيرين بالسياسة فإذا راقبت أعماله رأيت حركة ولا بركة . صاحبه صبيا كانت صبيا في ترقيته بأنه كان من مفروزه الأمير عباس فيستحضره في محامل أنسه ويجالس طربه فلما دب عارضه رفعه إلى بعض المناصب فإلت أن أنه البكوية . لم أر في سبائه ما يدل على الصباح ليكون محلا لهذه الشبهة .

أثر الصحافة في مجلس شورى النواب

ولم يلبث أثر صحافة الرأي أن بدا واضحا في دوائر مجلس شورى النواب .

يتمثل ذلك في جلسة مجلس شورى القوانين (الغليس ٢٧ مارس ١٨٧٩) فقد عقد مجلس شورى النواب جلسته وبدأ ينظر فيما لديه من الأعمال وإذا عطوفتلو رياض باشا رئيس مجلس النظر يدخل وفي يده مرسوم للفض المجلس وثارت ثائرة الأعضاء . ودارت مناقشات حادة ، وكان عبد السلام المويلحي أبرز خطباء الجلسة الذين اشتبكوا مع رئيس النظر في المناقشة . وكانت الوزارة قد تألفت في أوائل هذا العام (١٨٧٩) برئاسة ولي العهد (محمد توفيق) ودخل بين أعضائها وزيران أوربيان أحدهما أنجليزى وهو سير ريفرس ويلسن وقد تولى وزاره المالية وثانيهما فرنسى وهو سير بلنير وقد تولى وزارة الأشغال ، وذلك بناء على

الاتفاق الذى تم بين الخديوى إسماعيل والدولتين الانجليزية والفرنسية ، وكان مجلس الشورى قائماً فى ذلك الحين فتقدم باقتراحات إلى وزارة المالية لتخفيض الضرائب الفادحة وطلب المجلس حضور وزير المالية فلم يحضر فأرسل ملاحظاته على ذلك لوزارة الداخلية فلم ترد إجابة على المقترحات ، وطلب النواب الإجابة وألحوا فى الشكوى من الضرائب فرأى الوزيران الأوربيان وكان لهما رأى الأول فى الوزارة ، أن بقاء مجلس شورى النواب بسبب لهما العقبات فاعتزما التخلص منه ووافقهما وزير الداخلية والحقانية (رياض باشا) ثم اسقر رأى الوزارة كلها على حل المجلس بحجة أن مدة نيابته قد انتهت وهى ثلاث سنوات وأصدر مرسوم الحل ، هنالك قال عبد السلام المويلحى : أن المجلس طالب بعدم قطع أى أمر فى أى شىء كان إلا باشتراكه ، وجرت بينه وبين رياض مناقشة حادة ، اشترك فيها محمد راضى الذى قال : الأمر الصادر الآن ذكر فيه أن المجلس انتهت مدته مع أنها ما انتهت وحاصل الأمر أنه لا بد من عودة المجلس بعد المدة التى قررناها لأجل رؤية تلك المسالك الملحوظات .

ورد عبد السلام فهمى على ما وجهه (رياض) فقال : من ضمن ما قلتموه أن أهالى مصر همج ، وأنه لا يوجد فيهم عشرة يفهمون ما يقال فى الجرائيل (الجرائد) مع أنه لا يصح نسبة جميع أهالى الوطن لهذه الحالة التى لا تليق .

وانتهج رأى إلى إسقاط الوزارة الأوربية بعد أن فضت المجلس ، واجتمع النواب الأحرار فى بيت الشيخ البكرى نقيب الأشراف ثم فى منزل إسماعيل راعب رئيس مجلس النواب الأول على هيئة جمعية وطنية قضم صفوة أصحاب رأى وطالبوا بإسقاط الوزارة وتأليف وزارة وطنية برئاسة محمد شريف ، كما طالبوا بتعديل نظام مجلس شورى النواب وتخويله السلطة المعترف بها للمجلس النيابية فى أوروبا .

وقد أذعن الخديوى إسماعيل للمطالب وكان ذلك انتصاراً للمجلس .

## صحف عربية في لندن وباريس

أصدر السوريون الموالون للاستعمار صحفاً متعددة خارج الوطن العربي خلال فترة ما قبل الاحتلال البريطاني لـ ١٨٨٢ ، وقد صدرت هذه الصحف باللغة العربية في لندن وباريس وكما تحارب الدول العثمانية وتحمل عليها ومن هذه الصحف :

لويس صابونجي : جريدة النخلة . . . . . (لندن) ١٨٧٠

لويس صابونجي ويوسف شلفون : جريدة النجاش . . . . . (لندن) ١٨٧١

بمقرب سنوح : أبو نضارة ( زرقا ) ، أبو زمارة ، أبو صفارة ( باريس ) ١٨٧٩ ، ١٨٨٠

أديب اسحق : جريدة مصر . . . . . (باريس) ١٨٧٩

رزق الله حسون : مرآة الأحوال . . . . . (لندن) ١٨٧٦

ويحاول رزق الله حسون أن يستدرج المصريين والعرب إلى الكتابة في صحيفته فيتهمه بأنه لن ينشر أسمائهم على شريطة أن يظلموه هو عليها ، يقول :

مرآة الأحوال — بريطانيا ١٨٧٦ (رزق الله حسون)

« كل ما يرد من مطالعة مضمونها الانتقاد على سياسة أو حكومة محلية فإنها تندرج في المرأة من دون أن يشعر باسم كاتبها إلا برغبة منه وليعلم أنه بمقتضى الحرية الإنكليزية الوارف على الدنيا ظلها لا يطالب بما في صحيفه وقائع إلا مديرها فلهذا تناق المراسلة بلا إمضاء يلتبس المعتمد عليهم بآخري ، وكل رسالة ليست من مستهدفات مرآة الأحوال ينقض عنها » . والواضح أن أغلب الصحف التي صدرت في لندن وباريس كانت ذات ولاه للنفوذ الأجنبي في البلدين ، وقد استهدف أغلب هذه الصحف تمزيق وحدة الروابط القائمة في هذه المنطقة وفق المخطط الذي رسمه الاستعمار لذلك في مقدمة الاستيلاء عليها والقضاء على وحدة الفكر العربي الإسلامي . وقد وجدت الدعوات القفرية وخاصة



الصهيونية مجالا ضخماً في هذا المجال ، وقد عاون الصحفيون الشاميون في العالم العربي كله نفوذ الاستعمار الفرنسي والانجليزى معاً ، سواء في الصحافة المصرية أم في صحافة طرابلس الغرب أو تونس أو الجزائر أو المغرب الأقصى ، والسودان وكلها كان لهم سبق الاشتراك في أنشائها . ولهذا التيار إمتداد بعد الاحتلال البريطانى لمصر .

فقد أُنشأت بريطانيا لزرقي الله حسون إصدار جريدة « مرآة الأحوال في لندن للتنبيد بخصوم بريطانيا وهو في نظر المؤرخين أعظم كاتب هاجم الدولة العثمانية وممل على تمزيق وحدة العالم الإسلامى العربى في هذه الفترة وعاون المستشرقين في إنجلترا وفرنسا ، وقد قاد معركة مقدعة ضد أحمد فارس الشدياق صادق صاحب جريدة الجوائب التى كانت لساناً للدولة العثمانية ، حتى أنه أصدر مجلة خاصة لهذا الغرض أسماها ( رجوم وغساق إلى فارس الشدياق ) يكتب ضد خصومه بلهجة قاسية ، ومن هؤلاء عهد القادر قبانى صاحب مجلة ثمرات الفنون البيروتية ) .

أما لويس صابونجى ، فقد كان صاحب ولاء واضح لبريطانيا ، وكانت صحفه بها تحمل اتجاهها ومفاهيمها ، وفي صحفه النحلة ، وموسى الخلافة ، والنجاح والخلافة حملات شديدة على ما أسماه توفيق حبيب ( خصوم الموارنة ) = مجلة المستقبل ( ١٩١٤ ) . وهو الصحفي الوحيد الذى جمع في هذه الفترة بين العلم والدين فهو قس ودكتور في الفلسفة . وقد طاف العالم كله وتنقل بصحفه بين آسيا وأفريقيا وأوروبا .

وقد أصدر صابونجى جريدة ( الخلافة ) في لندن سنة ١٨٨١ وكان يطبعها على الحجر ، ويفقد فيها العثمانيين ، وقد تبرع لها بعض الموالين من الانجليز بمشرة آلاف جنيه . كما أصدر « الاتحاد العربى » عام ١٨٨١ في لندن يدعو فيها العرب إلى الثورة على الدولة العثمانية ، كما أصدر جبرائيل هبد الله الحلبي للحكومة الفرنسية في باريس جريدتى للشترى والصدى عام ١٨٦٧ لنفس الغرض .

وكانت هذه الصحف سبيلاً من سبل الاستعمار في الشرق ، إذ كانت ترسل إلى المستعمرات

الفرنسية والبلاد المحتلة لنؤيد وجهة نظر معينة ونحياق تياراً فكرياً مضللاً ، أما أبو نضارة المسمى ( جيمس سانوا ) فهو ليس شامياً ولكنه يهودى إيطالى ولد فى مصر وكان يصدر صحفه فى باريس بعد أن تفاه الخديو ، وقد أوقف صحفه على ذم إسماعيل ، وكان يكتب باللغة العامية وهو أول من حاول اتخاذها أسلوباً عاماً ، وقد وجه همه إلى السكاريكاتير والفسكاهة والزجل وأدخل كلمات فرنسية وعربية عامية إلى كتاباته كقوله ( دخلنا الرستوران وأكلنا بشه بانيه ) وقد تردد أن جمال الدين الأفغانى كان يشجعه ، وقد قرأت نصاً لجمال الدين فى صحيفة مصر يشير فيه إليه إشارة الازدراء والاحتقار .

وقد عمل كثيرون من الشاميين المسيحيين فى أوربا منهم جبرائيل دلال وابن الشميل وخليل غانم ، وكانوا جميعاً أولياء للنفوذ الغربى بقسميه الفرنسى والبريطانى من أجل الحصومة مع على الدولة العثمانية التى كانت تقف فى طريق إستيلاء الاستعمار بعض أجزاء العالم العربى وتقسيمها . وقد أعانت هذه الحملات فعلاً على تحقيق هذا الغرض .

وقد نشر محمد عبده مقالاته فى الأمداد الأولى للأهرام ١٨٧٦ كما نشرت مقالات فى صحف هذه الفترة باسم ( مظهر بن وضاح ) وهو اللقب الذى اختاره جمال الدين لنفسه ولم يكن الأفغانى يكتب ولكنه كان على ، ومن ذلك مقالاته ( الحكومات الشرقية وأنواعها ) وأهم مقالاته كانت فى الحملة على الإنجليز .

قبل الاحتلال وبعده

## (١) الأهرام

وانطوت مرحلة ما قبل الاحتلال وبدأت مرحلة جديدة حافلة بالأحداث والقيارات المتعددة بميدة المدى ، فقد توقفت الأهرام بعد الاحتلال (٠٠ بولية ١٨٨٢) حتى صدرت في ٢٩ سبتمبر ١٨٨٢ حاملة على عرابي واصفة إياها « بالعامى عرابي ورفاقه البغاة » مادحة سلطان باشا والجنرال ولسلي ، ثم لم تلبث الأهرام أن حددت موقفها من الاحتلال البريطاني في ١٩ أغسطس ١٨٨٤ ثم صدر الأمر العالي بتعطيلها وجاء في أمر التعطيل « نظراً لأن جريدة الأهرام نشرت جملة مواد سياسية من شأنها خدش سلطة واعتبار الحكومة الخديوية ونظراً لأن العدد الصادر من هذه الجريدة في ١١ أغسطس ١٨٨٤ نشر فيه مراسله من لندرة من هذا القبيل أشد طعنًا مما سبق نشره ونظراً لأن نشر مثل هذه الجمل مع ما عليه من حالة القطر الحاضرة وحالة الأفكار بعد غخلا للنظام العمومي تغلق الأهرام شهراً من تاريخ إعلان صاحبها » .

وكانت الأهرام قد اضطدمت بنفوذ الخديو إسماعيل بعد صدورها بسفوات قليلة، ففي إبريل ١٨٧٩ هاجمت الأهرام الخديو إسماعيل واتهمته بالاستبداد والإسراف وسرقة أموال الدولة ، وقالت إن الخديو إحتجز لنفسه بنير حق من أموال الفلاحين مائة ألف جنيه إسترليني وكانت المراقبة الإدارية قد تقررت على مالية مصر ، وتمهد إسماعيل باشا بإرسال الأموال إلى خزانة المالية فحدث أن قطاراً حمل من طنطا إلى عابدين ٨٥ ألف جنيه فكشفت ( صدى الأهرام ) فصلاً بعنوان ( ظلم الفلاح ) : حملت على إسماعيل باشا حملة شديدة فاستاء إسماعيل وأرسل قوة من الجند أحاطت بالفندق للقبض على سليم نقلا ولكن بشارة تقدم من المحاصرين فأخذوه فأمر إسماعيل بسجنه في سجن مظلم فشكث ثلاثة أيام لا يدرى ما يحل به أما أخوه فقد استنفر فواصل الدول فسمعوا عند الخديو .

قال له إسماعيل : إنك تكذب ضد من توجد حياتك وموتك بيده ، فأجابه إن ما نشر هو رأى حقير لا يستحق غضب أفنديها ولكن إذا قطعته نبت رأساً أكبر ، قال : فغضب إسماعيل

لهذا الكلام وأمر بسجني فأيقنت إنى مائت ولسكن توفيق باشا على أثر ذلك اضطر  
الإخوين إلى الالتجاء لحماية فرنسا ففلاها ، ولما أثبتت المسألة المصرية سنة ٨١ سافر بشاره  
تقلا إلى الآستانه ومنها سافر إلى باريز ولندرة . وظل سليم وحده يصدر الأهرام يوميا  
وجاهد في أوربا جهادا حسنا وعاد سنة ١٨٩٢ فأنعم عليه الخديو بالرتبة الثانية .

في الثورة الميرانية حرقوا دار الأهرام فسافر إلى سوزيا وعاد فأصدر الأهرام في نشرة  
صغيرة على صفحة واحدة وفي سنة ١٨٩٢ قصد الآستانه وقابل السلطان الذى أدلى له بمحدث  
عن مد السكة الحديدية من دمشق إلى المدينه ومن معان إلى العقبة وأنعم عليه بالباشوية .  
وقد رسم سليم تقلا شياسة الأهرام بهذه العبارة « سلطنة سنية وتابعة عثمانية ومصر  
للمصريين ورأى عام فى الشرق العثمانى » فلم يتحول عنها طوال حياته ، ولم يتحول عنها  
الأهرام بعدها ، ثم نقل بشاره إدارة الأهرام إلى القاهرة (٩٨ شارع الإسماعيلية) ثم أصدر  
البرامهد الفرنسية وتوفى ( ١٥ يونيو ١٩٠١ ) .

...

وفى أوائل عام ١٨٨٩ صدر المقطم مواليا للنفوذ البريطانى ، ولم ينته العام حتى صدرت  
أولى الصحف الوطنية الكبرى « المؤيد » وكان صدورها هو رد الفعل على صدور المقطم .  
واستمر المؤيد أحد عشر عاما الصحيفة الوطنية الأولى والوحيدة فى مصر حتى صدرت  
الواء عام ١٩٠٠ وتوات الصحف .

الاستور : فريد وجدى . . . . . (١٩٠٧-١٩١١)

الجريدة : لطفى السيد . . . . . (١٩٠٧-١٩١٥)

المدير : محمد المهياوى وأحمد حافظ عوض . . . . . (١٩٠٦-١٩٠٨)

النظام : محمد مسعود . . . . . ١٩٠٩

وكانت سياسة الأهرام خلال فترة ما قبل الاحتلال ضد العربيين فكان حزب

الخديو يوزع الأهرام خاصة بين الجنود . ولما دخل الإنجليز القاهرة عاد سليم من سوريا فاستأنف مع شقيقه إصدار الأهرام وأعطيا تمويضا قليلا فابتاعا مطبعة . وفي ١٨٨٤ سافر بشارة إلى لندن لحضور المؤتمر الخاص للتحاثل فى المسألة المصرية .

وعطلت الحكومة جريدة الأهرام فى ٢٠ سبتمبر ١٨٨٤ بحجة أنها كتبت فصلا قالت فيه ( إن حكومة مصر تخدم أنجائنا دون مصر ) . وقصد بشارة باريز وحل وزارة خارجية فرنسا على تأييد مطالب الأهرام واعتذر نوبار للفصل فرنسا . « هذه الحوادث التى حلت مؤسسة الأهرام إلى الاحتفاء بدولة أجنبية فلولا هذه الحباية لم يبق عليهما إسماعيل وكانا يقولان أنهما يعضدان سياسة فرنسا لأنها الدولة الوحيدة التى نهضت للدفاع عن حقوق مصر .

وعرفت صداقة الأهرام للدولة العلية وقد سافر بشارة إلى الاسكندرية بعد محاكمة المرابين وأعلن ولائه للسلطان .

وفى هذه الفترة استقدم أصحاب المقلم محائهم « المتعطف » فأصبحت تصدر من القاهرة منذ عام ١٨٨٦ ثم صدرت مجلة الهلال ١٨٩٢ وفى نفس الوقت ظهرت مجلات شهرية تحاول أن تنافس المجلتين وتأخذ نفس الطابع الشكلى مع الاختلاف فى المضمون .

( ١ ) المنار « رشيد رضا » . . . . . ١٨٩٩

( ٢ ) الحياة « فريد وجدى » . . . . . ١٨٩٩

( ٣ ) الوسوطات « محمد فريد وحافظ عوض » . . . . . ١٨٩٩

## (٢) الطائف

وصف الثورة العرابية

في خلال الثورة العرابية كانت هناك صحافة تهاجم الانجليز والخديو وتؤيد عرابي أبرزها « الطائف » التي كان يصدرها عبد الله نديم في معسكرات القتال ، ومما يذكر له من عبارات الحماسة وإثارة المشاعر في خطبه التي كان يلقيها في التجمعات الشعبية قوله : إنقاذ مدافع الإسكندرية تصل إلى قبرص من هذه الفاحية ، وقذائف مدافع الأسفانة تصل إليها من الناحية الأخرى ، فكلما جالت المراكب الإنجليزية فعى تحت رحمة مدافعنا « وصفق له الناس . .

وكان أحمد سمير أحد محرري الطائف يصف المعارك الحربية فيقول :

في (١) ليلة الأربعاء قام المهام سعادة أحمد بك عبد القفار ومعه ستون فارسا من المساكر ومائة من مشاة الحرب وكن للعدو بجوار عزبة نوبار باشا وكانت قد توجهت أورطة على خط سكة الحديد خشية أن يكون للعدو هناك أرساد أو طلائع وفي منتصف الساعة الثامنة من الليل ألقت العرب نياها وبقيت باليستها وفاجأت العدو وكبسته وهو في رباطه فأطلقت الفيران من الجانبين ثم جاءت السوارى وهجمت من خلف العرب ففرت طليعة العدو وتركزت الميدان وما زال هذا المهام يتبعهم ونار البنادق تمطرهم حتى اختفوا خلف روبة في وسط سكة الرمل .

وقد كان للثورة العرابية آثار ومعقبات فقد بلغ الذين حوكموا بعد محاكمة عرابي ونفيه أكثر من ثلاثين ألفا ، وقد جمع هذه المحاكمات سليم خليل نقاش في كتابه « مصر المصريين » في ثلاثة آلاف صفحة منع صدور أجزاءها الثلاثة ( الأول والثاني والثالث )

وسمح بالأجزاء الستة من الرابع إلى التاسع عام ١٨٨٤ ، أما الثلاثة الأول فبعد أن شرع في طبعمها أوقفته الحكومة إذ ذاك عن نشرها وتعمي تاريخ مصر منذ عهد محمد علي وإبراهيم وعباس وسميد وإسماعيل وتشتمل على وقائع مصر والسودان ، وقد ذكر إذ ذاك أن الرقابة وجدت في ترجمة محمد علي وإسماعيل ما يجب حذفه ، والوقائع الموجودة بالكتاب مستقاة من جريدته ( المحروسة ) .

ومما يذكر أن محمود سامي البارودي أحد زعماء الحركة العربية قد قال مصوراً حركة المرابيين : لقد كنا نرمي منذ بداية حركتنا إلى قلب مصر إلى جمهورية مثل سويسرا ولكننا وجدنا العلماء لم يستمدوا لهذه الدعوة لأنهم كانوا متأخرين عن زمنهم . . .

## (٣) العروة الوثقى

وكان من آثار الثورة المرابية أيضا نفي الشيخ محمد عبده القدى سافر إلى بيروت ومنها لحق بأستاذه جمال الدين الأفغانى فى باريس وأصدرا معا العروة الوثقى عام ١٨٨٤ ، هذه الصحيفة التى أصدرت ثمانية عشر عدداً ولم تسكمل العام وكان لأعدادها دوى وأثر من ناحيتين : من ناحية الصياغة الأدبية ومن ناحية المضمون . وقد صدرتها بريطانيا فى كل مكان وصل إليها نفوذها ، كما مفعمت فى مصر بلاد الدولة العثمانية ، ومع ذلك فقد نهذت إليهما ونسخها الكثيرون وتلفذوا عليها أمثال رشيد رضا وعبد القادر المغربي .

وفى مصر قرر مجلس النظار فى جلسة يوم ٢١ يوليو ١٨٨٤ منع دخول جريدة العروة الوثقى إلى القطر المصرى بحجة أنها مهيجة للأفكار ، ولما كانت إدارة البريد الفرنسى لا يمكنها منع إرسال الجريدة المذكورة من باريس إلا بأمر خاص من الحكومة الفرنسية فقد خابرت الحكومة المصرية الحكومة الفرنسية فى ذلك . وكان جمال الدين الأفغانى منذ عام ١٨٨٣ يكتب فى صحف أوروبا ومن كلماته هذه الكلمة بعنوان :

( الحق والباطل أو نتائج سياسة الإنجليز فى مصر )

علامة العامل والفيلسوف الكامل جمال الدين الحسينى الأفغانى نشرها البصير ( باريس ) نيسان ( إبريل ) ١٨٨٣ . قد طبعت ترجمة هذه المقالة فى جريدة الجوسنس الفرنسية وهى أهم الجرائد الراديكالية فى فرنسا ونقلها عنها بعض جرائد باريس ونشر قسم منها فى السندور والديلى تلفراف والديلى نيوز وهى من أعظم الجرائد الإنكليزية وفى النبى فرى برس أشهر جرائد النمسا .

يقول « ما أختاف رأيان فى أمر إلا كان أحدهما حقاً والآخر باطلاً ، إن الحق أوسع الأشياء تواضعا وأجلاها برهاناً وأوضحها بيانا ، ولقد صنف الحكماء فيه كثيرا وبيّنوا صفته ، وذكروا شواهدهم وقسموه إلى أقسامه ، من حقوق الملك والدول والرعاة والرعايا وشرحوا فى مصنفاتهم إن الحق قوام الاجتماعات الإنسانية منزلية كانت أو مدنية ، وأن مدة دوام الاجتماعات وبقاء الدول بمقدار دوام الحق فيها وبقائه لأن الحق يحصل التكافؤ بين القوى



المجتمعة لا اكتساب الأمانة والسعادة اللتين هما غاية سيرة الأمم في حياتهم ، فإذا حصل الانحراف عنه زال التكافؤ فاضمحل الاجتماع ووقفت الأمم دون بلوغ غايتها .

انظر إلى الحزب الحر في الحكومة الإنجليزية كيف كانوا يحامون عن حرية الأمم ويحشون الدول على إطلاق ربق العبودية عن الشعوب ويدافعون عن الإيرلنديين وبجائهم بزمائم الحزب المحافظ ويذكرون شوائع أعمالهم في حرصهم على الفتوحات ، وكانوا ينددون على دزرائيلي في إقدامه على حرب الأفغانيين قائلين له أن سير على خان حر في بلاده له أن يقبل سفير الروس ويرفض سفير الإنكليز وليس لأحد أن يمارسه في أمره هذا .

وإنحجب من هذا أن المصريين بأجمعهم ولا أستثنى منهم أحداً أرادوا أن يضعوا في بلادهم أساس الحرية بتشكيل مجلس النواب تخلصاً من ربة الاستبداد الذي كان يستجلب الوبال على المستبد ومن استبد عليه كليهما وخروجاً من مضيق العبودية التي نشأت من الإيثار والاستيثار بلا ملاحظة المنافع والمضار ، وطلباً للانخراط في سلك الأمم المتقدمة رجاء أن يحظوا من السعادة بما حظيت به الأمم . لما رأى الغرب ميل المصريين إلى الحرية وسيرهم إليها وسميهم في طلب أسبابها ما ونوا أن واجههم بالرد وعارضوهم بالعنف ودافعوا هم عن الوصول إليها وأوجبوا الشقاق بين الراعي والرعية . ١٨٥٠ هـ .

## (٤) المقطم

في ١٤ فبراير ١٨٨٩ صدرت المقطم وعرضها ما أسمته « تأييد السياسة الإنجليزية التي لولاها ما كان في الشرق بلد يستطيع أن يمشي فيه وبجواهر بآرائه وأقواله » .

وقد اتخذ الثلاثة ( صروف ونمر ومكاريوس ) دكانا صغيرا في شارع أولاد غفان وسموه ( دار المقتطف ) وكان شرط كرومر عليهم : لا تزجوا باسم الوكالة البريطانية إذا أخطأتم فقدمتم للقضاء ، ثم توهمون الناس بابتكهم إنما تدافعون عن الاحتلال البريطاني للإحسان إلى مصر . ثم لكم بعد ذلك من الأموال ما تشاءون . وفي تقدير الباحثين والمؤرخين أن جريدة الأهرام تحولت ١٨٨٤ إلى جانب الشعب ، وكتب فيها مصطفى كامل ، هنالك أصدر الاحتلال صحيفة تحمل لواء دعوته فسكانت « المقطم » ، فلم يلبث أن واجه الوطنيون القحدي بإصدار المؤيد في نفس العام ، فلما تحول المؤيد إلى صف الخديو أصدر الوطنيون اللواء عام ١٩٠٠ وقد كتب فارس نمر فصلا صور فيه مدى ثقل المهمة التي قام بها المقطم وذلك بمديف وأربعين عاما من إصدار المقطم ، قال : بعد الهجرة إلى مصر<sup>(١)</sup> فتحفنا مطبعة كاملة المدة لطبع المقتطف وطبع ما يأتيها من الخارج لنستعين به على سد نفقاتنا ونفقائه ، وكانت عواقب الحوادث المالية قد أوقعت مصر في أزمة مالية ظلت ثن من عسرها أعواما فلم يرد على المطبعة مطبوعات تسد الربح منها الحاجة أو تكفي لإدارة المطبعة فأنشأ المرحوم شاهين مكاريوس « اللطائف » وكنا نحرر لها الفصول التاريخية والمواضيع السهلة الطلية رجاء أن تروج بين العامة وتساعد على إدارة المطبعة ، فلم يأت ذلك بالفائدة المرجوة ، ولذلك خطر لبعضنا أن نصدر جريدة أسبوعية لنشر الأخبار المحلية ومقتطفات سياسية عمومية فمارضت في ذلك كراهة الاشتغال بغير العلم ، ونخوفا من الدخول في مآزق السياسة حتى أشدت

---

(١) ذكريات فارس نمر — المقتطف ( مايو ١٩٢٦ ) .

الحاجة إلى تدبير محل كاف للطبعة وجمعاً ما تفكر إماماً في إصدار جريدة أسبوعية أو المهاجرة إلى الولايات المتحدة كما كان قد خطر لنا قبل الهجرة إلى الديار المصرية .

ثم تغلب رأى شريكى على رأى وأزمننا إصدار جريدة إخبارية أسبوعية تسكنى من المقتطف لإدارة حركة المطبعة وتثمين رأس المال ، وبينما نحن نستعد لذلك شاء القدر أن يتصدى لنا من استخف بعزة أنفسنا واستغفنا إلى استبدال الجريدة الأسبوعية بجريدة يومية رغماً عنا ، وسبعان من قسم المخطوط ، فقد قسم لى أن أحل أعباء هذه الجريدة اليومية وأفقد راحتى ولقدنى وما تميل إليه فطرتى ومن الاشتغال بالملم ، وبرز المقتطف رجاء أن يكون دخل الجريدة اليومية عوناً لنا على إدامة المقتطف وانقطع زميلى إلى تحريره من كل عمل سواء ، ولا أنعرض هنا لذكر شيء مما لقيت من جراء الاشتغال بالسياسة وخوض معاركها على مبدأ الاشتغال بالملم فى قول الصدق والانصراف للحق ، لا يشينى عنه إرهاب بوعيد ولا وعود بمال ورتب ونياشين وما قاسيت من المتاعب التى كثيراً ما غادرتنى أقضى الليالى وأنا أتقلب فى فراش المهوم من تعاقب الاضطهاد تلو الاضطهاد بسبب الدسائس التى تحاك لى فى الظلام وأن أكنتم خبرها فى أعماق صدرى غفافة أن يدرى بها شريكى فيضطربا فلا يستطيع أحدهما متابعة الدرس والمطالعة وتحرير المقتطف بما يفيض ذلك من راحة البال وصفاء الذهن ، ولا يستطيع شريكى الآخر القيام بأشغال المطبعة والجريدة والجملة بما يقتضى من الأمن والاطمئنان ، وإذا قلنا قلنا واضطربا اضطرابى بارت الأشغال وساءت حالة العمل والمال ، ولذلك بلغ منى أنى كنت ألتقى أخبار الحكم على بالإعدام من الناقين على بسبب سياسة المقطم وأنا صامت حتى ألفت الصبر على المكائد ولم أعد أعبأ بتلك الأحكام بعد ما تكررت على ثلاثا بالإعدام وهى لا تزال محفوظة بين أوراق ليقرأها من تقع إليه بعدى ويترحم على مصدريها كما أرحم أنا عليهم اليوم بعد

لما بلغت من العمر مئتيًا ولم يبق أحد منهم حيًّا فبعضهم مات حتف أنفه وبعضهم مات  
غيلة أو بإقناذ حكم الإعدام عليه . . .

. . . .

وقد نظم الشاعر أحمد شوقي في وصف المقطم حجة نشرتها المؤيد ( ٢٦ سبتمبر  
١٨٩٥ ) جاءت على هذا النحو :

زعم المقطم أنه يذئب وينثر فلسفه

سدد المقطم ياله من فيلسوف في السفه

وقد كان أصحاب المقطم بجاء كروم والاستعمار يهاجمون الحركة الوطنية ويهاجمون  
الحديث عباس ، وقد حاول عباس الإنعام على فارس عمر برتبة الباشوية فرفض . .

## (٥) المؤيد

ظهر المؤيد قبل نهاية العام الذي صدر فيه المقطم وقد توالى صدور المؤيد منذ ١٨٨٩ حتى توقف عام ١٩١٥ (وكان الشيخ على يوسف قد تركه عام ١٩١٢ وتوفي في ٢٥ أكتوبر ١٩١٣) وقد أنقذه سعد زغلول من الحجز حين اختلف مع شريكه أحمد ماضي ثم إنخذه الخديو عباس لساناً لسياسته من بعد ، وأعطاه أربعة آلاف جنيه فاشترى ما كينة طباعة رأس كبرى عام ١٩٠٦ ، هي أول ما كينة روتانيف تطبع ١٢ ألف نسخة في الساعة . وقد قام على تحريره بمد صاحبه (على يوسف) على التوالى : سيد كامل ، وحافظ عوض ومحمد أبو شادى وحامد إبراهيم أول من قال بتقديم الفاتورة للإنجليز بعد الحرب .

وكان تقرب على يوسف من رياض باشا فاتحة نجاحه وما زال يحوم حول الوزراء والحكام حتى عام ١٩١٢ حين تولى أعلى سلطة صوفية وكانت له الكلمة الأولى في أعلى الجهات » وقد لبس الشيخ لـكل زمن لبوسه واتخذ حيال كل ذى سلطة من الوسائل والحالات ما يؤدي لنجاح خطته على يديه بحكمة وحصافة .

وقد وصف الخديو عباس جريدة المؤيد في مذكراته<sup>(١)</sup> فقال : كان المؤيد في الواقع يحفل بالمقالات العظيمة ، بأسلوبها البارع وأفكارها العميقة ، وكان الشيخ (على يوسف) بأسلوبه اللادع وبلاغته التي لا تفيض وعاطفته التي كان يطمئن من فلوأها لحسن الحظ فلسفة إنسانية فائقة ، قد عدا بفضل اتصاله اليوى بالشخصيات البارزة متقدما في كل علم وفن وكان يتحدث إلى القراء عن مسائل تستثير غيلاهم .

وقد صورت الأهرام موقف « المؤيد » في الحركة الوطنية — يوم وفاة الشيخ على يوسف<sup>(٢)</sup> فقالت : سار المؤيد بين عثرة من قلم المطبوعات وعسر مالى ، ولكن عين المغفور له رياض باشا ظلت ترمقه وتقيه العثرات إلى أن اشتد ساعده وكثر إقبال

(١) المصرى : مايو ١٩٥١ .

(٢) الأهرام — ٢٥ أكتوبر ١٩٣١ .

الأمة عليه بعد نشره تلغرافاً عن الحملة السودانية بقيادة اللورد كيتشنر وصل إليه  
خلسة من فتى قبلى فأقامت عليه الحكومة قضية برىء منها ، وكانت هذه القصة عرضاً  
للشعب ليقبل على المؤيد ، وتلا ذلك نشوب الحرب بين الدولة العلية واليونان ، فأوعز  
رياض باشا إلى الشيخ على بفتح باب الاكتتاب في جريدته لإعانة التأسيسات العسكرية  
العثمانية ولإعانة المسلمين الكريدين وترأس دولته ذلك الاكتتاب ، ونمت الحركة الوطنية  
وتتشد نموها الكبير فصار المؤيد معرضاً لأفكار الكتاب وآراء المظالم ومن الوطنيين إلى أن  
أنشأ المرحوم مصطفى كامل جريدة اللواء ، فانشطرت القوة شطرين ، كان أكثرها إلى جانب  
مصطفى كامل ، ولكن المؤيد ظل مجاهداً في سبيله ، ولما ألف مصطفى كامل ( الحزب الوطنى )  
ألف الشيخ على حزب ( الإصلاح على المبادئ الدستورية ) لتظل له الزعامة وفي مناهضته  
للحزب الوطنى أكبر دليل على ثباته وعزمه وصبره ، وقد نعام المقطم فقال : شق علينا نعى  
هذا الرصيف الهام . . . . بعد ما قضينا أحسن سنى العمر جميعاً في جهاد عظيم ، وصدام  
سياسى مستديم حتى قبض الله للجميع الاتفاق على مراعاة أحوال معلومة ومبادئ سياسية  
مفهومة » ، والمقطم يقصد بهذه العبارة الإشارة إلى اتجاه المؤيد حين اختار السير في نفس  
خط المقطم في تأييد السياسة البريطانية في مصر بعد إنعقاد الاتفاق الودى بين الخديوى  
هباس وممثل بريطانيا في مصر « الدون فورست » .

## (٦) اللواء

ظهر اللواء ( أول يناير ١٩٠٠ ) فحمل لواء الحركة الوطنية على نحو يختلف عما كان من اتجاه المؤيد . إنسم طابع اللواء بالحماسة الخطائية والإصرار على خصومة الانجليز دون أن ترتبط هذه الخصومة بعلامة الخديو عباس ، وفي نفس الوقت الذى تحول فيه الخديوى عن الحركة الوطنية بقى اللواء على خطته ، وعندما قضى مصطفى كامل اختير الشيخ عبد العزيز جابيش رئيسا لتحريره فكانت أقوى مراحل الجهاد الصحفى فى مقاومة النفوذ الانجليزى فى مصر . ولا هبة بما يذكره بعض الكتاب من إعتاد اللواء على موارد يلدز وعابدين ، فقد كانت الأهرام تعتمد على الفرنسيين وكان المقطم يعتمد على البريطانيين والمؤيد يعتمد على عابدين .

ذلك أن الصحف يومها لم تكن من القدرة بحيث تستطيع الاعتماد على مصادرها ، وكانت نائمة لجهات أو موالية لها وواضحة فى تأييد موقف هذه الجهات ، ولعل اللواء هو أول جريدة لم يكن لها اعتماد على جهة ذات نفوذ واضحة التأثير فى سياسته ، أو أنه لم يضع نفسه تحت ضغط جهات تفرض عليه سياسة تختلف مع هدفه الأساسى الذى رسمه لنفسه ، فقد كان الخديو عباس يؤيده فى أول المراحل فلما تحول الخديو سنة ١٩٠٤ لم يتحول اللواء كما تحول المؤيد ، ثم وانقطعت مؤازرة يلدز بمد عام ١٩٠٨ ومع ذلك فإن اللواء لم يتحول عن خطته السياسية ، والواقع أنه إنما كان يعتمد فى مصادره على سراة المصريين الذين يؤيدون سياسته وفى مقدمتهم الرحوم محمد فريد الذى كان ينهض بأضخم جوانب هذه الأعباء .

## ٧- (الجريدة)

وصدرت الجريدة عام ١٩٠٧ وأعلنت عن هدفها واضحاً وهو « تحقيق الأمان الوطني باتفاق يتم بين الاحتلال وبين الأعيان المصريين - وحدهم - باعتبارهم أصحاب المصالح الحقيقية » وقد كشف لطفي السيد عن مفهوم الأمة عنده حين قال : « إن الأمة لا تتكون من الأفراد وإنما تتكون من العائلات والأعيان هم رؤساء الأمة الطبيعيون لأنهم رؤساء العائلات وإن السبيل إلى تحقيق مطالب الأمة ، هي الطرق السلمية للمشروعة التي لا تمس مصالح الأجانب ولا تجمعسل للانجليز ذريعة جديدة لتثبيت مركزهم في مصر ، أما الطرف من جانب الجمهور فإنه يؤدي إلى العنف والقسوة من جانب الاحتلال القوي ، وإننا نعلم الانجليز إذا لم نترف بالتحسن المادي والإداري الذي وصل إلى مصر في عهد الاحتلال » .

ثم ظهرت صحيفة « الظاهر » محررها محمد أبو شادي وحملت على الشيخ محمد عبده بمناسبة فقواه بأكل لحوم المذنبنة وأقذعت في هجاء الشيخ وطالبت بعزله ، كما تولى مهاجمة الشيخ بمقالات على درجة كبيرة من الافذاع ، الصحفي الأفاق « محمد الشربتلي » ، يقول الشيخ رشيد رضا إن كل الصحف قد ردت على الظاهر ودافعت عن الشيخ عبده ما عدا « اللواء » . ثم ظهرت صحيفة « المنبر » لمحرريها : أحمد حافظ وعوض ، ومحمد مسعود وتابعت سياسة عابدين . وظهرت مصباح الشرق لإبراهيم المويلحي ( ١٤ أبريل ١٨٨٨ ) وكانت موالية للسلطان عبد الحميد ، وقد نشرت مقالات فياضة في هذا دعم هذا الولاء .

وكانت تنشر خبر تنفلات صاحبها على هذا النحو :

« حضر صاحب هذه الجريدة من سفره إلى دار السعادة بعد أن حاز جميل الانعطاف السلطاني ونال جزيل الانعام الشاهاني وكيف للقلم واللسان أن يفتلقا بشكر بعض هذه المنن المتواليمة والدمع المترادفة » وكان يقدم رسائل أبو الهدى الصيادي بقوله : رسالة طلعت علينا من أفق الشرق لعظيم من عظماء الإسلام<sup>(١)</sup> .



## دخائل الصحافة

- (١) الهلال - جرجى زيدان م ١٩٠٢ و م ١٩١٠ .
- (٢) مصر الحديثة المصورة ( ١٩٢٩ - ١٩٣٢ ) .
- (٣) مجلة كل شيء : (عدد من الأدباء) ( ١٩٢٩ - ١٩٣٥ ) .
- (٤) مجلة الجامعة ( محمود كامل المحامى ) مجلد سنة ١٩٣٢ .

يرى عديد ممن كتبوا فصولا ومقالات عن الصحافة في هذه الفترة ، أن الصحافة الشرقية وضعت في الأصل لخدمة أغراض الحكومة أو موظفيها وأن أرباب الصحف كانوا يستمينون على نشر جرائدهم بنفوذ الحكومة ، وكانت الحكومة تشترك بثبات النسخ ، وكان بعض الوزراء يزود وكلاء الجرائد بكتب التوصية المديرية تأمرهم بمساعدة تلك الجرائد ، وكانت الجرائد آلة في يد الحكام تسمح باسمهم ، وتقرنهم بأعمالهم ، وكانت الصحف في عهد إسماعيل تقضى بإبعاد الوطنيين وتقريب الأجانب ولم تكن الجرائد تصرح بهذا الذرض إما تزلفا إلى إسماعيل أو خوفا من عصاه . وأشار جرجى زيدان إلى ما أصاب صاحب الأهرام وكيف كان حاله لو لم تفسره دولة أجنبية ( يقصد فرنسا ) .

فلما بدأ العراقيون حركتهم أنشأوا عدة جرائد للدفاع عن سياستهم أشهرها جريدة التفكيت التي سماها عرابي ( لسان الأمة ) وجريدة الحجاز والزمان والطائف وغيرها وأنجحت الحكومة إلى إيقاف هذا التيار وتقييد الأموال ، فسنت قانونا للطبوعات عام ١٨٨١ يقضى أنه لا يحق للطابع نشر كتاب ما ، قبل الإذن بطبعه من قلم الطبوعات .

وما أن مرت فترة قليلة بعد الاحتلال حتى أطلق للصحافة العنان وسمح بإصدار الصحف فصدرت صحف كثيرة وكانت الصحف في هذه الفترة تعيش في أزقة ومنعفيات ، ولها ما كيفيات تدار بالهد .

وكان راتب أعظم محرر يتراوح بين خمسة جنيهات إلى ثمانية ، والأغلبية الطالقة للمصحفين كانت من السوريين واللبنانيين ثم أكثر عدد الجرائد والمجلات ، واحترف الصحافة كل من لصناعة ولا حرفة ، وصارت الصحافة « مودة » وملهاة لأبناء الأغنياء والأعيان ينشرونها لمجرد التسلية ، ولسكنها لم تجد سوقا فأقفلها أصحابها . أما الأغلبية الساحقة من أصحاب الصحف في ذلك الحين ، فكانت جماعة ممن لا عمل لهم « يتخذونها وسيلة لا يتراس الأموال بالطن على العمدة والأعيان والتدخل في شؤونهم الخاصة بمباراة سمجة جافة » ولما كان أغلب أصحاب الصحف بعيدين عن هذه الصناعة فقد استخدموا جماعة من الكتاب والمحررين ، وكان بعضهم يكتب إلى ثلاث أو أربع جرائد أسبوعية ، وكانوا يكتبون صفهم في الأندية العمومية والقهوات وكان معظمهم يجلسون في قهوات ميدان باب الخلق والعتبة الخضراء ، وعمارة متاتيا ، وميدان الخازندار . وفي هذه الأندية كانوا يكتبون العلاقات ( فلاف الصحف التي يرسل به في البريد وعليه العنوان حيث لم تسكن الصحف كلها توزع مع الباعة ) ومحاسبون وكلائهم ومحصلهم ويسارمون الذين يريدون الطمن فيهم ومن يريدون الدفاع عن أنفسهم ؛ ومن اشتهروا في هذه المرحلة :

( ١ ) الشيخ الشربلي ، يكتب في جريدة ( النهج القويم ) ويكتب لصحف متعارضة ومختلفة في المبدأ والمذهب .

( ٢ ) محمد توفيق صاحب ( حمارة منقبي ) وقد اشتهر بقدرته على التفكيك والإيضاح وقد سبق غيره من الكتاب إلى فن البارودي ( المسخ ) وتقليد عبد الله نديم في تدوين الحداثات البلدية ، وقد بلغ عدد ما يطبع من حمارة منقبي عشرة آلاف نسخة ، وامتاز صاحب الحمارة على زملائه بأنه لم يكن يتحدى غير أصحاب الشخصيات البارزة وقد أسرف في الطمن على الشيخ محمد عبده وصوره صورا قبيحة منسكرة فحرم وحكم بسجنه .

( ٣ ) الشيخ النجار صاحب الأرفول ، اشتهر بنظم الرجل البديع بلغة عامية عذبة متضمنة نكتا بديعة رقيقة .

٢ - وكان حماد موارد الصحافة إلى ما قبل ثلاثين سنة قائما على الاشتراكات لضعف موارد البيع والإعلانات ، والاشتراكات كانت عادة تدفع مؤخرا ، ولشكل جريدة سجل حافل بأسماء المشتركين وما في ذمتهم من متأخرات تربو أجمانا على ألوف الجنيهات يقبل صاحب الجريدة ببيعها بالثلاث .

ولشكل صحيفة وكيل يتجول في منطقة معينة من البلاد فيختص أحدهم بمديرية أو مديريات مجاورة ينتقل من قرية إلى قرية مطالبا بالاشتراكات ناشرا مقالات المدح والثناء على المديرين والمأمورين ورؤساء المحاكم ومعاوني الضبط مشهرين بهذا أو ذاك من العمد والأعيان « جرا لمضم أو إرضاء لشهوة فرد أو جماعة ، وقد بلغ من ( شطارة ) بعض وكلاء المقطم في الأقاليم أنهم كانوا يوهمون العمد والأعيان أن مجرد الاشتراك في المقطم يجعلهم « حاية إنجليزى » وما عليهم لإثبات ذلك إلا الاحتفاظ بملف الجريدة الطبوع عليه اسم المشترك وإبرازه لرجال الحكومة وغيرهم وقت التوزيع » .

ويقول جرجى زيدان أن الصحف انقسمت بعد الاحتلال إلى أقسام تحزب بعضها للدولة العثمانية على الإنجليز والبعض الآخر لفرنسا على الإنجليز ، وأول صحيفة ناصرت الإنجليز هي « الزمان » لصاحبها ( علكسان سرافيان ) ، ثم المقطم فامتعض الوطنيون منها فأنشأوا جريدة المؤيد ، وأن ظهور المؤيد كان خطوة كبيرة في الصحافة لأنها أولى الجرائد الوطنية الكبرى ، وقال جرجى زيدان ( في مقال له عام ١٩١٠ ) أما بقاؤها إلى الآن - أى المؤيد - وما نالت من الشهرة ونفوذ الكلمة فإنه راجع إلى اقتدار صاحبها وثباته ، وما لم يذكره جرجى زيدان إن إفلن بارنج ( اللورد كرومر ) قد اتصل به أصحاب المقطم عام ١٨٨٨ وأنه مهد لهم الطريق لإنشاء جريدة يومية ، صدرت عام ١٨٨٩ ، وقد أوعز مصطفى رياض ( المعروف برياض باشا ) إلى الشيخ على يوسف فأصدر المؤيد بعد ظهور المقطم بستة أشهر فلما اشتد الخلاف بين عباس واللورد كرومر ١٨٩٢ اتخذت الممية جريدة المؤيد لسانا لحال الخديوي .

٣ - صدرت بين ١٨٢٩ - ١٨٩٢ نحواً من ١٥٠ جريدة بين سياسية وعلمية وطنية وحقوقية وأدبية لم يبق منها حياً حتى عام ١٩١٠ إلا ثلث هذا العدد .

ويقول جرجى زيدان : بلغت الصحافة منذ ١٨٨٢ ما لم يباغها غيرها ، وسبقت سائر المصادر العربية . فقد انحطت الصحافة في سوريا قبل إعلان الدستور ( ١٩٠٨ ) فأصبحت مصر عظم رحل أرباب الأفلام وعشاق الحربة وطلاب الرزق ، ونحن نرى أن حرية الصحافة هذه كانت أسلوباً من أساليب كرومر في التنفيس بالسكامة ، وفي نفس الوقت فتح الطريق لسكراتبات السوريين للطمع على سياسة السلطان عبد الحميد خصم بريطانيا وفق خطة مرسومة تهدف إلى تمزيق الدولة العثمانية ، والسيطرة على مختلف الأقطار التابعة لها .

ويقول جرجى زيدان إن الفترة من تولى عباس ١٨٩٢ إلى ظهور اللواء ١٩٠٠ تمثل دوراً مستقلاً من أدوار الصحافة ويرى أنه خلال هذه الفترة نضج المقطم والمؤيد واشتد ساعداها ، وحى وطيس الجدل بينهما ، وأهمل قانون المطبوعات فأطلقت حرية الصحافة وتسكار ظهور الجرائد الأسبوعية ، وأن الأهرام ثبتت في خطتها ( أى مؤازره وجهة نظر فرنسا ) ، كما تنهت الطائفة القبطية في أثناء ذلك إلى الصحافة ، فأعادت جريدة الوطن وكانت قد توقفت ، وصدرت جريدة مصر وهي أكبر الجرائد القبطية ، ويرى جرجى زيدان أنها على الإجمال كانت احتلالية الخطة ( وهي غير جريدة مصر التي كان يصدرها أديب إسحاق وسليم النقاش من قبل ) .

ويحصى جرجى زيدان ما صدر من الصحف ١٨٩٢ - ١٩٠٠ فيقول إنه بلغ في العالم العربي ١٥٠ صحيفة منها ٨٩ صحيفة في مصر وحدها ، وقال إن أسباب كثرتها إطلاق سراح المطبوعات « فأصبح الكاتب لا يسأل عما يكتب ولا حرج على الناس في إصدار الصحف » .

ولقد كثرت في هذه الفترة تحديث الصحف من العرش العثماني والخلافة الإسلامية لاسبابمداًنتصار

الدولة العثمانية على اليونان ، ولما أعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨ « تملقت آمال المصريين بقرب نيته لأنفسهم وأخذوا يجاهدون لطلبه » فلما تولى بطرس خالي الوزارة أراد أن يخفف لمجة الصحافة الوطنية فأعاد قانون المطبوعات .

وكانت الصحف في هذه الفترة تتضمن : الإفتاحية ، بريد أوروبا ، بريد الاستانة العلية ، أخبار دواوين الحكومة والقضاء ، رسائل مكاتبي الأقاليم ، وكانت تحوى مدح شيخ الخفراء ، أو شكوى من قلة المياه ، أو هجاء في أفلام كتاب المحكمة . أما المجلات فكانت تنشر دون عنوان ، والتفاريقات كانت قليلة مختصرة . وكانت تقيم مقالات لعدد من الصحفيين . وكان يعمل بها : ( المحرر ) للمقالة والإفتاحية و ( المترجم ) لترجمة بريد أوروبا ( المخبر ، والراسل ) لأخبار دواوين الحكومة والمحاكم ( المصحح ) لمراجعة التجارب ( البروفات ) (١) .

• • •

٣ - وبدأت في هذه المرحلة حملة على الصحف المنحرفة والضالة وقد استغل النفوذ الاستعماري هذه الحملة لتوجيهها ضد الصحف الوطنية فقد هاجمت ( مصباح الشرق عام ١٨٩٨ ما استمه ( الجرائد الساقطة ) قالت : لا تزال هذه الجرائد الساقطة انماوية تهوى من مهاوى الدناءة إلى حضيض الدم ، وأصحابها يسحبون من ضيق الحياة إلى ضيق السجن جزاء ما يسحبون فيه من أقدار التعرض للناس بالأنك والبهتان وأضرار الشتائم والسباب صناعة اتخذوها لأكل العيش منموساً بقاء حياتهم ، ووقاحة وجورهم ولعل تواتر صدور الأحكام من المحاكم عليهم وتشديد العقاب سد في أوجههم هذا الباب » .

---

(١) أنق « يعقوب أرئين » خطاباً إحصائياً من الصحافة لاصرية في المجمع العلمي لاصري عام ١٩٠٥ جاء به إن الصحف عام ١٨٨٩ = كانت ٣٣ جريدة ومجلة وطام ١٩٠٤ = ١٧٦ جريدة ومجلة منها ١١٨ عربية ( ١١ عربية يومية ) ٥٥ عربية أسبوعية ، ٣٠ عربية شهرية ، ١٩ عربية نصف شهرية منها ١٣٣ جريدة في القاهرة . وأبرز صحف القاهرة : الأهرام ، الجوائب ، اللواء ، لاؤيد ، للأطام ، الوطن ، مصر ، الظاهر .

وقد أوردت مصباح الشرق هذا التعليق إشارة إلى حكم محكمة السيدة زينب الجزئية ( ١١ يولية ١٨٩٨ ) بحبس حسين شاكر صاحب جريدة الطالب مدة شهرين وبغرامة قدرها ألف قرش .

\* \* \*

ومن هذه النماذج قضية الشيخ محمد عبده على أصحاب جريدة : النهج القويم والشيخ سليمان العبد كا ترويه ( مصباح الشرق ٧ يوليو ١٨٩٨ : )

قدم حضرة الأستاذ الشيخ محمد عبده بلاغا إلى النيابة العمومية بأن أصحاب جريدة النهج القويم نشروا في جريدتهم مقالة تحت عنوان ( أدوار الأزهر ) تضمنت طعناً شديداً في حقه ، وقد اعتنت النيابة بهذا الأمر وابتدأت في صباح ذلك اليوم لتحقيق الدعوى بمركز محكمة السيدة زينب الجزئية ، فاستحضرت الشيخ محمد الشريبي والشيخ محمد الخيمي بصفتهم المتهمين ومحمد القليوبي وإبراهيم سعد ومحمد حسان شهوداً .

سئل الشيخ محمد الشريبي : مما إذا كان رأى في المقال تغييراً عن الأصل الذى كُتبه فأجاب بالسلب إلا ما كان من بعض الخطأ المطبعي . ثم سئل عن حضور الشيخ سليمان العبد هل كان صباحاً أم مساء وهل كان يتردد على المطبعة وإدارة الجريدة قبل الآن ، فأجاب بأن حضوره كان في الساعة التاسعة قبل الظهر تقريباً وأنه لم يسبق له تردد عليهم إلا حينما كانت المطبعة بشارع محمد علي ، فلما انتقلت إلى محلها الحالي حضر إليهم مرتين الأولى ليقص عليهم ما كتبوا المقالة في موضوعه ، والثانية ليقدم لهم الشكر على نشر هذه المقالة وكان معه في هذه المرة الشيخ حمزة فتوح الله وشيخ آخر .

س : هل سبق أن كلفكم بنشر شيء في الجريدة .

ج : لا

س : قلت الآن أن الشيخ سليمان العبد أنك متشكراً على نشر ما قصه عليك

ففى أى يوم كان ذلك وهل كان معه أحد وهل كان أحد حاضراً وقت مجيئه .  
ج : كان معه الشيخ حمزة فتح الله وكنت أنا موجوداً ومضى القليوبى رئيس جمعية المطبعة وعلى ما أظن جاء قبل الظهر من اليوم الخامس أو السادس بعد العيد ولم يجلس بل ظل هو ومن معه واقفين .

\* \* \*

وهذه القصة كما ترونها جريدة مصباح الشرق : « كانت النيابة العمومية قد أتهمت صاحب النهج القويم : الشيخ محمد الشريبنى عن المقالة التى نشرها فى جريدته عدد ٢٤٩ الصادر فى شهر الحجة ١٣١٥ الماضى ونسب فيها لحضرة الأستاذ الشيخ محمد عبده مطاعن تتعلق بأعماله فى الأزهر مثل تمزيقه للكتب التى كانت فى أيدي الأساتذة القدين يتلقون الدروس فيها وكذلك الإدهاء بأنه سبهم وأمر المشرفين باهانتهم ونحو ذلك من الأباطيل التى جاءت فى تلك المقالة بمباراة التشجيع ولما استدعى صاحب النهج القويم قال إن من روى له هذه الأخبار هو الشيخ سليمان العبد فإنه حضر إلى إدارة جريدته وأمر بنشر تلك المقالة وما جاء فيها برمتها وأنه بقى عنده حتى كتب المقالة ووعد بترويج جريدته مكافأة له على نشرها ، ثم حضر إليه بعد النشر وتشكر له على نشرها وكان يصحبه الشيخ حمزة فتح الله .

ولما سئل الشيخ سليمان العبد أنكر كل الإنكار وقال انه لا يعرف صاحب جريدة النهج القويم ولا يعرف محل إدارته ولا علاقة له به أصلاً ، وإن بينه وبين حضرة الشيخ محمد عبده الصداقة التامة والوفاء الكامل وأنه يحل مقام حضرة الشيخ عن أن يقال فيه ذره مما جاء فى تلك المقالة وأن ما بينهما من الود لا يسمح له أن يأتى بأقل شئ يغير خاطر حضرة الشيخ . ثم استدعت النيابة شهود صاحب النهج القويم ( محمد الخيامى ، إبراهيم سعد ، محمد ، محمد العليوى حسان ) وكلهم أجمعوا على أن الشيخ سليمان العبد هو الذى ذهب إلى محل إدارة الجريدة وروى تلك الوقائع بصوت جهورى سمعه كل منهم لأنه

كان يسكلم بمحنة زائدة واستدعى الشيخ سليمان العبد مرة أخرى حيث واجهه النيابة مع الشرييني ، فأصر سليمان على الإنكار وأمر الشرييني على اتهام سليمان وطلب من النيابة أن تستدعي الشيخ حمزة لأخذ أقواله ، فأجابت النيابة أن الشيخ حمزة أخذت أقواله وهو ينكر حضوره مع الشيخ سليمان في إدارة جريدته . وطلب الشرييني من النيابة أن تستحلفه اليمين وقال : فإذا أنكر أيضا أفوض أمري إلى الله ولو كنت أعلم أن الشيخ سليمان العبد ينكر ما وقع وهو متصف بالعالية اتركته وتحملت المسئولية كلها على عاتق فأجابه النيابة بأن الشيخ حمزة حلف اليمين أمامها فلا ضرورة لاستحلفه مرة أخرى .

س : حقيقة إنكم نصحتم الشيخ محمد عبده وبذل النصيحة يستلزم من المنصوح حالة ذلك المنصوح فهل رأيتم في الأستاذ الشيخ محمد عبده حالة توجب تلك النصيحة .

ج : طريق السالف الصالح رضى الله عنهم أجمعين بث النصيحة للأخ متى اجتمع على أخيه ولو بدون شيء يستدعى ذلك ، وأنا ليس بيني وبين حضرة الأستاذ إلا الصداقة ولا أعرف إنسانا مستقبيا مثله .

س : هل شكوت الشيخ محمد عبده لحضرة الشيخ حسونه كما ذكر في مقالة النهج القويم .

ج : كلا إنه من كبارنا فهل اشتكى كبير لكبير .

س : قلتم : إنكم لم ترو حضرة الشيخ محمد عبده يستعمل الفلظة مع المدرسين والطلبة فهل سمعت من غيرك أن حضرة الأستاذ المولى إليه استعمل تلك الفلظة .

ج : لم اسمع من غيري ذلك ولو سمعته لسكنت نصحت الشيخ لأنه يقبل النصيحة .

وبعد ذلك اتفق حضرة الفاضل مصطفى بك يرم إلى الجامع الأزهر إبراهيم لسؤال فضيلته الشيخ حسونه النواوى عما بملفه في هذه المسألة وقد بلغنا أن إجابة الشيخ المولى إليه كانت



قاصرة على أنه لم يسمع قط من أحد المدرسين أو الطلبة أدنى شكوى في حق الأستاذ الشيخ محمد عبده وإنما سمع بمثل تلك الإشاعات عنه فيما مضى وقد حققها حضرته بنفسه فتحقق من كذبها « ١٠٥ »

وفى اتصل بهذا الاتجاه ما بلغه التوسع في هذا النوع من الصحف فقد اشتهرت صحف الحمار ، حمار منيقى (أحمد توفيق) والسيف أحمد عباس وكان أصدر محمد توفيق الحمار عام ١٨٩٨ واقتفى في كتابتها أثر الشيخ سانو ( أبو نظارة ) وعبد الله نديم ، والشيخ حسن الآلاتى ، والشيخ محمد الفحار على نظام الأجزاء والمقامات والمحدثات بين شخصين ، يدخلون في عباراتهم جملا وألفاظا ينفر منها الذوق السليم . كما قامت مجلة السياف على النقد المزدى فى جملة لا تزيد عن سطرين ، وعبارته محتوية على نكتة أو إشارة دقيقة لا يدركها إلا الواقفون على أسرار البلد ودخائل أكابرها .

وقد بلغ هذا الاتجاه مداه سنة ١٩٠٩ حين اضطر مجلس شورى النواب والجمعية العمومية إلى بحثه حين تلقى اقتراحا من ( أمين الشمسى ) عضو المجلس يتصل بخطر هذه الصحف . يقول التقرير : إننا نرى أسافل الناس يقدمون على إنشاء الجرائد ، وقد ملأوا الدنيا سفاهة وتمديا على الأعراض ، على أن الجرائد هى مرشد الأمة والحكومة والطبوعات هى ركن من أركان العمران ، فاقترح على الجمعية العمومية أن تطلب من الحكومة الاتفاق مع وكلاء الدولة على سن قانون عمومى للطبوعات يبق الناس شر هذه الفوضى أو أنها تقرر معاقبة من يخرج عن حده . وعلق الشيخ محمد عبده فى المجلس على هذا التقرير فقال : « إن القذح فى الأعراض ونشر ما يخل بالآداب سواء كان بصفة رسائل مستقلة أو نشر مقالات بالجرائد ، قد كثر فى هذه السنين بسبب إطلاق حرية الطبوعات ، وبما أن ذلك ممنوع شرعاً وسياسياً فنلفت نظر الحكومة إلى ذلك . »

٤ - وقبيل الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ كانت الصحف الكبرى في مصر هي :  
الأهرام ، المحروسة ، الوطن ، المقطم ، مصر ، الأخبار ، البصير ، الرقيب ، الأقدام ( وذلك  
بترتيب ظهورها وأقدميتها ) وقد رسمت إحدى صحف الحزب<sup>(١)</sup> الوطنى دور هذه الصحف  
في هذه الفترة على هذا النحو :

الأهرام ( لسنة ٣٧ ) : سياستها عثمانية مصرية ، لا تتأخر عن محاباة فرنسا ،  
والدفاع عن مصالحها في مصر سواء أكانت اقتصادية أو سياسية ، ومع ذلك  
لا تهمل المصالح المصرية غالباً إلا إذا كان الأمر متعلقاً بشركة من الشركات . وهي  
مع الحكومة في موقف الاعتدال ، تفر لها بالحسنة وتنتقد السيئات عليه وهي في حيدة  
مع الأحزاب الساسية ونجاملها كلها أو بعضها أحياناً وهي أكثر الصحف ( الشامية )  
عناية بمصالح الوطنيين .

المحروسة : مكتوب عليها أنها في سنة ٣٧ ( ١٨٧٥ ) ولسكنها لم تصدر إلا ( ٩٩٧  
عددًا ) وهي مع حداثة هدها قد تطورت في مشربها مرات ، ولسكنها الآن تسكتب بلهجة  
مصرية ، وهي في آرائها بالنسبة للعمية ( عابدين ) كالنويد وبالنسبة للمصالح الفردية  
وطنية صرفة .

الوطن : ( السنة ٣٤ ) احتجبت ٢٢ عاماً بعد أن أبطلها ميخائيل عبد السيد ثم أعادها  
( جندى إبراهيم ) بعد ١٢ عاماً ليتسنى له نشر الإعلانات القضائية ، وهو يرى العمدة  
( يقصد عمدة البلاد ) هدفاً تراش له السهام فلا يترك في كتابته سهماً إلا وجهه إلى واحد منهم  
أو أكثر ، وسياسة الوطن العمومية ، احتلاله أكثر من المقطم حتى أنه كان يحرض الانجليز  
على ضم مصر إلى السيممرات الانجليزية ورفع الراية عليها مستعملاً في ذلك سماجة لم تصل  
إليها جريدة قبلها ، ولا يخلو عدد من أعداده من طعنه في السليدين أو إيلام لمواطنهم .

المقطع : سياسته انجليزية صرفة . لولا أنها تكعب بحروف عربية وكل أعمال الحكومة ممدوحة لديه . ولقد بلغت ثقة الاحتلال به حداً متناهياً حتى أنه يقوم بترجمة وطبع التقرير الذى يصدره المعتمد البريطانى سنوياً فيكون علمه به أسبق بكثير من علم أعضاء البرلمان الانجليزى ، أما مصلحة المصريين لديه فلا شيء ، وهو يتقدم مشروعات الحكومة يبسطها للجمهور ويرشح الأذهان لقبولها والتماس العافير لكل أعمالها ، حتى لو كانت إرسال المشائق قبل عقد المحكمة ( والمعروف أن المقطم أعلنت فى ابان التحقيق فى حوادث دنشواى ١٩٠٦ أن المشائق قد أرسلت إلى مكان المحاكمة قبل إصدار الحكم بأيام ) .

وأصحاب المقطم أغنى الصحافيين مالا ، وأكثر أطياناً ، ورغماً من أن الصحافة فى مصر مجلبة للخسارة ، فإنهم جمعوها ثروة يقصر عن حملها أكبر أرباب المشروعات وربما كان لديهم فى كل شركة أسهم ، وهم أقدر الصحفيين على الضغط على عواطفهم ودس أشد المطاعن وأكثرها أفعاماً بالسموم فى قالب نصيحة مبرقة .

مصر : قبطية بمعنى الكلمة ، واحتلالية بأوسع من ذلك . ومن مناقبها أنها رضعت عريضة وقدمتها للوكالة البريطانية تثبت فيها أن الدستور ضار بمصر غير مفيد ، وقد أنشأت هى وجريدة الوطن السفارة القريافسية فى إنجلترا بمساعدة القسس البروتستانت وقد حبزت قانون المطبوعات عند سدوره لما علمت أن المقصود به هو الصحف الوطنية وحدها .

الأخبار : ( يوسف الخازن ) فى سنتها ( ١٦ ) وهى جريدة لا مبدأ لها ولسكنها تحافظ على عدائها للدولة العلية وسداقتها للاحتلال .

المؤيد : عاشت مهمة إلى سنة ١٨٩٢ ثم أصبحت منذ ١٩٠٤ جريدة احتلالية باطفاً وظاهراً .

( الجريدة ) : أول جريدة أنشئت برأس مال كبير قدره ٢٠ ألف جنيه ، لما وقعت حادثة العقبة ١٩٠٦ وظهر للورد كرومر ، تأثر للرأى العام بجريدة اللواء ورفعها على كل

الصحف التي سارت طوع إرادته أو من صنع يد عربية وأفرنكية ، سورية وغير سورية ، فرأى كرومر أن تصدر جريدة مصرية بحقة ، تكون سياستها مصرية غير مرتبطة بالدولة العلية ، لذلك كاشف أخصائه والمترددين عليه من الأعيان أمثال : محمود سليمان ، حسين عبد الرازق ، عبد الرحيم الدمرداش ، فالفوا شركة من نحو ١٢٠ ذاتاً من أعيان الأربعة عشر مديرية لتمثيل سكان البلاد وأرباب المصالح بمقدار ما يمثلهم مجلس شورى القوانين أربع مرات ، لأنه يؤلف من ثلاثين عضواً ، وألفت شركة الجريدة من أضعاف هذا العدد وكان مقدراً لها أن تسير على خطة يرسمها لها اللورد .

وقد غيرت حادث دنشواى السياسية العامة للاحتلال فتضمنت أركان ذلك الغرض الذى أنشئت له الجريدة وكان هدفها هو اتفاق الأعيان ( لا غيرهم ) مع الاحتلال وتقبل كل شيء منه بالرضا باعتباره كسباً للأمة ، حتى تتوفر لها السكفادات للحكم الذاتى ، وهى أول من أسمى المعتمد البريطانى صاحب السلطة الفعلية والحدوى صاحب السلطة الشرعية .

وتتمثل خلاصة هذه المراجعة فى هذه المرحلة حقائق واضحة :

- الصحف هى التى أنشأت الأحزاب .
- جميع الصحف كانت تطالب بالاستقلال والدستور مع اختلاف المفاهيم بينها .
- انتقلت الصحف الوطنية إلى أيدي المصريين بعد أن كانت فى أيدي السوريين .
- أدى تكاثر الصحف الوطنية إلى تمكين الروابط العسكرية والروحية والاجتماعية بين الشرقيين والمسلمين ، وكثر الحديث عن الجامعة الإسلامية ، وأولت الصحف اهتمامها بأخبار العالم الإسلامى ونقلها من لغاتها الهندية والفارسية والروسية والتركية فضلاً عن الإنجليزية والفرنسية .

- إرتقى الإنشاء وارتفعت أجور الكتاب حتى بلغت ضعف ما كانت عليه .
- ظهر نفوذ الصحافة في مسألة ( مد امتياز قناة السويس ) فالصحافة هي التي ألزمت الحكومة عقد الجمعية العمومية لاستشارتها في هذا الأمر ، وقام الحزب الوطني بدور ضخم رئيسي في هذا الأمر ، وقام الوطنيون بالمظاهرات ، يطلبون رفض المشروع .
- ظهرت الصحف في مختلف عواصم القطر : القاهرة والألكندرية وأسيوط وطنطا والفيوم والمقصورة .
- وكانت الجرائد العربية في أوائل نشأتها تطرح على المشتركين طرح الصابون ، على حد تعبير جرجي زيدان فن اشترك عد ذلك أربحية منه للأخذ بفاصر صاحبها — ولا بعد دفع الاشتراك من جملة الحاجيات ، ثم أصبح القراء يطلبون الصحف وكثيرون منهم يرسلون البدل مقدماً .
- تألفت للصحفيين نقابة اشترك فيها أرباب الصحف .

## معارك ومساجلات الصحف

### بين المؤيد واللواء والجريدة

جرت المداورة (١) والمساجلات بين الصحف الوطنية الثلاث التي تمثل الاتجاهات الثلاث في فترة ١٩٠٧ وما بعدها : المؤيد يمثل الحديو واللواء يمثل الحزب الوطني ، والجريدة تمثل حزب الأمة ولشكل منها وجهة نظر .

١ - بين علي يوسف ولطفي السيد

كتب الشيخ علي يوسف عام ١٩٠٦ بعد إصدار ( المؤيد ) بسبعة عشر عاماً يشرح ظروف إنشاء صحيفته فقال :

أصدرت الآداب ١٨٨٩ مجلة أدبية أسبوعية ، وسفحت لي فرصة بعد ذلك ، تقدمت فيها إلى رياض باشا ( رئيس الوزارة المصرية ) فأشار إلى بعض المقربين من دولته ، أن استرخص منه لإصدار جريدة سياسية يومية ، ولسكني ترددت كثيراً في ذلك ، لعلمي أن جريدة سياسية تصدر عن مصري مسلم ؛ بعد خلو القطر من جرائد مصرية مسلمة سبع سنين ، جريدة قادرة على أن تعيش بين الصحف القومية التي كانت قابضة إذ ذاك على زمام أُميال القراء اختياراً أو اضطراراً ، جريدة لا تتأثر بدسائس الدسائسين وشايات الواشين الأوروبيين وغير الأوروبيين ، وتحتاج إلى رأس مال أكثر من مالي ، وإلى حول أكبر من حولي ، وإلى معارف جمة ووسائل عدة أنا خلو من كثير منها . ولسكن جد دافم قوياً لي ، ذلك من إحسان دولة الوزير أو إشارته إلى نظارة الداخلية مسترخصاً بهذه الجريدة ، صدرت أول ديسمبر ١٨٨٩ في حجم أربع صحف قليلة المواد ، سار المؤيد

---

(١) المؤيد ١٨٨٩ اللواء ١٩٠٠ الجريدة ١٩٠٧ .

كالوليد ، وبينما هو يحبو حبو الطفل في مهده ، إذ عصفت به ريح خفيفة من مكائد مغاظره  
الذين كانوا يحشون أن تمش جريدة مصرية مسلمة ، فلتحقو على أميال المصريين وعواظهم  
وقانون التنازع في هذه الحياة يجعل الفضال أشد في زحزحة النير عن مكانه من هذا  
الوجود ، سعة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ودب ديب الخلف بين مدير المؤيد ( المرحوم الشيخ أحمد ماضي ) وبين صاحب امتياز  
كاتب هذه السطور بسبب ما دس أولئك الدسائسون ، وليس من حق هذا القلم أن يزيد  
الآن في التفصيل إكراماً لرفات صديق في عالم آخر ، ولكن نتج عن هذا الخلف احتجاج  
المؤيد عن قرائه من ٣٠ سبتمبر إلى ٢٠ نوفمبر ١٨٩١ .

وكانت اليد الحاسمة لهذا الخلف هي يد ذلك القيور الفضال سعد بك زغلول ( وكان  
وقتئذ محامياً ) إذ اختاره الشريك حكماً لفصل في موضوع النزاع ، فأنهى حكمه بترك المؤيد  
لصاحب امتياز به ما أرضى محكمة بمال من عقده ومن آخرين من فضلاء الشبيبة  
المصرية . ويومئذ خاب سعد بك زغلول قائلاً : قد صار لك المؤيد بلا منازع فإن كنت  
كفؤاً لملك فاجمل من همتك وثباتك فيه رأس مالك وبرهن على ثقة إخوانك به .

وكانت هذه المكاباة أشد تأثيراً على نفس من كل مشجع ومزغب في عمل ، وظهر  
« المؤيد » بعد الاحتجاج وكفت خالياً من رأس مال له سوى القلم والصبر والاحتمال ،  
وكانت رئاسة النظار في يد عطوفتو مصطفى فهمي والدسائس ضد المؤيد أقوى منهما قبل ،  
وقد هال أعداءه ظهوره ثانياً ، فوشوا إلى الحكومة بأن هناك جمعية سرية أخذت على  
نفسها الاتفاق على المؤيد والكتابة فيه ضد الحكومة والاحتلال ، وكانت ربح الشر  
تؤذى أولئك الأفاضل الذين مدوا يد المساعدة لولا أن مقرباً من الوكالة الانجليزية ومن  
عطوفة رئيس النظار ( ونعني به المرحوم محمد بك بيرم ) تولى يومئذ تحقيق تلك الوشايات  
بنفسه فظهرت له الحقيقة ، وانتهى الأمر بمقابلة سعد زغلول أمطوفة رئيس النظار ليدهض  
بالبراهين اللاحقة تلك الدسائس البالغة .

وأنا بين جواذب الأنصار ودوافع الأعداء أعمل جهدى لىكى يثبت المؤيد ويعيش  
فلا يكون العار على المصرى أن يسجل عليه النشل كما شرع فى عمل . ثم وجدت اضطهاداً  
من الحكومة ظهر بأقبح مظاهره حتى وصل إلى خد اقفال أبواب الدواوين فى وجه  
صاحبه وكتابه وخبريه ، ولم ينتهى هذا الدور حتى جاءت وزارة رياض باشا فى يناير  
سنة ١٨٩٣ ويومئذ ألقى قلم المطبوعات التى أنشئ لمضايقة المؤيد ليس إلا ، يوم كانت  
وظيفة البارودى دى مالوروى مدير قلم المطبوعات محصورة فى مطاردة المؤيد وصاحبه  
فى كل ديوان . فلما تولى رياض باشا منحه أجازة لم يعد بمدها إلى العمل وخلص المؤيد  
من عوامل الاضطهاد الشديد واستمر فى طريقه . حتى كانت سنة ١٨٩٩ قضية التذاكرات  
المشورة التى لم تنق حتى بلغ المؤيد بفضل اقبال الأمة عليه أضعاف ما كان قوة وانتشاراً .  
ويوم كان عدد مشتركيه لا يتجاوز ٦٠٠ نسخة وعده ما يباع منه لا يتجاوز الستين  
فى القاهرة كانت الآلة التى تطبع بها صغيرة جداً تدار باليد الواحدة وتطبع بالكبس ولا يزيد  
عدد ما تطبع فى الساعة عن ١٠٠ نسخة وكان هذا من شأنه فى السنتين الأولى ثم ازداد  
عدد ما يطبع منه رويداً رويداً حتى كان فى آخر سنته الرابعة ١٤٠٠ نسخة فاضطررنا إلى  
شراء آلة من معمل الوزبه تدار باليد معاً وتطبع بسكابس اسطوانى إلى ٦٠٠ نسخة فى  
الساعة الواحدة ( ١٦ يناير سنة ١٨٩٤ ) حيث ظهر المؤيد فى أربع صحف كما كان ، ولكن  
فى كل صحيفة ستة أعمدة . ثم تضاعف الانتشار حتى بلغ عدد ما يطبع منه خمسة آلاف  
وكثرت المواد والاعلانات حتى اضطررنا إلى جلب مطبعة ألمانية كبرى تطبع بسكابس  
اسطوانى وتدار بالبخار فظهر المؤيد فى ثمان صحف ( ١٦ يوليو ١٨٩٩ ) . ثم وفقنا لطبعها  
على آلة طبع من أحسن طراز أخير من اختراع الخواجة ماريونى الفرنساوى ، ولما كانت  
هذه أول مطبعة من نوعها أوصى بها فى مصر وجلبت إليها ، وتبدأ بعملها منذ اليوم  
( ٢ أكتوبر ١٩٠٦ ) فقد دعونا الكثيرين من حضرات العلماء والدوات والأعيان لتشريف  
إدارة الجريدة وقت الشروع فى الطبع ( الساعة الثالثة بعد الظهر ) .



الآلة روتاتيف تطبع بواسطة صفاة جديدة غير الحروف المتادة وتنجز في الساعة الواحدة طبع اثني عشر ألف نسخة من الجريدة ذات الثمان صحف مقطوعة ملصوقة مطوية معدودة .

٢ - من الجريدة إلى المؤيد

ساء العقلاء ما كتبه المؤيد أمس من الطاعن على أعيان الأمة ونوابها الذين يرجو كل مصري أن تكون لهم الكلمة العليا في حكومة بلادهم ، أن كل مصري يحب بلاده يعلم أن الأمم لا تقوم إلا بمثل هذا الحزب ، حزب الأمة الذي وقف المؤيد قلمه على معاداته ، وأنه ليوعده بأن يحاربه بالسلاح السموم ، سلاح السمي بينه وبين صاحب السلطة الشرعية أيده الله . ويرى أن يفهم أعضاء حزب الأمة إذ يقول ما معناه أنها تتعرض في قولها للسلطة الشرعية ، وأن حزب الأمة وجريدته براء من هذه التهمة . اشتهر<sup>(٢)</sup> المؤيد من زمن قلمه بالعقرب ، ومحاولة استبقاء الوم الذي سرى في نفوس كثير من الناس ، أنه دون غيره لسان حال مسلمي مصر والغائب عن الأمة في بيان سياستها والدعوة إلى مصالحها ؛ نعم الشيخ من حزب الأئمة تسميته بهذا الاسم ، وأنكر عليه احتكار النيابة عن الأمة ، وحبسته أن هؤلاء الأعيان الذين حضروا ليسوا هم أغلبية رؤساء العائلات ونواب الأمة ، وما كان هؤلاء وحدهم هم المؤسسين للحزب بل معهم أكثر منهم من المشتركين في الجريدة ويوافقهم على ذلك أضعاف أضعافهم من غير المشتركين .

وقد ادعى حافظ عوض في لندره أنه يمثل أكبر حزب في الأمة ، ولا يذكر عليه رفيقه الشيخ على ذلك ، بل يقولون أنه قد كان هو الواضع الأول للطباعة حافظ أفندي الذي تربى في حجاز المؤيد تربية السياسة ، وهو الذي لقنه هذه الدعوى ، فكيف أحرقت سمادة الشيخ نيران الغيرة على الأمة عندما قام بتثلها أمثالها وأعيانها ، إن هذه الغيرة ليست

غيره على الأمة وإنما هي غيرة على ( المؤيد ) وخوف عليه من السقوط بعد ظهور الحق الذي يقوم به حزب الأمة وجريدته ، فإن بقاء الباطل تسكون في غفلة الحق عنه ، ولذلك بدأ الشيخ على في السعي والسكيد للحزب والجريدة .

٣ - من الجريدة إلى المؤيد

أنشأ<sup>(١)</sup> بعض أهل الغيرة من الأمة جريدة ( المؤيد ) إذ رأوا من العار عليها ألا يكون لمسلميها وم السواد الأعظم فيها جريدة يشغلون بآدائها وسياستها . ولا أذكر وفاء الشيخ على يوسف أو كفوده لنعم الذين منحوه هذا الزينوع من الثروة والجاه ، فإن ذلك من تاريخه الشخصي . أنشأوا المؤيد وغذوه بعداد أعلامهم وفضل أموالهم حتى كان له من الشهرة ما كان باسما دهم وامدادهم وبوحدة بين الجرائد التي أنشأها أدباء المسيحيين<sup>(٢)</sup> ( السوريين ) لا يعلم الشيخ على يوسف وسياسته ولا بدهائه وكياسته ، فلقطمة علة من علل وجوده ، وسبب من أسباب بقاءه ، فلقد تنكر منه بعض الذين أسسوه ودعوه قبل أن يبلغ أحمده ، ويقدر على رميهم باسمهم وهجومهم بقوافيهم . لا أنكر دهاء الشيخ على وحذقه في الحيلة على ما قصد إليه المؤيد من نيل المال والجاه ، وكيف وأنا ممن رأى كيف ثبتت قوادمه وحوافيه ، ورب البيت أدري بما فيه ، إنما حذق الشيخ على محصوراً في أمر واحد ، هو اختباره لحال البلد واختباره لأوسع أبواب الربح فيها ، أموال تبذل ومقالات تنشر ، فاشتهر المؤيد بأنه جريدة المسلمين ولحان حالهم بمصر إذ لم يكن لهم جريدة أخرى تشاركه في هذه المزية وطلعت أنهار المؤيد بالنعوت والألقاب ( الجريدة الإسلامية الكبرى ) أكبر جريدة عربية وظن الشيخ على يوسف بمثل هذه الألفاظ أنه هو نفسه لسان مسلمي مصر وممثل سياستهم . ولو كان هو الذي تولى تحرير المؤيد منذ

(١) ١٣ أكتوبر ١٩٠٧ .

(٢) جرى العرف في هذه الفترة على أن تستعمل كلمة المسيحيين بمعنى أنهم السوريون .

أنشئ بمعارفه التي خرج بها من الأزهر وهو لم يصل بدراسته فيه إلى شهادة العالمية ولا قاربها لما قيل أنه لسان أحد ، وكيف كان الأزهر على عهده بمد علم الجغرافيا والتاريخ مما ينافي التعلم الديني ويد عقبه في طريقه ، حتى ظل الشيخ على عهد قريب يظن أن مكة والمدينة ( زادها الله شرفا ) في أفريقيا . ثم زالت ثقة القابعين بالمؤيد من جهة ، وتعدد الجرائد الاسلامية من جهة ثانية .

لهذا يتألم الشيخ على حين يرى الجريدة ما فوق ما يرضى أن تثبت بها وتدوم ، كما يرى من سمومه التي ينفثها على اللواء في مذاهب السياسة فإن خطتهما في الأصل واحدة . وقد كان ينشر في المؤيد لمصطفى أفندي كامل وقتئذ - أبلغ وأشد تأثيرا في تلك الخطوة مما يكتبه الشيخ على نفسه ، ولكن لما صار لمصطفى أفندي كامل جريدة ونال بها الجاه والشهرة مثلما نال الشيخ على وأوسع ، صار مصطفى باشا كامل ذلك من أسباب ذبذبة الشيخ على التي عرفها الناس كلهم وعرف رأيه في الظاهر والمنبر واعتقاده بأنهما لن يصلا إلى مساماة المؤيد ومنازعة احتسار زعامة الجرائد الاسلامية والعربية .

ومن يعرف هذا كله ولو اجمالا لعرف السر في وقوع تأسيس الجريدة على قلبه كالصاعقة في محاولة الايقاع لها واسقاطها ، وحزبها مما يسعى فيه من السعاية ويدأب فيه من السكد كثيرا وبما يكتب قليلا حتى قال غير مرة أنني أسقط هذه الجريدة بأربع مقالات .

وإذا نقر كثير من الناس أو نفروا من الجريدة لسوء ظنهم في خطتها فالشيخ على يوسف هو الذي ينفر عنها ويكيد لها ولاصحابها لحسن ظنه فيها واعتقاده بأن خطتها هي الفضل وأن طريقتهما هي المثل وأنه مهما وصف نفسه بالاعتدال لن يستطيع أن يجاريها في اعتدالها ، لو كان الشيخ على قائما بما نال من غفلة الأمة بمساعدة الحوادث والظروف غير كاملة في احتسار زعامة الصحافة منها ، وإيهام تمثيل الرأي العام في مصالحها

لسر بوجد حزب الأمة وجريدتهم واتخذهم عوناً له ، وأن كانوا على غير خطئة وطريقته ، حفظاً لكرامة الأمة التي يقترب إليها ، كبر على الشيخ على يوسف أن يدمى عشرات من أعيان الأمة ونهبائها ورجال الشورى منها أنهم يملكونها ويتكلمون عنها لا أكباراً للأمة وتمظيلاً لها بل أكباراً لنفسه التي يراها أولى باحتسار ذلك بما ينطبق لجريدته من الشهرة أيام كانت الضرورة تلجئهم وتلجأ أمثالهم إلى نشر آرائهم فيها .

٤ - من المؤيد إلى الجريدة

شرحت (١) كيف قدمت في نوفمبر ١٨٨٩ إلى (رياض باشا) وهو يومئذ ناظر الداخلية ، وطلبت منه إعطائي رخصة لإنشاء جريدة يومية باسم (المؤيد) وكيف وجدت من دولته مساعدة المشجع والناصح المفيد أشهراً لم تغل ثم تغيرت الوزارة ، وكيف اختلف بعد السنة الأولى من إنشاء المؤيد الشيخ أحمد ماضي مع صاحب امتيازته ، حتى احتجبت الجريدة عن الظهور شهراً ونيفاً وقام عشرة من الفضلاء وفرضوا على أنفسهم مائة جنيه يدفعها سعد باشا للشيخ المرحوم مقابل تنازله عن حقه في الشركة ، بعد أن تحقق أنه كان مدفوعاً ومؤيداً من الخلف من أشد خصوم المؤيد السياسيين .

وصاحب المؤيد يفخر بأنه ساعد مادياً وأديباً ، وأنه وجد من الكتاتيب الفضلاء خير الأعداء في نشر المقالات والطباعة والآراء النافعة ، والحقيقة أن المؤيد لم يرق إلا بصاحبه ، وأنه لولا ما وجد المؤيد في عالم الصحافة ، لدام المار الذين كان لاحقاً بالمسلمين (بالوطنيين) لمدم وجود صحيفة لهم زمناً طويلاً .

إن اليد التي أوجدت المؤيد في أشد الظروف حرجاً على الصحفي المسلم هي يد صاحبه ، من شهر سبتمبر ١٨٨٢ إلى ديسمبر ١٨٨٩ (سبعة أهوام ونصف) لم يكن لمصرى

مسلم في بلاده جريدة ، لأنه كان قد قدر على أقلامه أن تسكسر بعد الثورة المرابية وقضى على الجرائد الإسلامية أن لا يكون لها في مصر وجود ، خشية أن تثير نائرة التعصب الديني كما كانوا يزعمون ، حتى أن صاحب المؤيد قضى نصف عام بطرق باب قلم المطبوعات وهو يطلب رخصة بإنشاء جريدة علمية أدبية فلم يدل الاختبار بها وتحقيقها إلا بعد شق الأنفس وما عرفه بعضهم إلا بتلك الجريدة الأدبية الصغيرة « الآداب » ، لم يعض عليها عامان حتى أخذت حظها من الانتشار وكانت الخطوة الأولى لجريدة المؤيد ( هي ) صاحب المؤيد على ما به من ضعف وقصور ( فقد ) قام بواجب كبير على الأمة الإسلامية في مصر لم يقم بمثله هذا الجمع من سراءة القطار ولا أمثاله ، وسد نقصا كان واجبا على القادرين وفتح طريقا كان مسدودا في وجه كل علم وفاضل وأديب ، وقاوم من الصعوبات التي اعترضته في طريق عمله بالصبر والثبات والعمل ، ما لو حاول غيره مقاومته لتحطمت وتلاشى أمام القوى الهائلة .

ومن تاريخ المؤيد أن جميع أصحاب الجرائد العربية قاموا قومه واحدة وكانوا كلهم من السوريين واتفقوا وهم في أمرهم على بعضهم مختلفون ، على أن يزهقوا روح المؤيد وليدافصاروا يسدون عليه كل طريق ويتعقبون له كل أثر لشدة ما كانوا يخشون من قيام صحافة إسلامية تأخذ بزمام الرأي العام فلا يكون لصحافتهم بعد ذلك السلطان الذي كان لها وأعظم به من سلطان ، لطالما استمان أوائك الرصفاء بسلطة القناصل ، وللضرورات أحكام واتنازع البقاء قرائن ، ولطالما استعملوا الصحافة الأفرنجية المحلية لتحريف أقوال المؤيد التي أوجفت القلوب ، وكانت التامرقات تغدو وتروح بين مصر وأوربا قائلة حذار حذار مما وراء الستار .

والحكومة في أدوار كثيرة تساعد هذه الحملات وتضاعف مكائد الكائدين نارة بمضايقة البارون مالورتي الذي أنشئت له وظيفة المراقبة على المطبوعات المصرية لأجل المؤيد فقط ، وما رأت باقفال أبواب الدواوين دون صاحب المؤيد ونخبه .

وكان كثيرون من المميين والطرشين يوارون وجوههم من بعيد وفي مقدمتهم بعض أعضاء مجلس شورى القوانين حتى لا يهتموا بإعطاء الأخبار ، أو الاتحاد في الأفكار مع المؤيد . وقصة التلغرافات ذبل من ذبول ذلك الاضطهاد ، كل هذا وصاحب المؤيد صار على هذه المسكائد محتاط لها ساع ليل نهار لإحباط الماسعى الضربة به حتى تغلب عليها ، وبهذا تمهد السبيل لكل مصرى مسلم قادر أن يصدر صحيفة ولو يوماً واحداً أن يصدرها . وإذا صح أن يقال أن المقطم فضلم في وجود المؤيد واشتهاره ، قائماً مثله في هذا مثل البارز المغلوب في اعلان فصل غالبه . إن روح المناظرات التي قامت بين المؤيد والمقطم سفين عديدة كان أصحاب المقطم فيها من أكفأ المناظرين ، أى كانت منحصرة في تفازع أولية المقام في الصحافة المصرية . وقد انتهى ذلك التنازع وأخذت الصحافة الاسلامية مكانها اللائقة بها من الأمة ، وصار المؤيد لسان حال أرباب الأقلام . أما شأن المؤيد مع غيره فعلى عكس ما زعم . . .

زعم هذا الكاتب أن المؤيد ناهض الجرائد الاسلامية التي صدرت بعده ليحتفظ على ذلك الامتياز الذي انفرد به سنين عديدة ، إمتاز كونه جريدة المسلمين ولسان حالهم . والكاتب خصم ذو عرض سىء فلا يعتبر قوله حجة في هذا الموضوع إلا بالأدلة الدامنة والأدلة في هذا إنما تؤخذ من كتابات المؤيد وكتابات غيره ، والقضية قد تكون معكوسة ، فيقال أن الجرائد الإسلامية التي ظهرت بعد المؤيد ربما تظن أو يظن بعضها أنه ما دام المؤيد حائراً على مكانته الأولى ، معرقاً به عند العموم ، مختصاً بالثقة الكبرى فلا سبيل لزاحته وأخذ مركزه إلا بعمل يزعم تلك الثقة فيه ، ويميل ببعض الناس عنه ، ومع الدأب من الاستمرار على ذلك وانتهاز الفرص والضرب على نفمة التشهير به كلما هفا هفوة أو غلط غلطة أو ارتكب خطأ ( والمصمة لله وحده ) . وقد بينت أن بعض الرصفاء وصل إلى أقصى ما يمكن الجرى فيه بهذا المضار إلى حد تصور الغلبة والفوز .

• — من طى يوسف الى اعلى السيد

قدر (١) مدير الجريدة أن خطة اللواء والمقطم خطتان متطرفتان إحداها تتجه إلى سلطة قصر الدوبارة وتزيد أعمال المحتلين ، ولو كان ملؤها الحطل ، والأخرى تدعو إلى الاستقلال بالطفرة وخطتها عدائية ، والجريدة ترى أن الطفرة محال وعوافيها مضرة .

بقى أن مدير الجريدة بلسان حزب الأمة يقول : أن المؤيد ينحاز دائماً في سياسته العامة إلى إحدى السلطتين ، وقد قلنا في بيان أصول خطتنا أننا نتنصر للسلطة الشرعية دائماً ، كلما نازعها الاحتلال في حقوقها ، وقال هو عن سياسة « الجريدة » أنها لا تتحيز لجهة من السلطتين ، ومعنى هذا أن سلطة المؤيد الشرعية وسلطة الاحتلال الفاسدة ، كاتهما عند « الجريدة » سواء فلا تحيز لواحدة دون الأخرى ، إذا اختلفا وتنازعا . ولا ندرى كيف يوفق مدير الجريدة بين ادعائه خدمة الأمة بالصدق ، وبين قوله أن الجريدة لا تتحيز لإحدى السلطتين ، مع العلم بأن مصلحة الأمة في التحيز للسلطة الشرعية كلما قام نزاع بينها وبين سلطة الاحتلال التي ظل اللورد كرومر طول مدته في مصر يعمل على إحلالها محل السلطة الشرعية حتى تكون البلاد مسخرة أنجليزية فعلا ولو لم تسكن كذلك اسما .

أما خطة الجريدة فهي الخطأ المحض ، لأن السلطتين الموجودتين في مصر الآن لا يمكن أن يوضعا في كفتين متعادلتين ليقال أن مصالح الأمة بينهما .

رأى المؤيد في حزب الأمة

وقال (٢) الشيخ طى يوسف : إن الحجر الأول الذى وضع فى أساس عمل ( الجريدة )

(١) ( للمؤيد ) ٨ أكتوبر ١٩٠٧ .

(٢) للمؤيد ٩ أكتوبر سنة ١٩٠٧ .

مقاومة الجرائد الوطنية التي تنضبط سادتنا المحتلين . والحزب هو شركة الجريدة ، والشركة هي الحزب ، وعلى أثر حادث العقبة اشتد سخط اللورد كرومر على جميع المصريين ، ورأى النفر من مقرري الوكالة البريطانية أن يشتغلوا بتأسيس جريدة تمزى إلى جماعة من كبار الأعيان ، يكتب فيها العارفون بدقائق الأشياء وبما وراء الأمانة حتى يقسنى لهم بعد ذلك أن يقولوا أن سرارة الأمة يقولون غير ما يقول أولئك الصماليك الذي لا ناقة لهم في هذه البلاد ولا جمل ، وأضيف أن المشروع هو مشروع الشيخ محمد عبده وأنه مات قبل أن يتمه ، أو من فكرة المرحوم سلطان باشا قبل موته ، وهو المشهور بغيرته الوطنية ( ! ) فيجب على سرارة الأمة الذين يقتفون أثره في خدمتها أن يبرزوا هذه الفكرة إلى الوجود ، وكان في مقدمة المشتغلين بتأسيس شركة الجريدة جماعة من كبار موظفي الحكومة لما رأوا من فائدة هذا المشروع العمومية ، ولعلمهم أن خدمة الأمة بالصحافة عن طريق استرضاء الوكالة البريطانية واستعطافها على المصريين خدمة شريفة ، ولا تتنافى مع الأوامر التي تحظر على المواطنين مكاتبة الجرائد والإدلاء بالأخبار ، ومحمود باشا سليمان رئيس الشركة كان أبعد الناس عن الاشتغال بالسياسة ونجده - يقصد محمد محمود رئيس حزب الأحرار الدستورية من بعده - سكرتير مستشار الداخلية من أعضائها والداعي الذي يباشر دعوة العمدة والأعيان أى هذا المشروع المبارك ، وجرى توزيع التذاكر والنشرات بأسماء المكتتبين .

وأن مستر روبرتسون أحد أعضاء الحزب الحر في البرلمان الانجليزي في مصر قابل كثير من المصريين والانجليز ، وكان ممن قابلهم اثنان من كبار مؤسسى الجريدة بإشارة من اللورد كرومر ، فقال كل منهما لذلك العضو : إننى تمكنت من تأسيس جريدة وطنية ستكون لسان حال المصريين بدلا من هذه الجرائد التي تتاجر بالوطنية ( يقصد بالجرائد التي تتاجر بالوطن صحيفتي اللواء والمؤيد ) .

وكل ما كان حول العمل يحمل « الجريدة » في واد وما تدعيه الآن من مجرد مبادئها على



كل تمييز لإحدى السلطتين في واد آخر ، لذلك قال الكثيرون أن خروج كرومر من القطر المصري أضاع دفعة سفينة الجريدة أو غير وجهة ربانها ، لذلك اضطروا للإعلان من جديد بمبادئ جديدة ، المبادئ حسنة ، ولكنها محتاجة إلى التنقيح في الوضع حتى تذهب الريب التي خالطت النفوس فيها ومحتاجة إلى استكمالها ، لأنهم يريدون أن يسكنوا لسان الأمة ، وليس لأحد حق أن يدعى خدمتها ، أما الحزب فهو مشكل لأن يكون قوة أمام الحكومة باسم الأمة ، وقد يضارها في الوجهة إلى حد تنازع السلطة .

رأى حسن موسى المقاد

قد ذاع قبل صدور الجريدة أنها احتلالية في صورة وطنية ، فيكون أنها احتلالية في صورة وطنية ، فيكون المقطم الثاني ، أو يحل محله لعدم تأثيره ، فتشام الناس منها ، فقلت لهم على صفحات جريدة المغير ، مهلاً حتى تصدر ، فإن كانت لصالح البلاد فرحباً بها ، وإلا فيصحبها ما أصاب المقطم من قبل فما كان غير بسر إلا وهى في الدنيا تقسم الأيمان أن لا تحيد عما فيه صالح الأمة ، فكفت أطلعتها متأملاً فيما تسكنه الضمائر ، حتى بلغ منها أربعون هدداً ، فما استطعت عليها صبراً ، ففاجأتها برسالة أندد فيها على اعوجاج خطتها فاعتذلت في الجملة . ولكن بصورة كان الغرض منها ذر الرماد في الأعين ، ولم يفد هذا ذلك سوى انحطاط شأنها .

وما نشره إلا وقد أعلنت عن تأليف حزب الأمة مبينة خطة مبادئه ، فقلت كما قال غيرى : خيراً ، ودخل معه من أحسن الظن به مؤملاً ، وما لبثت إلا أن أسفرت عن هدم أحقيتها للاستقلال ، حتى تعلم العلم الوافي ويسكون لها معامل كعامل أوروبا ، مما أثبت لها الخداع الذي رماها به الأهرام وغيره حتى قام مسامحوها برمونها بالاعوجاج وسوء الخطة نحو البلاد .

ولما كان محمود باشا سليمان هو الساعى والمؤسس لهذه الجريدة وله التأثير على سياستها حق لنا أن نخاطبه في هذا الشأن فنقول ما الذى عمله على أن يسلك بها خطة الأضرار بوطنه العزيز .

## الصحافة الوطنية والاحتلال

كيف حارب الاحتلال الإنجليزي الصحافة الوطنية ، يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعي في تقرير له سنة ١٩١٠<sup>(١)</sup> ، أن الصحافة السياسية في بلادنا كانت ولا تزال روح الحركة الوطنية فيها ، لما دخلت الجيوش الإنجليزية مدينة القاهرة وقبض الإنجليز على أزمة الحكومة قمعوا على الدستور الذي نالته الأمة في عهد توفيق وأعادوا الحكومة إلى نظامها الاستبدادي واستعملوا منتهى القسوة والشدة في أمانة الحركة الوطنية . ولم يبق في البلاد صحيفة وطنية تعبر عن لسان الأمة ، واستولى الرعب والنفور على الأفئدة ، هنالك فكر اللورد كرومر في إطلاق العنان للصحف الوطنية لا رغبة في الحرية ولكن على يقين من موت الحركة الوطنية ، توهم أن الصحف بمحاملاتها لا تستطيع أن تزعزع الثقة في سياسته ، وأنه رمى بإطلاق حرية الصحافة إلى الامتنان على الأمة بإطلاق الحرية لها وإعلان ذلك أمام العالم الأوربي ليومهم أن الاحتلال الإنجليزي يتبع في مصر سياسة الإصلاح والحرية . ولكن الصحافة الوطنية لما عادت إلى الميدان واسترجعت حريتها ، أعلنت على اللورد كرومر حرباً عواناً ، وأخذت تذيع للقراء الوطنيين الفظائع التي ارتكبها الاحتلال .

استخدم اللورد كرومر في تلك الحرب الصحفية ( جريدة المقطم ) التي كانت تدافع عن سياسته وتجهتد في إكسابه ثقة الأغلبية من الأمة ، ولكن الصحافة الوطنية كانت بمحاملاتها المتوالية تقصى القلوب عن الإدارة الإنجليزية وتفترقهم منها ، وثبت روح العداء للاحتلال في كافة الطبقات . ساعدها على الانتشار لغيث من رجال الحرب الوطني القديم الذين اضطروا بمد إخماد الثورة المرابية إلى الإزواء في منازلهم فساعدوا أولاً جريدة المؤيد التي كانت لسان حالهم إلى أن ظهر المرحوم مصطفى كامل في ميدان الجهاد الوطني وأنشأ

جريدة المؤيد ، وتذبذب المؤيد في خطة العداء للاحتلال فهبذته الأمة ، وأقبلت على (الواء) وصار المرحوم مصطفى كامل يضم حول جريدته الأنصار والأتباع ، وبجهاذ في تكوين رأى عام وطنى وجهته الاستقلال والطرف في معاداة الاحتلال واستمرت الصحافة الوطنية ثبت كراهية الإدارة الانجليزية وتفسر فكرة الجلاء .

كان كرومر يرى أن الحرية الصحافية في مصر لا يمكن أن تؤثر على مركز الاحتلال وسياسية فخاير في تقاريره بأنه ليس من مبداء تقييد حرية الصحافة وكتب في تقريره سنة ١٩٠٤ فصلا من الصحافة يهذى فيه من روع الانجليز من جهة ويعين على الأمة المصرية من جهة أخرى ويشير من طرف خفى ، إلى أن الحكومة قادرة على إسترداد تلك الحرية في الوقت الذى تريده .

كان يعتقد أن مبداء الضنط على حرية الصحافة ومنعها من إعلان شكوى الأمة من سياسة الاحتلال ربما يفضى إلى اشتداد حركة العداء للاحتلال وكون نار الحقد فى القلوب فكان يرى حملات الصحف الوطنية كالبخار الذى يتصاعد من ماء في درجة الغليان لا يلبث أن يتسكاثف فيتساقط ماء بارداً لا ضرر فيه .

وظل كرومر على رأيه إلى أن حدثت حادثة دنشواى فظهرت الصحافة الوطنية فيها بمظهر جليل ونالت مركزاً خطيراً ومنزلة كبرى في ميدان الحركة الوطنية ، فقد كانت الصحف قبل وقوع هذه الحادثة ثبت في طبقات الأمة فكرة الاستقلال ، وكانت تتخذ من مساوىء الادارة البريطانية حجة لها في نشر مبادئها ، ولكن صحف الاحتلال كانت من جهة أخرى تضعف تأثيرها بتذكيرها الأمة بمظالم العهد القديم ومقارنته بحكم الاحتلال البريطانى ، فلما وقعت حادثة دنشواى ضمنت حجة الصحف المحبذة للاحتلال وارتفع صوت الصحف الوطنية وقويت شوكتها وراى الفرصة سانحة للتشهير بالفظائع التى ارتكبها الاحتلال ، وانتهز مصطفى كامل هذه الفرصة فآخذ بحادثة دنشواى سلاحاً ماضياً في يده شهره في وجه اللورد كرومر وسياسته ، وبذلك أصلح في تقوية فكرة العداء للاحتلال وتكوين رأى عام قوى غابته تحرير البلاد ونزع كل نفقة في السياسة الانجليزية تقوى مركز الصحافة

الوطنية بعد هذه الحادثة وصار لها صوت مسموع في البلاد، وألفت حولها الألوف من المعضدين والأنصار، فقد كان طلبه المدارس قبل وقوعها منصرفين عن قراءة الصحف، وأهل القرى في غفلة عنها فلما تردد صدق حادثة دنشواى في الأذهان وصورت الصحف الوطنية فطائع الانسكيز بعبارات مؤثرة تنهت أفسار الطلبة إلى قراءة الصحف فأقبلوا عليها أفواجا، وصارت لهم من ذلك المعهد مجموعة دروس وطنية كانوا محرومين منها في مدارسهم، لأن يد الاحتلال قد أنهت من قلب نظام التعليم، وإقامته على مبادئ المصاحبة الانكليزية فأخذت الصحف الوطنية تعوضهم ما فقدوه بين جدران المدارس التريبة الوطنية التي هي أساس نظام التربية والتعليم في مدارس أوروبا.

وبدأ اللورد كرومر بعد حادثة دنشواى يتخوف من ترك ذلك العامل القوى، عامل الصحافة حراً يشهد بأعماله السيئة ويفسد عليه سياسة فحش الأمة، هنالك بدأ يجاريها وجهاً لوجه فأفرد في تقريره سنة ١٩٠٦ فصلين خطيرين عن الحركة الوطنية وصحافتها ملاحظاً طعناً فيها وسباً في سياستها، وكان يرى بذلك إلى إضمار تأثير الصحافة الداعية إلى الثورة والتعصب الدينى، وكانت كتابته في هذا الصدد دالة على شدة حقه على الصحافة الوطنية التي أخرجت مركزه وفضحت سياسته في مسألة طابه ودنشواى.

ومن ثم أبدى اللورد كرومر في الصحافة رأياً مخالفاً لرأيه سنة ١٩٠٤ فقد شعر اللورد بعد حادث طابه ودنشواى أن الصحافة الوطنية قادرة على إهانة الرأي العام عليه وعلى إخراج مركزه، وقد رمى السواد الأعظم من المصريين بأنهم من أعظم الناس تصديقا لما يقال، إلا أن اللورد كرومر لم يجسر على المجاهرة بتقييد حرية الصحافة وإن كان أشار من طرف خفى إلى ذلك.

وكان يتخذ من الحرية المغطاة للصحافة في مصر حجة في يده، يوم بها الأمة المصرية أن إنجلترا تميل إلى الحرية في وادى النيل، وأنها تتمتع بفضل الاحتلال الإنجليزي بما لا تتمتع به الأمة العثمانية تحت حكم عبد الحميد، لأن اللورد كرومر كان يتوخى دائماً في

سياسة تفجير المصريين من حكم السلطان السابق وبحسب ألف حساب لميلهم إليه ، فكانت الحرية الصحفية من ضمن الوسائل التي استعملها اللورد كرومر في سبيل هذه الغاية ولذلك لم يجرأ على تقييدها . وزاد حرج كرومر بعد حادث دنشواي وعما زاء اخراج مركزه إنشاء مصطفى كامل لجريدتين يوميتين إحداها باللغة الفرنسية ( الاتيندار اجنسيان ) والأخرى بالانجليزية ( ذى اجيشيان ستاندرد ) فكانتا ترددان سدى الحملات التي ينشرها اللواء وتنفسه في العالم الأوربي .

تغير مركز الصحافة بعد رحيل كرومر وقدم الدون غورست .

يظن البعض أن الضغط الذي لاقته الصحافة المصرية في عهد الدون غورست يرجع إلى تمادى الصحافيين<sup>(١)</sup> الوطنيين في شدة اللهجة والتطرف وبمتهرونهم الحبيب الذي ألجأ الاحتلال إلى تقييد حرية الصحافة وإعادة قانون المطبوعات القديم ، والحقيقة أن ما لاقته الصحافة الوطنية من الضغط كان جزءاً متما لبروجرامه السياسي الذي أنبئه المعتمد البريطاني الجديد فقد كانت مهمة ( الدون غورست ) في مصر هي تهدئة الخواطر الثائرة ضد الإدارة الانجليزية وتثبيت مركز الاحتلال الذي زعزعته سياسة اللورد كرومر . وكان الدورن فورست يتوهم أن الحركة الوطنية ليست حركة استقلال بل حركة تدمير من تصرفات اللورد كرومر ، فبدأ عهده بالموافقة على الافراج عن مسجون دنشواي ، حتى يقل هياح الوطنيين وانفعالهم بهذه الحادثة ، وبدأ يماثل الخديو معاملة لجنة تناقض تلك المعاملة الوحشية التي كان يمامله بها اللورد كرومر ، وكان يظن أن الخديو هو قوام الحركة الوطنية فإذا رضى الخديو عن سياسة المعتمد الجديد وسار على خطة المواقف معه لم يمد هناك محل لبقاء الحركة الوطنية .

وقد أنبع المعتمد البريطاني تلك السياسة مؤملاً ايجاد رأى عام معتدل يسكت عن الاحتجاج على الاحتلال في ذاته ويسير في سبيل الاتفاق والتفاهم مع السياسة البريطانية

---

(١) هكذا كانوا يكتبونها .

في وادي النيل ، وفملا جراه في هذا المضمار بعض الصحف العربية مثل الزيد والمنبر ، فأخذنا نطمئن في سياسة الحزب الوطني المتطرفة وتدعوان الأمة إلى التفاهم مع الاحتلال ، ولكن صحافة الحزب الوطني وفي مقدمتها ( اللواء ) وقفت حجر عثرة في سبيل نجاح غورست في سياسته وإدراكه غايته وظهرت في تلك الفترة التي تغيرت لها سياسة إنجلترا في وادي النيل بمظهر جليل ضمن بقاء الحركة الوطنية واستمرارها ، ذلك أن ( اللواء ) الذي كان وقتئذ إسان الحزب الوطني المارض للاحتلال أخذ ينادى بالاستقلال والجلاء ويحدد إحتجاجة على بقاء الاحتلال ويحذر الأمة من الركون إلى سياسة استكثرت فكانت خطة ( اللواء ) مقاومة الاحتلال في ذاته لا في سياسته ، لم تقو الصحف المعتدلة الداعية إلى التفاهم والانجليز على مكافحة الصحافة المتطرفة التي كانت مكونة في ذلك العهد ، من اللواء والدستور والاستقلال أجيسيان وأجيشيان ستندارد ، كذلك لم يضيف تأثيرها الفعال في الرأي العام ذهاب وفود المعتدلين إلى لندن وسعيهم في وضع أساس للتوفيق بين المصريين والاحتلال ، وتفهمت صحافة المعتدلين أمام الصحافة المتطرفة ، وأصبحت موضع سحق الأمة وظلت صحافة الحزب الوطني آخذة بقيادة الرأي العام المصري ، وأمكن فريد بك أن يحفظ سياسة الحزب ويحول دون نموذ الحركة الوطنية وركونها للاحتلال حتى أداه ذلك الغرض الشريف إلى المجاهرة بانتقاد خط الخديو السياسية واستنكار انفاقه مع المعتمد البريطاني فاخرق الحزب الوطني في تلك الأثناء أزمة صعبة . لما رأى غورست ذلك ، حول على محاربة صحافة الحزب الوطني التي هي الحائل الوحيد دون نجاحه في سياسته ، واعتقد أن محاربتها ستقل من حدها وتضغف من شوكتها ، ( هنالك ) حمد إلى تقييد حريتها والتفكيك برجالها ، وكان غورست يمتدح أن تحل الخديو عن الحزب الوطني وامتناضه من حملاته على سياسة الوفاق واستيلاءه من مجاهرة ( فريد ) بأن إرادة الأمة شيء وأرادة الخديو شيء آخر ، كل ذلك مفض إلى أضغاف شوكة الحزب ، وكان هناك من رجال الحكومة من يحقدون على صحف الحزب الوطني لحملاتها المسكرة على

خياناتهم فكانوا يحرضون المعتمد البريطانى على تقييد حرية الصحافة ، وقد فسكر أولا في محاربة الصحافة الوطنية بالمحاكم ، واتهمز فرصة كتابة اللواء مقالا عن ( فظائع الانجليزية السودان ) وطلب أن ترفع الدعوى العمومية على الشيخ عبد العزيز جابيش رئيس تحرير اللواء ، وانتظر أن تحكم المحاكم على الأستاذ حكما قاسيا ولكن المحاكم أظهرت استقلالها تاما في تلك القضية ، فبرأت الشيخ من التهمة ، ( هنا ) بدأ يفكر في طريقة أخرى بمد أن وجد أن المحاكم ليست السلاح الفعال في محاربة الحركة الوطنية ، وقد أعرب عن ذلك في تقريره سنة ١٩٠٩ . لذلك فسكر في إعادة قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ ذلك القانون الذى يفقد الصحفيين كل ضمانة قانونية حيث يجملهم تحت رحمة الإدارة مباشرة فيستطيع أن يمتل أي جريدة بدون عماكة ولا إبداء أسباب معقولة . وأهم موارد ( المادة ١٣ ) وهى « يسوغ محافظة على النظام العموى والآداب والدين تمطيل أو قفل أي جريدة أو رسالة دورية بأمر من ناظر الداخلية بمد ائذارين أو بقرار من مجلس النظار بدون إئذار » وقال الدون فورست في تقريره ١٩٠٩ عن قانون المطبوعات ١٨٨١ : إنه الطريقة الوحيدة التى يستطيع بها مراقبة الصحافة وأن تطبيقه بالحكم والدرابة لا يفتح بابا تهبيح الآمال السياسية كما يكون في عماكة الصحف ولا يترك سبيلا للمظاهرات وأنه فعال في منع وقوع الجريمة .

وصدر قرار مجلس النظار بإعادة هذا القانون في ٢٤ مارس ١٩٠٩ وهو يوم تعتبره الأمة من أيام حدادها المشئوم ، اليوم الذى قضى فيه على حرية الصحافة . وقد فهم الناس جميعا أن هذا القانون ما أعيد إلا لمحاربة صحافة الحزب الوطنى التى آلت بصراحتها كل من الاحتلال ورجاله . وأشار مجلس الوزراء في قراره حيث أن عدم تنفيذ قانون المطبوعات لم يزد هذه الجرائد ( جرائد الحزب الوطنى ) إلا تماديا في المقترف والخروج عن الحد حتى أدى ذلك بشكوى الناس بلسان الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين من هذه الحالة التى بالبلاد

ضرراً بليغاً . فقد قرر مجلس النظار ( كذا ) . . . والحقيقة التي حاول الاحتلال إخفاءها تقريراً بالعالم التدين هو أن الجمعية العمومية قد أظهرت تألمها من ترك الحكومة للمصحف الساقطة تنهش أعراض الفاس بلا رادع ولا زاجر ، ولا شك أن محاربة هذه الصحف الحقيرة أمر واجب لا شبهة فيه ، ولكن ذلك شيء ومحاربة مبدأ حرية الصحافة شيء آخر . ولما أعيده قانون للطبوعات أصبحت الصحف الوطنية تحت رحمة الإدارة وكان السير فورست يفتظر أن تكون مجرد إعادة سببا في القاء الرعب في قلوب الصحفيين الوطنيين من جهة وانتفاض الجمهور المصري عن صحافة الحزب الوطنى من جهة أخرى موها أنها كانت السبب في القضاء على حرية الصحافة ، ولكن مركز الصحافة لم يتزعزع بل زاد ثباتا وارتقاء . واستمرت صحافة الحزب الوطنى على خطتها بعد صدور قانون سنة ١٨٨١ ولكنها صارت مهددة بأن تصاب بضربات ، ولم تمر ثلاثة أشهر حتى نفذ القانون لأول مرة في اللواء . أُنذرت الحكومة ( اللواء ) وبنت إنذارها على أنه نشر مقال تأييد لنجرا ذلك الشاب الهندي الذي قتل السير كرزون وبلى في الهند وسبق الشيخ جاویش للمرة الثانية أمام المحاكم لحاكمته على مقالة نشرها إحياء لذكرى دنشواى وانتهت محاكمته بحبسه ثلاثة أشهر ، وقبل أن يصدر الحكم صرح ناظر الحقاينة في حديث له ان لابد من الحكم على الشيخ جاویش . وفي يوم واحد أُنذر اللواء وحبس الشيخ جاویش فسكانت الصدمة شديدة حتى خشي الكثيرون أن يتزعزع مركز الصحافة ويخفت صوته .

وخشي الكثيرون أن يتسرب اليأس إلى النفوس ولكن الجلد الذى أظهره الشيخ جاویش في الحبس وثبات الصحافة الوطنية على خطتها واستمرار الحزب الوطنى في مقاومة الاحتلال وإعطاء الأمة مثال الصبر والثبات ، كل ذلك حفظ مركز الصحافة ووقاها شر التهمر أمام ضربات الاحتلال وانتقلت الحرب التي أعلنها الاحتلال على الحزب الوطنى خيراً له وشرّاً على الاحتلال حتى كان يوم خروج الشيخ جاویش من الحبس يوم ابتهاج عظيم ، قلده فيه الأمة وسام الشهب إظهاراً لملفها الشديد به ، وخفت صوت المعتدلين .



(٣) الصحافة ومسألة قناة السويس

ظهرت في ميدان المسائل السياسية حوالى شهر أكتوبر ١٩٠٩ مسألة سياسة خطيرة قامت لها الأمة وقعدت وظهرت فيها الصحافة الوطنية بمظهر جليل زادها قوة ورفعة ، هي مسألة امتياز قناة السويس . أخذ المستشار المالى مستر بول هارفى يفسكر فى وسيلة يحصل بها على المال بعد أن بدده الاحتلال فى مجاهل السودان ، ورأى أن خير طريقة يصل بها إلى غرضه المفاوضة مع شركة قناة السويس لمد امتيازها أربعين عاما إلى عام ١٩٦٨ وقسمة الأرباح بعد هذا التاريخ مناصفة بين الحكومة والشركة ، وذلك فى مقابل ( أربعة ملايين من الجنيهات ) تدفعها الشركة للحكومة المصرية وجانب من الأرباح من سنة ١٩٢١ إلى ١٩٦٨ على طريقة اتفق عليها المستشار والشركة .

وظل المشروع تحت طى الخفاء زهاء سنة ، وكان فى عزم الحكومة إنهائه بسرعة حتى لا يزعمها احتجاج الصحف الوطنية ولكن فريد بك تمكن من الحصول على نسخة من المشروع ونشرها فى اللواء . وقد أظهر ما فيه من الغبن الفاحش الذى يلحق بمصر إذا تم هذا المشروع ، وأخذت الصحف الوطنية بعد ذلك تتناول المشروع بالانتقادات المالية والسياسية المبنية على الآراء الناضجة والحقائق الثابتة ، وتكاثفت صحف الحزب الوطنى فى هذه المسألة الحيوية واتفقت جميعها على مطالبة الحكومة بعرض المشروع على الجمعية العمومية قبل البت فيه ، فقامت فى البلاد حركة أفكار كبيرة نورت رأى العام وارتفعت أصوات الأمة من كل جانب ملبية نداء صحافتها مطالبة بعرض المشروع على الجمعية العمومية ولم يسع الحكومة إلا لإجابة مطلب الأمة ، تهدئة للخواطر ، وفلا أحيل المشروع على الجمعية العمومية ، وكانت الصحف انتهت من درسه وإظهار ضرره بالمصالح المصرية من الوجهتين المالية والسياسية وأجمت الأمة على مطالبة أعضاء الجمعية برفضه بقانا وإقامة الحجج القومية على ذلك الرفض . وأقيمت فى خلال ذلك خطب عديدة فى أنحاء البلاد وعقدت جماعات جمة وأقيمت مظاهرات رهيبية ، كل ذلك لا بلأغ أعضاء الجمعية العمومية

رغبة الأمة في رفض المشروع وكانت هذه الحركة نتيجة كتابات الصحف في مسألة القنافة وقد بلغ من قوة الصحافة في هذه المسألة أن هيأت الأفسكار بالدليل والبرهان إلى مقاومة مشروع الحكومة وكونت رأياً عاماً قويا هيأته الحكومة واحترمه أعضاء الجمعية العمومية لأنه كان يمثل إرادة الأمة فانتهت مذاكرة الأعضاء في المشروع برفضه بإجماع الآراء وفاضت الأمة فوراً مبيّناً وأكبرت صحافتها الوطنية (حتى أن) أعضاء الجمعية العمومية الذي قدروا خدمة الصحافة في مسألة القنافة قرروا الاحتجاج لدى الحكومة على إعادة قانون المطبوعات المقيد لحرية الصحافة فكان قرارهم أعظم رد على الدعوى التي نسبت إليهم وهي أنهم كانوا البادئين بدعوة الحكومة إلى معارضة الصحافة . أما المعتمد البريطاني فقد ساءه بلوغ أُنقوة الصحافة الوطنية إلى هذا الحد رغم إعادة قانون المطبوعات ، وأخذت الحكومة تعد للمدة لاتخاذ وسائل أخرى أشد صرامة في مقاومة تأثير الصحافة المعادية للاحتلال .

وحدث في أثناء حادث الورداني أن ألقى السير فورست مسئولية الحادث على الحزب الوطني فكان ذلك إعلاناً للصحافة بحرب جديدة يزداد فيها الضغط عليها وفملاً طوردت صحافة الحزب الوطني قبل أن يتم طبع التقرير وبعد ظهوره مطاردة عنيفة . وصدر قرار مجلس النظار بإيقاف جريدة العلم فلم يسكت الحزب الوطني بل أنشأ عدة جرائد جديدة لم ينقطع صدورها مدة الشهرين يوماً واحداً ، فكانت الأمة تنهات على قراءة تلك الجرائد ولا يظهر الحزب جريدة إلا ويزداد إقبال الجمهور عليها وأثبت حادث إيقاف (العلم) أن الرأي العام قد تشبع بمبادئ الحزب الوطني وأصبح لا يهيمه إلا الإقبال على صحفه مهما حاربها الاحتلال واشتد في معاربتها وجرى التفكير في وضع نظام لمحاكمة الصحافيين بتقديم الضمانات التي كان قانون المطبوعات يخولها لهم وكان هذا النظام الجديد حلقة من سلسلة قوانين جديدة وضعت بعد حادثة الورداني أرهاباً للأمة كانت محاكمة الصحافيين تجري على حسب القواعد المثبتة في محاكمة الأفراد فكان لهم درجتان للحكم ، ابتدائية واستثنائية ، وفي ذلك من الضمان القانوني ما فيه لأن مرور القضية أمام هيئتين متعاقبتين فيه ضمان كافية لظهور الحقيقة

وتقرير المدل فيها وقد ظهرت فائدة هذا النظام القضائي في محاكمة الشيخ جاويش لأول مرة ، حيث حكمت ( محكمة أول درجة ) على الأستاذ بمقوبة ( فرامة ) على إحدى التهمتين اللتين أسفدتهما إليه النيابة ، ولكن محكمة ثانی درجة ، بعد أن نظرت في القضية من جديد حكمت ببراءته من التهمتين . وكان هذا النظام من شأنه إطالة مدة المحاكمة فبزداد إهتمام الجمهور بالحركة الوطنية ويتشوقون إلى أنباء المحاكمة وما ينشر فيها من المرافعات والاجراءات والأحكام فكانت المرافعات التي تاتي في القضايا السياسية عبارة عن دروس وطنية تستفيد الأمة منها فائدة كبرى ، ويتمثل فيها الغرض المقصود من سوق زعماء الحركة الوطنية أمام المحاكمة . وكانت كل محاكمة تضم إلى صفوف الحزب الوطني أنصاراً وأشياءاً تزداد بهم صولة ورفعه ولم يلبث أن ظهر في ١٦ يونيه ١٩١٠ قانون إحالة جنح الصحافة على محاكمة الجفايات وقد قصد الاحتلال من ذلك أن تتم محاكمة جنح الصحافة بأقرب ما يمكن من السرعة حتى لا يترك القصد السكافي لاهتمام الرأي العام بالقضايا السياسية .

## بين مصطفى كامل وعلى يوسف

( اللواء - المؤيد )

بدأ مصطفى كامل يكتب في المؤيد منذ ظهوره في ميدان الكتابة ، ثم أصدر اللواء ١٩٠٠ ، وكان اللواء والمؤيد تسيران في خط واحد أول الأمر ، وكانت الحركة الوطنية مؤيدة بالخدبو ، ثم تغير الموقف ، عزل كرومر وجاء خلفه غورست بسياسة الوفاق وأدار الخديو ظهره للحركة الوطنية ، واختلاف معه اللواء ، وسار معه المؤيد ، ثم جاء عام ١٩٠٧ فأعلن الشيخ على يوسف إنشاء حزب الإصلاح ، في نفس الوقت الذي أعلن فيه حزب الأمة عن نفسه ، وكان الحزب الوطني مشكلا من قبل ولكن أعلن رسميا في نفس العام .

وفي ١٩١٢ سجلت جريدة الشعب<sup>(١)</sup> ( إحدى صحف الحرب الوطني ) صورة للملاقاة بين مصطفى كامل وعلى يوسف ، والخدبو ، تقول : يظهر أن صاحب المؤيد ( على يوسف ) كان قد وطن نفسه على أنه زعيم الصحافة الإسلامية ( الوطنية ) في مصر واطمأن لذلك ، فلما ظهر اللواء رأى فيه أكبر مزاحم ، فأخذ ينصب له الإشراف في داخل المعية « قصر هابدين » ، وخارجها ويعتد له كل مرصد أملا في إسقاط اللواء ( ليخلو له الجو ، ولم يظفر اللواء بالمؤيد إلا بعد سفر صاحب المؤيد إلى لندن عام ١٩٠٣ ووقوفه بين الإنجليز ذلك الموقف للعلوم ، وتسميته لوندرة ( كعبة المصريين السياسية ) فلما التزم الصمت متوخيا مرضاة الاحتلال وتقبله وفاق ١٩٠٤ قبولاً حسناً كان ذلك مصرعاً لجريدة المؤيد

نفسها وفاز اللواء عليها وكان صاحب المؤيد قد حاول نسكت عهده الوطنى بعد أن أصبح ذا مال وعقار ، فانسخ عنه مصطفى كامل وأنشأ اللواء سنة ١٩٠٠ حتى لا يلعب صاحب المؤيد بالرأى العام ، وكان أبرز أهداف اللواء : العقيدة الوطنية والدفاع عن مجد الإسلام ، وظهرت غيرته جليلة فى غارة المسيو هانوتو على الإسلام والمسلمين ، ومع هذا كانت الحكمة العليا فى عالم الصحافة للمؤيد لظن السواد الأعظم من الأمة فى ذلك الحين أنه لا يزال الجريدة المخلص للوطن ، لذلك استمر اللواء جريدة ثانوية حتى سافر صاحب المؤيد إلى لوندرة فى ١٩١٣ ووقف من الإنجليز موقفه المعلوم فيومئذ عرفت الأمة طويقه فنبدته ظهريا واحتلت اللواء المحل الأول وظل المؤيد جريدة التلون .

وكان الافتقار الصحفى الفضل الأول ما جعل للواء المنزلة الرفيمة ، وكان الحديث بين صاحبه وبين الغازى مختار باشا ( ممثل الدولة العثمانية فى مصر ) وفيه أنزل المؤيد منزلته الحقيقية فكان فى ذلك القضاء عليه وردت إليه النسخ رزما حتى ضاقت بها نوافذ مصلحة البريد وتظاهر ضده الكثير من أهل القطر ، وأحرقت نسخته فى الجهات على مقروعة الطرق وزاد اللواء رفعة بعد حادث « دنشواى » فقد رفع صوت مصر فى أوربا .

وهز كرمى اللورد كرومر هذا لم يسبق إليه مصرى من قبل ، واجتمع لدى إدارته عدة آلاف من الإمضاءات بطلب العفو عن مسجونى دنشواى ، الذين كان يحكموا على بعضهم بالأشغال الشاقة أو المؤقتة وعلى بعضهم بالسجن ، فلما أضاف نسخته الإنكليزية والفرنسية ، بلغ اللواء غاية لم يبلغها قبله جريدة فى الشرق .

وقد ألف مصطفى كامل ( الحزب الوطنى ) وهو طريق الفراش بعد إلقاء خطابه فى أكتوبر ١٩٠٧ فى مسرح زينيا بالاسكندرية ، وفى ١١ فبراير سنة ١٩٠٨ طبع من اللواء ( ٢٩ ألف نسخة ) وزعت وقت مرور جنازة صاحب اللواء ، وهو أكبر

رقم بلغته الصحافة إذ ذاك ، ثم انتقلت إدارة اللواء إلى يد الحزب الوطنى بواسطة شركة تألفت لهذا الغرض وقدرت رأس ماله بمبلغ أربعين جنيه وبلغ أوجه بمدان نولى رئاسته الشيخ عبد العزيز جاويش ، فقد برأ القضاء جاويشا فى قضية العاملين وطمن المتمد البريطانى فى القضاء . ولما وقع الاعتصاب بين المحررين والكتاب ومعال الإدارة وجامى الحروف والسباكين والطبايعين والموزعين ، حتى آلة الطبع نفسها ، وسناديق الحروف امتدت إليها يد الإفساد ، صدر اللواء فى يوم عطلته تحديا وعمل الأعضاء بأنفسهم فى إصداره .

## صحف وطنية وصحف معتدلة

للإلقاء ضوء كاشف على صورة المجتمع ، والحياة العسكرية ، وأثر الصحف فيها ،  
نختار فترة من أدق الفترات في هذه المرحلة ، هي فترة عام ١٩٠٧ الذي يمد من الأعوام  
الحاسمة ، حيث ظهرت فيه الأحزاب السياسية الثلاب الوطنى ، الإصلاح ، الأمة وكانت  
أهم الصحف فيه هي ( الأهرام ، المؤيد . اللواء ، الدستور ، الظاهر ، المنبر ) والسؤال هو :  
كيف كان موقف هذه الصحف من الحركة الوطنية ، ومن رأى العام ، وكيف كان  
للصراع بينها جميعا .

يقول العلامة فريد وجدى : لم تظهر الحرائد السورية في مصر لمطالبة الحاكمين  
بحق مسلوب ، أو محاسبتهم على عمل مألوف بل بالعكس ، كانت تقترب إلى الحاكمين ،  
بالمديح والإطراء وتلبسهم شفوفا من حائل الثناء ، ولا تطلب إليهم إلا من طريق الاستباحة  
والرجاء ، و ( الأهرام ) التى لازمت الأمة في حائر أدوار تدرجها فحضرت استبداد  
إسماعيل ولقيت منه مائتى العاطفون بالحق أمام السلطات المطلقة ، وشهدت أول عهد  
توفيق ، تلك الأيام الهادئة الباسمة ، وبلغت فيها من الشهرة والانتشار غاية ما يمكن  
لجريدة في تلك الأيام ثم شهدت حركة الأمة قبيل ثورتها ( الثورة العربية ) وبعدها  
في أول عهد الأنجلوز .

وظهرت ( المقطم ) بلهجة وطنية واستمرت على ذلك نحو العام حتى كان ( المؤيد )  
يستظهر بأقوالها فى كثير من الأحيان ، ثم تحولت إلى مشايعة الاحتلال وتسوى سيرة  
الدولة العلية ، ذلك لأن أصحاب المقطم ليسوا من أبناء هذه البلاد ، وهم مهما انتحلوا

لأنفسهم من صفات الوطنية فإن يكون منها إلا بقدر ما تحققه أقوالهم وأعمالهم ، وإذا كانت الأمم تقبلاً من أبنائها الذين يذهبون في سياستهم غير مذهبها فهي تقبلاً بالأولى من الملتحقين بها إذا نهجوا في سياستهم غير منهاجها .

فالأمة لا تعتبر ( المقطم ) جريدة وطنية ، حتى يصح أن تثور عليه جرائم مصر بالتأنيب لاجباره على أن يقول مالا يريد قوله ، ولو كان المصريون اكتفوا بهذا الإعلان كلما كتبت المقطم شيئاً ضد مصالحة البلاد لسكان المقطم اليوم لا يعرفه أكثر المصريون ، ولكفهم أخذوا يفاخرونه الحساب ويبادلونه السباب فاشتهر بين الناس اسمه وذاعت مبادئه . أما ( الجريدة (١) ) . . . فليس تحت سماء مصر من يجهل المبدأ الذي تكونت من أجله الجريدة ، والأصابع السكرومرية التي أقامتها لإطفاء جذوة الشعور الوطني ، الذي أشعلها مصطفى كامل في أفئدة المصريين فقضت سنتها الأولى في نكران مبدأ الوطنية وتهجين الحزب الوطني ورجاله ، ثم دالت دولة كرومر ووجدت الجريدة نفسها بالعراء ، وسقط في يد مديرها الذي أجاد الدفاع عن مظلومي دنشواي .

ولم تبرهن الأمة المصرية على حياة شعورها وبقظة عاطفتها الوطنية في حادثة من الحوادث بأحسن مما فعلت بإزاء الجريدة ولن تزال الجريدة بما تأخذ كل يوم من دروس الأدب عن الأمة حجة حية على قوة الرأي العام في هذه البلاد . وقد اجتمعت طائفة من أعيان الأقاليم قبل نحو السنتين من الزمان وفكروا في التعاون على تأسيس جريدة مستقلة من كل سلطة تجمع إلى علو تحريرها جمال الرداء ، وأبهة الثراء ، فتجذب هذه الأمة المسكينة من بين مخالب هؤلاء المتحمسين ( الحزب الوطني ) همس بذلك بعض الأعيان فانصل خبر هذا العزم بالاورده كرومر فيصير قصر الدوابة إذ ذاك فوجدوا منه كل تشجيع وبلغ الناس هذا الشعور فقالوا : إن في الأمر لسراً وقد عمد الإنجليز بعد أن أعجزهم



إمانة شعور المصريين بجرائدهم للأجودة ، إلى تحذيره ، والتفكير به بواسطة هذه الحيلة المجدية ، وكان الناس بين مكذب ومصدق حتى انتخبت اللجنة التأسيسية مديراً للجريدة عامياً لم ترض الأمة عن دفاعه في حادثة دنشواى ( يقصد : لطفى السيد ) فقوى ظن الطائنين ، وزاد في الظنون السيئة ما تفضلت به جريدة التيمس على الجريدة من انتقريط والإطراء قبل ظهورها ، كيف علمت التيمس خطة هذه الجريدة قبل نشرها إن لم تكن قد رسمت لها خطة السير في الوكالة البريطانية ولكن هذه الأحكام لمن تكن إلا ظنية لا يمول عليها المثبتون الذين يريدون بقاء أحكامهم على الحوادث المحسوسة فظل هؤلاء منتظرين حتى قرب إبان ظهورها وتعيين المحررين ، فكان في تسميتهم دليلاً حسيماً تمهيداً على مجافاة مشرب ( الجريدة ) لمطالب المصريين .

( جريدة الظاهر (٢) ) . . . ظهر للكافة عياناً تحامل الظاهر على الشيخ محمد عبده رحمه الله مشايعة لما اشتهر من مسخط الجناح العالى ( الخديو ) عليه إذ ذاك فارتكب ( الظاهر ) في الخط من كرامة ذلك الإمام الجليل والنقض من قدرة مالا يليق صدوزه من هدأة الأمم وأطباء هيئتها الاجتماعية ، لاسيما وبراءة الشيخ مما كان ينسبه إليه ويمزوه له ظاهرة للعيان لا تحتاج لبرهان ، فأثر ذلك في قلوب المصريين أثراً سيئاً ، ولم يرد في ( الظاهر ) . ما يجب أن يكون في ( الجريدة ) التي يديرها رجل قانونى ، له مواقف مشهودة في التفرقة بين الحق والباطل ، وظل الظاهر على غلوائه في حق ذلك الأستاذ الكبير حتى تحقق الناس سوء القصد في تلك المطاعن فكان ذلك أول ما شهدته النفوس له بالانتقايض والمضاضة . وبينما الناس وإياه على هذا الحال من الشك وإذابة حالت به الحال

---

(١) جريدة الاهر لصاحبها محمد أبو شادى حصلت على نص فتوى أصدرها الاساقفة محمد عبيد إلى جماعة من سكان فرنساغال المسلمين الذين رحلوا من الهند إلى جنوب أفريقيا ، هذه الفتوى خاصة بإباحة أكل المسلم اللحوم التي يذبحها أهل البلاد من المسيحيين من طريقة أسماها الظاهر ، الموفوفة ، ثانياً : جواز لبس المسلم لقمعة نقاديا من سخرية أهل البلاد من العمامة والخرابوش .

إلى تقيص مبدأ جديد وهو مشايمة المحتلين ، والضرب على نعمة الغالية في أطرائهم ،  
والتمدح بهم ، ظهر ذلك في لحن كلامه فتبين للناس سرعة قلبه من غير ما سبب ظاهر ،  
ولا حكمة مقولة ، وبدت بوادر خطيرة عليه بلا تدريج وأومحته أهواءه أن من الفكاهة  
بمن تقرب إليهم أولاً أن يناقض خطته السابقة معهم فيمدح من كان يذمهم ويذم من كان  
يحمدهم ، فانقلب يمدح الأستاذ المفتي ( محمد عبده ) وطربه ويبنى له من صروح الثناء  
ما ينقض سابق مطامنه فيه ، حتى أنه صبغ نفسه بالسواد يوم موته حداداً عليه وشفع  
ذلك بالطنن في ( الشيخ علي يوسف ) في قضية الزوجية وغلا في ذلك غلوا أخرجه  
عن حدود المقول فتحققت الأمة عند ذلك أنه سريع التحول مفقاد لأهوائه ، يرمى  
إلى حيث رمت إليه ، والأهم إن لم تأنس من خدامها الثبات والحزامة لم نحس من الصلابة  
والشهامة غضت طرفها عنهم .

( جريدة المنبر ) : أصدر المنبر حافظ عوض ومحمد مسعود ، وكانا يعملان في المؤيد  
وقد ظن الناس أن اتصال الشابين عن تحريره سيورثه الفاقة الكتابية ، وصيقضى عليه  
بالسقوط التحريري ، فأصبح المؤيد أرق مما كان عليه تحريراً ومادة ، أحدهما لم بالإنجليزية  
والآخر لم بالفرنسية ، فلماذا لا تكون جريدتهما في مثل ( المؤيد ) الذي لا يعرف  
صاحبه ما يعرفانه من اللغات الأجنبية ، هذا هو الدور الأول للمنبر .

أما الدور الثاني فقد بدأ بعد ذهاب أحد صاحبيه إلى لوندرة (حافظ عوض) ونصريحه  
لأحد مكاتبى الجرائد بأن في مصر حزين مشاكسين ، أحدهما المتطرفون وهم قوم قليلو  
العدد ، يطلبون الشهرة ليس إلا ، وليس لهم أقل تأثير في سياسة مصر ، وثانيهما  
المتدولون وهم الذين يمثلهم حضرته ، وهم أكثر عدداً وأصحاب المصالح الحقيقية في مصر .  
وذكر في عرض كلامه أن المتدولين لا يحبون الآن أن يتكلموا في الاستقلال ولا في نبذ  
سلطة الاحتلال بل ولا عزل الموظفين الإنجليز ، وإنما هم يطلبون توسيع اختصاص  
المجالس الانتخابية وشيئا من الاسلح في التلميم ، وقال الناس : شاب خوّل لنفسه

حق السفارة بين المصريين والإنجليز بدون أن يستشير في هذا الأمر أهل البصر عن الأمة التي بنوب عنها ، وذهب الناس في تحليل هذه السفارة الفحائية كل مذهب وقابلت الأمة هذه السفارة بالاستخفاف وأعرضت عن ( المنبر ) استياء من هذا الدور الذي لعبه صاحبه بنير احتياط ولا تحفظ ، وزاد استياءها أنها أحست بتغير ذريع ظهر في سياسة ( المنبر ) فبعد أن كانت تدعو إلى التآليف ونحث على التضامن أخذت تعمل على التفريق بفصول كتبها بخطيء فيها كل من خالفه بلسان الساحر التنمر .

أما ( المؤيد ) فقد تحول عن خطته وتغير عن سابق طريقه ، كان اعتقاد الناس أن يقرؤا في المؤيد غارات شعواء ضد الحكومة وسيرها ، تخلف ذلك مسألة ظاهرة ، ثم اتفق أن ذهب صاحب المؤيد إلى لوندرة فاحتفل به فخطب خطبة سياسية شفت عما في صدره ، من التحول إلى سياسة الملاينة والمهادنة فأكد للناس صدق ظنه في تحوله عن منهاجه الأول ، فكان جواب بعضهم أنه تابع في سياسته لبعض المصادر المالية فأشارت إليه بالصمت فأمتثل .

(الوطن ومصر) تذهب الجريدتان مذهب مسألة الإنجليز فهما ممن يمتقدون أن الإنجليز دخلا هذه البلاد لإصلاحها ثم تركها لأهلها حاسلة على كل وسائل الحياة الأدبية والاجتماعية ، وقد أدرعا بصراحة في القول تخرج من حد التهور وتسلحا بلمجة ليست العادلين في شيء فهما لا يتأديان بأداب طائفتيها .

( اللواء )<sup>(١)</sup> هي اليوم ترجمان الشعور الوطني ، تمثل في عبارتها وأسلوبها صورة الروح المصرية بكل دقائقها ، وقد كان هذا التأثير للمؤيد قبلها ، فلما تحول من مذهبه الأول خلفه اللواء وهو لم يزل في خلافته إلى اليوم ولو تحول لتحولت الأمة عنه . ويغيب العائنون على اللواء نظرا في مذهبه وشدة في لهجته وينسى هؤلاء بأن الرجل الحي إذا شعر بفقد

---

(١) يلاحظ أن فريد وجدي كان مواليا للحزب الوطني في هذه الفترة .

أمتة الاستقلال ، وهو أكبر ما تصاب به الأمم من جائحات الحياة كان من أقل واجباته أن يتألم ويظهر ألمه .

لا حرج على المطالب بحقوق بلاده أن يتحدث في لهجته ، وأن يشتد في عبارته ، بذلك إنما يترجم عن شعور طبيعي ، هو أول علامات المحقين ، وأوضح دلائل الصادقين ، وإنما الحرج والويل لأولئك الذين يظهرون بإزاء ضياع استقلالهم بادرين ، جامدين ، هل يصح أن يتكلم مصري عن شئون بلاده وحقوقها المسلوبة بغير تلك اللهجة التي هي لهجة طبيعية لكل متكلم مسلوب الحق ، وبموجب المؤيد ، على اللواء هذه اللهجة وبمدها أنا تطرفاً وطوراً تهوراً ، وحينما يسميها جينا وتهوسا ، ولو تذكر أنه بنى دوره وقصوره وركب عربقه بثمن مثل هذه اللهجة القديمة لما خط من تلك المسبات حرفاً واحداً ، ولقد كان مصطفى كامل مثالا من هذه الأمثلة الحية على هذا اللون فن نازعه في ذلك فقد نازعه في أخص أوصافه وصميم صفاته .

## بين فريد وجدى ولطفى السيد

صدرت جريدة الدستور لصاحبها ومحورها العلامة محمد فريد وجدى فى ١٦ نوفمبر ١٩٠٧ وفى ١٨ نوفمبر ١٩٠٧ استقبلت «الجريدة» : جريدة الدستور فقال لطفى السيد :

(١) ظهر العدد الأول من الدستور بمقال عن الحالة الإجتماعية والسياسية لمصر محل فيها لأول يوم من ظهوره على آراء المعتدلين فسفها بأدلة كأدلة (الواء) ولا مندوحة لمقرظ الدستور من أن يقول بأنه من (الواء) بمنزله ( المنبر ) من ( المؤيد ) لم يأت بخطه جديدة فى إصلاح ذات البين ، وتقصير مسافة الخلف بينهما ، أو رفق فرجة الماكسة بل جاء على العكس يزيد فى طنبور التفريق نفمة وينصح لشيوخ حزب الأمة أن يستمعوا بأراء بنهم وأحفاهم من الشبيبة وبطالاب بجمع الأمة إلى زعامة مصطفى كامل .

\* \* \*

وقال فريد وجدى : أما نحن فنقول أننا نعتقد أنه ليس فى مصر فى عهدنا الحاضر فتنة أشد حلا روابطنا وتفريقا لأنفتنا ، ونمكننا للمستعمرين من محتقنا بقصد إنقسامنا إلى معتدلين ومقطرفين . تقول الجريدة : إننا ما جئنا بخطة جديدة لإصلاح ذات البين ، بلى !إننا جئنا بمحاربة فكرة التطرف والاعتدال ، وكفى بإزالتها مصاحا لذات البين وجامما للطرفين المتنازين . إننا نعتقد أن أكثر الخلاف بين الجرائد منشؤه التنازع على الرئاسة ، فالؤيد هو أبوالجرائد الإسلامية (الوطنية) ومؤسسها الأول ، يرى أنه أحق بقيادة الرأى العام و (الواء)

لا يرى ( المؤيد ) أهلا لذلك التحول الذي طارأ على لهجته في السنين الأخيرة ، فجاءت ( الجريدة ) نابذة للرئاستين ممفية النفس يعيل الأمة إليها دون غيرها لاشتراك الأعيان في تأسيسها . لقد انتظر الناس ظهور الجريدة بلمف يوم صدورها فما حان اليوم حتى برزت الجريدة مكتوب عليها . « من حقق النظر وراض نفسه على السكون إلى الحقائق وإن ألتها في أول صدمة كان اغتباطه بمدحهم إياه » فقال الناس ، ياللعجب ، جريدة مصرية يقوم بإنشائها أعيان مصر لخدمة المصريين وإيقاظ عواطفهم ، تصدر بهذه الجملة الدالة على أنها ستجمل على العقائد الموروثة والعواطف المتأصلة في النفوس حملات منكورة حتى تخرج صدور الناس عليها فيوسعها الناس ذما ، ويشبعونها شتما ، فتسكون بما راضت به نفسها على السكون للحقائق أفرح بدم الناس لها من مدحهم إياها .

هل نحن من الدين على باطل فجاءت الجريدة لمسكافتنا فيه ، هل نحن من الوطنية على ضلال حتى أنت الجريدة لمازعا فيها ، وقرأ الناس في الجريدة مقالات فلسفية ومباحث في الاقتصاد والتعليم ، مما اعتاد الناس مطالعته في المجلات الشهرية ، فهل مرت الجريدة بذكر الاستقلال ، هل مست موضوعا دقيقا بين المصريين والمحتلين ، هل ناضلت عن حقوق مصر بلهجة المصري النيور ، هل علمت المصريين كيف أن الوطنية ، سياج الأمم ومساك الشعوب .

كلا ، لعلنا على باطل في أمرنا ، وجاءت الجريدة لهدايتنا إلى الحق فيه ، فهل شعت في التوفيق بيننا وبين المحتلين ، هل دعتنا إلى تسلم قيادنا إليهم ، إذن ما الجريدة ؟ فلا هي على مشرب الجرائد الوطنية تعبر عن شعور المصريين وتقدم بالدروس المرقية لعواطفهم ، ولا هي على هدى الهداة المخالفين ، فتستحق منا احترام الخالف المخلص فنقرأ لندرك وجه الحق من القبيض ، قال الناس ليست الجريدة على شيء فآزكوها وكادت تصبح خيرا السكان لولا أن تداركها مجلس الإدارة فأعلن أن وراء الجريدة حزبا يقال له ( حزب الأمة )

وأعضاؤه رؤساء المائلات السرية في البلاد وأنه ساع في نشر التعليم بماله وجاهه وشهيه  
الأمة للاستقلال وحكم نفسها بنفسها .

فصنف الناس طربا ، وقامت الجريدة زاعمة أن الأمة طفلة قد غرر بها المتهورون ،  
وأنها فاقدة الشعور قد ألهاها بالخيال الموهون ، فألت على نفسها لتفضيخ تلك الجرائد  
ولتنقذ عليها عملها ، وأنها إن تصرح للأمة إلا بما يناسب حالها ويتفق مع قابليتها ، فلما  
مارست الأمة وعالجتها تبين لها أنها بإزاء أمة ذات شعور حي وعواطف وطنية صحيحة .  
فكافحتها أشهراً متعددة كفاحاً يبعث أن يسمى إنهما ما تم اضطرت لمشايعة الأمة في شعورها  
فكانت النتيجة على عكس ما قصدت ، قصدت أن تجذب الأمة فحذبتها الأمة ورامت أن  
تهذبها فرأت أنها هي المحاجة للتهذيب ، فكانت الجريدة بهذا الاعتبار أول الأدلة على قوة  
شعور المصريين وعلى حياة وطنيتهم .

فالؤيد ومن نحاً نحوه يقولون أن الأمة لم تزل محتاجة إلى الإرشاد ، ولم تصل بعد  
إلى سن الرشد الذي يسمح لها بانتخاب سياسة لنفسها ، بل لا بد للصحف من تعديل  
رأيها والصبر على شطحها . وكلة ( الجريدة ) شمارها يشمر بأنها تعد خطة للحملة على  
الرأى العام حملات منكورة حتى أنها توطن نفسها على أن ستلاقى في ذمة وسخطه  
مالا يطيقه إلا من راض نفسه على السكون إلى الحقائق .

أما ( اللواء ) فبدأه اعتبار الأمة راشدة عاقلة يجب إحترام شعورها ، فهو بعيد عن ذات  
سدرها ، وهي عين الخطة التي كان عليها ( المؤيد ) قبل عشر سنين ، حتى بلغ التحمس به  
إلى حد فقدت الأمة معه رشدها . أن زعم زاعم أن اللواء متطرف في خطته ، فالأمة  
كلها متطرفة معه إذن ، فمن تقم على اللواء فينقم عليها كلها ، وإذا تقرر هذا فإن مسألة  
اختلاف الجرائد مسألة تنازع في الرئاسة وهذه الرئاسة من حقوق الأمة الطبيعية .

أعقبها<sup>(١)</sup> لطفى السيد حياته السياسية ضيق القلب خائر المعززة ، يائسا أو قريبا من اليأس ، وأدار جريدته على مبدأ يفاير مبدأ الحزب الوطنى كل المغيرة ، فإ كان يقرأ القارىء فى تلك الصحيفة إلا حملات عنيفات على الشومر الوطنى وطلاب الإستقلال بحجة أن الأمة لا تزال عمياء صماء بكاء ، وأن كل الذى فيها حركة مصطنعة أو جدما بعض السياسيين التحمسين الذين لا ينظرون إلا لمصالحهم القاتية ، فلم ينفخ على لطفى السيد فى هذا الظن عام حتى توالب عليه من الضربات ما جملة ينظر غير النظر الذى دخل به معها فى معممان السياسة .

ونسكلم<sup>(٢)</sup> لطفى السيد عن ( الوطنية ) كلاما يعتبر فى علم الفلسفة اليوم من بقايا القرون المظلمة ، التى كان فيها أمر النوع الإنسانى قائما على مبدأ ( المنفعة ) المادية المحضة ، والحاجات الحيوانية العرفة ، ولم يدرك أن العالم الإنسانى قد تدرج نحو السكال ، فهو كل يوم يطلب وجوداً أرق وحالا عن حالات الحيوانية أبعد ، مما يظهر لى أن لطفى بك قليل الإطلاع على معارك الإفهام والحكم ، فى العالم الإجتماعى ، فهو من أمثال نظرية الوطنية والمنفعة فى دورها الأول . وما ظنك بخطيب يقوم فى القرن العشرين وسط أمة فى مضطرب الأمم ومزدحم المذاهب الاستعمارية تعتبر عطشى لسلسبيل العلم الراق لتحل به غوامض التناقضات التى تراها عين يديها ، ومن خلفها ، فلا يواتيها من نظرية الوطنية والروابط الإجتماعية إلا بأخس مما كانت عليه أيام كان الرجل يسلب جاره عاملا على « مبدأ المنفعة » . نعم ، قامت الوطنية على المنفعة كما يقول ، ولكن غاب عنه أن المنافع قد ارتقت فى ذاتها ، وفى نظر الأمم ، فبعد أن كان الإنسان يرى أن المنفعة هى أن يعيش على هيئة قبيلة ، وأن يطارد جميع مجاوراته من القبائل كما هى حال الوحوش الهائجة ، ارتفعت المنفعة فى ذاته واتسعت نظرية الإجتماع فى نظره فإل لتكوين أمة فانساق لتوحيد قبائله ففعل فسكانت الأمم ، وكان من لوازم اتساع نظرية

---

(١) ١٨ / ٥ / ١٩٠٨ جريدة الدستور . (النس مع بعض التصرف) .

(٢) ٢٦ أغسطس ١٩٠٨ .



الوطنية ارتقاء شخص « المنفعة » وكانت المقدمات هي التي تبذل لتمهيد لمصر تلك الحياة الاجتماعية التي يتسع مهامها الوطنية فلا يقصر على أبناء البلد الواحد ونشر مبادئ الإخوة الإنسانية وقد بدت مقدمات هذا العصر الأوربي الجديد، فانشئت لديهم محكمة التحكيم في لاهاي وحلت مشاكل كثيرة قامت بين الأمم وتكلموا في توحيد اللغة لتوحيد المواطن وتصبح الأمم كالأسر المختلفة في مملكة عامة هي أوربا بأسرها ! فأين اعاق السيد من هذا كله ، أنه لا يزال من الوطنية في أدنى أشكالها ، فهو يقول المصريون إبقوا وطنيتكم على المنفعة المجردة . وتقضي هذه الفظارية الخشنة أن لا يضعى المصريون أى مصلحة لهم ولا يكابدون أى تنازل كان في مصلحة أمة أخرى .

## مذكرات صحفي . سليم سر كيس

لم أجد بين ما قرأت من كتابات الصحفيين ما هو أكثر أحاطة وجراًة من كتابات سليم سر كيس المبتوئة بين ثفايا مجلدات مجلته<sup>(١)</sup> التي ظلت تصدر من ١٩٠٦ - ١٩٢٦ كان متقدما عصره في مفاهيمه للصحافة ومنهج تحريرها ، بدأ حياته الأدبية في صف الحروف ثم انتقل إلى تصحيح المسودات ، إلى تنقيح الرسائل ، فكتابة المقالات في المواضيع المختلفة ، تنقل بين سوريا مسقط رأسه ، فأوروبا ( باريس ولندن ) ثم عاد إلى مصر ، أصدر جريدة الشير وحل على السلطان عبد الحميد ، واختلف مع قادة تركيا العثمانية ، ولم ترض كتاباته الخديو عباس فقبض عليه وحوكم فسافر إلى أمريكا وعاد بعد خمس سنوات إلى مصر ١٩٠٥ وعزم على الابتعاد عن السياسة ، وكان على ولاء كامل مع اللورد كرومر والاستعمار البريطاني وانضم إلى تحرير المؤيد ١٩٠٦ وعرف بقالاته التي كان يكتبها تحت عنوان « الشيء بالشيء يذكر » .

صديق كنت أحرر المشير

يقول : في سنة ١٨٩٦ كنت أقيم في القاهرة أصدر ( للشير ) زارني من يقول : مالك ولأبي الهدى ، وذلك على أثر رحلة على أبو الهدى الصيادى في صحف مصر ( كان أبو الهدى أبرز مستشارى السلطان عبد الحميد وهو حابى الأصل ) المتحدث هو الشيخ كمال الصوفى مفوض الاستانة الوفد لمصالحه الجرائد واسترضائها : قال : أنت تطمن عليه ، وهذا خطأ ، أليس الأفضل أن يكون هذا الرجل العربى صاحب الحكمة العليا في الاستانة فيستطيع العرب أن يصلوا إليه ، خير من رجل تركى .

وكان قد علم أننى سأنشر صورة كاريكاتورية لأبى الهدى فى المشير فى حالة منكسة  
(صورة الأخطبوط) فى العدد الذى يصدر غدا .

فقال : اسحب الصورة وأنا انتقدك أربعين جنيهًا ، فأرسلت خادى إلى المطبعة ، وبعد  
قاييل عاد بالخشبة وعليها الرسم فدفعتمها إلى الشيخ ، ففقدنى أربعين جنيهًا انجليزية ، وانصرف ،  
وصدر المشير بدون صورة هزلية . وفى العدد التالى نشرت الصورة وكتبت الحكاية وكيف  
إشتري الصورة الأولى منى ، بأربعين جنيهًا وقلت بما أن هذا المال مرصود لرشوة الصحافة  
فاذا لم أخذه تفاوله سواى فقد أخذته وأعدت نشر الصورة .

المشير : ٨ يوليو ١٨٩٩

أعترف بأنى ارتسكتب فى هذين اليومين جريمة اللصوصية ، ولعل ذنبى لا يكون  
أعظم من ذنب حواء وآدم فانهما سرقاتفاحة ، وأنا سرقت مقالة من منزل الدكتور  
شميل لأنه كان بخيلا بها . فاذا وصل هذا العدد من المشير إلى صديقى الفاضل ، وذهب  
إلى مكتبة ، وفش على مكان فيه فلم يجده ، وتحقق ما أقول ، فارجوه أن لا يعاقب البواب  
أو الخادم . بلغنى أن الدكتور شميل مصاب بجدار (روماتزم) فمررت إلى منزله العامر أعوده نحو  
الساعة السادسة مساء ، فقال الخادم أن الطبيب خرج فى عربة للنزهة ، فدخات إلى مكتبة  
الدكتور وجلست بين السكتب والأوراق التى تحيط حضرته فى غربته ، وأردت أن أسلى  
نفسى بالقراءة ريثما يعود ، ثم حانت منى التفاته إلى مكتبه وإذا هناك أوراق مبثرة مكفوة  
فدلتنى سليمة الصحافى التى عفى أنها أصول مقاله يكتبها الدكتور وحملتنى الوقاحة المذمومة  
فى كل انسان إلا الصحافى على الاطلاع عليها ونظرت إلى ماحولى فلم أرمن يراقبنى فأخذت  
تلك الأوراق وقرأتها ، وإذا هى مقاله بدأ بها وكتب منها ثلاثة أوراق لاغير ، وبدأ بالرابعة  
والمقالى بيان مفاوضة بين الروح الاسمى والدكتور ، أما أنا فأخذت أوراق المقالة ووضعتها

في جببي ، وخرجت قائلاً للخادم ، أن الطبيب تأخر ، وأنا لا أستطيع الانتظار ، وكان للدقالة التي اختلصتها من مكتب الدكتور شميل رنة وحديث بين الناس ، فقد علمت جريدة الأخبار يوم الجمعة بأمر السرقة وتلاها مكاتب البصير هنا ، وفي الغد نشرت الأخبار رسالة مني ونشر المقلم رسالة أخرى اعترفت فيها أنني السارق ، وما ظهر المشير يوم السبت حتى طاف الباءة بنادون ، محرر المشير حراي ، فتهافت الناس على قراءة المشير ليقفوا على جلبة الخير .

٤ سنوات و ٤ شهور و ٢٠ يوماً في تحرير المؤيد

عملت في تحرير المؤيد ( يونيو ١٩٠٦ ) بعد أن اختاف ( مع صاحبه ) محمد مسعود وحافظ عوض وكان محرران المؤيد منذ اثني عشر عاماً على صاحب الجريدة اتركوا الادارة ، وقد أدخلت إلى الصحافة العربية بواسطة طريقتي المستحدثة في تحرير المؤيد .

(١) المحادثات على طريقة (الانترفيو) فسكتب في كل حادث خطر ، انتقل إلى مكان الحادث وأحادث الأعيان وذوى الرأي . (٢) أدخلت إلى المؤيد طريقة العنوانات الواضحة وهي طريقة جرت عليها سائر الجرائد بعد ذلك (٣) أدخلت : كتابة المقالات القصيرة وتقطيع المقالات والاكتثار من أوائل الكلام ، بل إن كانت المقالات أطول من اسان النمام . (٤) أدخلت المقالات الأمريكية .

وقد تأكد صاحب المؤيد من أنني أهيش لأكتب ، ولا أكتب لأعيش ، فكان إذا تفتب في أوروبا أو سوريا أو الآســـــــــتانة يضمن ما يريد لجريدته من التنبات على مبادئها لوجودي محرراً بها .

× حدث مساء ٢٤ يوليو ١٩٠٨ أنني كنت جالسا وإذا بالشيخ يوسف الخازن يقول : ورد تلعراف الأمة بإعلان ( الدستور العثماني ) ، توجهت إلى إدارة المؤيد ففتحت الأبواب وراجعت ما في مكتبتهما من المبدوعات السياسية والدولية ووضيت الليل في الكتابة حتى الصباح ،

وكان ( المؤيد ) أول جريدة أذاعت هذه البشري ، ونشرت القانون الأساسي وتاريخ الدستور الأول والماهدات ، ثم أصدرت المؤيد مرتين في النهار .

X أردت أن أكون أول من ينشر شيئاً عن كتاب كرومر (مصر الحديثة) فأرسلت إلى إحدى المكتبات في لندن ، قالت المكتبة أنه من المستحيل ذلك ، غير أنها أرسلت بعض نسخ من إعلان صدر بمناسبة صدور الكتاب بصفة نموذج ، هي ورزمة من الأوراق مؤلفة من ٨ صفحات بحجم كتاب اللورد وهي المزمة الأولى فيها الصحيفة الأولى والنهرسة ونصف المقدمة .

الشيخ علي يوسف : كيف كان يحرر جريدته

علي يوسف حرر المؤيد ٢٠ سنة ووصل بجريدته إلى حالتها الحاضرة ، وهو لا يعرف حرفاً واحداً من لغة أجنبية ، ومع هذا فإن من يقرأ مقالاته لا يصدق أنه هو الذي كتبها لأنها لا تختلف في شيء مما يكتبه لطفى السيد ويعقوب صروف وما قد برأ في اللغات .

حدث ذات يوم أنني خرجت من منزلي وخرجت على القهوة وهي كما لا تجهل مرجع الناس في مصر كل ساعة من ساعات النهار والليل ولقيت منها عزيز خاني . قال « مقالة علي يوسف عن المجالس النيابية من يقرأها يتصور أنه يقرأ فصلاً من روح الشرائع لمونتسكيو » .

والشيخ علي يوسف مزينة مدهشة عرفتها في كل هذه السنوات ، هي أنه أقدر كاتب على الاقتباس وأن له ذاكرة ليس أقوى منها في استيعاب ما يمرض لها . ويدهشني من ( علي يوسف ) مقدرة النادرة على الكتابة في أي موضوع خطير مهما كانت الظروف المحيطة به ، وأغرب من هذا أنه إذا حدث أميراً أو وزيراً أو صحفياً أراد بعد أسبوع كامل أن بدون ما سمعه من حديثه فإنه يستطيع أن ينقل ما سمعه صحيحاً ، وقد يظن قوم أن كل الذي يفعله الرجل أنه يكتب مقالة افتتاحية لجريدته ، وهذا خطأ فاضح ، فهو دون سواء من الصحفيين الذين أهرقهم يقرأ كل سطر ينشر في جريدته قبل نشره وقبل تسليمه

إلى مرتبي الحروف ، حتى أنه ليقرأ إعلان « فقد ختمى » ورسالة فاقوس ، ولا يقرأها فقط بل يمر بقله على أكثر السمكات أيضاً لكتابها وتسهيلاً لمرتبي الحروف

عرفت صاحب المؤيد يكتب أفضل مقالاته وأكثرها أهمية والقيامه قائمة حوله والأصوات كثيرة والجلبة عظيمة ، ومنده أكثر من زائر فلا ينقطع فكرة ولا يقف تيار فريحته ، ورد على الورد كروم يوم استقال ، أعجب ، فما فرغ الورد من إلقاء خطابه في الساعة الحادية عشرة ونشرت ترجمة الخطاب ليلاً ، فلما أصبح الصباح كان رد الشيخ بن أيدي المال ، ومقالات ( قصر الدوبارة ) كان يكتبها قبل الظهر وتصدر في المؤيد الساعة الثانية في اليوم نفسه .

كيف يمررون الجرائد في مصر ومن هم الذين يمررونها ؟

أننى طويل (١) اللسان بشهادة الحكومة العثمانية الماضية التى سبق لها أن رفعت على قضية بحجة إطالة اللسان ، والحقيقة أننى إذا لم أكتب فإننى أتكلم وإذا لم أكتب ولم أتكلم نصف ساعة فإننى أتتحرر .

انتقلت من تحرير المؤيد رحمة بقرائه وبفلسفه ، أن الذين يعيشون من شق القصة ( بقصد القلم ) لم يدركهم الفن كما أدرك صاحبنا البالي فهم لا يملكون أكثر الأحيان وخصوصاً في الشهر ٢٠ ريالاً ولذلك أرسلت إليهم التذاكر بحانا لوجه الله — استغفر الله — بل أرسلتها بحانا طمعا بما يكتبونه غدا من الإطراء والثناء عملاً ، أنهم يمررون الجرائد بطريقة شرفية محضنة أى بدون أى قياس ولا قاعدة ولا ضابط . فيسكيلون الألقاب جزافاً على نسبة الفائدة . وإذا كتبوا عن رجل أنه الوجه الأرمحى الهام ، فأعلموا أن صاحبنا مشترك جديد ، وأن اعتدوا على حقوق الخديوى فزادوا على اسم ممدوحهم « سمادة البيك » وما هو كذلك فأعلموا أنه مشترك جديد وقد دفع قيمة الاشتراك نقداً . ومتى ذكروا اسمه أكثر من مرة

فى أسبوع واحد، فتأكدوا أنه عمدة ، وقد وعد أن يكثّر عدد المشرّكين ، ولوكلاء الجرائد فى الداخلية سلطة مفيدة فهم يكتبون رسالة عن افتتاح « ككتاب » قد يكون أضيق من هذه اللوحة وعدد الطلبة قد لا يزيد عن مجموع الدنانير فى جيبي وجيوب جميع المالبين وعلاّ الوكيل نصف عمود فى وصف الرجل وأطرائه . فأعلم متى قرأت ذلك أن الوكيل قد أرسل دفعه من التحصيل وأعلم أنه أيضا أبقي نفسه دفعة أخرى .

أما أخبار أوروبا وأمريكا والهند والصين وسوريا وكل بلاد ماعداء مصر فلا أهمية لها عند جرائدنا، والذين لا يقرأون إلا الجرائد مصر يعيشون ويموتون بعد عمر طويل وهولا يعلمون شيئاً مما يجري فى العالم إلا ما ينقله إلينا أحد زكى بك ( يقصد العلامة شيخ العروبة ) من حين إلى آخر ، بل يحدث أحيانا لجرائد ما أن تحذف تلغراف روتر عن الانتخابات فى إنجلترا لتضع محلة إعلان « فقد ختمى » . أو ترفع إحدى مقالات ( بيان لادمته ) لنشر رسالة من سرياقوس ، بل أن بعض جرائدنا إذا جاءها تلغراف هافاس متأخرا وكان المحرر كسولا، تصدر ( الجريدة ) وفيها العبارة الآتية : ( لم يرد شىء منهم فى تلغرافات هافاس اليوم ) .

ومن حادات جرائدنا أن الصحافى يقرأ فى جريدة رخيصة خبرا جديدا لم يحصل عليه فى وقته فينقله إلى جريدته دون أن يشير إلى مصدره بعد أن يغير لفظه ، فإذا كان الخبر صحيحا ( صميين ) وإذا ظهر أنه مكذوب ، يقول أن المهددة على الرصيفة الفلاية لأننا نقلنا الخبر عنها . وألطف ما فى جرائدنا تقريظ السكتب فإنها تقرظها ناظرة إلى المؤاف لا إلى التأليف فلو أن فتحى باشا زغلول وضع اسمه فدا على طوايح اللوك لأصبحت تيمس مصر .

لما كفت أحرر المؤيد رفع إلى صاحب المؤيد كتابا فى الإنشاء لأقرظه فقرأته واستأثت كثيرا لسا فيه من الضعف والسخافة فسكتبت فى مؤيد ذلك اليوم ما معناه « وضع حضرة فلان كتابا فى الإنشاء جمع بين الركاكه والضعف وكان الأول أن لا يصدره للناس بل أنه ارتسكب جريمة فى إصداره ولو علم القنبي وابن المقفع أنه يعحداها بعثل هذه السخافة

لاضطربت عظامهما في قبريهما» . . فلما أصبحت دعاني صاحب المؤيد وبصرت عند رجلا لا أعرفه : قال الشيخ : أن الأستاذ ناظم عليك لألمك إنتقدت كتابه أمس نغذه إلى مكتبك وانظر في الأمر ، فجاءني المؤلف عاتبا ناظما ، فبينت له أنني إن كتبت رأيي في كتابه وبعد مناقشة . قال : أنت لا تريد أن تسيء إلى فأرجوك أن تقرظ كتابي . . وأنت بارع وفي وسعك أن تحال على تقريظه ، فسكتت : « كما قد أيدينا رأينا أمس في كتاب فلان ثم علمنا أنه لا يريد الانتقاد بل يريد انتفاء المحض فمراجعة لإرادته تقول أهدانا (فلان) كتابا في الإنشاء لم ينسج على منواله في بلاغته ويلىق أن تردان به الكاتب » . وأسرعت إلى غرفة صاحب المؤيد وعرضت عليه التقرظ فأدهشه جدا ، وقال أنت تهزأ به . فقلت : لقد قرأ الانتفاء واستعجبته كثيرا ، فضحك الشيخ وقال : انشرد ليل فيه عظة له .

تعريف جرائدنا

- |                                 |  |
|---------------------------------|--|
| « مصر » مسيحية مثل كل شيء .     | « المؤيد » مسلم قبل كل شيء .                     |
| « الوطن » قبطي قبل كل شيء .     | « الأهرام » فرنساوية قبل كل شيء .                |
| « المقطم » إنجليزى قبل كل شيء . | « الجريدة » أمية قبل كل شيء . (نسبة إلى الأمة) . |
| « اللواء » جلاوى قبل كل شيء .   | « مصر الفتاة » ريفولفر (مسدس) قبل كل شيء .       |

« العلم » كل شيء قبل كل شيء .

كتاب الصحافة وأعلامها

( في المؤيد ) حامد إبراهيم — إسماعيل شكرى — محب الدين الخطيب — مر منصور — عبد المؤمن عبد الحكم — محمود الباجورى .

حافظ عوض : (وصل إلى المية عن طريق الصحافة ) ثم لا يزال يتناولها مجانا .



محمد مسمود ( انتقل من المنبر إلى قلم الطبوعات ) فريد وجدى : ( الدستور ) .  
مصطفى لطفى المنفلوطى : خليل مطران :

#### الصحف وعمرها

« الأهرام » : داود بركات . أنطون الجليل . X « المقطم » : الدكتور عمر . يعقوب صروف .  
سامى قصيرى . X « الجريدة » : لطفى السيد . نجيب شاهين . يوسف اليستاقى . ( ي . ب )  
صالح شاكر . X « اللواء » : فرج أنطون . عثمان صبرى . X « العلم » : عبد العزيز شوايش .  
أحمد حلمى . أمين الرافعى . X « مصر » : نادر شوده . توفيق حنين . عوض واصف .  
X « الوطن » : صبرى إبراهيم ، أسكند شاهين . جرجى طفوس . X « الأخبار » : يوسف  
الخازن . توفيق حبيب . X « مصر الفتاة » : الحازن . X « الأهالى » : عبدالقادر حمزة سليمان فوزى

#### مريف بالكتاب

سأبدأ بنفسى : واد حشرى ، كاتب يحاول معرفة ما سيطبع ، يقول أكثر ما يعلم ،  
مكثر فكيف يجيد ، لا يرى من يمدحه فيمدح نفسه

« الشيخ على يوسف » يحرر المؤيد بكل ممانى الكلمة ، ولا يفوته فيه حتى إعلان حبوب  
ولكنه لا يستعملها . يقولون أن المعية احتكرته ولكن بالناحية فقط ، وهو طويل  
النفس ، والصبر ، شديد النمز واللمز إذا أخرجته .

« محب الدين الخطيب » نابتة قومه فى صحافة مصر اليومية بيننا جميع مواطنيه يتاجرون  
بالبن البننى والصابون ، إذ به يداعب الدولة العثمانية على صفحات المؤيد .

« داود بركات » معجزة الأنباء ومعجم المعلومات . يستطيع أن يحرر محضر الجمعية  
العمومية ولو لم يحضر جلساتها . « أنطون الجليل » . خفة روحه تشفع لسكونه .  
« الدكتور عمر » : شرس فى معاظرتة مراعاة لإسمه ، مولع بالسجع ولو لم يكن صوته

مطربا . « الدكتور مروف » : افتخاف من كل بستان ثمرة حتى لقد تلخبطت معدته  
فأصيب بتخمة ، فاستعان بالمعلوف .

« لطفى السيد » : صديق الفلاح ولكنه يخاطبه بالبادوجوجيا ، لو كنت إياه  
لا اتخذت المقامرة حرفة وأقت على طول في مونت كارلو . فإن يخته يفلق الصخر ،  
الأتري كيف سخر الله له مائة وجيه غنى سلوه الجريدة ومطبعتها ، كان ( أفوكانو ) محامى  
الأفراد فصار المحامى عن الأمة ، كان يخطب في المحكمة فصار يكتب في الألو .

« نجيب شاهين » . لو اهتم بمواد الجريدة اهتممه بملابسه لكانت الجريد آية الآيات .  
ما عاية القصر فهو طويل النجاد .

« يوسف البستاني » : اختصر اسمه إلى ( ي ب . )

« فرج انطون » : هو دخيل فيه مع أنه صاحب الجامعة .

« عثمان صبرى » / اللواء . « سامى قصبرى » / المقطم .

« الشيخ شاويش » : مولع بزيارة دوائر الحكومة حتى لقد زار مصلحة السجون ،  
واسكن في سبيل ما يراه حقا ، وترك اسمه القانى في السجن ، هو وأحد حلى من زملائه في  
العطف على المسجونين .

« أمين الرافعى » : إذا كان موفقا في المحاماة توفيقه في كتابه المقالات بشره يكرس  
النضال . هو نجلدة قوية للمحافة . يحب فيكتور هيمو أكثر من حبه لهادتون .  
« مصر » : تادرس شنودة توفيق حنين . عوض واصف .

« الوطن » : صبرى إبراهيم : أهم ما يشمله وضع عنوانات المقالات يمتقد أن المسكتوب  
يمرف من عدوانه . اسكندر شاهين : الوطن

« جرجى طنوس » : هو مكاتب وادى النيل في الإسكندرية ومحرر في الوطن بمصر .

الأخبار : يوسف الخازن : لو أن الشيخ يوسف الخازن في أعرج طربوشه لباطت  
الأخبار .

توفيق حبيب : كثير الحركة والنشاط والمعلومات والأنباء .

مصر القناة : كبير محرميها ( جراحى ) في مضاء الميضع وحدة الفولاذ .

الأهالى : عبد القادر حمزة : هو الآن في أهالى اليوم محل إسماعيل باشا أباطة في أهالى  
الأمس ، ولكنه محل الحسام فقط ، وليست له اليد التى تضرب به عذرة في ذلك السن .

سليمان فوزى : لما فرغت الجوائب من ترشيحه للتحرير ماتت كما تفعل دودة القز .  
انتقل من المؤيد إلى الأهالى .

محمد مسمود : انتقل من المنبر إلى قلم المطبوعات فأصبح يقتل نفسه بيده .

محمد فريد وجدى : تنازل عن الدستور للدولة العثمانية بعد أن قالت له تركيا القناة  
دستورك بابك .

المنفلوطى : كان يعمل في المؤيد أسبوعيا فأصبح يعمل في المعارف ، يوميا هو في المسلمين  
توفيق حنين في الأقباط .

خليل مطران : حاول في جوائبه ( يقصد مجلة الجوائب ) أن يدرك منزلة أحمد فارس  
الشدياق ولكن مصر غير الآستانة . وإسلام مطران أصعب من إسلام الشدياق مع محاولة  
شوق وسعد .

لسان الحال واللكونجى

يشميد الله ومجلدات سبع سنوات من جريدة لسان الحال البيروتية أننى أول ما نالته

أساءت المراقبة الصحافية وأننى نكبت أكثر من أى صحافى آخر بالقشديد والاضغط على حرية قللى وفسكرى . كانت سوريا أقدم مكان ظهرت فيه الجرائد السياسية ، كان الحرية مطلقة لجرائد بيروت لا مراقبة عليها ولا سيطرة حتى بلغ من الخبر والجفان ( بطرس البستاني ) ومن لسان الحال أنها كانت نكبت بحرية لا تقل عن الحرية التى تمتع بها الآن فى مصر ، وفى عام ١٨٨٥ كفت أحرر لسان الحال ، وبدأت المراقبة فى بيروت . وكانت مسودة الصحف ترسل صبا حوتعاد بمد الظهور فإذا رأى ( مساعد الرقيب ) أى عبارة يعرف أنها لا ترضى المكنونجى ( الرقيب ) حذفها بحبر أسود ، ثم تعرض له أحيانا بعض عبارات لا يدرى ماذا يفعل بها فيضع عليها علامة مستطيلة بحبر أحمر ، ثم تقدم إلى المكنونجى الذى لا يعرف اللغة العربية ، فيضرب على كل عبارة عليها إشارة حمراء ، ثم يؤثر بكلمة ( كور لشدو ) هذه كلمة الأجازة ، وتناد إلى محرر الجريدة الذى يحمل الحروف ويحذف ما حذفه المكنونجى ويضع مكانه مقالات أخرى ، وترسل المسودة ثانية إلى المكنونجى ، فيجربى ما جرى أولا وهكذا إلى أن تطبع الجريدة ، فلما عجزت عن احتمال هذه القيود تركت بيروت ١٨٩٤ إلى باريس ومنها إلى الإسكندرية فأنشأت للشير ، ولم يكن فى مصر جريدة خاصة بالمباحث الحرة الثمانية ، ومبالغة فى الحرص على سلامتى استعنت بصديق أنجليزى اسمه المستر فولر فوضعت اسمه فى ذيل المشير بصفة مدير ، ولما وصلت أعداد المشير إلى ( بيروت ) صدر الأمر بإحراقها .

× إن حياة<sup>(١)</sup> سليم سر كيس من فضل الوكالة البريطانية ، ساعده اللورد كرومر على حفظ حياته ، فقد طلبته ولاية بيروت من حكومة مصر لها كته ١٨٩٥ وتسليمه ، وعرض الأمر على الوكالة البريطانية

× قال كرومر : أنك تطعن في حكومتك طعنا جارحا فاني قرأت بمض مقالاتك ،  
ثم قال : إذا طلبوك فأت لا تترك مصر أن شاء الله .

وقال لي كرومر : ألسنت (بروتستانتى) ، ألا تذكر قول الكتاب والأنبياء : لا نقل سراً  
في رئيس شعبك .

وكنت كثير العطن ، والشتائم تترى كل يوم ، وقالوا عني : سر كيس ابن ابليس  
وفي ١٨٩٥ نقلت المشير إلى القاهرة ، ونشرت كتاب (سر مملوكة) الذي فصلت فيه كيف  
قتل مدحت .

× منذ نشأت الجرائد العربية في الشرق لم يجتمع المال والعقل لصاحب جريدة  
واحدة . نحن في حاجة إلى حالة وسط بين مجلة الضياء مثلاً وحمارة منبقي ، كانت الحمارة تباع  
١٢ ألف نسخة من كل عدد ، وكان (الضياء) يباي المشاق في الحصول على ٥٠٠ مشترك .

× أن الصحفي هو خادم «القرش التعريفية» لأنه يعتمد في حياة جريدته على إقبال القراء  
خصوصاً غير المشتركين الذين يشتركون جريدته كل يوم ، بقرش تعريفية ، فهو مضطر أن  
يرضى ألف شخص ، فانظروا إلى مركز الصحافي المخرج ، متى استاء واحد من جريدته  
امتنع عن شرائها .

× جرائدنا العربية في وصفها وترتيبها وتبويبها وتحريرها وإعلاناتها لم تتقدم منذ  
نشأتها حظوه واحدة ، بل لا تزال على حالها كما كانت في عهد آبائنا وأجدادنا ، وأريد  
بالآباء والأجداد : اللجنة والجنان في سوريا والجوائب في الآستانة لأحمد فارس والمهروسة  
والعصر الجديد (أديب إسحق والنقاش) في مصر ، وتأخذ الجريدة العربية اليوم فتجدها  
مثل الجنان والجنة منذ ٤٠ سنة ؛ الصحيفة الأولى للمقالة الافتياحية ، وأخبار البريد ، والثانية  
لأخبار الجهات والثالثة للأخبار المحلية والتلفرافات والرابعة للإعلان .  
( م - هـ تطور الصحافة العربية )

× كان البستاني ينقل لجرائده من الصحف الانكليزية فتقرأ اسم الجنرال مولسكى هكذا ولا تزال حرائدنا حتى الآن تقول (موليك) وكان البستاني يترجم كلمات الاستحسان في خطب البرلمان ترجمة حرفية بقوله (اسموا اسموا) ولا تزال ترجمها كذلك حتى الآن .

المقالة الافتتاحية في الصفحة الأولى ، الصحف ٤ صفحات وبعضها ٨ صفحات ، لماذا لا نجمل مقالنا الافتتاحية في الصفحة الرابعة ، ومختصرة ومفيدة ، فيكون في العدد الواحد في مكان معين معروف ثلاث مقالات افتتاحية ، في ثلاث موضوعات خطيرة .

× نقش المؤيد تحت اسمه بحروف كبرى أنه جريدة يومية سياسية وتجارية ، وزاد عليها اللواء أدبية ، وزاد النير علمية والمقطم كاللواء تماما وكذلك الوطن والدستور .

× اشترك المؤيد ١٧٠ اللواء ١٨٠ المقطم ١٧٠ كاللواء ، والجريدة ١٦٠ (قرشا) مع أن الجرائد جميعا تصدر في حجم واحد تقريبا .

× المؤيد تقول أن جميع المكاتبات ترد باسم صاحب الجريدة ومدير سياستها (على يوسف) وليس في المؤيد اسم آخر ، أما في اللواء فتجد أن مؤسسها مصطفى كامل باشا وأنها لسان حال الحزب الوطني وأن جميع الرسائل ترسل باسم رئيس تحريرها ومدير سياستها المسئول الشيخ عبد العزيز جاويز ، أما الأهرام فقد اكتفت بأن المكاتبات ترسل باسم إدارة الأهرام ؛ أما المقطم فقد اكتفى بأن تكون الرسائل باسم (أصحاب المقطم) وأكتفى الوطن باسم صاحبه بحروف عادية كما فعل المؤيد والجريدة ومصر ، بينما كتبت أصحاب المقطم بحروف فارسية .

× يميل رؤساء اللواء إلى النفرة من إشراك المحررين معهم في الشهرة بل يريدون حفظها لذاتهم . وصاحب الدستور يضع توقيعه في عدد واحد على أكثر من مقال ، أما صحف اللواء والجريدة والدستور ، فإن رؤساء تحريرها يقومون دون سائر أصحاب الصحف .

## نهاية المؤيد

يصور سليم سر كيس فى مذكراته ماذا آت إليه جريدة المؤيد فى أواخر أيام منشئها وبدو فاته ؛ يقول :

ان سوء الادارة يرجع إلى أن الشيخ على يوسف جعل نفسه مديرها ومحررها فتم له ما أراد من جهة التحرير وفسد أمره من جهة الإدارة ، ولما شعر بالتأخر سلم إدارتها إلى اسكندر طراد المحامى ثم عبد الخالق مدكور ، ثم عهدوا برئاسة محرر المؤيد إلى حامد ابراهيم كل مدة حرب البلقان وحرب طرابلس والحرب الأوروبية الحاضرة .

فاذا جاء روتر بتلغراف « أن السير إدوارد جراى ألقى خطبة فى ( البارلمان ) عن الحالة السياسية صدرت الأهرام وفى صدرها تعليق على ذلك بقلم داود افندى بركت رئيس تحرير الأهرام ، وهو رجل قضى نحو الثلاثين عاما فى مطالعة الصحف الأوروبية والوقوف على آراء رجال السياسة ثم هو يطالع فى الأسبوع ٢٠ جريدة ومجلة أوروبية ويستوعب ما فيها .

ويصدر المقطم وفى صدره تعليق على ذلك التلغراف بقلم الدكتور فارس نمر الدكتور فى الفلسفة والعارف بالامات الكثيرة والذى قضى نحو ٤٠ سنة فى المطالعة والكتابة ثم يصدر المؤيد وفيه تعليق على ذلك التلغراف بقلم الشيخ حامد ابراهيم وهو لم يقرأ أصل التلغراف بل ترجمه ولا يعرف لغة أجنبية ولاقرأ جريدة أو مجلة سياسة وإنما اكتسب بمض معلومات عن السياسة من مطالعات مقالات الأهرام والمقطم .

سليم مكاريوس قضى شطراً من عمره فى أوروبا لدراسة الصحافة وعاد إلى مصر ملأ القاهرة من أولها إلى أصفر حاراتها ببيعة المقطم حتى لقد نسمع نداء عليه مع نداء باعة اللبن . وظل مشرفاً بنفسه على البيع .

× محمد رشاد القاضي وحفي ناصف : أنى أكثر الناس احتراماً وتقديراً لرشاد بك وحفي بك ، الأول قاض نزيه وحفي منصف فيور والثانى علامة لنوى مفضل وشاعر رقيق ولكن تحرير المؤيد ليس قضاء ولا رحلة ولا رساله لنوية ولا قصيدة عزاء ؛ تحرير الجرائد يستلزم معركة اللغات والمهمة والثناء .

× مدير إدارة المؤيد يجب أن يكون مسيطراً على التحرير متى كان قادراً خيراً بكون مسئولاً من رواج الجريدة وبعلم أن قلم التحرير إذا أهمل أو أساء أو بالمصاححة المالية .

× لو كنت مديراً لإدارة جريدة لا أسمح لقلم تحريرها أن يجمل مقالاتها الأولى فى الصيام وواجباته أو أسقف اليوم . . فى نفس اليوم الذى تكون تلفرافات روتر قد حملت أبناء سقوط موناختير والاستيلاء على حصن كذا . « هذه خطرات صحفى حشرى » .



# إطار لصورة العصر والمجتمع

من خلال الصحافة العربية في مصر

من الاحتلال إلى أوائل الحرب العالمية الأولى ( ١٨٨٢ - ١٩١٤ )



## الأزهر

كان الأزهر قد أبرز في خلال هذه المرحلة مجموعة من الأعلام ، بدأ ذلك بظهور : حسن المطار وتلامذته ، وفي مقدمتهم رفاعة رافع الطهطاوى ، ومحمد عياد الطنطاوى ، قصد أولهما إلى باريس وكان له دورا الضخم في الترجمة والتأليف ، وقصد ثانيهما إلى روسيا وخدم اللغة العربية ، وأبرز الأزهر حسن الطويل أستاذ محمد عبده .

ثم كانت مرحلة اليقظة التي شارك فيها جمال الدين من خارج الأزهر ، ومحمد عبده الأزهرى الذى ظل بعيداً عن مناسبات الأزهر ، مؤثراً فيه ، قاضياً وملقياً ، وكان عرابى قائد الثورة على الاستعمار البريطانى من الأزهر . وقد نفى محمد عبده بعد الثورة فأصدر مع أستاذه الأفتاى « العروة الوثقى » في باريس ثم عاد إلى مصر عام ١٨٨٦ فقاء الدعوة إلى تجديد الأزهر وكان هناك حزب يخاصم المفتى ويعارض دعوته وعلى رأسه يوسف الدجوى ومحمد بخيت .

ومن الأزهر خرج أعلام برزوا في ميادين السياسة والصحافة: إبراهيم الهلباوى وسعد زغلول وعلى يوسف وعبد العزيز جاویش وعبد الله نديم والمفلوطى وعبد الله فكرى وحمة فتح الله وحفنى ناصف ، وكان الشيخ عبده قد شارك في قانون تعديل أنظمة الأزهر عام ١٨٩٦ واشترك معه حسونه الفواوى ، وسليم البشرى ، وعبد الكريم سلمان وسليمان المبدو هو القانون الذى قدم في الأهمية مواد الأخلاق والحساب والجبر والتاريخ الاسلامى والمهندسة وتقويم البلدان

وكانت ثورة الأزهر ١٩١١ بمسند وفاة الشيخ عبده ( ١٩٠٥ ) من أبرز الثورات على تعديل أنظمة الأزهر . وكان أبرز مظاهر الحياة المتجددة في الأزهر : « الرواق العباسى » حيث كان الشيخ محمد عبده يلقي دروس التفسير وهى دروس جددت

مفهوم القرآن مرتبطا بالحياة ، كان الشيخ يلقيها بعد المغرب ، ويقوم عليها بعض الحراس فلا يسمح بحضورها لأحد إلا بإذن منه ، وقد إختار لها صفوة من الشباب المقتبح ، حتى أن ( رشيد رضا ) الذى كان قد اقترحها على الشيخ المفتى ، عند ما حاول تقديم ( عبد العزيز جاويز ) ليحضر هذه الدروس ، طلب منه الشيخ محمد عبده أن يسأل ( جاويز ) عن الفترة التى قضاه فى الأزهر ، وهل كانت طويلة أو قصيرة ، فلما علم أنه أمضى فى الأزهر مابين أو ثلاث ، قبله فى الحلقة ، وفى الرواق العباسى فى الصباح كان يلقى الشيخ سيد المرصى تفسير الحماسة ، أو تفسير المفصل للزغشرى .

\* \* \*

(٢) وقد رسم إبراهيم اللويلهى صاحب جريدة مصباح الشرق<sup>(١)</sup> صورته مجلس من مجلس العلم فى الأزهر الشريف قال : قال صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى حديث له مع العلامة المحقق أمام اللغة والأدب الشيخ محمد محمود الشنقيطى أن يحيى ابن الامام مالك رضى الله عنه جاء إلى مصر ومات فيها ، فقال الشيخ الشنقيطى بل الذى جاء إلى مصر أخوة محمد فقال شيخ الجامع ويجوز أن يحيى جاء أيضا ومات فيها ، فاجابه الشيخ الشنقيطى أن باب الجواز واسع جدا يدخل منه مالك نفسه وغيره فى الجىء إلى مصر واسكن لا تقبل إلا ما أثبتته الثقة ، وأن كثيرا من الأخبار ينقل غير صحيح ، وقص عليه قصة أبى حنيفة وقتادة التى ذكرها الزغشرى فى السكشاف وسها عن الغلط الذى فيها . وهى أن قتادة دخل السكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم ، وكان أبو حنيفة رضى الله عنه حاضرا وهو غلام حدث ، فقال سلوة عن نعمة سليمان ، أذكرأ كانت أم أنثى ، فسألوها فأخجم ، فقال أبو حنيفة كانت أنثى ، فتبيل له من أين عرفت فقال : من كتاب الله وهو قوله قالت نعمة ، فلو كانت ذكرأ لقال : قال نعمة ، ذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة . وأبو حنيفة رضى الله عنه أجل قدرا وأوسع علما من أن يفوته أن التاء فى قالت لا تدل على

تأثيث علة لأن الغاء في علة للوحدة لا للتأثيث ، والقصة مكذوبة على الإمام الأعظم بدليل أن الاستدلال الذي يليق بالإمام بأنها أنثى موجود في قوله تعالى ( فتبسم ضاحكا من قولها ) فجادله بعض جلاس الشيخ جدالا قطعة انصاف العالم الموفق الشيخ محمد بن حنيت باستصواب ما قاله الشيخ الشنقيطى ، ثم سأل بعضهم عن حوت يونس أذكر هو أم أنثى ، فاستدل الشيخ الشنقيطى على أنه ذكر بالضمير في قوله ( لالت في بطنه إلى يوم يبعثون ) ثم قص الشيخ الشنقيطى قصة أخرى مكذوبة على الإمام الأعظم رضى الله عنه وهى ما نقله الإمام الحافظ في كتابه عقود الجمان في مناقب أبى حنيفة الغمان الخ .

\* \* \*

(٣) وفي مؤتمر اللغات الشرقية الذى عقد في هيمبرج (ألمانيا) سبتمبر ١٩٠٢ أنقى «معطى بيرم» رسالة عن الدراسة فى الأزهر قال فيها :

أن الدين الاسلامى الحنيف لا يجمع من تعلم أى علم من العلوم المعروفة الآن بين الأزهر بين بالعلوم الحديثة . كالرياضيات والطبيعىات والعقليات ، ومن كان فى شك مما نقول فاعليه إلا أن يلقى نظرة على تاريخ القرون الأولى من الإسلام ومحافظاتها على الدين مشهورة ، فيرى أن جيدها كان مزدانا بسكثير من فحول العلماء الذين نبغوا فى هذه العلوم وألّفوا فيها المؤلفات العظيمة . كانت العلوم الفقهية من رياضية وغيرها تدرس فى الأزهر ولكن المشتغلين بها نذر من الطلبة ، وأخذ القول بحرمة بعض العلوم العقلية يتسرب شيئا فشيئا إلى الأزهر كما تسرب إلى غيره من الجوامع الاسلامية حتى تركت هذه العلوم فى الأزهر شيئا فشيئا .

ولكن بفضل الله وكرمه لم يطل الأمر كثيرا حتى قيص الله لنا من علمائنا الأعلام من تنبه لأسباب تأخرنا العلمى وأخذوا فى السعى لإعادة تدريس تلك العلوم النافعة القوية الملائكة الفذهنية ؛ ولخشية المفاجأة بإعادة تدريسها للجامع بمد مارسخ فى أذهان السكثيرين أن ما بها يعدو على الدين ، رأى ولاية الأمور أن يمهّدوا السبيل لإدخالها فى الجامع الأزهر يأخذ رأى أفاضل العلماء الأزهريين ، فسكلموا والذى المرحوم السيد محمد بيرم ( من مدرسى جامع

الزينة ومدير الأوقاف التونسية وقاضى محكمة مصر) بهاته المهمة العلمية، وبعد أخذ وعطاء بينه وبين الشيخ محمد الانبأى شيخ الاسلام بمصر، والعلامة محمد البنا مفتى الديار المصرية فى ذلك العهد، استقر رأى أن يكتب لهم استفقاء هذه صورته بعد الديباجة :

\* \* \*

« ما قولكم رضى الله عنكم : هل يجوز تعلم المسلمين العلوم الرياضية مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعات وتركيب الأجزاء المبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف لاسيما ما يبنى عليه زيادة القوة فى الأمة بما تجارى به الأمم المعاصرة لها فى كل ما يشمله الأمر بالاستعداد ، بل هل تجب بمضى تلك العلوم على طائفة من الأمة بمعنى أن يكون واجبا وجوبا على نحو التفصيل الذى ذكره فيها الامام حجة الاسلام الغزالى فى أحياء العلوم ونقله علماء الحنفية أيضا وأقروه، وإذا كان الحكم فيها كذلك فهل يجوز قراءتها مثل ما تجوز قراءة العلوم الآتية من نحو وغيره الرائجة الآن بالجامع لأزهر وجامع الزينة والقروين وغيرها؛ أفيدو الجواب ولا زلتم مقصدا لأولى الألباب .

\* \* \*

فأجابه الشيخ محمد الانبأى بالفتوى التالية بعد الديباجة :

يجوز تعلم العلوم الرياضية ، مثل الحساب والهندسة والجغرافية لأنه لا تعرض فيها لشيء من الأمور الدينية بل يجب منها ما تتوقف عليه مصلحة دينية أو دينوية وجوبا كفاثيا ، كما يجب علم الطب لذلك ، كما أشار الغزالى فى مواضع من الأحياء ، وإن مازاد على الواجب من تلك العلوم مما يحصل وزيادة النكس فى القدر الواحد فتعلمه فضيلة ، ولا يدخل فى علم الهيئة الباحث عن أشكال الأفلاك والكواكب وسيرها علم التنجيم المسمى بعلم أحكام النجوم وهو الباحث عن الاستدلال بالمشكلات الفلسفية على الحوادث المستقبلية فانه حرام كما قال الغزالى وعلل ذلك بما حصله أنه يخشى من ممارسته نسبة التأثير للكواكب والتعرض للأخبار بالمغيبات مع كون الناظر قد يخطئ لظفاء بمضى الشروط ، أو الأسباب عليه لدقتها . أما الطبيعيات وهى الباحثة عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية إستحالتها وتغيرها كما

في الأحياء (باب العلم) فإن كان ذلك البحث عن طريق أهل الشرع فلا منع منها ، كما أفاده العلامة شهاب الدين بن حجر ، بل لها حينئذ أهمية بحسب أهمية ثمرتها كالوقوف على خواص المعادن والنبات للتمكن من علم الطب ولمعرفة عمل الآلات النافعة في مصالح البناء ، وإن كان على طريقة الفلاسفة فلا اشتغال بها حرام لأنه يؤدي للوقوع في العقائد المخالفة للشرع .

(وعرض لملم تركيب الأجزاء المعبر عنه بالسكيماء فأجازها) وقال: فلم أن العلوم الرياضية لا بأس من قراءتها كما تقرأ علوم الآلات .

وكذا الطبيعيات وعلم تركيب الأجزاء حيث كانت تقرأ على طريقة لا يفهم منها منافذة الشرع بحال كبقية العلوم العقلية مثل المنطق والسكلام والجدل ، بل يجب كفاية من هذه الثلاثة ما يحتاج في الحجاج عن العقائد الدينية والله سبحانه وتعالى أعلم .

\* \* \*

وكتب العلامة الشيخ محمد محمد البنا مفتي الديار المصرية في ذلك العهد بالفتوى الرسمية الآتية رقم ١٧١ :

« إفادة حضرة الأستاذ شيخ الإسلام موافق لذهبتنا ولما استظهره من أن الخلاف الجاري في علم المنطق يجري في علم الطبيعة أيضاً ، ولم يتقرر رسمياً إدخال هذه العلوم إلا في ٢٠ محرم ١٣١٤ فأصبحت العلوم التي تدرس في الجامع الأزهر الآن شاملة للعلوم الدينية وآلاتها ولبعض العلوم الدنيوية وغيرها من العلوم النافعة التي كانت غير متداولة في الأزهر كتاريخ الإسلام وسفاعة الإنشاء قولاً وكتابة واللغة فناً وأدباً ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان .

ولتنشيط الطلبة على الاجتهاد في هاته العلوم المدخلة حديثاً أوجد أولو الحل والعقد وتخص فهم العلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حالياً مبلغاً مالياً قدره ستمائة جنيه سدوياً يعطى مكافأة للتابعين في هاته العلوم .

(٤) حاول الخديو عباس حلمى الثانى فى مذكراته تصوير موقف الأزهر من وجهة نظره الخاصة قال : كان المشايخ من جانبهم يقومون لى بدور همزة الوصل بينى وبين الجنود ، ولعلمهم لم يكونوا كالأخرين فى تنزههم عن الغرض ، فان الإيمان لا يكفى دائماً لإطعام رجال الدين ومهما يكن إعجابهم بمسرات الفردوس فانهم لا يكرهون أن يتبعوا الطرق التى تقود إليها على خير ما يسمهم من رفاهية ورغد . إني ما حصلت من الأزهر على شئ . دون أن أكون قد اشتريت مساهمة العلماء من أعضاء هيئة كبار العلماء المستولة عن إدارته بمنحه مالية .

(٥) وقال حاولت تجديد الهواء فى ذلك البيت القديم : الأزهر الذى لم يشأ أن يتطور مع الزمن فى الوقت المناسب والذى سيجد نفسه مضطراً ذات يوم إلى قبول نظم جديدة ثابتة من خارج هيئة كبار العلماء يوم تولد الثورة داخل هذه المؤسسة التى جحدت التطور . ولا ريب أن ما ذكره عباس حلمى كان حملة حاقدة ، فقد كان الأزهر دائماً مصدر انثورات الوطنية والمقاومة للظلم والاستبداد ، وكان ملاذ الحرية والمقاومة ، ولقد كان عباس حلمى من كبار الداورين المناورين وكانت موافقة مع الشيخ محمد عبده تدل كلها على رغبته فى تأكيد سلطانه وتقوذه .

\* \* \*

أشارت الصحف إلى ( جرایة الأزهر ) .

فى ١٩٠٩ أشار أحمد فتحي زغلول وكيل وزارة الحفانية فى تقريره إليهما فقال : أنه يردهلى الأزهر يومياً ٢٤٤٩٦ رغيفاً منها ٤٠٣٣ رغيفاً من ديوان الأوقاف ، ٥٢٨٩ من وقف عباس باشا الأول ، و ١٥٠٠ من وقف أحمد راغب و ٤٥٣٦ من وقف أوتوزير ، و ٢٤٩٠ من وقف زينب هانم كريمة محمد على باشا و ٥٢٨ من وقف راتب باشا و ٤٦٤ من وقف سلطان باشا ، و ٤١٤ من وقف الحاج عبده ، و ٥٥٥ من وقف جميلة هانم اسماعيل ، و ٦٠٠ من وقف عمر لطفى باشا و ٣٤٥ من وقف الحاجة رشيدة ، ولقد ردت اللجنة ثمن



الأرغفة بمبلغ ١٥٦٠ جنيه في السنة يدفع منها ديوان الأوقاف ٢٦٠٠ جنيهاً .  
وقد أشار مصطفى بيرم في رسالته عن الجامع الأزهر التي قدمها إلى مؤتمر المستشرقين بمدينة هامبورج ١٩٠٢ إلى ذلك فقال فقال : المستحقون من الطلبة للجراية محصور عددهم فلا يأخذ الطلبة كلهم جرايات بل الجراية لا تصرف إلا للمدد الممين في وقفية الواقف وما زاد على ذلك المدد يبقى منتظراً حتى يخلو محل ، وعندئذ تعطى له الجراية ، وأقل مرتب يأخذه الطالب نصف رغيف من الخبز وأكثره ستة أرغفة في اليوم أما العلماء فلا ينقص نصيب أحدهم عن عشرة أرغفة في اليوم .

X وأشارت الصحف إلى أن جراية الأزهر عام ١٩٢٨ (٥٢ ألف رغيف في اليوم) يبلغ عنها ٢٢ ألف جنيه في السنة ، وأن أول عمل للشيخ محمد مصطفى المراغي بعد تولي منصب شيخ الأزهر أن تنازل عن الجراية المقررة له وأمر بتوزيعها على فريق من الطلبة ، وبدأ بهذه بأبطالها . وقال الصحف : أن خبز الأزهر من أردأ ما يخبز في القاهرة وكثير من الحاورين يبيعونه بأنفسهم أو بواسطة النقباء بثمن بخس .

\* \* \*

(٦) أشارت الصحف عام ١٩١٠ إلى علامة من رجال الأزهر استطاع أن يحرز درجة عالية في الطب هو « الشيخ حامد والي » أستاذ العلوم العربية بمدرسة اللغات الشرقية في برلين ، وقد أمضى امتحان الدكتوراه في علوم الطب بدرجة فائقة ، ونشرت الصحف الألمانية عنه فصولاً مطولة حيث لم يسبقه طالب في كلية الطب بعاصمة ألمانيا .

وقالت جريدة العلم : أنه من متخرجي الأزهر ومدرسة دار العلوم : أحرز الدكتوراه في العلوم الطبية ، وهذه أول مرة أعطت جامعة برلين أعلى درجة شرف تمنحها الكليات لأزهري في العلوم الطبيعية وفن الطب منذ المصور المتوسطة .

أما الرسالة التي تقدم بها فتشمل على دراسة من كتاب تاريخ الأطباء لابن أبي أصيبعة

الطبيب العربى المشهور ، وتاريخ أربعمئة طبيب عاشوا فى عصور مختلفة وظهروا فى أمم متعددة مع بيان مؤلفات كل منهم وبيانات ذات شأن من تاريخ الطب اليونانى .

وقد ولد حامد والى فى ٢٢ ديسمبر ١٨٧١ فى بلدة بيت أبو على ( شرقية ) ووالده الشيخ حسن والى كان مدرسا بالأزهر والمدرسة الخديوية ، وقد تعلم الدكتور الأزهرى فى الأزهر ١٨٨٤ وفى عام ١٨٨٨ دخل دار العلوم ثم عمل مدرسا فى المدارس الأميرية وفى ١٨٩١ أرسلته الحكومة المصرية مدرسا للغة العربية فى مدرسة اللغات الشرقية ببرلين (٧) أولت الصحف إهتماما بالشيخ محمد بحيث ( توفى فى ١١ أكتوبر ١٩٣٥ ) .

فقات عنه الأهرام : أنه كان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التى قام بها الشيخ محمد عبده ، وقد دفعه إلى تلك المعارضة شهوة المنافسة وتحريض أولى السلطان ، وكان فى نفسه طموح إلى مساماة الإمام فى منصبه وتقوذه وشهرته ، وهو من أعلم أهل جيله بدقائق الفقه الحنفى وأبسطهم لسانا فى وجوه الخلاف بين الشافعى وأصحاب أبى حنيفة .

ولد ١٨٥٦ — واشتغل بالتدريس فى الأزهر والقضاء وفى ١٩١٤ عين مفتيا للديار المصرية وأحيل إلى الماش ١٩٢١ .

\* \* \*

(٨) نمت النار (م ٢٠ — ١٩١٧) أحد أعلام الأزهر وصديقا من أصدقاء الشيخ محمد عبده « عبد الكريم سلمان » فأشارت إلى صلة الصداقة بينه وبين المفتى ، وأنهما كانا يسكنان فى حجرة واحدة ، وقال رشيد أنه كان أذكى من محمد عبده ، وقد حملا معا فى الوقائع المصرية ، ثم خلف عبده بعد اعتزاله العمل ، وأنه ساعده فى إصلاح الأزهر وألف كتابا فى ذلك . وله مقالات متفرقة فى الصحف كالوقائع ومجلة الآداب والمؤيد والمقطم . يقل فيها ما هو موقع منه أو معزو إليه

(٩) وفيما يتصل بصلة الشيخ محمد عبده بالجريدة الرسمية «الوقائع المصرية» قالت الصحف<sup>(١)</sup> .

أنه عين محرراً ثالثاً في الجريدة الرسمية وأن رياض باشا رئيس الوزراء إذ ذاك هو الذي اختاره ، وكلفه بتقديم تقرير ضاف لترقية تحرير الوقائع المصرية ، عين بعدها رئيساً لقلم تحرير الجريدة الرسمية وسمى المحرر الأول ، وعمل معه : سعد زغلول وعبدالكريم سلمان وسعد وفا وإبراهيم الهلباوى وكانوا جميعاً من تلاميذ جمال الدين الأفغانى وقد بدأت الجريدة فى إنتقاد « ما تراه منتقداً فى الأعمال والمكتوبات الرسمية » وأعطى لرئيس التحرير الحق فى أن تخصص قسماً من الجريدة غير رسمى ينشر فيه لنفسه وزملائه ما يرى فى نشره وأذاعته وسيلة إلى الإصلاح المنشود .

وقد كتب محمد عبده فى شؤون الإصلاح كثيراً ، ومن ذلك كتابته فى دعوة الفلاحين إلى هدم النفور من الأعمال التى يكلفون بها ، وكتب عن الثقافة والتعليم مقالات طويلة .

## المراة

أولت الصحافة في هذه الفترة اهتماما كبيرا للمرأة العربية: تلميذها وتحريرها وسفورها، وكان رفاعة رافع العظمطاوى هو أول من دعا إلى تعليم المرأة<sup>(١)</sup> في العقد الثالث من القرن التاسع عشر في كتابه المرشد الأمين للبنات والبنين ، وقد حرصت الصحف والمجلات على تناول هذا الموضوع من بعد حتى صدر كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين عام ١٨٩٩ فأنار نجة كبرى ، بل إن الجبرتي قد أولى اهتمامه بالمرأة ، فقد أشار توفيق حبيب في هامش الأهرام إلى ذلك حين قال : إن الجبرتي أورد في كتابه تراجم كثيرة من سير النساء المعروفات من حريم بعض الولاة والأمراء والسفاجق والمعلماء وصور «السيدة المصونة والجمهرة المكنونة» ، وأنها كانت من خيرة أهل زمانها ، ولم تخرج إلا من بيت أبها إلى بيت زوجها ، ثم من بيت زوجها في نمشها إلى قبرها .

\* \* \*

ويمكن القول بأن عالما بارزا من علماء الأزهر قد سبق أيضا قاسم أمين في الدعوة إلى « حقوق النساء » في رسالته التي تقدم بها إلى مؤتمر المستشرقين في استوكهولم عام ١٨٨٩ ، ذلك هو الشيخ حمزة فتح الله بمفوان « باكورة الكلام على حقوق النساء في الإسلام » والشيخ حمزة إذ ذاك هو المفتش الأول للمعالم بنظارة المعارف والمدرس بمدرسة العلوم الخديوية قال : أشار على من إشارته أمر أن أكتب شيئا في شأن النساء في الإسلام مما يختص بالعناية بهن وما توجب الشرعة للطهره من حقوقهن ، وفقا لما يتوهمه بعض

---

(١) راجع كتابنا ( الفكر العربي للعاصر ) و ( الفرق في فجر النهضة ) .

الأجانب من أن النساء في شريعة الإسلام كالبهائم أو النعم السوائم ليس لهن رعاية ولا بهن حفاية وكانت تلك الإشارة قبيل الرحيل بزمان قليل فسكتبت ما يسره الله تعالى .

وقد أورد في رسالته بعض من نبغ منهم في العلوم ، وأحرزن نصب السبق في المنطوق والفهوم وأخذ عنها جهاذة الرجال من العلماء الأعلام ، وقال « إن طلب العلم مشترك الوجوب بين الرجال والنساء ، وبناء على هذا الأصل الديني ، فقد طالما برع منهم كرائم آربين في العلوم على ذوي المهائم ، وتوارىخ الأمة عابقة بعبيرهن ذكرأ ، زاهية بأخبارهن زهراً ، بل قد خصهن بعض أئمتنا بالتأليف وبعضهم خصص به المحدثات منهن ، وبعض كذلك لكن بوجه مخصوص التزمه كصاحب مسند النساء وهو مجلد ضخيم التزم فيه مؤلفه ذكر الأحاديث التي روتها امرأة عن امرأة ، من غير أن يكون في سندها رجل إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما تواليمن في الأدب والسفر والإنشاء وسرعة البديهة ، فهو بلا ارتياب عديد التراب أو فطر النعام أو زهر السكائم .

وقال : إن من أخذ عنهن الرجال الأعلام كريمة بنت محمد بن حاتم المرزوية ، وزينب بنت أبي القاسم ، وشهادة الكاتبة ، وزينب بنت عبد الله بن عبد الحليم « وقد لقي بحث الشيخ حمزة فتح الله اهناهما كبيراً حتى أن أحمد مدحت رئيس الوفد الماني في المؤتمر قال : إن العالم الشيخ حمزة بسبب مؤلفه المختص بشئون النساء المسلمات وواجباتهن وما لهن من الحقوق قد أحرز المجد وحظى بمزيد الشرف بحل هذا اللغز وكشف ذلك المسمى والمشور على تلك الصالة التي لم تزل منشورة لأوربا ولم يسبق لها حل معضلها إلى الآن وكلهم يعلم أن أوربا لم توجه أفكارها للدرس ما يختص بالأمور الشرقية إلا منذ عهد قريب وإلى ذلك العهد لم تكن أوربا تحمل للشرق إلا سورة مجهولة أو شواء غير ذي مدح ولهذا لم توجه عنايتها نحوه ولا أعدت نفسها في معرفة حقيقة .

وجمة القول أن المراء المسلفة على ما ذكرها ، قاصرة للرجل إلى شهواته لتقضاء أوطار زوجها

أو سيدها ولم يملوا أن المرأة المسلمة لو كانت في حقيقة الأمر كما قالوا لم يكن الفرق  
الفرق هو مطلع شمسها ومدرج عشمها جديراً بأن توجه إليه عنايتهم ولا أهلاً لمطوح  
أنظارهم إليه ، وهل من المحتمل أن ينتج عن تربية امرأة بهذه المناسبة محررة مما يظنون  
من كل فضيلة سوى ذلك الغرض الشهواني ، بنون صالحون للخطط السنية والمناصب العالية  
أو نواد ماهرين أو علماء نبغاء أو شعراء بلغاء أو جهابذة فضلاء .

وقد بلغ من عناية العرب بهن أن شعراءهم يرون أن مدائحهم لا تحوز القبول  
ولا تحظى بالصلوات ، ولا يصاح لها بالأسماع إلا إذا صدرت بالنسيب واستهلكت بالنزل  
وافتمعت بأنواع التشبيب . فيكون ذكر عاصمهن في الأماديج داعية إلى سماع القصد  
بتمامه كإرفع الإسلام الواد وأشار إلى حديث الرسول : حبيب إلى من دنياكم ثلاث  
القضاء والطيب وجملت فرة عيني في الصلاة .

وقال أن مانعت إليه الشريعة من أن يغتربوا ولا تضوا وحض الناشئة على ترجيح  
ذات الدين على ذات المال والحسب ، وعلى أن لا يكون الزوج من القرابة لئلا يخلق  
الولم ضاويأ أى تخيفاً وعلى الرجال أن يراعين خصال الزوجات على حسن الخلق ممن ،  
وأن يلفظوا بتلطفوا في تأديب أولادهم ابنه بالوعظ والتحذير .

وقال : إن التربية في الإسلام ليست قادرة على إصلاح الأجسام وتزقيف العقول بالعلوم  
والمعارف بل التربية في شريعتنا أوسع نطاقاً ، والإسلام يعمد إلى انتقاء المقاتل وإصطفاء  
المكرائم .

X وفي عام ١٨٩٤ وضع مرقص فهمي الهامى كتاباً في قالب رواية بعنوان ( المرأة  
في الشرق ) تحدث فيه عن تعليم المرأة ورفع الحجاب والاختلاط وضرر الزواج بأكثر  
من واحدة وجنل حق الطلاق من حقوق الزوجين وأوجب طلبه من سلطة القضاء .

X وفي عام ١٨٩٩ بدأ المؤيد بنشر فصولا من كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين، وسنم (الأهرام) مثل ذلك ، فقد كان قاسم أمين يلتقي بالصحفيين البارزين ويمرض عليهم خلاصات من آرائه يهد بها لنشر كتابه .

X وفي يوم ١٥ مايو ١٨٩٩ كتب الشيخ علي يوسف في المؤيد يقول :

ألف العالم الفضال والكاتب المجيد صاحب العزة قاسم بك أمين كتابا جليلا في أمم مواضيع الهيئة الاجتماعية بوجه عام ، باسم « تحرير المرأة »، مثل فيه المرأة السليمة أوضح تمثيل حيننا أن الحالة السيئة التي سارت من مميزاتنا هي السبب الأول في تأخر العالم الإسلامي الحاضر وسأل كل الذين يهمهم شأن مستقبل الإسلام أن يعملوا لتحسين حال المرأة وتحريرها من رقة ما هي فيه جهد استطاعتهم .

قال المؤلف « قد طرقت بابا جديدا من أبواب الإصلاح في أمتنا والتمست وجها جديدا من وجوهه في قسم من أفراد الأمة له الأثر العظيم في مجموعها وأتيت في ذلك بما أظنه صوابا فإن أخطأت فإني من حسن النية ما أرجو منه غفران سيئة خطأي وإن أصبت كما أظن وجب على أولئك التلمذ أن يعملوا لنشر ما أودعته في هذه الوردقات وتأنيده بالقبول والعمل . . . إننا نظن أن يكون ظهور هذا الكتاب مصدرا لتغيير عظيم في أفكار أمة ينشأ عنه فيما بعد تغيير أعظم في أخلاقها .

X وفي ٢٠ مايو نشرت المؤيد تحت عنوان : ترقية شأن المرأة وتحريرها بحمنا قالت أن مؤلف تحرير المرأة يبحث في شؤون المرأة وما هو مركزها في الجمعية البشرية بالنسبة للرجل ووظيفتها في العائلة وما وجهت إليها الشريعة الفراء من تكاليف وأسندت إليها من وظائف .

X ثم نشر في ٢٨/٥/١٨٩٩ المقال الثالث تحت عنوان تربية المرأة وتحريرها .

X وسادت فترة صمت حتى جاءت افتتاحية المؤيد في ١٩ أغسطس ١٨٩٩ تحت عنوان : تحرير المرأة والحجاب وكان كتاب قاسم قد صدر فعلا وأصبح في أيدي القراء . قالت : ما أكثر الذين نحرشوا للرد على حضرة الكاتب الفاضل قاسم أمين صاحب كتاب تحرير المرأة ، ولكن ما أقل المهذبن المتأدين منهم .

وقد وردت علينا عشرات الرسائل في الرد على مواضيع ( تحرير المرأة ) ولكن أكثرها كان شططا ولنظا أو مهارة ، وهذرا فضرربنا بها عرض الحائط وتركنا كاتبونا يرموننا بالتحيز لحضرة المؤلف ، أما الآن فقد وافقنا الذين يفهمون القول فيقتبعون أحسنه ويساجلون مناظريهم على شروط آداب البحث ، وقد نشرناها مسرورين مؤملين . أن تلك الفسكرة الشريفة التي بعثت حضرة المؤلف على تأليف كتابه تأخذ بتتابة النقط خطها من التفتيح حتى تظهر فتظهر الحقيقة وتعي بها الحقيقة التي تصونها الشريعة الإسلامية القراء وتطلبها مصالح المسلمين مجردة عن لوث الأوهام .

X وفي ١٣ سبتمبر ١٨٩٩ تردد الكلام عن ( الحجاب وتحرير المرأة ) ونشرت المؤيد رسالة من ( عبد القادر حمزة - دمنهور - أحد طلبة مدرسة الحقوق الخديوية ) وهو عبد القادر حمزة صاحب جريدة البلاغ فيها بعد ونشرت في ١٤ ، و ١٦ ، و ٢٤ ، ودود . وتقد وفي يوم ٢٦ مقال في فصل الخلاف في تحرير المرأة لكاتب من طمها ، وقد أشار إلى هذه الحركة ( توفيق حبيب ) فقال : بدأ قاسم أمين التحرير بالعربية مستترا ، ونشرت في المؤيد ١٨٩٦ ثم في سنة ١٨٩٧ فصولا تحت عنوان « أسباب ونتائج » وأخرى تحت عنوان « أخلاق ومواعظ » وكانت هذه الرسائل جديدة في الأسلوب وفي طريقة التشكير وفي وصف الشخصيات فأحدث خجة في الأوساط الأدبية والسياسية .

X ثم بدأ ( محمد علي كامل ) والد الأستاذ محمود كامل الهامي والكاتب المعروف وصاحب مجلة الجامعة ، يجمع رسائل قاسم أمين ونشرها في كتاب واحد صدره عنده ١٨٩٨ .



يوصف أنها لفاضل مصرى ، ولم يعرف الجمهور أنه لقاسم أمين إلا فى اليوم التالى لوفاة ، وفى مطبعة الترقى الصغيرة لصاحبها محمد على كامل بجوار محل سوممان الساعاتى نشرت الطبعة الأولى من كتاب تحرير المرأة ١٨٩٩ ، ثم وسع محمد على كامل مطبعة الترقى وكانت فى مكان مجلات أورزى باك ( عمر أفندى ) فى شارع عبد العزيز ، وكانت مطبعة الترقى سنة ١٩٠٠ أكبر وأكمل وأغنى مطبعة عصرية مديرتها مصرى فى القطر المصرى وخرج بخسارة ألوف الجنيهات .

X فى هذه الفترة كانت هناك مجلات شهرية تصدر فى مصر باسم المرأة ، وتصدرها نساء كاتبات شاميات ومصريات منها هند نوفل واسكندرية أفريتو وليبية هانم .

غير أن هذه المجلات النسائية كان محررها فى الأغلب رجال كما ظهرت كاتبات أمثال ، توفيق فواز العاملية ( من الشام ) وفى السنوات التالية ظهرت رحمة صروف التى كانت تكتب فى المقطم وترجم مقالات من اللغة الإنجليزية ( ١٩٠٨ ) وسارة الميهى التى كانت تكتب فى جريدة العلم ( ١٩١٠ ) متعددة عن الحضارة والأخلاق وقد أسدرت من بعد مجلة نسائية .

وفى هذه الفترة ظهرت باحثة البادية ( ملك حفنى ناسف ) فكتبت فى الصحف وألفت محاضرات فى الجامعة ١٩١١ قالت فى إحدى خطبها : إن كان لفئة ما أن تجتمع وتبحث فى حقوقها فلا أحق منا نساء مصر وفتياتها أن نكون تلك الفئة ، فإننا على درجة من التأخر تؤلم نفس التفكير فيها وترجع خطوات واسمات عن سبيل التقدم ، وللتربية عندنا إحدى طريقتين : إما القسوة وأما التدليل وكلاهما مضر فالقسوة ترقى الطفل وتعلمه القل ، والتدليل يطرأ به فى مهواة الغرور ، وقد جمعت باحثة البادية مقالاتها هذه فى كتابها ( النساءيات ) طبع فى مطبعة الجريدة وقدم له ( لطفى السيد ) وكتب عنه عبد العزيز جاديش فى جريدة العلم مثنياً ، وكتب عبد الكريم سلمان فى تفريط هذا الكتاب يقول : يمكننى أن أذكر

شيئا سمعته من أن رجلا لقينته في حياتي وكانت سنة إذ ذاك تتجاوز مائة عام وسني سبعة عشر على التقريب . قال ذهبت إلى الأسواق ورجعت حائرا في أمرى ، رأيت امرأة في السوق وما عهدتها قبل هذا النهار إلا قعيدة البيت ، فابن المرأة التي حدث عنها عدنى هذا وزمانها لا يتجاوز المائة والعشرين سنة ، وقد كان مقرها كسر بيتها تخرج منه إلى قبرها وابن المرأة في هذا الزمان ، فقد نراها على وشك الاسفار حاملة قطرها ذاهبة إلى مجمع فيه كثير من النساء يمددن بالثبات وفيهن كثير من المتعلمات فتقعد بينهن على مفير الخطابة ( يقصد ملك حفنى ناسف ) فتأبرى بلا مبالاة على خطتك هذه وأحمى أذنيك من لؤم اللامعات ، وقال : لم تنس ما جرى يوم سافرت بنت المرحوم مهدي ( أبو ياقنة ) لطلب العلم في الخارج ورأينا بناتنا ناظرات مدارس ثانوية ومفتشات .

ولا ظهرت في هذه الفترة فريزة على فوزى (العلم ١٩١١) فهاجمت الاستعمار البريطاني .  
لهذه التربية الإسلامية من مبر المدرسة المصرية كما ظهرت للاقامم الشماخية (العلم ١٩١١) .

ولها بحث عن المرأة في جريدة العلم (١١ يوليو ١٩١١) تقول : ظهر لقادتنا العالمين أن من أمم البواحت على انحطاط الشعب جهل المرأة . ولم يرى أنهم أصابوا كبد الحقيقة ولكن أين الدواء لهذا الداء ، قد يقال أن المدارس الأهلية آخذة في ( إعداد شعب راق ) من نساء المستقبل ولكن الظواهر تدل على خلاف ذلك ، لأن البرامج التي أعدت لتعلم البنات تكاد تكون واحدة وواضحة واحد ونحن نعلم ما هي عليه من النقص المريب . لا يخفى أن المرأة نسخة من الرجل ، وعندما أشرقت شمس الإسلام رفعت المرأة السلسلة من الوهد إلى النجد لأن الله منعها من الحقوق وخولها من المراكز ما كانت تهنهم به أو يخطر على بال .

ظهرت هذه الحقوق ( الجديدة ) لنا معشر النساء للسلطات منذ ألف وثمانمائة وعشرين سنة فقام رجالنا بما يجب عليهم إزائنا . ولم ير الرجال بدا من تعاليم النساء حتى العلم مع الاحتفاظ بالمرض والافتقار في النيرة على ناموس الشرق ، فنبذت النساء نبوغا عظيما حتى سارت الرجال من الرجال تشد إلى بعضهم ليستقوا من نهر علومهم .

ولكن دالت الأيام وانمكنت آية الإصلاح وحل صفا الجهل محل ضياء العلم ورجعت المرأة المسلمة إلى حالتها ، وتنبه المسلمون فملعوا أن من أسباب ما أصابهم تفریطهم في أمر النساء ، لأن فساد الرجال ما هو إلا نتيجة التربية الفاسدة التي تلقوها على أمهات جاهلات من الصفر . هب رجالنا للأخذ بيد المرأة حتى تنجب رجالا يكونون مثال الصلاح والإصلاح ليسترجعوا لأنفسهم مجدنا وهم قد رموها في بؤرة ضلال . إننا في حاجة إلى إنشاء مدارس للنساء على نسق يتفق عليه النيورون والفكررون فيها وهناك يتحقق الأمل في تخريج بنات يكن مثيلات عايه بنت المهدي وولادة بنت المستكفي وأمثالها سابحات الزمن السالف .

× وفي ١٩١٢ بدأت ( نبوية موسى ) ناظرة مدرسة اللغات بالمنصورة تلق محاضرات في الجامعة التي كلفتها تدريس تاريخ مصر : تقول في إحدى هذه المحاضرات أن كلا الأميين المصرية والعربية قد بلغ الاهتمام بشأن المرأة فيها شأوا بعيداً حتى ساوت الرجل أو كادت .

وتحدثت عن أهمية الدراسة التي تقوم بها ومدى الرسالة التي تحملها : « كأي سيدات القاهرة وقد بلغن هذا الدرر فقلن مبتهمات ، عبثاً تعجب هذه الفتاة نفسها وتأتى من مديقة بعيدة لتسرد لنا حوادث تاريخية لا يسكفنا الإطلاع عليها أكثر من تصفح كتب التاريخ ، ومن هي ترى تلك السيدة التي تنسكف القهاب إلى إدارة الجامعة لسباع هذا الدرر وهي تحسن القراءة وفي منزلها كثير من كتب التاريخ ، يقلن هذا وقد فأنهن أنى سابدل الجهود في جعل هذه الدروس أخلاقية نسائية ، فلا أترك فرصة تمر إلا انتهزتها في إظهار مهانة النساء في الماضي والحاضر ، راجية أن أشجذب ذلك همما نحن المصريات فنعرف ما وصل إليه فضليات النساء وكرمانهن فيفتقدن بهن في علو الهمة والشم عسى أن تسرد شيئاً من ماضى مجدنا وسالف عزنا؛ أريد أن تحيا النساء ولو اسما لا حقيقة فيقال أنهن قد اجتمعن اليوم في دار الجامعة ليتناقش بعضهن بعضاً ، ولا يلبث هذا الاسم

ان يصير حقيقة وقد يكسب الإنسان الطبع بمجرد التظاهر به فيمثله ، أريد أن نحيا نحن النساء ولا أرى من عائق في سبيلنا .

وقد أصبح من أنصار نهضة النساء الأمة المصرية كما مد إلينا عطاء الاحتلال يد المساعدة ولم يعد في سبيلنا إلا الكسل والخمول ، أريد أن نحيا المصريات حياة حقيقية فيتلقي العلم ويسمع إليه سمياً متواصلاً ، وقد آليت على نفسي ألا أتأخر عن الحضور إلى الجامعة كل يوم جمعة حتى يصبح معلوما لدى السيدات ذلك اليوم .

X وفي هذه المرحلة ظهرت عائشة التيمورية وقد أشار «حسن الشريف» في مذكرات له نشرها في إحدى المجلات قال : كنت أتحدث يوماً إلى المرحوم حفي ناصف وقد جاء ذكر عائشة التيمورية فقال لي رحمه الله :

هذه السيدة ستقدم إلى الأجيال المقبلة بلقب شاعرة ، وسيضاف اسمها إلى قائمة إدياء القرن التاسع عشر ، نعم كانت تنظم الشعر إلى حد ما ، أما هذه القصائد التي تقرأها لها في كتب الأدب فليس لها فيها سوى فضل إختيار الموضوع وبعض شطرات ، فقد كانت عائشة تنظم شعراً ركيكاً وترسله إلى (أى إلى حفي ناصف) لأنقعه وأصلح من شأنه فكنت أجهد نفسي في التنقيح حتى أوتر أن أنظم القصيدة كلها من جديد وأعيدها فتشرها باسمها . وقال حسن الشريف مملقاً : وأعتقد أن الرجل صادق ، فإ كان حفي ناصف في حاجة إلى إهداء شعر غيره ، وهو الغنى بأدبه وشعره وشهرته عن كل ادعاء .

X وفي هذه الفترة قدمت (خلدة أديب) السكّانية التركية المسلمة المشهورة إلى مصر ، وصلت عام ١٩٠٩ من استانبول وانضمت إلى الحزب الوطني في مصر وألقت الخطب علناً ضد الإنجليز لأنهم كانوا يشجعون اليونان على احتلال أزمير وإنشاء ولاية أرمنية في شرق الأناضول .

X وفي عام ١٩٠١ أصدر قاسم أمين كتابه الثاني ( المرأة الجديدة ) ردّاً على النقود

التي وجهت إليه كتابة ( تحرير المرأة ) والمعروف أن كتابه الأول الذي أحدث خجة  
عدها اشترك في كتابته الشيخ محمد عبده بل كتب بعض فصوله وانهما كانا يراجمانها معاً ولكتاب  
تحرير المرأة قصة تتصل بملاقة سمذ زغلول ومحمد عبده وقاسم أمين بصالون نازلي فاضل (١) .  
وقد صدرت في مجال الرد على تحرير المرأة كتب ومقالات وصحف ومن أهمها كتاب:  
لفريد وجدي وآخر لطلعت حرب ، وقد أيد المؤلفين دعوة قاسم أمين في تربية المرأة  
وتعليمها واختلفا معه بالنسبة للسفور .

وكان قاسم أمين قد أيد في رده على دوق داركور حجاب المرأة المسلمة وقال أنه  
ضروري للمرأة . وأنه خير ما نصان به الآداب العامة ، وقد قل طلعت حرب هذا النص  
إلى المربية في معرض الرد عليه بحسبانها رأيا ارتأه أولاً ثم تحول عنه في كتابه تحرير  
المرأة وقال فريد وجدي في كتابه ( المرأة المسلمة ) : علينا أن نعمل كل ما يمكننا  
لنتقرب المرأة من كمالها وتدخل إلى حدود وظيفتها وأن نعتبر أن كل ما يبعدها عن هذه  
الوظيفة داء اجتماعي يجب التآلب على ملاحقته أو بذل الجهد في حصره في محله ، وأن  
كل امرأة مهما قيل أنها مكشوفة لنجم أو باحثة في المكروبات هي ناقصة وعاصيته للطبيعة  
وخارجة عن حدود وظيفتها .

وقال : إن للمرأة كلاً خاصاً بها لا يتأتى لها الحصول عليه البتة إلا إذا صارت زوجة  
وأما تلد وتربي وتدبر البيت ، وأن كل شيء يبعدها عن وظيفتها ينقص من كمالها ويؤثر  
عليها تأثيراً سيئاً . وقال : أنا لا أنكر أن الحجاب شراً ، ولكنني أعتقد أنه مانع من  
شر أكبر فهو بهذا الاعتبار لا يمنع من التهذيب ، وقد غير فريد وجدي رأيه هذا  
في الحجاب كما غيره بعد ذلك في أشياء كثيرة من شؤون المرأة .

---

(١) لتوسع في هذا المعنى راجع كتاب : « الفرق في فجر اليقظة » لكتاب السطور .

ومما يتصل بالمرأة والصحافة نذكر مجلة (مرآة الحساء) التي أصدرها سليم سر كيس باسم «مريم مزهر» حتى يتمكن بها من إدخال آرائه إلى الشام والدولة العثمانية وكانت كتاباته وصحفه ممنوعة عنها ، أصدرها في أول نوفمبر سنة ١٨٩٦ ثم كشف النقاب عنها في مارس سنة ١٩٠٧ وقال : أردت أن تدخل بريد الممالك العثمانية ، ولا أعرف لمريم مزهر مسمى حقيقى ، ولم يكن هذه أول مرة اشتملت اسمها ونشرت به ، وكنت كلما سألت عن مكانها عمدت إلى الحيلة فإذا كان السائل من دمشق قلت له أنها من مصر وإن كان من بيروت قلت له إنما هي من حلب . وفي ذات يوم فوجئ سليم سر كيس بخطاب عن قريب حقيق لمن تسمى مريم مزهر وقد ظهر فجأة ، هنالك خشى سر كيس أن يحضر لمحادثته على إرادات المجلة ، قال سر كيس : لقد هدم الخطاب المشروع الذى كنت قضيت وقتاً في إنشائه .

## الرحلة

حفلت الصحف في هذه الرحلة بكتابات متصلة عن الرحلة والسفر وزيارة الممالك والأقطار وكان في مقدمة هؤلاء الرحالة: أحمد زكي الملقب من بهد شيخ العروبة، فقد زار (الأندلس) بعد اشتراكه في مؤتمر المستشرقين ١٨٩٣ وكتب رسالة في الأهرام.

(عرقطة و ٢٣ يناير ١٨٩٣)

قال : لم أصل إلى تخوم أسبانيا إلا بعد أن أمضيت في القطار مدة أربع وعشرين ساعة لم تسكت جعل فيها عيني بأعد الكرى حتى أجهدتني السير وأضناني السرى ، ولكن تجددت قواي حينما شمت عير الأندلس ، واستنشقت نفعاتها ، وتمت بالنظر إلى صافي مباته وقد ترسمت بالدراري . وحينئذ شحات مع تيار الأفكار ولكني مالبثت أن إنقبض صدرى وعائني السكابة وتولاني الانزعاج إذ أحانت بي جيوش من اللوعة والأسف والحسرة والهم لا أنفي تفكرت ماناله الاسلام من العز والافتقار في هذه الديار أيام كانت تخفق فوق الأندلس أعلامه وتجول فيه أقوامه ناشرة ألوية الفخار والحضارة ، رافعة رايات المجد والكرامة ، أيام كانت خلفه المغرب تفوق مناظرتها في المشرق بما احتاطت به من أسباب البذخ والنظمة والرفق حتى كانت ملوك أوروبا تغزف إلى الخلفاء وتلتمس رعايتهم وحمايتهم ، أيام نبغ العلماء والمثربون والمكتشفون الذين أفادوا العالم بأجمه ورفعوا كلمة الاسلام وجاءوا بأقوم برهان على إن الدين الحنيف يساعد بكايانه وجزئياته على البحث في أمرار الطبيعة وأنه يحض على اقتناء ثمرات المعارف بجميع أنواعها ومطالبها .

وقد كنت وأنا في باريس درست نحو اللغة الأسبانية للاستعانة به على مخاطبة القوم أو مبادلة لأفكار معهم مباشرة ، فلما حضرت (إرون) وتكلمت مع أصحاب الفندق

تحقق لى أن درس النحو شىء ومعرفة اللسان شىء آخر ، وتذكرت أنى أكون أول من زار  
جميع الأندلس من المسلمين والعربيين خصوصا من أبناء هذا الجيل وكتبت ما آراه .

\* \* \*

ونوات رسائل أحمد زكى من مدن الأندلس فكُتبت من «قرطبة» : رأيت فيها المسجد  
الجامع الذى لا نظير له فى العالم الإسلامى وقد بقيت معالمه الرئيسية على ما هى عليه واقسم بالله  
أننى أكثر من البكاء الرحينا درت فى صحونه وبين عمدانه ووقفت فى محرابه وتأملت  
ما فيه من غرائب الاتفاق التى لا تخطر على بال مع الفجامة والضحامة ، وكل ما رأيته فى هذا  
الجامع الذى يحتوى على اثنى عشر ألف عمد من مختلف الصوان وكلها منقوشة : التاج والقاعدة  
بكيفية تختلف بعضها ، أما المحراب فهو مصنوع من أحجار دقيقة مختلفة الألوان متركبة مع  
بعضها على نظام الفسيفساء فتحدث منها أشكال متناهية فى الجمال ، وآيات قرآنية وأحاديث  
نبوية وإذا نظر الانسان من ذات البين رأى الوانا وأضواء وأشكالاً وتراكيب تختلف كل  
ما يراه لو وقف من جهة الشمال ، وكذلك الأمر فيها لو وقف فى الوسط أو تقدم أو تأخر .

\* \* \*

(٢) وحفلت جريدة «المؤيد» برسائل الزعيم محمد فريد - وهو كاتب ومؤرخ - عن  
رحلاته إلى الأندلس والغرب عام ١٩٠١ يقول .

قرطبة : وصلتها صبيحة ٢٣ أغسطس ١٩٠١ فلم يرقنى منظرها لأننى وجدت  
الشوارع الكبرى الموصلة من المحطة لداخل المدينة كلها متربة وغير نظيفة لا بلاط بها  
ولا حصباء . أغلب بيوتها قديمة إسلامية ، لكل منها فناء تحيط به أعمدة الرخام وفى وسطه  
فساق الماء والأشجار وفى شبايكها قضبان الحديد فهى تشبه من عدة وجوه ، البيوت القديمة  
بمصر ، قصدت إلى الجامع الأموى فوجدت ما يدهش القلب ويخزع القلب حزنا ، رأيت  
مسجدا جامعا تطاوت إليه أيدى التعمصب المسيحى ( الغربى ) فملقت الأجراس فى مناراته  
ووضعت التماثيل والصلبان فى مدخله . سكن هذه الإضافات الحديثة لم تشوه من منظره بل  
هو لا يزال ناطقا بأنه أثر إسلامى ( وإذا وقف ) الإنسان عند مدخل هذا الحرم الموسع لا يملك  
نفسه لا أقول من البكاء حتى لا أكون مبالغا ، بل من الشموخ بانقباض النفس وضيق



في الصدر لما يرى هذا المسجد الجامع خاويًا من المسلمين ، خاليًا من الموحدين ، خصوصًا حينما يرن في آذانه صوت الأرن وتزئل المرتلين وصوت القسوس والرهبان بدل نداء المؤذن وتكبير المصلين .

• • •

ويقول : بعد أن تمتع الطرف بآثار الإسلام والمسلمين وتمسرت على هاتيك الدول التي زالت وغت آثارها وردت غرناطة وصجراها وقرطبة وجامعها واشبيلية وقصرها ، أردت أن أمر بمدينة «طنجة» أضخم ثغور الدولة المراكشية لأتحقق من الفرق الكائن بين مسلمي الدول النابرة ، ومسلمي هذه الدولة التي حافظت على إستقلالها الآن ، رغمًا من اكتناف الفرنسيين لها من الغرب والجنوب . وأقول بكل أسف أن من يريد أن يرى بعمقه كيف تموت الأمم ولا تبدى أى حركة لحفظ كيانها فليتوجه إلى مراكش ، خصوصًا بعد أن يزور أسبانيا .

• • •

من الجزائر : ( ١٣ أكتوبر ١٩٠١ ) . كنت أظن أن ما تشهده الجزائر عن أحوال المسلمين في الجزائر وغيرها من البلاد الإسلامية تحت سلطان الدول المسيحية ( الغربية ) مبالغ فيه أو أمثله كراهية الفاع الأجنبي حتى قاذى حب الإستطلاع إلى القطر الجزائري فرأيت بعيني وتحققت بالخبر ماسمه بالخبر ، وتأكدت أن مسلمي الجزائر في تعاسة ليست بعدها تعاسة ، فلا ضمانة للحرية الشخصية ولا الملكية المقارية بل ولا الحقوق الشخصية ، أراضي تسلب وتنزع ملكيتها لتوزع على المهاجرين من الفرنسيين بلائمن ، وأوقاف خيرية تصادر مقابل ترتيب شئ زهيد للقيام بحاجيات مابق من الجوامع والزوايا بعد هدم ما هدم منها ، وإبراء تزج في السجون بعد أن تحكم الحاكم الفرنسي ببراءتهم .

ويعامل المسلمون في الجزائر بقوانين مخصوصة في غاية الشدة والعرامة ، فهم محرومون من حرية الكتابة وحرية الإجتاع وحرية السفر وحرية مطاوعة الكتب والجرائد ، نعم يصعب على القى يعرف حب الفرنسيين للحرية والمساواة أن يصدق ذلك ولكن من يتكاف

مشقة زيارة بلاد الجزائر بتحقيق أن ما هو جائز في بلاد فرنسا غير مباح للمسلمين في  
الاستعمارات فلا يجوز لهم أن يؤلفوا أى جمعية ولو لفتح المدارس ونشر التعليم المجرد ، وهذا  
الاذن لا يمنح مطلقا كما أنهم لا يجوز لهم تأسيس مطبعة أو جريدة ، ولا يوجد في جميع اقليم  
الجزائر غير (جريدة البشر) وهى جريدة رسمية تكتب في فضل فرنسا على العرب والخص على  
القبائل بالولاء ، ولم أجد في جميع مدينة الجزائر نسخة من اللواء ولا من المؤيد مع أن المشتركين  
فيها كثيرون ، ولا تصل هذه الجرائد إلا لإدارة البشر مبادلة وهناك تحفظ في حرز مكين  
حتى لا تخرج بعض إعدادها من الإدارة فتصل أخبار الاسلام والمسلمين إلى إخوانهم  
الجزائريين . وقد منعت الجرائد التونسية التي كانت تنشر أخبار المصاكر الإسلامية على الأورام  
أيام حرب اليونان مع الدولة العلية ، ولما أرسلت إلى الجرائد المصرية أثناء إقامتي بمدينة  
الجزائر حجزتها إدارة البوسطة وأرسلت إلى جميع الجوابات فقصدت إلى السيو ميرانت  
رئيس تحرير جريدة البشر وطلبت منه يتوسل جرائدى إلى أوروبا بإرسالها بمنوانى إلى  
باريس فأرسلها إلى بطريقة استثنائية :

• • •

ومن الغريب في بلاد الجزائر أنه لا يجوز للمربي أن يسافر خارج المركز الذى يقيم  
في دائرته إلا بإذن من البوليس . ولقد مضى على فتح فرنسا للأقليم الجزائرى سبعون  
عاما وجيشها للان لم ينقص عن خمسين ألف محارب يكافأ ٥٧ مليوناً من الفرنكات  
سفويا ، وما ذلك إلا لتخوفها من الأهالى وعدم اطمئنانها إلى جانبهم واسكن لا يمكن  
استمالتهم بهذا الضيق وتلك العامة الخالفة لقوانين العدالة .

• • •

ويقول : بعد أقت بوهران يوما وبعض يوم سافرت إلى تلسان ، أغلب الأراضى  
مزروعة كروم ، وأغلب أسماء المحطات أفرنجية محضة ، وقد زرت القاضي شبيب بن عبد الله ،  
وهو يجيد الكلام بالفرنسية ، وله إلمام تام بكل ما يخص بأحوال بلاده وله مواقف في فلسفة

الدبابة الإسلامية قدمه إلى مؤتمر المستعمرات في باريس ١٩٠٠ حيث كان السلم الوحيد .  
وقال محمد فريد : من أراد الوقوف على درجة إمتهان الفرنسيين للمعربي وإذلاله  
وتحقيره علنا ، فليطلع على جرائدكم وبالأخص جريدة المسير كاربنتير الذي هو أشهر  
الفرنساويين عداوة المحرب إذ لا يخلو عدد من مقالته في هذا الموضوع بتألم لها فضلاء  
التونسيين .

\* \* \*

(٣) زار ( أمين الرافعي ) فرنسا والغرب ١٩١١ . وقابل الطلبة المصريين في أوروبا  
( ٢٠ أغسطس ١٩١١ ) يقول :

يذهب الطالب إلى أوروبا فيخدع بالفاتن من مدنيتهما وسرعان ما يقع في شركه فتراه  
ينفض يده من العلوم ويقبل بكل جوارحه على الملامى .

وبعد أن صور هذه الظاهرة قال : وصفوة القول أنه لا يجوز إرسال أحد إلى أوروبا  
للتعاطف إلا بعد التحقق من إستقامة أخلاقه وقوة إرادته التي تمكنه التغلب على عوامل  
الفساد القاشية هناك ، أما من ليس لهم وازع من دين أو عقل فكل خطوة يخطونها  
في أوروبا لا تقربهم من العلم وإنما تقربهم من الهاوية التي ابتلعت منهم الكثيرون .

\* \* \*

ومن باريس كتب يقول :

ذهبت إلى باريس للمرة الثانية ومكثت بها ستة أيام زرت فيها بعض الآثار والشاريع ،  
وأحت المصريين الذين يكثر من زيارة تلك المدن على مشاهدة ما تحتونه من الأشياء  
القائمة ، ففي ذلك عبرة لنا إذا أنعمنا النظر فيما نحن فيه الآن ، وما سيكون غدا ، ذلك خير  
من قصد السموات وركوب المذات والانكباب على الملامى شأن كثير من المصريين  
الذين يزورون باريس لا لشيء غير ارتكاب المنكرات ، وليسكن لنا أسوة حسنة في الوفد  
الحبشي الذي زار باريس ، فانهم عوضوا عليهم مشاهدة الملامى فرفضوا وآثروا رؤية  
الأشياء النافعة . وفي مقالات متعددة تحت «عنوان مذكرات سائح» لأمين الرافعي نشرها في جريدة

العلم ١٩١١ كتب عن جولانه المتعددة وزيارته لمنزل فكتور هيجو ، وغيرها من المواقع التاريخية كما كتب عن زيارته لمدينة بنزرت في تونس .

\* \* \*

أما رحلة شوق إلى الأندلس فقد كانت عام ١٩١٥ ، ولم تكن في حقيقتها رحلة بل كانت إقامة مغترب فرض عليه النفي خارج وطنه بأمر السلطات الحاكمة في مصر لأنه هاجم سلطة النفوذ البريطاني في تعيين السلطان حسين كامل . وقد شرع شوق بمجرد وصوله إلى برشلونه ، في تعلم اللغة الأسبانية ، ثم زار الأندلس بعد عقد الهدنة ، ولما عقدت الهدنة ١٩١٨ لم يسمح له بالعودة إلى أواخر ١٩١٩ وقال حسين شوق في كتابه « أبى شوق » أن أشيلية هي التي أوحى إلى شوق رواية أميرة الأندلس .

## الصحافة

واجهت الصحافة في خلال الفترة إهتماماً كبيراً من المتمدنين البريطانيين ونورد هنا نموذجين : أحدهما للورد كرومر سنة ١٩٠٣ والآخر للسير ألفرد هورست سنة ١٩٠٩ .

(١) يقول كرومر في تقريره : كان في بدء الاحتلال الإنجليزي ما يسمونه بمسألة الصحافة فإن كثيرين من ذوى الآراء الحقيقية بالاعتبار من الأوربيين والوطنين سواء كانوا موافقين أو غير موافقين رأوا أن إعطاء الحرية التامة للجرائد في مصر موجب للضرر .

وقد ظهر لنا أن منفع الحرية التامة للصحافة قد لا يخلو من الضرر ، على أن هناك إعتراضين على تقييد حرية الصحافة ( الأول ) هو أن وجود حامية إنجليزية في القنصلية يضمن أن الكتابات المهيجة لا تقضى إلى الإخلال بالأمن إخلالاً عظيماً و ( الثاني ) أنه من المبعث سن قانون خصوصي للجرائد الوطنية ما لم يتمشى ذلك القانون على الجرائد الأوربية أيضاً ، لأن كل صاحب جريدة وطنية تخشى طائلة القانون ينقل حقوقه وامتنازه إلى رجل أوربي فعلاً أو اسماً ، أما أنا فكنيت مخالفاً لتقييد حرية الصحافة منذ أول الأمر ، ولكني لم أعول كثيراً على الاعتبارات فإني رأيت أولاً أن الحجج التي تقوم على تقييد حرية الصحافة لا تعادل الحجج التي تقوم على إطلاق حريتها وثانياً أن كبار رجال الحكومة كانوا يقومون على احتمال انتقاد الجرائد لهم بل على قبل أن يؤثر الإصلاح ، تأثيره المطلوب .

وقد أبدت الحوادث هذا الرأي فمرت سنون كثيرة ، والجرائد المصرية تامة الحرية

( م — ١٠ تطور الصحافة العربية للعاصرة )

ولكن الحكومة اضطرت إلى إقامة بعض القضايا على بعض الجرائد لاطاعتها على اللوك الأجنب والندوى وأعضاء المائدة الخديوية . وكان رأى العام مؤيدا للحكومة فى تلك القضايا القليلة ولم تكن إقامة القضايا سياسية ، ومع أن القانون يحول الحكومة الحق فى أن تطلب من كل صاحب جريدة أن يحصل على رخصة قبل إصدار جريدته إلا أنها لم تعمل بهذا الحق منذ مدة طويلة . وبالإجمال أن النتيجة جاءت على ما يرام ، على أن الجرائد المصرية من أجنبية ووطنية كثيرا ما تنشر أخبارا غير صحيحة . وكثيرا ما تنتقد إنتقادا قانونيا مفيدا ولكنها تقبهم فيه أحيانا آراء على غاية من الجهل والطيش بلغة شديدة اللاهجة وتنشر أحيانا مطاعن شخصية لا تنشرها الجرائد التى هى أرق منها .

ولا أظن أنه يمكن ذكر حادثة واحدة فى العشرين سنة الحاضرة تدل على أن حرية الجرائد التامة أضرت بالبلاد ضررا عظيما أو أخرت سير الإصلاح الحقيقى يوما واحدا وزد على ذلك أن الجرائد الوطنية الساقطة التى تكتب لفئة من الأهالى قليلة العلم كثيرة التصديق وتحاول إضرام نار البغض العنسى لا تؤثر أفعالها كثيرا . إذ لا تمنح لها فرصة تبني عليها أقوالها وأنه ليسهل القضاء على الجرائد المصرية من باب رسمى أو على قسم منها على الأقل وإذا فرضنا أن ذلك القضاء فى عمله ، فإن المسألة وجها آخر وهو أنه فضلا عما لحرية الجرائد من الفائدة القطعية فلا ريب أن الجرائد تمنع بعض الضرر فإن خوف التشهير على صفحاتها يمنع كثيرا من الشرور وبقلل الميوب التى تصور نظام الحكومة المصرية .

وفى السنين الأخيرة اتجهت آراء الطبقة العليا من الوطنيين إلى أنه يجب أن يكبح جماح الجرائد فى كلامها على الأفراد وقد بحث هذا الموضوع فوجدت أن القانون الحالى المطلق بالقذف واف بالمراد من حيث مراميه ، على أن يظهر عين الانجليزى أن الأحكام التى تصدر هنا فى دعاوى القذف وما يحكم به من المثل والضرر أخف مما يلزم ولكى يستصوب اتصال بعض التنفير فى القانون المتعلق بالعصب ، فإن النصب جرم شائع فى هذه البلاد وهو يزداد يوما فيوما فيجب معاملة الفصايين بالشدة أو القسوة .

(٢) يقول الدون غورست : إزداد قسم من الجرائد العربية في مصر قدما وكلاما تقارصا ازدياداً عظيماً في السنوات الأخيرة وجعل ينشر الأراجيف والأخبار الكاذبة وينشئ المقالات المضللة . وترى الشبان المصريين الذين لا يزالون يتلقون العلوم في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية يتهافون على مطالعة تلك المقالات وأمثالها حتى لقد أفسدت ضماير الأحداث المصريين الذين إنما تعلق بهم الآمال في بلوغ مصر الحكم الذاتي بكثرة ما تلقى على مسامعهم من أقوال الحماقة والجهال ، يوما فيوما .

وحقيقة الحال أن الجرائد المصرية التي أصحابها ومديروها من رعايا الحكومة المحلية قد سن لها بعض المواد في قانون المطبوعات حيث عرفت الجرائم التي تحاكم الصحف عليها ونص على عقوباتها من غرامة وحبس وقانون المطبوعات الذي سن عام ١٨٨١ أما فيما يختص بقانون المطبوعات فقد تبين فعلا أن المواد الحالية فيه لا تمنع الشطط الذي هو موضوع الشكوى فأفضل طريقة للتغلب على هذه الصعوبات إنقاذ قانون المطبوعات الحالي وهو يقتضى بوجوب الحصول على رخصة إصدار الحريدة أما فيما يختص بمراقبة الجرائد فقد أشارت المادة ١٣ إلى أنه يسوغ محافظة على النظام العمومي أو الدين أو الآداب تعطيل أو قفل أى جرنال أو رسالة دورية بأمر من ناظر الداخلية بمد إنذارين وزد على ذلك بأن معظم الجرائد التي تصدر باللغات الأوروبية لا غيار عليها وإرتقاء قرائها العقلي ضمان كاف لعدم تجاوزها حدود الاعتدال .

الصحافة في فترة الحماية ١٩١٤ - ١٩٢١

أما في فترة الحماية فقد كان في التعليمات الموجهة إلى الصحف أنه لا يجوز نشر أى فصل أو فقرة يراد بهما الإشارة تلميحاً أو تصريحاً إلى عدم اعتراف بمض الدول بالحالة السياسية الحاضرة في القطر المصري . وكانت التعليمات سرية ولا يجوز لأصحاب الصحف أن يعلنوها أو يذيعوها .

ومن التعليمات السرية التي صدرت لأصحاب الصحف ٣١ أكتوبر ١٩١٧ أنه لا يجوز نشر شيء ما في الصحف ما لم يعرض على الرقيب وتصدر إجازته له ويستثنى الأحوال التي تكون المواد الأصلية للجريدة منها قد سبقت مراقبتها ، ومن الواجب أن تعرض العناوين الكبيرة الآخذة بجانب الصحيفة وغيرها من العناوين على المراقبة قبل نشرها مرفقة بنص التنازعات المتعلقة بها وكذلك الإعلانات المتعلقة بغير ماسلف ذكره من الشؤون ، لا مانع من نشرها بلا مراقبة ، ولكن تلقى على مديري الصحف مسئولية ما يمكن وقوعه بسببها من المخالفة .

وتقدم صورتان من المواد إلى الرقيب للتوقيع عليها ، وتبقى أحد الصورتين عند الرقيب . لا يجوز ترك بياض في صلب الفصول أو الفقرات التي يحذف الرقيب شيئاً منها بل ينبغي ضم الأجزاء الباقية بعد الحذف بعضها إلى بعض بحيث لا يظهر إلبياض إلا في آخر الفصل (١) . أو الفقرة المحذوف منها والفصول التي تعدل الصحف عن نشرها بعد مراقبتها يجب حذف عناوينها وتحت نشر البلاغات الرسمية في الصحف بنصها .

لا يجوز نشر أية مادة بوصف كونها تفرافية ولو كان إطلاق الوصف عليها بطريق الاستنتاج ما لم تكن تفرافية فعلاً . من الممنوع نشر الأخبار الوهمية أو الباعثة على الارتجاج وما ينبغي صرف الالتفات إليه بنوع خاص كل ما له علاقة بالخسائر الناجمة عن حرب

---

(١) البلاغ ١٢ نوفمبر ١٩٢٣ .



النواصات أو الحالة في روسيا ، أو بنلاء الميشة في بلاد الحلفاء ولا يجوز قطعا نشر المواد الآتية أو الإشارة إليها : تنقلات الجيوش + حركات السفن الحربية في البحر المتوسط والأحمر والمحيط الهندي وقناة السويس + كل خبر من الأخبار التي تقوى السلطة العسكرية داخل الأراضي المصرية + كل خبر عن الجيوش العسكرية .

أما الكلمات التي تدعو إلى تسكير صفاء الأمن والسلامة في القطر يجب حذفها حتما كما يجب تحاشي كل كتابه من شأنها أن تشير الأحقاد الدينية أو الجنسية أو السياسية .  
(صدر في ١٢٩ أكتوبر ١٩١٧) .

# محاتمات الصحافة

## محاكمة عبد العزيز جاویش

كانت سياسة اللورد كرومر فيما يتعلق بالصحافة الوطنية أن يطلق لها العنان ويسمح بظهور صحف أخرى تردد وجهة نظره وتدافع عنها وتنبى للصحف الوطنية كما كانت تفعل المقام والوطن ، وكان يطلق على هذا الإجراء كلمة رفع النطاء عن البخار المتجمع ليذهب في الهواء غير أن « فورست » الذى خاف كرومر غير هذه الخطة فقد تضام جانب القصر والاحتلال لمقاومة الحركة الوطنية التى كانت قد فتحت صفحة جديدة من المقاومة العنيفة للاحتلال بزعماء فريد وقلم جاویش ، وقد وقفت صحافة الحزب الوطنى حجرة عثرة دون نجاح فورست حيث ركز اللواء على مقاومة الاحتلال فى ذاته لافى سياسته ، ولم تقو الصحافة المعتدلة الداعية إلى التفاهم ( المقطم - الأهرام - الجريدة ) على مكافحة الصحافة المتطرفة ، ولما رأى الاحتلال أن الخواطر لم تهدأ ورأى صحف الحزب الوطنى بقلم جاویش الفارى تواصل حملتها بدأ فى محاربة الصحافة الوطنية ، فأجبه إلى محاكمة جاویش وكان يستبعد أن تكون المحاكمة مستقلة إستقلا لا يحول دون تأثير الاحتلال عليها .

فما أن نشرت مقالة فطائع الإنجليز فى السودان حتى طلب ممثل الاحتلال رفع الدعوى العمومية على « جاویش » ، ولكن المحكمة برأته ، فكانت البراءة سببا فى تأكيد مركز الصحافة الوطنية ، وما أن نشر مقال تأيىن « ذنجرا » الشاب الهندى الذى قتل السير كرزون وبلى الحاكم البريطانى حتى وجه انذاراً إلى اللواء ، وكانت مقالة « ذكرى دنشواى » سببا فى رفع الدعوى على اللواء وتقديم جاویش إلى المحاكمة بتهمة إهانة بطرس . غالى ناظر النظار وفتى زغلول وكيل الحفانية وبرى عبد الرحمن الرافى أن « الجلد »

ألقى أظلمه جاويز في الهاكة والسجن ، وثبات الصحافة الوطنية واستمرار الحملة على الاحتلال ، وخروج جاويز من السجن أشد عزما وقوة ، كل ذلك دفع الشعب إلى تقليده « وسام الشعب » وكان موقف اللواء في كشف مؤامرة مد امتياز قناة السويس بالغ الأهمية ، فقد استمرت الحملة من أكتوبر سنة ١٩٠٩ إلى مارس ١٩١٠ ، حتى أسقطت المشروع وألقي « غورست » تهمة حادث مقتل بطرس غالى على صحف الحزب الوطنى فصدر قرار مجلس النظار بإيقاف المم شهرين . . .

وانجبه الرأى فى دوائر الاحتلال إلى إعادة قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ ، وكان القانون يفقد الصحفيين كل ضمان ويجمعهم تحت رحمة الإدارة مباشرة بحيث يمكن تعاقب أى جريدة بدون محاكمة . وتنص المادة ١٣ على أنه « يسوغ محافظة على النظام العمومى والآداب والدين تعاقب أو قفل أى جريدة أو رسالة دورية بأمر من ناظر الداخلية بعد انذارين ويسوغ إضافة غرامة من خمسة جنيهات إلى عشرين جنيها لكل إنذار يصدر ، وإذا استمر صدور الجريدة أو الرسالة بعد تعطيلها أو قفلها يعاقب كل من محررها وصاحب امتيازها بالغرامة ، وتنفق المطبعة التى طبعتها بأمر من ناظر الداخلية » . وبذلك ألغيت الضمانات التى كانت تتمتع بها الصحافة أمام المحاكم وأصبحت فى يد الحكومة ، وقد أشار غورست فى تقريره عن ١٩٠٩ إلى أن هذه هى الطريقة الوحيدة التى يستطاع بها مراقبة الصحافة ، وأن تطبيقه لا يفتح بابا لتضييق الآمال السياسية كما يكون فى محاكمة الصحف ، ولا يترك سبيلا للمظاهرات ، وأنه فعال فى منع وقوع الجريمة . وقد بدت البوادر لهذا الاتجاه كوسيلة لإيقاف حملة جاويز فى اللواء والمم على الاحتلال . وتبين أن القانون أعيد لهدف واحد .

ولم يكتفى بإعادة قانون المطبوعات بل انجبه الرأى إلى وضع نظام لمحاكمة الصحفيين يفقدهم الضمانات التى كان قانون المقوبات يخولها لهم ، وكانت محاكمة الصحفيين على درجتين

أبتدائية واستثنائية ، وقد ظهرت فائدة ذلك النظام فى محاكمة جاويش حيث حكمت محكمة أول درجة بتفريعه عن أى إحدى التهمتين ، وفى محكمة ثانى درجة رفعت التهمة وحكم ببراءته من التهمتين ، وكان من شأن هذا النظام إطالة مدة المحاكمة فيزداد اهتمام الجمهور بالحركة الوطنية ويتطلعون إلى أنبائها ، وكانت الرافعات التى تلقى فى المحكمة بمثابة خطاب وطنية ، فظهر فى ١٦ بونية ١٩١٠ قانون إحالة جنح الصحافة إلى محكمة الجنايات للحكم فيها حكما انتهايا .

ولا شك أن بحث قانون الصحافة القديم الذى صدر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ وإعادة العمل به ٢٥ مارس ١٩٠٩ كان عملا له أهمية ذات خطر ، وقد هاجت الآراء الهدف من التقييد ، واتهمت الحكومة بأنها تخشى ثورة الناس لسوء تصرفها وأن الهدف من إعادة القانون هو أن الحكومة الموالية للاحتلال إنما ترغب فى إحداث مسائل جسام لا تجرؤ عليها والأفلام حرة ، وقد حاولت صحف المؤيد والجريدة أن تصمم اللواء بأن خططها المبنية على العجزة والنفى هى السبب فى بحث القانون القديم . ولم يلبث « جاويش » أن واجه الموقف بسكته الخالصة « أيها القلم » . .

« أيها القلم : لو كنت سيفاً لأغمدتك فى صدور من يحاربونك ، أو سهما لأنفذتك إلى أحماق قلوبهم ، ولو كنت جوادا لوجدت لك فى ميادين النزال مجالا . . لكسر والفر ولكنك ذلك العدو الذى أينس ما ينال منه عدوه أن يعالجه بالبراء فيشققه أو بالأصابع فيكسره أو يحطمه ؟

أيها القلم : استقلنا أعرىكتك ، واستهاننا بقوتك ، وأمنوا جانبك ، فدوا إليك يدا مجرمة ، ما كان أولاها أن تقطع ، مدوا إليك أيديهم فأغاضوا من معيئك ، وأسكنوا من صريرك ، وأوقفوا من حركتك ، وفلوا من حديثك .

كفروا بنممتك التى طالما منعتهم ، وضلوا عن حكمتك التى كثيرا ما أفادتهم ،

كم بلغت الليالى بالأرق ، والأيام بالقلق ، وكم رمتك الدنيا فى سبيل هدايتهم بالحن والفتن ،  
وأنت جميل الغرض ، نبيل القصد ، تسهر وهم نائمون ، وتجرى وهم قاعدون ، لم يزدكم  
نورك إلا ضلالا ، ولا علاجك إلا اعتلالا ، ولا هدايتك إلا خبالا ، ولا اسمائك  
إلا وبالا ، اقتربت منهم فأبعدوك ، وانطلقت ألسنتهم فأخرسوك . وحاولت سلامتهم  
فكسروك ، وصفت لهم فكسدروك ، وأحييتهم فأمانوك ، . . وأنشرتهم فقبروك .

أيها القلم : أسكون بمد حركة ، أصمت بمد إرشاد ، ألك كادوا أم لأنفسهم ؟ عليك  
خرجوا أم على وطنهم وأمتهم ؟ وعنك انصرفوا أم عن رشدكم . . ؟

أيها القلم : أهذا آخر عهدك بالقرطيس ، أهذا آخر عهدك بأنامل السكابين ؟ أهذا  
آخر أيامك بالدفاع عن بلاد سقاك نيلها ، وغذاك طيب تربتها . . ؟

أيها القلم : تشيعك اليوم أفئدة أيقظتها ، وهم أعليتها ووطنية أودعتها قلوب  
«الطاهرين من النابتين» . فلتسكن أيها القلم كما شاؤا لك ، أما نأما إلى حين ، أوميتا أبد  
مالأبدين . فقد تركت بمدك هيونا لا يأخذها النوم ، وقلوبا لا يملكها الياس ، وأيديا  
لا تخاف السلاسل والأغلال ، وأرواحا تفدى الحرية والاستقلال .

وأنت يارب القلم : أسبر على ما سينزل بك وأنت رابط الجأش ، قوى الفؤاد ثابت  
المزم ، فلا تزعجك نيران الاستبداد ولا ترهبك حكومة الأفراد ، فكم أبغى قبلك  
المصلحون ، وكم أعنت فى سبيل بلادهم العاملون ، ولا يصرفك عن تأييد مبادئك ، والدفاع  
عن عزيز وطنك ما يرجف به المرجفون ، فيد الله فوق أيديهم ، والله لا يهدى كيد  
الغائبين (١) . . ا . هـ

٢ - وقد أشار أحمد شفيق باشا فى مذكراته عن هذه الخطوة فقال أن «جراهم»

نائب غورست قابل الخديو ، وتحدثنا عن الصحف المصرية وأنها تبادت في الطعن وأشار إلى ما نشرته اللواء من فصول مدحت فيها « دنجرا الهندى » قاتل اللورد كرزون في إنجلترا واعتبرت عمله وطنيا خالدا وحضت على التشبه به في وطنيته وأن « جاویشا » نشر مقالا شديد اللهجة طعن فيه في حق بطرس غالى وفتحى زغلول مما أدى إلى أن لوح بطرس باشا بالاستقالة إذا لم ينذر اللواء وأشار شفيق باشا إلى أن جاویش آثار عاصفة من النقد على كلمة « روزفلت » وخطابه في الجامعة .

وقد كان وانحما أن عودة قانون المظاهرات إنما قصد بها محاربة صحف الحزب الوطنى وقد أشار ( جاویش ) إلى أن الصحف الاحتلالية تخرج طائفة بسبب الصحف العربية والطنن في كرامة أصحابها ومحريها ، والتطرف في نسبة كل ما أصاب ويصيب هذا البلد إلى سياستها وإغراقها في إثارة نفوس الأمة ، ورد على ذلك بأن الجرائد العربية التى يعنونها لم تكن الكاذبة ولا الخاطئة ولا المتطرفة ولكنها تعودت الجهر بالرأى والصراحة بالنصح ، ولم يطمع أصحابها في مال ولا جاه .

ولم يقف الأمر عندهذا بل أثير في عام ١٩١٠ بأن هناك قوانين جديدة لتغيير الصحافة ، فتصدى لهم جاویش بقوله : « إن غاية ما تستطيع الحكومة أن تسلك من الكلام ، وتمنع الأفلام عن الصرير ، والأشخاص عن الاجتماع ولكنها لا تستطيع أن تمنع القلوب عن التفكير ، والنفوس عن الانفعال . ولقد أشار « جاویش » إلى أن بعض الصحف ( لا كل الصحف ) هى التى يطبق عليها قانون المطبوعات ، وأوماً إلى أن القوانين المقيدة جميعها إنما تستهدف قص أجنحة الأفلام الوطنية وحدها ، وهذه عبارته « بينا إحدى الصحف ( يقصد المقطم ) لا تحاسب على ما تنشره في العالم مما عسى يكدر السلام ، بينما نرى في السكفة الأخرى صحفا ربما أؤخذت حتى على غير السطور ، وعوقبت حتى على وساوس الصدور (١) » .

ولم يتردد في أن يكشف الصحف التي اتهمت جاويشا بأنه السبب الأول بكتاباته في هذه القيود فقال « ظهر قانون المطبوعات فوجدنا بعض الصحف تصبح هلما فسكرتينا نطعنهم وأريناهم أنه لا خوف إلا على الذين وقفوا حياتهم على خدمة بلادهم وصحفهم على ارشاد أمتهم وعاسبة حكوماتهم . أما الذين اتخذوا صحفهم أثرا كما لمنفعة أوشفاء بين يدى سلطان أو أمير فهو لاء في سياج من مقاصد لا يهدمه قانون المطبوعات ، وقد عاش هؤلاء يسرحون ويمرحون بينما تأخذ الحكومة بتلايب غيرم فتحاسبهم على ما يعملون وما لا يعملون وتأخذهم بما يقصدون وما لا يقصدون » .

ولم يقف الأمر به عند مهاجمة الصحف العربية غير الوطنية ولكنه كان بالمرصاد دائما لكل الصحف الأوربية والأجنبية التي تصدر في مصر ولم يدع كلمة لجريدة التيمس أوربا منصرفا إلا عارضها فيه ، ورد لها الصاع صاعين . . وهو يرى أن الصحافة الأوربية على العموم ناقصة العلم بما يسطر في جرائدنا ، وإذا تعرفت بنقل بضعة أسطر من كتاباتنا فإن مترجميها يسخون في الغالب ما ينقلونه أو تسكون الجمل متقطعة متناهية في القصر وغير منتخبة بطريقة عادلة تمكن الفكر من التفهم لآرائنا ومبادئنا (١) .

وقد كان إيمان « جاويش » بذهبه في الكتابة القائم على مقاومة بريطانيا كدولة محتلة أساسا والكشف عن مؤامراتها ، وتوجيه الضربات إلى عمدائها وأعوانها في مصر ، واستحالة قبوله الأمر الواقع في الاعتراف بوجود الانجليز ، ونقل المعركة إلى تصرفات بريطانيا في مصر ، كل هذا عرّض « جاويش » لتعاب لأحد لها ، تمثلت هذه التعاب في ثلاث دوائر : المراقبة الشديدة ، والمحاضرات ، والسجن .

فقد وضع تحت رقابة شديدة في بيته ومكتبه وأصفاره وتنقلاته على نحو مثير ، بحيث كانوا يتعرضون له ويهددونه ، ثم وضعت كتاباته تحت مراجعة دقيقة فوكم ثلاث مرات .

وسجن مرتين . وما كانت تحدث في مصر حادثة من بعد إلا كان هو في مقدمة من يحقق معهم أو يسجنون ، وفي يوم حادث مقتل بطرس غالى أجرت النيابة معه تحقيقا دقيقا ، ومن أجل مقالة عن دنجرا أنذرت اللواء ، ومن أجل مقالة عن حادث السكاملين في السودان قدم للمحاكمة الأولى ، وقدم مرة ثانية عن مقالة « ذكرى دنشواى » وسجن ثلاث شهور ، وفي المرة الثالثة كانت محاكمته وسجنه من أجل مقدمة ديوان على النايانى « وطنيتى » .

وفي المرافع الثلاثة والمحاكمات الثلاث كان رائما ، نفس الطبيعة الغفيرة بالشجاعة والمقدرة إلى حد العنف الذى يكتب به ، والجرأة التى يحملها على سن القلم ، كان يعرف تماما الجو حوله ، وكان مؤمنا بأنهم يريدون أن يتخلصوا منه بالسجن أو النفى أو أى وسيلة أخرى يقاوم الاستعمار بها ، الأحرار « أحرار القلم » ولكنه كان مؤمنا كبير الايمان بالله ، قادرا على أن يواجه الممارك ، وقد روى لى الدكتور محمد فهمى القولى صهره وقد عاش معه هذه الفترة كيف كان يعرف بأنه مقدم للمحاكمة وأنهم يطلبونه غدا أو يفتشون منزله ، أو يدبرون المؤامرات ويرتبون له خطط الانتقام ليحكموا عقوبته ، فلم يكن يصرفه ذلك عن برنامج الطبيعى ، ينام ملء عينيه ، ويؤدى واجباته كما هى ، ولا يغير من عاداته شيئا ، فإذا كان خارج المحكمة وعلم بالحكم ، أسرع من فوره فلم نفسه لأقرب قسم بوليس ، لا يتردد ، ولا ينتظر حتى يخطروه أو يرسلوا له من يهلفه الحكم . وكان أمره في سجنه ، كأمره خارجه ، لا يضيق بشيء ، يقرأ فى كتابه أو يصلى أو يتأمل ، دون أن يفارق وجهه إبتسامة وهدوء ، وهو أبنا يحمل تسكون شخصيته موضع المهابة والتكريم . .



٢ — قضية السكاملين

الزمان : عام ١٩٠٨

للسكان : القاهرة

أطلق على محاكمة الشيخ جاويز الأولى « قضية السكاملين » وكان عنوان المقال ( دنشواي  
أخرى في السودان : ٧٠ مشفوقا و ١٣ سجين ) كتب في الموضوع مرتين يوم ٢٧ و ٢٨  
مايو ١٩٠٨ ولم يكن قد مضى على توليه رئاسة تحرير اللواء خمسة وعشرون يوما . وكان  
( عبد القادر إمام ) زعيم ناحية السكاملين إحدى مناطق السودان قد أدعى النبوة في هذه المنطقة  
وتبعه الكثيرون . فاعترضت حكومة السودان وحاولت القضاء على نفوذه ، وسيرت إليه  
قوة يقودها المستر مونسكريف المفتش ، ودارت معركة بين قوات بريطانيا وقوات عبد القادر  
أمام انتهت بمقتل مونسكريف ومن معه من الجند ، فلم تلبث حكومة السودان أن أسرع  
بإرسال قوة كبيرة بقيادة ويكسون مدير النيل الأزرق وانتهت المعركة بهزيمة عبد القادر  
وقتل بعض الضباط من المصريين والانجليز .

ووصلت بعض المعلومات بوسيلة أو بأخرى من السودان إلى جريدة اللواء ، فكتب  
جاويز منتقدا تصرف حكومة السودان معللا أن تصرفها هو الذي أدى إلى استفحال الشر  
وإراقة الدماء ، وأن السياسة البريطانية إنما تهدف من إثارة هذه الفتن منع الاستقرار الذي  
من شأنه أن يدفع مصر إلى المطالبة بحقوقها في السودان . وذهب جاويز إلى أن الانجليز  
هم الذين أوقدوا الفتنة ، ودفعوا عبد القادر إلى هذا السبيل الذي انتهجه ومنوه بمجد يسوقونه  
إليه وغايتهم أن يثبتوا بحالة الاستقرار التي أوشكت أن تسود السودان ، وليخلفوا لهذه  
الفتنة أسبابا يبررون بها استيلاءهم عليه ، والحيلولة بين المصريين وبينه . وأن الخبر الذي وصل  
إليه هو الحكم بالشفق على ٧٠ رجلا من الأهالي ، أعدم منهم ٤٠ ، وحكم على ١٣ آخرين  
بالسجن . وكانت أخبار السودان تصل إلى مصر عن طريق بريطانيا فتزدها ببيانات من  
وزارة الحربية أو أخبار تسوقها ( جريدة السودان ) التي كان يقولها أصحاب المقطم وهي جريد

شبه رسميه ، أما جريدة اللواء فكانت ممنوعة من دخول السودان ولا سبيل لأن يرسلها أحد . وقال جاويش أن هذا الحكم مخالف لقواعد الانسانية ، ولم يكن ما نشره جاويش مبالغا فيه أو بعيدا عن الحقيقة المبثوثة في الصحف الأخرى ، فقد نشرت جريدة المقطم في ٢٩ مايو أن المحكمة العليا انقضت ، وأن الحكم لم يصل ، ويرجع أن يكون بالاعدام على ٧٠ شخصا ، وذكرت جريدة السودان أن عدد المحكوم عليهم أكثر من مائة . وأسرت حكومة السودان فجمعت أعداد الجريدة وحرقتها أثناء محاكمة الشيخ جاويش وحالت دون حصول الدفاع على نسخة منها حتى لا يجد الدليل على صحة ما ذهب إليه . وقد بدأ واضحا من سرعة تقديم جاويش للمحاكمة ، وتحديد جلسة سريعة وعدم وجود أدلة أكيدة ، ومحاولة اخفاء المستندات التي تؤيد رأيه إنما يراد ضربه بشدة منذ الشهر الأول لتولية رئاسة تحرير اللواء بعدما بدأ من عصف مقالاته وجرائته ، حتى أن جريدة « الجريدة » وهي المعتدلة الرأي كشفت عن هذا الموقف حين ذكرت ( ٣١ يونية سنة ١٩٠٨ ) اهتمام الحكومة « اهتماما شديدا بتحقيق قضيتها على الشيخ جاويش وأنها أسرعت في تحديد جلسة لها على خلاف المادة المألوفة في قضايا النيابة وقالت : « أن ذلك يشمر بأن الحكومة لا تنظر لهذه القضية بنفس النظر الذي تنظر به جميع الدعاوى العمومية بل بنظر صاحب الحاجة ، ولكن لا خوف فإن في مصر قضاة » . وأضافت « أن النيابة لم تصل في تحقيقها إلى دليل يثبت أن الكاتب كان يعلم كذب الخبر وقت نشره بل كل ما في المقالة من الممان والمبارات تدل على أن الكاتب كان يجهل جهلا تاما أن هذا الخبر كاذب » . وكذلك دافعت عنه « المؤيد » . وقال الشيخ جاويش الذي كانت سنة إذ ذاك ( ٣٦ سنة ) عبارة واحدة حاسمة أمام القضاة « إن رويت خبرا بغير سوء قصد » .

وكانت النيابة العامة قد وجهت إليه تهمة « تسكير السلم العموى » بسبب الابهجة الشديدة التي حرر بها المقال ، وأبرز الدافسون عنه « محمد فهمي حسن - أحمد لطفي »

أهم وجوه الضعف في الاتهام . وهي أن النيابة عمدت إلى عدم استحضار أوراق قضايا السودان والضعف التي نشرت عدد المحاكمين ، وقالت أنها هي الركن الأول في الجريمة . وإنه إذا كانت حكومة السودان سادقة فيما بلغته إلى نظارة الحربية ، فلتبادر إلى إرسال محضر هذه القضية . . . وأشاروا إلى أن تسكير السلم العمومي بالنسبة للسودان مستحيل لأن « اللواء » محظور عليه الدخول في بلاد السودان ، فضلا عن أن جريدة المقطم لسان حال الاحتلال قالت بعد ما ذكرته اللواء أنه خبر محتمل الوقوع ، بل ربما كان عدد الذين حكم عليهم أكثر من أولئك الأشقياء ، إذ الجريمة ظاهرة ثابتة ، وقانون البلاد واضح جلي . ومعنى هذا أن ما نشره « اللواء » ليس موجها لتسكير السلم العمومي ، بل أن هناك ما يثبت أن ما قاله اللواء صحيح ، وأن عدد من حكم عليهم يفوق المائة كما قال حاكم السودان في مخاطباته الرسمية . وقال أحمد لطفى : « إن القانون اشترط لتطبيق عقوبة الخبر الكاذب أن يقترب على النشر تسكير السلم العمومي بالفعل ، وقد طالب المشرعون إلغاء هذه المادة محتجين بأن نشر الأخبار الكاذبة ، ليس من الأمور الجنائية التي يصح العقاب عليها ، ولكن سياسة الحكومة قضت ببقائها دون التعديل . وأشار أحمد لطفى إلى ما ذكره الاستاذ جاروا المشرع الفرنسي من أنه يكفي وجود هذا النص في القانون لتمكين حكومة لا تراعى القدمة أن تحاكم عند الاقتضاء خصومها في السياسة وتقضى عليهم بالعقوبة وأن تمحو وتهدم حرية الصحافة . وأن « جاويش » دخل ميدان الصحافة تحت سيطرة هذا القانون بجهنم ثابت ، وقلب ظاهر يلتهب حبا في « خدمة الأمة وإرشاد الحكومة » . .

وما كاد يضع قدمه في إدارة اللواء حتى حفت خدمته بالمسكاره واعترضته الصعوبات ، ولكن الرجل القدى ملأ قلبه حب أمه لا يقف كفاحه عند حد بل يتلذذ بالمعارك ولا يحفل بالمسكاره ويركب كل صعب وأشار الدقاع إلى أنه لم تمض بضعة أيام حتى وقعت تلك الحادثة الكبرى التي روعت القلوب ورملت النساء ، وبادر « جاويش » إلى ذكر ما وصل إلى علمه مطالبا ببيان أوفى ، وقال أن التفاصيل التي أبلغتنا إياها الحكومة رسميا لم تكن كافية

للقوف على الحقيقة والبصير يرى بين السطور أن الحادث على النحو الذى بدأ به لا بد أن يستفعل أمره ، وهى حالة مطلوب منها من أن تجلى الحقيقة بكل إيضاح ، وأن جاويزه أورد الخبر مورد الذى لم يتحقق تماما من صحته وعاقى عليه تمليقا أغلط فيه القول للحكومة ونعى عليها التصوف فى نشر أخبار الحادث ، وأسرت الحكومة فبلت الصحف أن القين قدموا للمحاكمة ٢٣ برىء منهم ٣ وحكم على ١٢ بالإعدام والباقي حكم عليه بالسجن . وأشار إلى أن جاويز إمتنع من إبراز الخطاب المتضمن للرسالة السودانية ومركز واسم الوجييين اللذين استشارهما فى نشر الرسالة ، وقد عد هذا دليلا على سوء القصد . وقال : إن الاتهام يحاول إغراء التهم بارتكاب فعل مفاير لمبادئ الشرف . . . والواجب الصحفى ، وأبدى دهشته من أن يطالب الصحفى بذكر أسماء الأشخاص الذين ائتمنوه ووثقوا به . فأرسلوا إليه أخبارا ، وأضاف بأن شراح القانون أباحوا للصحافى والسياسى الحق المطلق فى كتمان اسم الكتاب أو المرسل .

وقد صور القاضى « محمود رشاد » كيف كان حكمه ببراءة « جاويز » مصدرا للتلاعب فى حياته فقد جعلها من بين الأسباب التى حملت الإنجليز على الوقوف عقبة فى سبيل ترقيته ، بعد أن قضى سنوات طويلة رئيسا لمحكمة مصر ، فقد عين كثير من رجال المحاكم السككية مستشارين دون أن يكون هو واحدا منهم .

وروى موقفه من قصة جاويز وكيف أنه لما برأه فى محكمة ثانى درجة قامت القيامة عليه وهاج الإنجليز هياجا شديدا ، واستنداه المستر برايتون نائب المستشار القضائى وقال : سنرفع نقضا عن حكمك ، قال رشاد له : افعلوا ما شئتم ، ولم يكسب المستر برايتون القضية فى محكمة النقض إذ أيدت المحكمة حكمه ببراءة الشيخ .

وقال محمود رشاد : لقد وجه إلى المستشار القضائى سهام اللوم والتقريع ، وقال له برونيوت : أنت تقف لنا دائما فى الطريق ؟ ثم شطب اسمه بعد أن رشح رسميا لوظيفة مستشار فى الاستئناف .<sup>(١)</sup>

---

(١) محمود رشاد : ٧ مايو ١٩٢٤ جريدة المهرسة .

وقد أشارت الصحف إلى أن تبرئة جاويش كانت مثاوا إعجاب الجماهير التي استقبلته بالهتاف وحسن التكريم ، وبلغت الحماسة مبلغها . وتقدم إلى العربية التي كان يركبها نفر منهم أبوا إلا أن يحملوها على أعناقهم ، وقالت اللواء <sup>(١)</sup> أن الموكب سار غترقا الشوارع فلما وصل شارع المدايق كان الزحام قد تضاعف بمن انضم إلى المظاهرة ، وكاد الطريق ينسد بالتيار الزاخر ، وحين وصلوا إلى قهوة جورج أمام جريدة الأهرام وكان البوليس يزاحم الناس ، ونهج عن ذلك أن تسكست بعض للناضد . وعلقت الصحف على البراءة فقالت أنه يستنتج منها أن المتهم لم ينشر الخبر باعتباره صحيحا وأن الخبر نفسه لم يثبت كذبه .

وتوات برقيات التهنئة ونظم الشعراء عشرات القصائد وقال أحمد نسيم :  
يا أعف الانام نفسا وذिला      وأجل العباد بين العباد  
إن يوما خرجت فيه بريثا      هو عيد من أشرف الأعياد  
إن من يجعل السماكين متنا      لكثير الأعداء والحساد  
وقال إمام العبد في قصيدة طويلة :

أنت علمتنا الحياة فسرنا      يافى الدهر تحت ظل اللواء  
وبين نشر المقال في ٢٨ مايو ١٩٠٨ وحكم البراءة في ٤ أغسطس ١٩٠٨ وبين استئناف الحكومة للقضية وعرضها أمام محكمة الاستئناف في ٣٠ أغسطس ١٩٠٨ وتبرئته تبرئة تامة من تهمة نشر الخبر الكاذب ، وتهمة إهانة نظارة الحرية كان الشيخ جاويش يكتب ولا يكف عن مهاجمة بريطانيا ، ومن أم كتاباته مقاله « يد الانجليز في مقدونيا » نشر في ٢٧ أغسطس سنة ١٩٠٨ .

---

(١) ٢٩ يوليو ١٩٠٨ (الصحف )

غير أنه لم يلبث أن عاد إلى مهاجمة الانجليز بنفس القوة والعنف في ٢١ سبتمبر ١٩٠٨ دون أن يكون لما لقيه من متاعب أثرا في تخفيف لهجته وهذه عبارته : « يقول الخبيرون بماجريات المواليد الطبيعية بأن السكان الحى لا ينمو إلا من باطنه ، فالقبات مثلا لا يقوم باضافة أفرع عليه من الخارج ، ولا يمد مورقا إذا ألصق به شىء من الأوراق الطبيعية أو الصناعية ، وكذلك الشأن فى باقى الأجزاء لا نكون فى اللبات إلا إذا تولدت فى ذاته تولدا ، وبرزت منه بروز الأجزاء المكونة ، من لنا أن نكون مع الانجليز كالقبات بالإضافة إلى مواد الغذائية ، وهم يريدون أن يقتنوا بفقرا ، ويقولوا بضمفعا ، ويخلدوا بزالنا ، تقتحمنا عيونهم ، وتمتقا نفوسهم ، يريدون أن يأمرؤا فتمقتل ، ويكلفوا فتمعمل ، ضيقوارداء أفكارنا ، ومسرح إهصارنا ، حتى لا نكاد نجد مجالا للحركة ، وقيدوا أراءتنا ، وهواجس نفوسنا ، حتى خيل لكثير معا أى منهم رقباء حتى على خواطر النفوس ووساوس الصدور . : « .

ولم تلبث القضية أن حوت إلى « القضا والإبرام » فأيدت حكم البراءة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٠٨ ، وما زال هو خلال ذلك يكتب دون توقف مهاجما الانجليز ناقدا كل تصرف غير وطنى .

٢ - ذكرى دنشواى

وقم حادث دنشواى ١٩٠٦ فى مصر واعتزله رأى العام العالمى ، وكان للحركة الوطنية وسعدها وكتابات مصطفى كامل بالذات فى صحف أوروبا ، أثر بعيد المدى الذى نرى زعزعة مركز بريطانيا ، مما حملها على سحب ممتدها دكرور ، من مصر بعد أن ظل ممثلا لها ربع قرن . وأصبح يوم ذكرى دنشواى من الأيام الخالدة التى يحتفل بها ويستمد الحديث عنها ، ومناسبة وطنية لا يقاظ الوعى والتعديب بالإنجليز . وقد سادت ذكرى دنشواى عام ١٩٠٨ وجود بطرس غالى رئيسا للنظار ، وكان إبان الحادث ناظراً للحقانية ورئيسا للمحكمة المخصوصة التى علفت المشائق قبل نظر القضية وإصدار الأحكام . وكان فتحنى زغلول عضو محكمة دنشواى إبان هذه القى ذكرى قد رقى وكهلا للظارة الحقانية .

وكان لابد أن يناول « عبد العزيز جاویش » هذه القى ذكرى بمقال ، غير أنه على طريقته فى العنف والشدة لم يتردد فى أن يوجه لبطرس غالى وفتحنى زغلول أقصى عبارات اللوم والتفريع والاتهام ، ولا شك كان تولى بطرس غالى لرئاسة النظار بعد اقضاء مصطفى فهمى قدواجه روحا من السخط من قبل الشعب واستقبل بحملة غاية فى العنف من الحزب الوطنى لارتباطه فى نظر الشعب بحادث دنشواى والمحكمة المخصوصة . كما تجدد التذكير بموقفه من توقيع معاهدة ١٨٩٩ من أجل تسليم السودان إلى الإنجليز . وفى هذا يقول جاویش :

« حاربت الجيود المصرية السودان وفتحته بسيوفها وما قدمته من أرواحها المزينة ، فلما فتحت فى أوجهم أبوابه ، ادعى الإنجليز أنهم شركاء فيه بالقصف وعرضوا الأمر على الحكومة المصرية فهمت نفس عطوفة رئيس النظار بالبحث فى المسألة ثم رأى أنه ربما

أرعه هذا المم شيئا من النصب والقرب إلى أقل الأمرين ضررا وأخفهما احتمالا ،  
وقد كحل على وضع اسمه الشريف في عقد الاتفاق بين مصر والحكومة الإنجليزية ،  
أو بين الحكومة الإنجليزية ونفسها ، ثم وضع اسمه الشريف على كل ميزانية سنوية قدر  
الإنجليز منها للسودان ما قدروا من أموال الحكومة المصرية المثقلة بالديون .

هذا موقف « جاويش » في مايو ١٩٠٨ قبل أن تحمل ذكرى دنشواي ، فلما حل  
موعد الذكرى استقبلها « جاويش » بشيء من الحفاوة ، وجعلها فرسته لتتديد بأهوان  
الاحتلال ، ولم يرهبه أن يكون أحدهم في مركز رئيس الحكومة أو « ناظر النظر »  
كما كانوا يسمونه إذ ذاك ، والآخر وكيل وزارة الحفاوة . ولا يمكن فهم هذا الموقف  
على حقيقته إلا بإيراد سطور من هذا المقال التاريخي الذي أودع جاويشاً السجن  
ثلاثة شهور ، ووضع على رأسه أكليل النار بعد خروجه السجن ، ودفع الوطنيين  
إلى العجم في ساحة فندق شبرد ، أمام حديقة الأزبكية ليحملوه ببريقه على أكفانهم  
بعد أن أهدوه « وسام الشعب » .

« سلام على أولئك الذين كانوا في ديارهم آمنين مطمئنين فنزل بهم جيش الشؤم والعدوان  
فأزعج نفوسهم ، وأحرق حصادهم ، فلما هموا بصيانة أرزاقهم التي عملوا في سبيلها بأجسامهم  
وداباتهم وأرضهم ، وقاموا عليها نحو حول يعمدون بها بالسقي والحفاوة ويترقبونها في الهكرة  
والشمس قيل أنهم مجرمون ، فسيقوا في السلاسل والأغلال ، ثم صلبوا على مرأى ومسمع  
من زوجاتهم وأمهاتهم وبقاتهم وعيالهم وأصدقائهم وجيرانهم .

سلام على تلك الأرواح التي اتزمتها بطرس باشا غالى رئيس المحكمة المخصوصة القضائية  
من مكائنها في أجسامهم ، كما تنتزع السلوك الحرير من خلال الشوك ، قبضها بيده فقدمها  
قربانا إلى ذلك الجهار الظالم للناصب القاهر ، القائم في بلادنا بلفافنا وضمة مقاصدنا .



الاستبد بالآمر فيها بسبب تفرقنا وضمف هزأنا ، المسيطر علينا بنفر مما يخشون الانجليز  
أكثر مما يخشون الله ويرغبون في المال والرقى ولو شقيت في سبيل ذلك بلادهم  
واستبيحت حرمانهم .

سلام على أولئك الذين وقف هلباوى بك فثار فيهم ثوران الجبارين ، ثم إنثنى  
على رقابهم فقصمها ، وعلى أجسامهم فزرقها ، وعلى دمائهم فأرسلها تجري في الأرض تلفن  
الظالمين وتتوعد الأئمين .

نعم قام هلباوى بك مقامه الشهود ، وطلب من قضاة تلك المحكمة الظالمة بذلك  
القلب المضطرب واللسان المتلجلج أن يحشر أهل دنشواى فيقدموا قرايين إلى هيكل  
الاحتلال ، الذى هو مبد الخائنين ، وقرة أعين المارقين ، فإلبث رئيس المحكمة المخصوصة  
وزميله قاضى دنشواى أحمد فصى باشا زغلول أن استهوتهما الآمال ، واستنوتهما المناسب ،  
واسترعتهما عظمة الاحتلال فأنطقتهما بذلك الحكم الجائر ، لأرب في الألقاب والمناسب  
وعوز النفس إلى الشهور بالواجب .

أوعز اللورد كرومر ما أوعز ، ففتت الوجوه ، ونسبت القدم ، واعوزت القلوب  
الراحمة ، فضيقت الحفوق ، وأزهقت الأرواح ، وابتعت النساء ، وتبيعت الأطفال ، فاجنى  
أولئك الذين خالفوا الله باطاعته وهزموا الحق بنصرته ، أولئك الذين طمسوا معالم العدل ،  
وأقاموا منار الجور ! ! لقد أصبحوا يشق وجودهم على الأرض ، ورؤيتهم على الابصار ،  
وصوتهم على السامع ، وذكركم على الألسن ، وذكركم على الصدور .

أما أولئك الذين بكتهم الأدض ، والسماء ، ورثى لظلمهم العالم ، وأنخلع لمصائبهم  
قلب الانسان في كل مكان ، فهم شهداء عند ربهم يرزقون ، وشهود ستنطق أيديهم  
وأرجلهم ورقابهم ودماؤهم بما ظلمهم به قضاة المحكمة المخصوصة ، وقصر في الدفاع  
عن حياتهم المحامون يوم يؤتى بهؤلاء فلا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون .

فلنذكر الأمة هذا اليوم الذى أبغضها من سبائها ، وبصرها بمداتها ، وملأ - قلوبها بالعلظة والمبرة ، ونفوسها بالحمية والغيرة ، هذا اليوم الذى كشف أسرار المنافقين ، ونضح كبير الخائنين ، وأظهر حقائق المارقين الذين أشباحهم مع الأمة ، وذمهم مع المحتلين . هذا اليوم الذى أرى المحتلين أنه ليس معهم من الأمة إلا نفر باعوا بلادهم وذمهم ، وخمروا دنياهم وآخرتهم ، وأنه لا يرضى الأمة إلا أن تخلص من احتلالهم ، وتسلم من عدوانهم واعتيايهم ، ألا فلنذكر الأمة الثامن والعشرين من شهر يونيو .

ولنذكر أن للاحتلال أهوانا من بينهم يجب محاربتهم بالبغض ، ومعاملتهم بالحقد وسوء الظن . اذكروا هذا اليوم ، واذكروا معه من أخذ بأيدي الأمة إلى الفموض ، اذكروا اسم « مصطفى كامل باشا » أمام الحركة الوطنية ، واسفاد الأمة المصرية ، وانتقدوا به لبلدكم ترشدون .

\* \* \*

ولم تمض أيام حتى قدم « جاويش » للنيابة العامة متهمًا بأنه - حسبما جاء في قرار الاتهام « أهان بطرس غالى رئيس مجلس النظار ، وأحمد فتحي زغلول وكيل الحاقانية » وأنه ضمن مقالة قد طعن في « عطوفة الباشا » بأن نسب إليه انتزاع أرواح بريئة بقضائه ليقدمها قربانا للورد كرومر . والطمع في عطوفة الباشا وسعادة فعلى باشا بأن الذى انطلقهما بهذا الحكم الجائر هو رغبتهما في المصائب ، ورهبتهما من عظمة الاحتلال ، وقصص شعورها بالواجب ، وغير ذلك من ألفاظ السباب ، والفحش ، كرميهم بخيانة بلادهم وبهم ذمهم .

وكانت الحكومة قد أفادت من تجربة المحاكمة الأولى ، فوضعت القيود التى تسكل

أولا المحكم بالادانة ، وسرعة المحاكمة ، واعتبار المحكم نهائيا منذ النطق به ، كل هذه الإجراءات قد وضعت لها أنظمة بحيث أصبحت نافذة المفعول .

وأعلنت جريدة « المقطم » قبل صدور المحكم ، بأن المحكمة لن تتمكن القوم من اثبات الوقائع التي ذكرها ، وجاء قرار المحكمة وفق ما أعلنت « المقطم » وطالب وكيل النيابة « عبد الحميد بدوي » بالمعقوبة الشديدة لوقف مثل هذه الأنلام « الجماعة » وحتى تمود إلى النفوس طمأنينتها ، وذكروا أن مقال « جاويش » إهانة ولم يتضمن نقدا ، ودافع أحمد اعاني وإسماعيل شيعي المحاميان ببطلان الاتهام ، وأدلى رشدي باشا في ٢٧ يوليو ١٩٠٩ قبل نظر القضية بيومين باعتباره ناظر الحفاية إلى إحدى الصحف الأجنبية بتصريح قال فيه أنه سيحكم على جاويش بكل تأكيد .

وعندما صدر المحكم استقبل أسوأ استقبال ، وانتهت البرقيات والاحتجاجات حتى فتحت جريدة « اللواء » بابا أطلقت عليه باب استياء الرأي العام ، استمر أياما طويلة وكانت عباراته مثالا طاليا للوفاء والمناطفة للقبادة بين الكاتب وقرائه على هذا النحو :

ملا المحكم قلوبنا حزنا ، وزاد نار الوطنية اشتعالا ، إن المجاهدين لخلاص أوطانهم من ربة القل والاسعباد لا يبالون بما يلاقون ، نزل المحكم علينا نزول الصاعقة ، ربات الحجال يهتفن الشيخ جاويش ، سجنك مبدأ حياة جديدة ، مكانك في القلوب وذكرك على الألسنة ، لست في السجن بل في سويداء القلب ، لا يقدنكم المحكم من الجهاد ، كما زادوا في اضطرادنا ثبقتنا في جهادنا ، زدت في قلوبنا مقاما يا حامل لواء الحرية . . . الخ .

وانت كان لهذه الكلمات أثرها من ناحيتين ، الأولى في نفس « جاويش » الذي لم يتأثر بالمحكم واستقبله راضيا باسماء وعاد منه أشد صلابة .

أما بالنسبة للحكومة فقد اهتزت لهذه الحملة العنيفة ، فاضطرت أن تتيح « لجاويش » بعض الامتيازات ، فسمحت له بتداول الطعام من منزله ، وأن يقيم في غرفة خاصة ، وأن يتريض في بناء السجن مرتين في اليوم ، كما أباحت زيارة أهله له .

\* \* \*

كتب جاويش مقالة عن دنشواي يوم ٢٨ يونية ١٩٠٩ ، وسدر الحكم بسجنه يوم ٢٥ أغسطس ١٩٠٩ ونشرت « اللواء » يوم خروجه من السجن ( ٢٢ نوفمبر ١٩٠٩ ) أولى مقالاته « أين كفت ثلاثة الأشهر المنسلخة » كشف فيه عن موقفه من الحكم .

« كتبت ما كتبت بذكري دنشواي فرأت الحكومة ( والله أعلم بيد من أمرها ) أن ما كتبت أستحق عليه العقوبة ، فكان مما كان مما لا حاجة لذكره ، فلما بلغني الحكم وقد كفت في منزلي تلقيته بما عهد في نفسي من الجلد والصبر ، ثم خرجت مسرعا إلى ذلك المنزل « نزل المجاهدين والمخلصين . » وقال : لقد يظن بعض الناس أن قد نال أعدائي مني فجزعوا ، وانهزم أنصاري من حولي فجزعوا ، أن ذلك الحكم نعمة من الله أرسلها ليجمع أشقات القلوب ، ويوقظ بها نيام الميؤن وينبه بها الغافلين ، ولقد طالما نادينا بحاجة الحكومة إلى الإصلاح فقليل متهورون ، وكثيرا ما أسأنا الظن بكثير من تصرفاتها فقليل متهورون ، نشرنا لهم ، قاومنا تصرفاتهم فخوربنا وطوردنا ، وأخذ باضطهادنا إلى السجن ، فإن زعموا أنهم بذلك يشفون غليل صدورهم ، وينفثون على حفيظتهم ، فقد وهموا ، فهاذا ليت شعري يشمتون ! أبا أ كسبوننا من رفعة الذكر وبهاة الشأن ! وبماذا يفتخرون ، أبحاربتهم من أقاموم في مراكزم وعقوباتهم من أيديهم في مناسبتهم أم بإساءتهم إلى من قسوا عليهم من رحمة ، وأغلظوا لهم من إخلاص ، حتى لا يجرؤ هذو على اتخاذهم مضمة في فته .

ثم غلام يسفرون منا وقد جهدنا واستراحوا ، وجاهدنا وتخلفوا ، وتقدمنا وتقهقروا ،  
وتحمرنا واسترقوا ، أغرام وهيج الذهب فأتخذوه أطواقا لرقابهم واصفادا لأرجلهم ، وأغلا لا  
لأيديهم ، وخلبت أبصارهم زخارف الدسوت ، فخطبوا بمروءتهم وشتمهم ، وطلبوا بالمهم  
وذمهم ، ثم سمروا - ملابسهم فيها حتى لا يفارقوها مختارين ، ولا يحرموها مقهورين » .

ومضى جاويز يكشف عن أثر السجن في نفسه : زعموا أن السجن يفل من قلبى ،  
ويضعف من هميتى ، ويخمد من نار غيبتى ، لقد وهموا ، فما كان أجدرهم أن يعلموا أن في ضيق  
السجون أوسع مجال للأفكار ، وأن في ظلمتها نورا للبصائر لا الأبصار ، لقد آتخذت  
السجن في تلك الأشهر مدرسة زادتني بصيرة بتصرفات الحكومة ، وعلمنا واسعا بأخلاق  
هذه الأمة » .

\* \* \*

وكانت الحكومة قد آتخذت الحيلة حتى لا يستقبله أحد عند خروجه من السجن  
فأخرج فجأة ، في الساعة الواحدة والنصف بحد منتصف الليل ، وقبل أن يشرق للصباح  
حيث الألوف تستعد لاستقباله في موكب ضخم ، ثم حل في عربة تحت جنح الظلام إلى  
بيته ، فما أن طلع الفجر ، وتجمعت الجموع في ساحة المحافظة في انتظار خروجه حتى علمت  
أنه قد أفرج عنه منذ الليل ، هنالك قصدت إلى داره وقدمت تحيتها إلى صاحب « القلم  
المر » الذى لا يثنيه السجن عن كلمة الحق التى يمتقد .

وكان ذلك اليوم الذى نشر في صباحه مقاله ، هو يوم تكريمه ( ٢٢ نوفمبر ١٩٠٩ )  
الذى أقيم في المساء في فندق شبرد .

وفى خلال أيام السجن كانت قد اقترحت فكرة إهداء « وسام وطنى » من الشعب  
« لجاويز » واشتركت طوائف الشعب المختلفة من أقصى القطر تساهم في ممل الوسام ،  
الذى صنع على نحو رائع ، فهو مؤلف من ثلاث قطع من الذهب ، الاولى منقوش عليها

رسم الاهرام وقد كتب تحت الرسم : « تذكّار الشعب إلى عبد العزيز جاویش اعترافاً بوطنيته الصادقة » والثانية رسم على نبات كان يقضه المصريون الاقدمون رمزاً للظفر . وقد كتب عليها الآية السكرية « ولعلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » ، والثالثة هلال في وسطه نجم . وقد نيطت هذه القطع جميعاً بوشاح من الحرير الأبيض والأحمر مرصعة كل منها بالحجارة السكرية ترصيماً بديعاً ، وقد صنعه « محمد على أفندي » الجوهري الشهير بالصاغة وأبى أن يأخذ لصنعه ثمناً ، وقد علقه على صدره « أحمد لطفي » وكيل الحزب الوطني .

كما أهدى طبقاً من فضة عليه محابر من خالص اللجين وممها أدواتها وهي قلم مقشط وخاتمة من الفضة للموهبة بالذهب . وأشارت الصحف إلى أن الطرقات الموصلة إلى الفندق كانت مزدحمة بمشترات الألوف من المتحمسين ( جريدة الاجبشيان مورنيغ نيوز ) .

وقد وجه إليه زملاؤه كلمات التقدير ، ودارت السكبات حول اعتبار السجن في هذه الظروف مما يغيظ عليه الإنسان ، وهو أقل ما يلاقى الحر في طريقة من العقبات ، وأشار بعضهم إلى أن « جاویش » قد عرف جميع أطوار الطبقات للعام والوسطى ، وما كان يعرف أخلاق الاشرار والمجرمين من السجونين « فهو عالم من كبار علماء الاخلاق ، يرشد الامة من خبرة ، ويخدمها بأضعاف ما خدمها قبل أن يكون في سجنهم سجيناً » .

\* \*

وكانت فرصة ليصور « جاویش » مشاهره في هذه المرحلة من حياته ، فقد تأتى في صدر اللواء كاتباً جريئاً يهز دوائر الاحتلال والحكومة . ويدخل السجن ويخرج منه . ويواجه جواً حاداً من المقاومة والصراع ، وقد أعطى في خطابه ملامح نفسية صريحة تمكش هذا الجانب من حياته ، فهو يتمثل بقول الشاعر :

بلادى وأن جارت على عزبة وأهل وأن ضنوا على كرام

ويقول : « إذا رأيت من هذه الأمة التى أشرف بالانقسام إليها هذه الحفاوة والاقبال والمظاهرة والتأييد ، فما ذلك لأننى أنيت فى عهدى بخدمتها شيئا من المعجزات . وخوارق العادات ، فإن أقصى ما أنيت فى قصير همدى بالصحافة هو أننى كنت أكتب غير منهيب تلك المناصب ، ولا حاسب حسابا لأصحاب الأبهة والحيلة . ما داموا على الباطل ، يعرض لى الباطل فلا ألبث أن أضربه بسنان قلى ضربة يخربها صريها مجدلا دون أن أبالى بأهله وأنصاره ، ولو أنقلتهم الأوسمة ، وحجبتهم عن الناس المناصب ، وكثرتما قيل أننى ما حوكت إلا لأننى عدت إلى ناز من الكبراء فوخزتهم بأسنة قلى حتى أنابت نفوسهم عن الراحة وجنوبهم عن المضاجع . ومن الناس من كان يستهجن تلك الخطوة ضنا بذلك النفر من أن يقال منه أو خوفا من أن يصيبه من ذلك ما نزل بى من عذاب السجون ، وما ظلوا إلا لأن الحق لا وزن لى لا يطلبه . ولا نجاة لى لا يمتنع به . »

وهاجم اتباع الاحتلال بعنف « إذا عز أهل الخاصة نقر من أهل الملق والدهان يخلصهم بالنجلة والاعظام ، ويؤمنون بأحرفهم عن الحق قائماهم عبدة الميول والأهواء . وإذا عز أولئك من يرتلون آيات مدحهم ، ويقطعون الأيام والليالى بتسبيحهم ، ويطوفون بقصورهم طواف الحجاج بالكعبة المكرمة ، فهل ند عن عقولهم المثقفة ، ونفوسهم المهذبة ، ودراساتهم الواسعة أن كثيرا من الناس عبدوا ضم الحجارة . »

\* \* \*

وأعلن أنه ما كان يتقبل الوسام إلا لأنه يعتبره منهم « كرامة » وأنه لا يأبى الكرامة إلا لثيم ، إعترافا بجزءه وقصوره « فأين أنا ممن جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ؟ وبلغوا ما بلغوا من المجد والرفعة ؟ حتى إذ همت أمهم بمكافأتهم رأوا أنه « لا جزاء على فريضة ، ولا شكر على واجب . »

فهو قد تلقى الوسام لأنه « فن بذهبه الوهاج ، وماسه الآخذ بالأبصار ، ولا لأنه  
أنى ما لم يأت الأوائل ، ولكن لأمر واحد ، ما هو هذا الأمر ؟ نظرت فأبصرت قيد  
قلوب الأمة فيه تنفض عن أنفسها غبار الموت ، وتنزع عنها أكفان الخوف والجنب ،  
مستقبلة حياة الحرية التى طالما تمتعت بها الأمم » .

وعاود إنذاره لمن أسماهم أدياء الوطنية وطفيلها ، بأنه لن يتردد فى مهاجمتهم ،  
« أننى لا يقعدنى عن الصراحة وإعلان الحق وجل ، ولا يصرفنى عنهما شئ من الأمل ،  
كما لا يقرب بى من الباطل رغب فى مال أو منصب ، ولا يفسينى حدود الفروض الوطنية  
القدسة الزلى من وزير أو أمير » .

وعاهد مواطفيه على أنه لن يألو جهدا فى سبيل الكفاح « ولو أسلم جسمه للبلاء وروحه  
للغناء . » ثم قال « فإن رأيتم منى نقضا لهذه البيعة أو انحرافا عن هذه الشريعة فأنتم فى حل  
من دى فأريقوه ومن جسدى فزقوه . »

ثم أشار إلى ما قدمه له المواطنون خلال سجنه من مال وهدايا وكيف رفض ذلك ترفما  
عن أن يجعل عمله الوطنى موضع الجزاء المادى « لو كنت ممن يتقدمون عند المفظة لما رددت  
تلك الأموال التى قدمها إلى أهل الحمية والروية وأنا سجين ، ولعل بهض الحضور يعرفون  
مقادير ما قدم إلى ، وأنى كنت أردتها ردا جميلا . فإذا تبجح أولئك السفهاء بأننا لا نكتب  
إلا لنشهر ، ولا نخطب إلا لنعلى صدورنا بأمثال هذا الوشاح فليعلموا أنه سواء أهلى  
صدرى وضع هذا الوشاح أم على نعش ، وسواء على سمعت فى سبيل الحق أم شقيت ، وقتلت  
أم حييت ، وسواء على ظمئت أو رويت ، فأزبت أم اغتفيت ، وسواء على أنى إلا كواخ سكنت  
أم فى القصور ، وبجملد البير ارتديت أم بجميل الحرير ، وشهى الصعاف تنديت أم بطمام  
الشمير ، ذلك عهد الله بينى وبينكم ما حييت ، لا أبتنى عنكم مالا ونشبا ، ولا أقبّل منكم  
إلا صفو قلوبكم وصالح دعايتكم : أن الدنيا بما لها وجالها وكبرائها ووزرائها ، لا تصدل عندى



أن أكون معافى فى بدنى ، معافى فى وطنيتى ، معافى فى إخلاصى لأمتى وخدمتى لدولتى .  
ودعا الذين كانوا يبيكون أن تكون دموعهم فى قلوبهم لا فى مآقيهم « ما أجدر دموع  
الشجبان أن تكون على قلوبهم لا فى مآقيهم » .

وعنده أن هذا السجن البسيط ليس إلا أول مراحل الكفاح وليس أعلاها : « لست  
أول من أودى من أهل هذا الجبل فى سبيل الحق والصراحة إلا أنه ما دام الحق أنصار  
يؤيدونه فسيرى الناس أن السجن ( البسيط ) هو أول المنازل ولا بد لهم بعد تكرار  
الحوادث ، أن يأنفوا كل كارث مهما عظم وفظع » . ودعا ألا تكون الأحداث  
والسكواث مناحات أو مآتم ، ولكن « دروسا يمتن فيها الناظر ففكره ، ويجهد فى  
إدراكها نظرة » .

واستشهد بقول الشاعر :

ومن ظن أن سيلاق الحروب وإلا يصاب فقد ظن عجزا  
ووجد الشعراء مجالا لتحية جاويز مرة أخرى : فقال أحمد نسيم :

إذا أمرؤ مفع الأوطان مهجته رى بها فى غمار الحتف والمطب

وقال على النايان :

عادت إلى القلم المشهور سيرته ولاح بدر «الوا» من يمدماحتجبا

٣ — قضية التلغراف

وقعت<sup>(١)</sup> قضية التلغرافات عام ١٨٩٦ حينما كان الجيش المصرى زاحفا مع الجيش البريطانى لاسترجاع الحدود ، كان قائد الجيش فى السودان أرسل إلى السردار البريطانى تلغرافا بالأرقام بواسطة المشفرة ، وقد سلم التلغراف للإنجليز ولم يبلغ لفاخر الحربية ، ولما سألت (هابدين) عنه قيل لها أنه لم يصل ، وظهر المؤيد وفيه نص التلغراف حرفيا ، ومعناه : أن قد هبت عواصف شديدة إقتلعت خيام الجنود وألقها إلى مسافات بعيدة وقتلت البعض منهم ، وكانت إحدى الجرائد المنافسة للمؤيد (يقصد المقطم) لما رأت ما فعله المؤيد شنت الغارة على السردارية (بقصد مقر السردار) وقالت أن للمؤيد جواسيس فى دور الحكومة ينقلون إليه الأخبار ، وقامت نظارة الحربية بتحقيق دقيق ، وكذلك الديابة ، وبعد التحقيق وجهت التهم إلى مصلحة التلغرافات واتهموا (توفيق كيرلس) بدعوى أنه هو الذى سلم الإشارة منه إلى التلغراف والشاب لا يعرف رموز هذا التلغراف وقد أدانت المحاكمة الشاب وبرئت المؤيد ، وفى الاستئناف برئت أنتلغرافجى ، وظل على يوسف طوال حياته حتى توفى فى ١ أكتوبر ١٩١٣ يدفع من ماله الخاص مرتبا لتوفيق كيرلس الذى فصلته مصلحة التلغرافات على أثر صدور الحكم بإدانة .

وهناك إضافات إلى هذه الصورة التى رسمها هامش الأهرام هو أن المؤيد واصلت نشر التلغراف ٢٦ يوليو ، ٢٨ يوليو ، ٣٠ يوليو وأن توفيق كيرلس قد قبض عليه وهو يبلغ إحدى هذه التلغرافات وسالت النيابة الشيخ على يوسف عن مصدر التلغرافات فأجاب أنه لا يستطيع أن يوضح به لأن هذا امر الصحفى ، وسأل عن معرفة كيرلس فأجاب أنه يعرفه معرفة سطحية . ولم تصل النيابة منه أو من الآخر إلى دليل قضائى على اشتراك المؤيد .

---

(١) هامش الإهرام : الصحاف المعجوز (توفيق حبيب) ١٢/٨ / ١٩٣٨ .

وقال إبراهيم الهلباوى أن القضية هزت رأى العام وكشفت حقائق كان يحلمها ، وكان محمد فريد رئيس نيابة الاستئناف حاضرا الجلسة ، وكان عبد الخالق ثروت ممثل النيابة فلما صدر الحكم ببراءة الشيخ على يوسف لم يتمالك محمد فريد نفسه من إظهار سروره بهذا الحكم ، ولم يكف بالتصفيق بين اللصفيين ، ولكن التفت إلى ثروت وقال له :

قل لصاحبك ( أى مستر سكوت المستشار القضائى ) أن الحكم صدر بالبراءة فلما اتصل الخبر بمستر سكوت سأل عن ثروت باشا فلم يستطع الإنكار فغضب المستشار القضائى على محمد فريد ونقله إلى بنى سويف فرفض فريد تنفيذ الحكم واستقل<sup>(١)</sup> .

٢ - ومما يتصل بالتضاء والصحافة أن مقالا لإبراهيم الهلباوى نشره عام ١٨٨٠ كان سببا بعد ذلك فى تمييزه محرراً فى الوقائع المصرية . قال الهلباوى مصوراً الحادث : « أنه كان رياض باشا ناظر النظار ستون فدانا فى جزيرة على النيل على مقربة من قريتنا استأجرها منه أحمد فايد قبل قانون التصمية ، فنشرت مقالا فى جريدة التجارة بالإسكندرية لصاحبها سليم نقاش فى أغسطس ١٨٨٠ أنتقد فيه هذا التصرف فقبض على وأرسلت إلى القاهرة للتحقيق مئى وجابهنى رياض باشا وسألنى عن الدليل الذى أملكه ، وقال له رياض : هل أنت من تلاميذه جمال الدين . أرسلوه إلى السجن ، وبعد سبعة أيام استدعانى رياض وعينى محرراً فى الوقائع مع عبد الكريم سليمان وسعد زغلول والسيد وفا زغلول بمرتب قدره خمسة جنيهات فأرسلت إلى رياض أشكى من أن المبلغ قاييل .

قال لى رياض : قلت أنا أتناهى خمسة جنيهات ، وأن سعد وأبو الوفا يأخذان ثمانية جنيهات قال : أليسا هما علماء الأزهر ، قلت : ليسا من علماء الأزهر أصلا وسعد تلميذى ، فقال : سأحدث فى ذلك إلى الشيخ عبده ورفعوا مرتبى إلى ثمانية جنيهات .

٤ — عاكة اصحاب المقطم

من الهاكات التي كان لها دوى عاكة المقطم عام ١٩٠٧ وهو نصير الانجليز  
ولسانهم المتحدث باسمهم وقدم للمعاكة : شاهين مكاريوس وفارس نمر ويعقوب صروف  
وشاهين الخازن وجندى ابراهيم وطنيوس عبده في ٧ أغسطس ١٩٠٧ وصدر الحكم في ٢١  
سبتمبر ١٩٠٧ ، وكانوا قد اتهموا مأمور كرموز بالرشوة في صحيفة المقطم والشرق والوطن  
في وقت واحد ، ولم يستندوا في هذا إلى دليل أو شبه دليل ، فقد ظهرت يوم ١١ مايو  
١٩٠٧ ثلاث مقالات إضافية في الصحف الثلاث بمعنى واحد وأسلوب واحد هاجمت مأمور  
المطارين ونددت بتصرفاته وتضمنت وعيداً ، وأسفر التحقيق عن كذب الاتهام لحفظ  
لعدم الصحة ، وفي ١٧ مايو نشرت جريدة المقطم والشرق والوطن كلاماً تنهم فيه حسن لطفى  
مأمور كرموز بأنه يقتضى رشوة من اصحاب القهاوى وعينت مقدار الرشوة ، وأبلغت النيابة  
التي تولت التحقيق وثبتت برائته ، ذلك أن دائرة قسم كرموز ليس فيها قهاوى ، ونحو  
التحقيق مع هذه الصحف بتهمة القذف ، ودعت النيابة التهمين فقرروا أن المعلومات التي  
وصلتهم من ( يوسف نصر ) وأنكر يوسف ما نسب إليه وقرر أن اصحاب المقطم استدعوه  
وطلبوا إليه أن يحمل المسئولية عنهم وأحيلت القضية إلى محكمة الأذربكية التي حكمت على  
كل منهم بغرامة خمسين جنيتها ، وحبس شاهين الخازن واسكندر صالح وبراءة طانيوس  
عبده ، ولم يكذب صدر الحكم حتى ندب به اصحاب المقطم في صحيفتهم وأعلنوا أنهم  
ضحية لجملة مدبرة تريد القضاء عليهم وعاولتهم الصحف الأجنبية (١) .

• - قصيدة قدوم

ومن القضايا التي هزت الرأي العام قضية «قصيدة قدوم» التي كتبها مصطفى لطفي المنفلوطي وأتهم السيد توفيق البكري بالاشتراك في نظمها، ذلك أنه في يوم ٤ نوفمبر عام ١٨٩٧ ظهرت «الصاعقة» على صدرها قصيدة لاذعة «تهنئة مرفوعة لسمو خديو مصر لمناسبة عودته من ثغر الاسكندرية» جاء فيها :

قدوم ولكن لا أقول سعيد وملك وإن طال المدى سيبيد  
تذكرنا رؤياك أيام أزلت علينا خطوب من جدودك سود  
رمتنا بكم مقدونيا فأصابنا مصوب سهم بالبلاء شديد  
فلما توليتم طفيتم وهكذا . إذا أصبح . . وهو عميد  
فكم صفكت منا دماء بريئة وكم ضمت تلك الدماء لحود  
وكم ضم بطن البحر أشلاء حمة تمزق أحشاء لها وكبود  
وكم صار شمل للعباد مشتتا وخرب قصر في البلاد مشيد  
وسيق عظيم القوم منا مكبلا له تحت أنقال القيود وثيد  
فما قام منكم بالعدالة طارف ولا صار منكم بالسداد تليد  
كأنى بقصر الملك أصبح بائدا من الظلم والظلم المبين سييد  
ويندب في أطلاله اليوم ناعبا له عند ترديد الرثاء نشيد  
أعباس ترجو أن تكون خليفة كما ود آباء ورام جدود  
فياليت دنيانا تزول وليتنا نكون ببطن الأرض حين تسود

ونجبت الأوساط والمخالف السياسية ، وذاعت القصيدة وذكرتها صحف لندن ، وقام القصر وقعد ، فأمر ناظر الحفانية باعتقال صاحب الجريدة أحمد فؤاد ، الذي اعترف ( م - ١٢ تطور الصحافة المصرية المعاصرة )

في التحقيق بأنه ناظم القصيدة وأنه كان ينوى طبعها ثانية وثالثة ورابعة حتى يعم نشرها . وأنه يأسف لتأخره في طبعها فلم تنشر إلا في اليوم الذي عاد فيه الخديو . وحارت النيابة العامة وكان على رأسها الأستاذ يوسف سليمان الذي صار فيما بعد رئيسا للوزارة ، ثم اعتقل صاحب المطبعة ، فاعترف بأنه أحمد فؤاد هو الذي جاءه بالقصيدة ، وكان برفقته الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى الذى تولى بنفسه تصحيح التجارب ، فقبضت النيابة على الأخير أيضا .

وذاعت القصيدة في كل مكان ، وكان الطلبة ينسخونها ويبيعونها ، ولكن النسخ ما كان ليشفى غلة طلابها ، مما جعل الصحفي سليم مركيس على إستنباط حيلة صحفية لنشر القصيدة ، فكلف الشيخ عثمان الموصلى بأن يشطرها بمدح الخديو ، فيحقق رغبات طلابها ، ويكون بئامن من الانتقام . وشطر الموصلى القصيدة ونشرها مركيس في مجلته « إعجابا بذكاء الشطر واعلانا لمدائح الخديو » وقد جاء فيها :

قدوم ولكن لا أقول سعيد (على فاجر هجو الملوك يريد)

(لاضرا به بيت من اللؤم عامر) وملك وإن طال المدى سيبيد

وأحيل التهمون الثلاثة إلى القضاء ، بتهمة العيب في الذات الخديوية ، وكانت أول قضية « عيب » تشهدها المحاكم المصرية ، فسجل أحمد فؤاد في أثناء المحاكمة أجراً وقمة وقفها صحفى في ذلك العصر ، إذ قال :

— ليس في هذه القصيدة قصد سيء ، ويدل على ذلك أنها خالية من كل سبب وطعن تحاول النيابة الصاقه بنا ، ولكنها تتضمن موضوعات طالما رددتها الصحف من قبل . فهل قولى أن الرعية لم تسر بقدوم الخديو جنائية عظمى ، كلا . . إن محبة الرعية للحكها أمر اختياري . وما من ملك إلا وله من ينقد أعماله ولا يسر بقدومه . والملك ليس بوسمه أن يرغم الناس على حبسه لأنه ملك ، فهو ملك الأجسام لا ملك القلوب .

واستشهد أحمد فؤاد بأمثلة من الديمقراطية في الغرب ، وتساهلها حبال حرية الفكر ، فقال :

- أن ملك سيام لما زار روما سأل ملك إيطاليا : ألا تعاقب الدين تراهم من رعيته لا يحترمونك ؟ فأجاب : كلا . . لا أستطيع ذلك ، وكل ما أفعله هو أن أستميلهم بأعمال الطيبة ، وأن ملكة إنجلترا وهى أعظم جدًّا من الخديو سلطانا وملكًا ، لم يرفع أحد الناس قبعته لها فى أثناء سير موكبها ، فأهانته أحد الإشراف ، وأقام عليه دعوى ، وفى المحاكمة قال المتهم : أنا لا أحب الملكة ، ولا أريد أن أحترمها ، فتركته المحكمة وشأنه .

وبعد فاذا فعلنا نحن ، هل عملنا عشر معشار ما أناء سكان أرفندا الذين ساروا بالذهن والرايات السود فى عيد ميلاد فكتوريا . ثم أنى لست بأول من قال بظلم العائلة الخديوية ، فإن أشهر صحف مصر نشرت مرة أن الخديو سعيد أراد يوما أن يجرب مدفعا جديدا ، فقال له أحد رجال الحاشية : هل يأمر مولانا بأن نقهمل ريثما يمر الناس ؟ فأجابهم : إضرب النار . . نحن لم نستلم الناس بالعدد .

وحاصر الخديو اسماعيل إحدى قرى الصعيد وضربها بالدافع لفضبه على رجل واحد وعلى هذا أقول أن القصيدة التى أحاكم بسببها خالية من أى مطعن يعاقب عليه القانون .

واسكن المحكمة حكمت على أحمد فؤاد بالسجن عشرين شهرا ، وعلى النفلوطن بسنة أشهر .

٦ — الهجوم على أسرة محمد علي

ولقد استطاعت الصحف في هذه الفترة أن تحمل على أسرة محمد علي وأبرز ما عرفه في هذه المرحلة مقالاته : مقال الشيخ محمد عبده في الوقائع المصرية بمناسبة مرور مائة سنة على مولد « محمد علي » ومقال أحمد فؤاد في جريدة القطر المصري في ٨ يناير ١٩٠٨ وهذا أهم ما جاء به .

(جريدة القطر المصري — أحمد فؤاد — ٨ يناير ١٩٠٨)

لا شك ولا ريب أن سبب شقاء المصريين وتأخرهم وعدم تقدمهم هم عائلة محمد علي . سواء كان ذلك أدبيا أم ماديا . أما من الجهة الأدبية فشهور بأن مصر من اليوم الذي رمتهم إليها مقدونيا إلى الآن مائة عام كانت كافية لأفنى تبلغ خلالها ما بلغت فرنسا من الإقدام والرق والاستعداد لحكم نفسها بنفسها . لكن سوء قصد حال بين المصريين وبين التقدم لأنهم يعلمون أن مصر متى بلغت رشدتها لا تقبل ذل حكم الأجنبي ولا ترضى بأن تسلم زمام أمورها ومصالحها للأغريباء لأن صلاحها في فسادها وتقدمهم في تأخرها .

وقد اشتهرت عائلة محمد علي على العلم والفنل حربا عوانا . أما المدارس التي زعم المفاخرون أن محمد علي أسسها لخير مصر فقد كان غرضه بها الحصول على عدد من الضباط ليستخدمهم في مقاصده أما كان عازما على الخروج على الدولة صاحبة النعمة عليه . وقد يتم أولاد المصريين ورمل نساءهم في حروبه التي لم تنل مصر من وراءها خيرا غير إدهاء حفيده اليوم أن الإمتيازات التي حصلت عليها بدمائها له لا لها . وقد التقي أثر محمد علي في قبح فعله وسوء سيرته أولاده وأحفاده من بعده فأزهقوا روح العلم وضنوا على المصريين ولم يحدوا عليهم إلا بالقدر اليسير لطائفة مخصوصة من مماليسكم اصطفوا دون غيرهم فقرّبوا منهم كل متشرد لا يعرف أحد مسقط رأسه ولا ملقط جسمه وسلموه الوظائف واستعانوا بهم على بقاء المصري في حالة الجهل حتى لا يطمح ببصره إلى الاستقلال وسلبوا الضياع وأنفقوا ما تنفله على شهواتهم لتبقى مصر إلى الأبد وقفا عجبوسا على كل ولد تله نساؤهم .



ليس الغريب هذا . إنما الأدهش والأغرب أن طائفة من عباد السلاطة المظلمة يكذبون على التاريخ ويدعون من وقاحتهم أن العائلة المحمدية العلوية خدمت مصر . ويستدلون على ذلك بوجود بعض مدارس أنشأوها ليضلوا الناس في أوروبا كي يكون بأيديهم الحجج الدامغة على خدمة العلم . وما أنشأوها إلا خداعا وغشا حتى لا يتحسنى لأحد أن يذكر قببح أثرهم وسوء تاريخهم في مصر . ولأن عائلة محمد على هي التي بتبذيرها وغيره سلمت مصر إلى الإنجليز ولأنهم يبعضون المصري ويكرهونه أشد البغض ومن المار أن يعلم عمقه لعدوه . .

ثم باى حق مشروع تأخذ عائلة محمد على من الخزينة المصرية ثلاثمائة وخمسين ألف ليرة . صتويا وأى شر دفعوه عنها أم أى خبر جلبوه لها حتى يكال لهم المال جزاقا .

## المجتمع

من خلال الصحافة في هذه الفترة تستطيع جذاذات مختلفة أن تتجمع فترسم صورة الحياة المجتمع في مجالات كثيرة وأول مظاهر الحياة الاجتماعية في هذه الفترة ندوات جماعة الحفاظ والرواة ، يقول توفيق حبيب :

عرفنا وأدركنا من هذه الجماعة أحمد مفتاح وأحمد سمير والسيد وفا وعبد الكريم سليمان وعبد الله نديم وحفني ناصف ومحمد حافظ صبرى ، أولئك الذين كانوا يحفظون القرآن والأحاديث الصحيحة ويروون أشعار الجاهليين والمُحضرين ومن تبعهم من شعراء العصر العباسي وما بعده ، كان لا يفل ما يحفظه الواحد منهم عن عشرة آلاف بيت من الشعر وحدث ولا حرج مما كانت تميمه صدورهم من الروايات والحكايات والقصص كاذبة وصادقة عن القدماء والمحدثين يروونها ممسكة الواحدة برقبه الأخرى ، ولا يكاد أحدهم ينتهى حتى ينطلق الآخر فيروى ما يحفظ مازجا الرواية الباردة والقفزة القارحة .

\* \* \*

ويتحدث محمد هاشم عن الغنيين والمنشدين فيقول :

رحم الله عبد الحمولى وعثمان الشنتورى وللفيلادوى وتلاميذهم ومدارسهم أولئك المساميح الذين كانوا ينشرون على الناس رسالة الفن الجميل ، وقد رزقوا الخطوة في قصور الملوك ودور الأمراء مالا مطمع وراة لأحد ، وكانوا يهبون فمهم للشعب ويقيمون على مضارب أمانيه ، ورحم الله شوقى إذ يقول في رثاء عبده الحمولى :

يامغيثا بصورته فى الزايا ومعنيها بحاله فى السكاره

ولقد حدثني الثقة أن عبده غنى ليلة لحنه في مذهب (أنا من هجرك أحكى خمرك) فرسم الناس في مجالهم كما تأخذهم على غرة آلة التصوير فكانوا الغالبية بين واقف بهم بالجلوس سمع أول اللحن فتجمد في مكانه لا قائما ولا قاعدا وواضع يده على جنبه يسكنه ، ترك يده مكانها ومتنادر يرسل النكتة بنفسها .

وكانت أحياء القاهرة القديمة دائما مأجبة بالطبقات المختلفة من عشاق الفن ولكل واحد من رجاله شيع يتمصبون له ويقدمونه ويروون غناؤه وكثير منا من لا يزال يذكر مذاهب الغناء للمقديعة في خفة ظلها ومهولة تناولها وجمال تلحينها وقوة مطابقتها لتذوق المصري الظريف ويذكر شهرات المهنيات كألظ والوردانية وغيرها إلى المرحومة أمينة المراقية وقد كن على جانب من الفطنة وظرف البادرة حتى عد لبعضهم أوابد من قوة ما عرفت أندية الأدب والحرر للبابلي وحافظ رحمه الله عليهما ولقد حفلات بيوت الأغنياء ومجالس الخواص والتمهوات البلدية بهذه الأدوار والموشحات حتى كادت تعيد إلى الأذهان ذكرى المدرسة القديمة في بغداد أيام إبراهيم الموصلي وأبنيه اسحق وهو العصر الذهبي للدولة العربية .

\* \* \*

٢ - أما « المسرح » ، فقد كانت الروايات أجنبية ثم تمرب ، كيف كانت تمرب ، هذه مثلا رواية هرناقي ليفيكتور هيجو كيف تحوالت إلى رواية « حمدان » يقول الصحفي المجوز : قرأها نجيب الحداد وأراد نقلها إلى العربية فأخذ منها هيكلها واهم وقائمه وأبدل أشخاصها الأسبانيين بأشخاص من رجال تاريخ العرب في الأندلس وأطلق عليها اسم « حمدان » وهو بطل الرواية الذي يمثل دور هرناقي ومثلت حمدان لأول مرة على مسرح اسكندر فرج في شارع عبد العزيز يوم ١٨ مايو ١٨٩٧ مثل الشيخ سلامة حجازي دور حمدان ، السيدة ليبييه مالى في دور شمس وأحمد أبو الدل دور نصر الدولة ابن حمدان ، وحسين حسنى في دور ملك الأندلس عبد الرحمن وورده ميلان دور المجوز .

وكان في الرواية قصائد غنائية ينشدتها الشيخ سلامة حجازي ومقطوعات شعرية .

يردها أفراد من الجوقة في افتتاح بعض الفصول وختام الرواية . وفي رواية هرناتى يقسم الدوق روى غوميه على صورة أبنائه وأجداده بأن يجيز هرناتى ولا يسلمه إلى دون قارلو ولما كانت التصوير والرسوم غير معروفة من العرب ولا يصح القسم عليها ، أبدلها نجيب حداد بالاعلام وأجرى على لسان الأمير قسماً بليلاً تضمن أسانيد تاريخية فأخذ تقول :

هذا سلاح الأمير ناصر أول أجدادى الرجل العظيم الباسل الذى ولى قيادة الحرب ثلاث مرات ، هذا سلاح الأمير كذا . . الخ ومن أهم التفسيرات التى أدخلها نجيب الحداد على رواية هرناتى أنه لم يدع حمدان يفتخر يشرب السم كما فعل فكتور هيجو بهرناتى ، بل أبقى على حياته باتفاق الأميرة شمس والملك عبد الرحمن على انقاذه وتخليصه من قسمة الذى وعد به الأمير نصر الدولة .

\* \* \*

٣ - و « الأعياد » بصورها صاحب الهامش كما كانت فى هذه الفترة : ذهبت أيام الساحات والميادين تملأ أنحاء العاصمة ونصبت فيها مراجيح الوزة والوالى ويمتلئ بالصبيان والصبايا ، وتعموج بالمشرات والثلاث من أعيان الأقاليم الذين يأتون لحضور التشريفات والتبرك بزيارة أهل البيت ، كانوا يأتوننا وراء كل واحد الخدم والحشم والبنون والبنات ، وكل واحد منهم يكون بجماعة تزعم رسيفا برمته وتملأ الجيوب بما ينفشه من المال باليمن والشمال ، أين الأفران البلدية تتصادم منها الصوانى بما تحمل من طلائع الشريك الذى يخرج من النيران ويوزع فى المقابر على المقرئين والفقراء والموزين : ( رحمة ونور ) .

أين الميال من سفار أبناء البلد يرفلون فى الأصفر والبرتقالى والفيروزى من ملابس زاهية وفى أيديهم أطباق وسوانى ( على نور ) يتصايحون ويبادون وأولاد البلد المتر يملأون الدنيا بهجة وحبوراً بلاساتهم المنان وقفاطينهم المكوية المكندره ، وقد جلسوا وأمامهم سحب الورد والشموع الموقدة وفى أيديهم جوزة الحى يتصاعد دخانها . والفتيات والفتيان يركبون عربات السكاروا راقصين مغيلين وراكبين الحير .

٤ - أما المحاكم الأهلية فقد كان لها أهميتها . كانت المحاكم الأهلية وسيلة لخدمة الفنة العربية وترقية الانشاء الديوانى وتحرير المذكرات والخطابة على منبر القضاء بفضل من انضم إلى القضاء والحاماة والتدريس فى مدرسة الحقوق ومن خريجى الأزهر ودار العلوم .

فن كبار الأزهرين محمد عبده وسمد والهلباى ومحمد أبوشادى ومن دار العلوم حسن جلال المصرى ، أبو الفهمان عمران ، عبد الفتاح بيرم ، عماد اسماعيل ، حفى ناصف ، محمود أبوالنصر ، أحمد أبو الفتوح ، محمد فريد ، وكان رجال القضاء الأهل والحاماة الفضل الأول فى كل الحركات والتطورات الفكرية والسياسية : محمد عبده : الإصلاح الدينى . قاسم أمين : تحرير المرأة . سمد زغلول : الحركة الوطنية وكان لعبد العزيز فهمى وعبد الحميد بدوى وعبد الحميد مصطفى ، القدر المولى فى الرد على برونيت وتحرير الباحث القانونية .

وكان للمصاحفة ورجالها نصيب من خدمة رجال القضاء فن رجال القضاء عشرات كقبوا الفصول الزانة منذ أربعين سنة مستترين وجوبا وأصدروا أحكاما نزيهة عادلة لرفع مفار التفكير الحر .

\* \* \*

وروى حافظ ابراهيم كيف سجن الهلباوى المحامى عام ١٨٨٥ قال :

كانت دار عبد السلام المويلحى فى تلك السنين منتدى الأدب فى مصر يؤمها عندئذ الأدباء والكتاب والشعراء ويتخذونها مقرا لهم يحبون فيها كثيرا من ساعات النهار والليل ، ومن يتردد عليها ابراهيم الهلباوى وفى يومه ما دخل على الحاضرين الحاج حسين وهو رجل مقاول كان يقوم بأعمال بناء وترميمات خاصة لعبد السلام المويلحى وأخبره أنه متهم فى قضية بسبب أنه تعدى على مهندس كان بلفت نظره إلى عدم شغل الطريق بالأتربة والأحجار ، وكانت أول قضية يترافع فيها شيخ المحامين وجاءت الجلسة وانتظر عبد السلام المويلحى ومن معه ، الشيخ الهلباوى ليمروا ماذا تم فى القضية ، وإذا بالذى حضره هو الحاج حسين المقاول .

قال: إن الهلباوى بدأ مرافقته وكان القاضى محمود سالم فتدرج إلى ضرب الأمثلة فقال :  
وأن حضرة القاضى المحترم الجالس الآن فى مجلس القضاء وهو على ما هو عليه من نفوذ  
وسلطة لو أنه كلم فى طريقة شخصا ما بأمر أو نهى لاعتبر دخيلا متطفلا ، ولتمدى عليه  
الناس بأكبر من السب - لماذا - لأنه غير معروف ، ولأن القاضى لا يلبس طرطورا  
حتى يعرف به . واستمر فى ذلك ، غير أن القاضى لم يحتمل أن يكون موضع التمثيل على  
هذه الصورة الساخرة ، واعتبر ذلك تمديا على هيئة المحكمة وحكم على ابراهيم الهلباوى  
بالسجن ٢٤ ساعة وذهب المويلحى إلى منزل محمود سالم القاضى بحلوان يرجوه أن يفرج  
عن الهلباوى فقبل بعد أن أبان لهم طول لسانه واحتياجه إلى اللياقة فى التعبير .

\* \* \*

أما حافظ إبراهيم<sup>(١)</sup> فقد كان يسكن طوال سنى الحرب إلى سنة ١٩٢٠ فى منزل  
فى الجيزة فى الطريق المؤدى إلى عملة السكة الحديد وكان أخوانه أمثال البشرى وفؤاد كمال  
كانوا يزورونه فى تلك الدار قائلين : نحن طالعين هذا اليوم حافظ إبراهيم؛ قياسا على  
طالعين حلوان ، أو الهرم أو القرافة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى حلوان ثم إلى الجيزة ثم إلى  
الممادى والزمالك والزيتون . كانت تساكفه أمنيته هانم زوجة خاله التى ربهه والتى توفيت  
قبله بعام وكانت شهرتها مستغفيسة فى الطبخ لورق العنب الذى كان يقول أن الحلة الواحدة  
فيه تتسكف جنبها مصريا كامل لأنها تعمل على مرقة ديك رومى ، وكذلك عرقت ببراعة  
صناعة الأرز بالهمة ، والبصارة .

يقول المحرر : كنت فى زيارة للمرحوم فى ليلة من ليالى الصيف ١٩٢٩ وكان يشمر  
بالمرض ، قال : الليلة آكل لقمة خميفة لأنى تعبنا : صحن بصارة ، نخذ أرنب جبلى ، ماذا

---

(١) مجلة الجامعة سنة ١٩٣٣ م .

تعمل مادمفاتهمنا، الأكل الخفيف قبل النوم أحسن، وكان خادمه رجلا أسوانيا اسمه حسن ظل في خدمته أكثر من اثنين وعشرين عاما وكان له في بعض الأوقات خدمة تسمى فاطمة: خفيفة الروح، وكان حافظ يحب أفاضها وتعبيراتها ويطرب لأغانيها العامية وكان أثاث بيته بسيطا غاية البساطة، طقم عادى في غرفة الاستقبال وفي غرفة النوم سرير وكنبه، ولم يكن في منزل حافظ بك كتاب واحد ولا ورقة ولا قلم ولا دواء، وكان ينظم شعره ويحفظه ولا يدونه إلا عند النشر في الصحيفة. وكانت عنايته منصرفة إلى العلم، كان يقضى وقته أما جالسا في فرائدة منزله أو مستلقيا على السكبة ومسند رأسه على عدة مخدات والسيجارة الهافانا في فمه، ويحفظ في منزله بالسيجار الهافانا والكرونا وزجاجة كولونيا. وكان يحب العنب والتفاح واللوز، ويترنم بأفضل القول المدمس ولطالما تمشى بالقول المدمس في الأوبرا في ليالى كثيرة، وإذا اعتز بضيف أحضر لهم طير السمان. . . أنه يعتز بهم لأنه يطعمهم سمان مش سم واحد، وروى أنه تزوج منذ ثلاثين عاما فتاة مصرية في حى السيدة زينب كان أبوها من تجار الحى، آية في الجمال طلقها بعد العشرين يوما من زواجها، وعلم حافظ ذلك أنه قضى عمره قبل الزواج بين خلان وندمان من مجلس أنس إلى مجلس سمر، فلم يستطع أن يتزوج الحياة الزوجية، وبدأ الملل في اليوم الثالث وأخذ يتوأسى بالصبر، في اليوم العشرين بلغ الملل مفتاه، فانطلق إلى أبيها يسلمه مؤخر الصداق ويتنازل عن ماسكية الجهاز. .

اشتغل حافظ بالحمامة الأهلية وتمرن في مكتب سعد زغلول، وكان أبو شادى في نفس المكتب وكلفه أبو شادى بالحضور في قضية أمام محكمة ابتدائية لطلب التأجيل فذهب حافظ وهو معتز بقوته في اللغة وفصاحته، وكان رئيس الجلسة قاضيا تركيا لا يفهم العربية، فلما جاء دور القضية وقف حافظ بصوته الجمهورى:

أنا حاضر مع اللهم؛ محمد حافظ إبراهيم عن محمد أبو شادى من الأستاذ سعد زغلول.

وأطلب ..، وهنا قاطعه الرئيس انه تأجيلات ، ايه تأجيلات ، ايه حافظ إبراهيم عن أبو شادي  
عن زغلول ، المحاكم مش لعبات ، حكمت المحكمة بتأييد الحكم المستأنف وشطب اسم  
المحامي من جدول المحامين . كان حافظ وفيا لأصدقائه سعد زغلول محمد عبده ، محمد محمود ،  
الشيخ المرافى ، محمود عبد الرازق ، قضى مع سعد العهد الآخر فى بساتين بركات . كان  
ميمره ونجى خلوته ، كان سعد يقضى وقته يتلى بلب الورق مع أصدقائه فى مسجد  
وصيف وبساتين بركات ، وكان اللب يجمع سعد وحافظ . . وكان الدكتور محبوب يهتم  
بإسفلال طبيعه فى اللب باستمرار ، شكنا سعد مرة أنه لا ينام فى الليل وزادت شكواه من  
الأرق وقت النوم فقال له حافظ على الفور : مستجمل على النوم ليه ، ياماراح تشبع نوم  
طول بالاك ، فسرت هذه الإجابة عن سعد ، ومرة فى مسجد وصيف وبساتين بركات كان  
حافظ جالسامع سعد وفتحت مناقشة عن أنواع الأطعمة وجرى الحديث طويلا ، وفى أثناءه  
ذكر سعد أنه أكل مرة منذ أمد طويل فى بيت عبد الله أباطة طاجن من نوع خاص وأنه  
كان شهيا ولا يزال يذكره ، فاقترح حافظ بسرعة على أباطة أن يحضر لهم بضمة طواحن  
من هذا النوع لكي توضع على المائدة يوم الجمعة ، وقبل أباطة بك وهو متهلل هذا الاقتراح  
وانصرف الجميع .

٧ - وما يتصل بصورة المجتمع ، هذا الخبر : كان الدكتور شبلى شميل قد قام بفتح  
عيادته فى طنطا قبل أن يتخذ مدينة القاهرة مركزا له ، لم يكده يستقر فيها وبزاول صناعته  
حتى قام بعضهم فى وجهه وحرصوا الزبائن والنساء فى مقدمتهم على مقاطعته وعدم إدخاله  
بيوتهم أو زيارتهم فى عيادته ، ولعل ذلك يرجع إلى كتاباته عن الفلسفة المادية ، فانتقل إلى  
العاصمة وكان قد حضر مع أصحاب المقتطف من بيروت عام ١٨٨٥ وكان يكتب فى المقتطف ،  
ثم أصدر مجلة الشفاء . وقد أصدرت إدارة المطبوعات إنذاراً لجريدة الشفاء .



### كانت لحمير دولة

وكانت للحمير دولة : أشارت الأهرام في ١٨٨٩/٧/٢٩ إلى صدورلائحة الحماره وعلق توفيق حبيب في هامشه عام ١٩٣٩ على هذا الخبر فقال : في هاتيك الأيام كان لحمير دولة وللحماره صوله ، وكانت هناك حمير الأجرة والحمير الملاكي . وقل أن كان يخلو بيت من بيوت أهل الطبقة الوسطى والعليا من حواصل للحمير وخادم أو خادم لتنظيفها وتركيب العدة عليها . وكان عبد الحميد صافق باشا رئيس محكمة الاستئناف الأهلية يأتي إلى عمله وهو راكب حماراً . وكان الأعيان يتباهون بتزيين حميرهم ، فالبرادع من الحرير ، والرشمة والترويسة من الفضة ، وأحياناً من الذهب ورحم الله عهد زيارات المحمدى وتسابق الوطنيين إلى حضرته وهم على حميرهم يسابقون بها الترام وينسكتون على ركابه ، وحدث ولا حرج عن مواقف الحمير وشيوخ الحماره ومعلميها المشهورين ، وأذكر منهم المعلم على يظليخة شيخ شويقة السباعين ، وكان تحت يده نحو خمسين حماراً وله صله بالأعيان وأرباب الأعمال ، يوصونه على الركاب الخاصة لأنفسهم ولغيرهم . وفي الخلط التوفيقية للمرحوم على باشا مبارك بيان بعدد الحمير والحارين ومن يتبعهم وما تأخذه الحكومة من الفردة ( الضريبة ) عليهم ، وقد قضى الدهر الخوون على دنيا الحمار أصبحت سير الحمير المشهورة في خبر كان ، وخلا بروجرام السنة التوجيهية من تواريخ حمام بلعام وحمار القديس بطرس إلى حماره منيتي وحماره الدربني .

وارتاج جوالمدينة من صباح الحماره : يمينك شمالك ، وشك ظهرك ، وكان للحرب المظمى ( ١٩١٤ ) عملها في القضاء على البقية الباقية من حمير القاهرة إذ ساقطتها السلطة العسكرية للعمل في الدردنيل كما أخذت القروء إلى فلسطين وحل الشوفيرات محل الحماره وأصبحت لهم مثل حماره زمان لائحه وامتحانات ورخص ، وكانت هناك أيضاً صحيفة اسمها ( الحماره ) أصدرها محمد توفيق الذي اتخذ نهج عبد الله نديم في المحادثات واستخدم الاقتباسات وتحمى السجع بلا تكلف وكان له أسلوب خاص في قلب القصائد القديمة والنسج على منوالها . وقد أربى قراء الحماره على عشرة آلاف قارئ ، كما بلغت مجلة الأرغول هذا الرقم أيضاً وكان يصدرها الشيخ محمد النجار (١) .

قصة الترام : (تات الأهرام في ١/١/١٨٨٩)

« اللجنة المناط بها مخطوط الترمواى اجتمعت ورأت أن تمد خطا يبتدىء من شارع مصر العتيقة ميدان قصر النيل إلى شارع الترعة الاسماعيليه حتى كوبرى الليمون وهناك يمر فى شارع النجالة وينتهى إلى العباسية ثم يمر خط آخر يبتدىء من كوبرى أبى الملا ماراً بشارع بولاق وبعد فرعان من كوبرى الليمون إحدىها إلى شارع شبرا والآخر إلى السبئية ومنه إلى بولاق ، ثم فرع آخر يبتدىء من قصر النيل ماراً بشارع الجيزة حتى الأهرام وفرع يصل إلى محطة بولاق المذكور » .

وعلى توفيق حبيب على ذلك فقال : وقد جعل ميدان العتبة الخضراء مركزا للمخطوط العامة ، ولما تأت سنة ١٨٩٥ حتى سير الخط الأول من كوبرى أبو الملا إلى القلعة مجتازا شارع بولاق ( فؤاد الأول ) وكانت الترعة الاسماعيليه تمتد من عند دار الآثار المصرية مجتازة شارع الملحة نازلى عند الاسماف فكوبرى الليمون ممتدة إلى غمرة ، حيث يتلاقى بالخليج المصرى إلى النيل . وكان خط المطرية يبتدىء من ميدان قصر النيل ( ميدان الاسماعيليه الآن ) مسيرا الترعة الاسماعيليه حتى كوبرى الليمون وكان حى التوفيقية فضاء شراع فى تقسيمه وكان المتر فيه بمشربن قرشا . وكان للمريجية سولة ودولة ، فأفزعهم الترمواى وردد صوتههم محمود خاطر بك ، وكان عام ١٨٩٥ شابا تمخزج من الخديوية فنشر قصيدة مهيبة بلسان الخيل لعله لا يبخل باعادتها اليوم ، وأخذ سليم سر كيس ينشر ورقية بعنوان ( السكهربائية ) مكبرا فيها حوادث الترمواى ومن تدوسه أو تصدمه من حيوانات باطشة وبكاء ، ويقول العامة « السكهربائية سيرها عجيب لما تبرطع على القضيبي » وطالب أعيان شبرا من الحكومة منع تسيير الترام فى شارع شبرا حتى لا تدوس أولادهم وهم ذاهبون إلى المدارس وأن يسير الترام فى الضواحي فقط » .

# طرائف الصحافة

١ — الامضاءات المستعارة

من أبرز الحوالب الجديدة بالكشف عنها موضوع الامضاءات المستعارة ، وقد حصلنا على بعض التوقيعات التي كانت تستعمل في هذه الفترة : اسماعيل أباطه يكتب في الأهرام بتوقيع ( هلم ) . محمود نغرى يكتب في اللواء بامضاء ( محمود المقاصد ) ، أنطون الجميل يكتب في مجلة الزهور بتوقيع : فؤاد ، سعاد ، ربيعة . ح . ي ، اسماعيل صدق كان يكتب بتوقيع ( مستفهم ) ، داود بركات كان يكتب في الأهرام ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ بتوقيع ( هـ . بن . بن ) وقد ترك حافظ عوض صاحب حريدة كوكب الشرق فصلا طريفا عن الامضاءات المستعارة قال : كفت أعمل محرراً في جريدة محرراً ومترجماً حين أرسلت روسيا بأسطولها الضخم إلى مياه الصين فلم تسكد تصل إلى ميناء بورت آرثر حتى أدركه الأسطول البريطاني ( وزنة زنة السكاب في الطاحون ) ثم ظل يضربه حتى سحقه سحقاً ، وكتبت في ذلك الحادث مقالا ناريا جعلت عنوانه ( كش . مات ) ولعل الذي أوحى إلى بهذا العنوان أنني كفت من المفرمين بلعبة الشطرنج ، بل كفت أربع اللاعبين المصريين ، وأشفقت أن أوقع المقال باسمي ، فوقعته باسم مستعار هو ( شطرنج ) وذهب القراء إلى أن كاتب المقال هو ابراهيم المويلحي ، ولم يتمرف الزملاء والأدباء إلى كتابه إلا بعد أن أفضى إليهم بذلك صديق عمده مسعود ، والمرة الثانية التي كتبت فيها بتوقيع مستعار ، كانت حين أعلن قاسم أمين رأيه في تحرير المرأة وكان رأيا جديداً قامت عليه مناقشة الكتاب ، وأحجم أسدقاء قاسم أمين والمحبون رأيه عن مناصرته ومنازله خصومه الأقوياء ، ولم أستطع يومئذ أن أفك مكتوف اليدين فيما رأيي يتفق مع قاسم واعتقد أن السفور إذا لم يتغلب بحكم الرغبة فيه فإنه سيدغلب

«من غير شك تبعا لسنة التطور ، ولكنى كنت أشفق من معارضة التيار الجارف من سحق العلماء والمامة واستنكارهم للرأى الجديد . ووفقت بعد تفكير فى الأمر إلى الطريقة التى أستطيع أن أدانم بها عن الرأى الذى أراه ، فنشرت فى المؤيد مقالات متتابة تحت عنوان «وهل كان الحق مع الأغلبية دائما » وذكرت فيه كثيرا من الملت الذى لقيه الرسل والأنبياء بامضاء (متشكك ) وكان لى ما أردت ، إذ بهت الذين كانوا يعارضون الشهور ويحاربونه وراحوا يتخبطون فى ردودهم على هذه المقالات ، ومما يذكر أن الأستاذ الملباوى ناله كثير من الأذى بسبب هذه المقالات ، إذ حسب كثير ممن قراوها أنه هو كاتبها .

وحين بدأت ثورة الرجمين على حركة التعليم فى الهند وزمهم أن تعليم المسلمين الهندو اللغة الانجليزية لا يتفق مع تعاليم الاسلام أنشأت مقالا مطولا فى الرد على هؤلاء الرجمين وذيلته بامضاء مستعار هو (خان بها دور ) ونشر المقال فى صدر المؤيد حيث شغل أربعة أعمدة وتلقاء القراء بشيء من الأعجاب والافتناع بالحجج التى تضمنها وذهب أكثرهم إلى أن كاتبه لابد أن يكون أحد أمراء الهندو المسلمين وكنت إذ ذاك أتناون مع محمد فريد فى إصدار مجلة (الموسوعات) فكشفت له سر هذا الامضاء ، وحدث إن اختلفنا إلى منزل على بهجت مدير الآثار العربية فتلقينا هناك المرحوم محمود سامى البارودى ، على يوسف ، عبد العزيز النعمانى ، فسأل البارودى صاحب المؤيد من يكون (خان بها دور) صاحب الافتتاحية فلم يشأ الشيخ أن يفشى سر المهنة ، ولكن المرحوم محمد فريد بك سارع إلى أخبار البارودى بما يعرف من حقيقة هذا الأمر فقام هذا — وكان قد ~~كف~~ بصره — وأخذ يغمز بقبلاته ويهئننى على ما صادف فى هذا المقال من توفيق .

توقيع محمد بن يلفت نظر سمد زغلول :

ولعل أحب الأسماء المستعمارة التي ذيلت بها مقالاتي هو اسم « محمد بن » الذي بدأت  
إستعماله في السكيات القصيرة ذات الأسلوب الانتقادي اللاذع الذي كنت أكتبها في  
جريدة النظام . وما أزال أذكر إلى اليوم أولى هذه السكيات وقد جمعت عنوانها ( سيف  
المز وذهبه ) أشرت فيها إلى الانعامات والمكافآت التي كانت الوزارة القائمة حينئذ  
تسكيلها لأنصارها من النعميين والوصوليين ، كانت موضع إعجاب سمد زغلول ، حتى  
أطلع عليها في مساء اليوم فأرسل إلى سيد علي صاحب جريدة النظام يسأله عن كاتبها ، فلما  
أخبره ، استدعاني إلى بيت الأمة وهنأني على التوفيق .

## المقدمات والتقاريط

أثارت الصحف موضوع كتابه مقدمات الكعب والتقاريط بمناسبة مصادرة « ديوان وطيبتي » للشيخ علي الناياني عام ١٩١٠ فقد قدم المؤلف إلى المحاكمة كما قدم محمد فريد وعبد العزيز جاويز بوصفهما قدما للكتاب بمقدمتين فيها تهريض للكتاب ، هنالك ثارت في الصحف معركة حول مسئولية أصحاب المقدمات عن ما يرد في الكعب .

وكافت النيابة قد سالت الشيخ جاويز عن مقدمه ديوان وطيبتي فأجاب بأنه كتب المقدمة قبل أن يطبع الديوان .

س : كيف تضع اسمك على شيء لم تتحقق إذا كانت فيه مسئولية أم لا .

ج : إن هذا أمر مادي بين الصحفيين والكعاب وغيرهم ، وهذا الشيخ علي يوسف يضع اسمه في أسفل جريدة العلم ( التي هي جريدة الحزب الوطني ) دون أن يطلع على شيء فيها ، مع أنها معرضة لأن يأتي فيها شيء من المسئوليات أكثر مما يصيب مثل هذا الكتاب ، وإن لوائقي من أنه لم يطلع حتى على نفس الأعداد التي نشر فيها إعلان كتاب « وطيبتي » .

س : ألم تطلع على القصيدة التي نظمها الناياني في ناظر الحفانية بخصوص تصريح بالحكم عليه .

ج : اطلمت على تلافيف فريد بك وسافرت وفتتذ إلى الاسكندرية حيث كان أهلى مرضى .

س : ألم تعلم أن قصيدة الورد كان يقصد بلفظ الورد : إبراهيم الورداني ( وكان إبراهيم الورداني قد إغتال بطرس غالى ناظر النظر ) .

ج : يسأل الناظم عن ذلك ، أما أنا فلم أبحث فيها ولم أر فيها غير ما تؤديه عبارتها .  
وقال الشيخ جاويز : هل من المعقول أن أعلم بأن شعر الناياني يقع تحت طائفة  
القانون واضع اسمي عليه .

س : قلت في كلمتك : أن اشعار الناياني تنهض المهم ، فهل كنت تعتقد عندما كتبت  
هذا التقريظ أن هذه الأشعار حقيقة تنهض المهم .

ج : إننا هي كلمة كتبنا من قبيل المجاملة ولا ينبغي على الخبيرين بأساليب اللغة العربية  
أن كل ما يكتب في المدح والرثاء والذم ليس حقيقة وأغلبه مبالغ فيه .

س : هل قلت أن شعر الناياني شعر عادي أى يؤثر التأثير المطلوب منه .

ج : إنما هناك فرقا بين الشعر العادي والشعر السهل ، فالشعر العادي الذي ليس  
في طبقة من البلاغة بحيث تدفع الكتاب والرواة والحفاظ إلى العناية به والاهتمام بأمره ،  
أما السهولة ولا سيما الممتعة ، فإن هذه طريقة لا يبلغها من الشعراء والكتاب إلا القليل .

س : ألا تعرف أن الناياني يقصد « إنهاض المهم » .

ج : يسأل الناياني نفسه في هذا الأمر ، أما قولي الذي جاء في المقدمة فهو من قبيل  
المبالغة أو المجاملة أو التوسط ، ومثلي في هذا مثل إسماعيل صبرى في تقریظ ديوان نسيم .

لك في الشعر يانسيم معان باهرات تحار فيها المعول  
كل بيت بطل منه على أفهام أهل النعي عيا جيل

فلاظن إسماعيل صبرى إلا معتقدا أنه مبالغ في هذا القول ، ومثل آخر هو أن الشيخ  
على يوسف عندما قرظ جريدة البلاغ المصرى لم يطلع على كل ما فيها مع أنها صحيفة  
أو ورقة واحدة ، وبعد أن كتب التقريظ لفته أحد الكتاب إلى جملة كتبها إسماعيل شيعي ،  
أخذ منها أنه يقول بصلب المسيح ، فإذا كان الشيخ على يوسف لم يضطر إلى قراءة

صحيفة واحدة لتقريبها ، فهل من المعقول الحكم بأنه على كل من يكتب كلمة عن كتابه أن يقرأه ويستوعبه ، أضف إلى هذا أن حافظ إبراهيم وشوقي وهما من أكبر الشعراء اليوم لم يستطعا إنهاض المهمة بشعرهما خصوصا قصيدة شوقي عن الدستور الثاني ونشرتها المؤيد وفيها :

والشعب إن رام الحياة كبيرة خاص النار وما إلى آمالي  
فإن كان شوقي ومنزلته من الأمة العربية معروفة كمثل أحد يدفع بهذا البيت الدموى وأمثاله إلى خوض غمرات الدماء في سبيل تحقيق آمالهم فكيف لي أعتقد أن الناباتي بشعره الذي قلما عرفه إلا نفر قليل يستطيع فعل ما ترمى إليه النيابة .

\* \* \*

وكتب رئيس تحرير الإيجبت « ريمون كول » أن الشيخ جابوش يقول أمام النيابة عن إيضاح ما جاء في قصيدة جديدة من نظم أحمد رفعت المحرر بالعلم ( يونيو ١٩١٠ ) وهذه القصيدة عنوانها قصيدة الورد ، وفيها يزعم الناظم أنه يودع الربيع وينتظر ظمور ورد الربيع الجديد ، ولكنه بما أنه يوجد تقارب لفظي بين لفظ الورد والورداني فقد عنيت بهذه القصيدة بعض الجرائد العربية وعلى الأخص الأهرام والأخبار .

وقال : أن النيابة أذكت هذه القصيدة بحرى التحقيق لأنها وجدت ما وافقه تحت المسؤولية بما احتوته من المعنى المزدوج ، لأن الناظم وضعها في صيغة مبهمه بطريقة تجوز لقارئها إذا أشدها أن يروقه إعلانا لجهد الورداني ، وأثارت هذه القصيدة المناقشة بين جريدة العلم وبين الصحف الأخرى ، وقالت جريدة الأجيبيان جازيت : إن الدلائل تدل على أن النيابة لا تعمل بمفردها في تحقيق قضية الناباتي بل تمت يد انجليزى من وراء ستار لإدارة التحقيق .

\* \* \*

ولم تتوقف « جريدة » العلم من بعد عن نشر فصول إضافية عن المقدمات والتقاريط . ومما جاء قول (سبيل) الجاملة في المقدمات والتقاريط مفالة نوابنا الرسميين وغيرهم في امتداح



حوادث القديين بمسؤولون الثناء وغش الناس به وعدم اطلاع ساداتنا المقرئين التي يشهدون فوراً بكاملها وعبرية أصحابها وذلك ثقة برجاجة عقل المؤلف أو رغبة في التخلص من الحاجة أو قصد الإحسان إليه أو لضيق الوقت ، ولا يمر يوم إلا يطلعنا الكتثيرون على المؤلفات المشحونة بالتقاريظ من كبار العلماء ورجال الدين بالرغم ممن احتوت عليه من الآراء المفاضة للدين وأحكامه ، هذا (خواطر في الإسلام) لمؤلفه عطا حسنى ، قرظه الشيخ سليم البشري والشيخ حسونة النواوى وفيه أخطاء لم ينظر إليها الشيخ سليم والشيخ حسونة .

\* \* \*

وكتب آخر يقول : بخيل إلى من لا يعرف شيئاً من أمر التقريظ عندنا أن الغابنة للعلم منا لا يكاد يطلب منه طالب أن يضع تقریظ الكتاب ، أو المقدمة حتى يتناوله من يد المؤلف قبل أن يقدم للطبع ثم يقطع لمراجعتهم بابا بابا يتدارك ما يلزم به من المآخذ ويرجع بما اشبه عليه منها على مراجع العلم ، ولا يزال حتى يفتله بحثاً وتحريراً ، ثم يقول فيه كلمة مراعيًا مطابقتها للواقع ، ويأذن للمؤلف بعدئذ أن يخرجها للناس كتاباً سويًا على ألا يفارقه ساعة قبل أن يطبع ، وما هذا من الواقع في شيء فإن أغلب المقرئين عندنا لا يتمكنون من الاطلاع على التأليف التي يطلب منهم أن يقرظوها .

ومما يتصل بهذا أن الشيخ محمد عبده كتب مقدمة لرواية «البؤساء» التي ترجمها حافظ إبراهيم وقد نقدته العلامة مصطفى الغلاني وقال أن الشيخ محمد عبده يقرأ الترجمة .

## المواقف الحرجة

بصور « حسن الشريف » أخرج موقف مر به في سلته بالصحافة : يقول في أوائل ١٩٣١  
شرع البنك الأهلي في إصدار طبعة من أوراق البنسكنوت ذات شكل جديد بدلا  
من الطبعة القديمة التي كانت تحمل صورة الفلاح المصري ذى اللحية البيضاء . ومن عادة  
البنك أن يرسل عند إصدار طبعات جديدة كميات منها إلى وزارة المالية لتوزعها على  
الوزارات حيث تعرض على صرافى الخزائن فيطلعون عليها ويمرفون شكلها وخصائصها  
وأمرار علاماتها حتى يسكنوا على علم بها فلا تختلط عليهم الأوراق الصحيحة  
والأوراق الزائفة وكانت إذ ذاك مدير إدارة مكتب وزير الحربية والبحرية ، وفيما أنا منهمك  
في فض المسكبات السرية إذ بي أجد كتابا من وزارة المالية ارفقت به ثلاث ورقات  
ببنسكنوت من فئة المئة لم أر مثلها من قبل ، وقد كتب على جوانبها ووسطها بحروف  
منحرفة : كلمة « لافى » بالعربية والإنجليزية والفرنسية وليس عليها إمضاء البنك .

وقابلت في عصر اليوم صديقي إميل زيدان أحد أصحاب دار الهلال فلما أريته الورقة  
أعجب بها وطلب في أن أسمح له بنشر صورتها الفوتوغرافية في مجلة المصور فأعطيته  
الورقة فنسورها وأعادها لى شاكرا ، وقد ظننت أنى بذلك قد أسديت خدمة إلى صديقي  
تمره كثيرا ولا تسكننى شيئا ولم يمض يومان حتى ظهرت صورة الجنيه الجديد  
فى المصور . وفى نفس اليوم استدعانى الوزير : محمد توفيق رفعت وزير الحربية وقال :  
لقد وقع حادث خطير ؛ كان محافظ البنك يتحدث معى فى شأنه الآن ، ذلك أن بعض  
المجلات قد حصلت بطريقة لا أعرفها على ورقة البنسكنوت المزعم إصدارها قريبا .  
ونشرت صورتها وقد انزعج البنك الأهلي من هذا النشر ، أيعا إزعاج لأنه يعتقد أنه

فيه معاونة للمزيقين على زيف أوراق شبيهة بها بحيث تصدر الأوراق الزائفة والأوراق المصححة في وقت واحد ، فلا يستطيع الجمهور أن يفرق بينها ، ولقد عزم البنك على إعدام هذه الطبعة التي بلغت نفقات رسمها وتلوينها وحفرها وطبها وورقها مبلغاً كبيراً من المال .

كان الوزير يتسكّم وكانت إمارات الرعب قد بدأت تدب إلى مفاصل ، وقد غطى وجهي هرق بارد واصفرار خفيف فقلت : وماذا علينا من ذلك ، قال : إن محافظ البنك قابل صدق باشا رئيس الوزراء ، واتضح أن الورقة المنشورة في المجلات تحمل رقم إحدى الورقات الثلاث التي أرسلت إلى وزارتنا : وزارة الحربية ، ومطلوب إجراء تحقيق سرى سريع ، لتقديم الموظف إلى النيابة العمومية ، وعند هذه النقطة من كلام الوزير خيل إلى أن صوابي قد تمطل أو أن عقلي قد أصيب بشلل مفاجئ . فقلت في نفسي : لقد وقعت ، وقال الوزير : عليك أن تقوم بالتحقيق بطريقة سرية وتصل إلى نتيجة . وكان في استطاعتي أن أكتّم الحقيقة وألقى المسؤولية على موظف الخزائن وكان في استطاعتي أن أقوم بتحقيق شكلي لا يسفر عن نتيجة . ومن الحال أن نحوم الشبهات حولي وأنا أعلم أن صاحب الهلال لا يستطيع إذا سئل أن يفشى سر المهنة . ولكن ضميري لم يسؤل لي اتهام غيري ولا التئصل بالكذب ، ورأيت أن المروءة والصدق يقتضي أن أجهر بالحقيقة .

قلت للوزير : لا ضرورة للتحقيق فأنا أعرف الفاعل ، وانقرجت أساور الرجل وقال : حسن جداً ؛ من هو ، قلت أنا ، ولو أن قبلة انفجرت بين قدمي رفعت باشا لما أزعجه انفجارها أكثر من وقوع هذه الكلمة على أذنيه وقد نظر إلى كالمشدود علقاً وصاح : أنت .

قلت نعم أنا ، وشرحت له ما حدث ، فاعتمد رأسه برهة بين يديه وهو يقول أنت ، أنت مجنون . وأحسست أن الما نفسياً عميقاً قد استولى على الرجل ، فأنا مدير مكتبه وزوج ابنته ، وقال إلى أكتب لي تقريراً . . . وخرجت من مكتب الوزير وأنا أترنخ في مشيتي وجلست في مكنتي أفكر وأبحث عن مخرج . وركبت السيارة إلى البنك

الأهلى ودفعت بطاقتى إلى حاجب محافظ البنك . فلما دخلت عليه قلت : أنا الموظف الذى أعطى صورة الجنيه الجديد للمصحف . وهاجمت عن نفسى وقلت : أنه ليس بينى وبين المزيفين صلة واشتملتنى الرجل بفطرة فاحصة ، وأخذ يدق بلور مكتبه بقلمه دقات خفيفة وقال لى أن المزيفين سيقلدونها ولا بد من إعدام هذه الطبعة . قلت : أن المزيف لا يكتفى برسم الورقة وخطوطها بل لابد له من رؤية الألوان المختلفة التى تقطعها والصورة الفوتغرافية سوداء ، فضلا عن أن الورقة لا تحمل إمضاء محافظ البنك ، وإمضاء المحافظ الجديد لا تزال مبهولة فى مصر فكيف يثبتها المزيفون . قال : هذا كلام معقول . قلت : إذا كان كلامى هذا معقولا فلا عمل إذن لتلك الأهمية للمسألة التافهة . قال : تستطيع أن تريح بالك من هذه المسألة وأنا مسرور من ذكائك .

## الصحافة بين ١٨٩٨ - ١٩١٤

(١٠) من مذكرات أحمد حاطه موسى .

كنت قد وضعت رواية باسم « اليتيم » فلما أطلع عليها الشيخ على يوسف صاحب المؤيد أمر بطبعها فطبعها فعلا والتحقت بتحرير المؤيد ١٨٩٨ واشتغلت بوظيفة مترجم بمكتب قدره أربعة جنيهاً في الشهر ، وهذه كانت بداية عهدي بالاشتغال بالصحافة . وكان اشتغالي بالصحافة على أثر ما جرى بيني وبين الإنجليز في وزارة المعارف واضطهادهم لي بسبب بسبب علاقتي بمصطفى كامل ، عرض على صاحب المؤيد أن اشتغل عنده مترجماً عن اللغة الإنجليزية ، ومحرراً مقابل أجر ضئيل . كان المؤيد يطبع في أربع صفحات ولا يتجاوز الأخبار في عمودين ، وبه مقالة أو اثنتان في الصحيفة الأولى وشيء عن الصحافة الخارجية والباقي إعلانات .

كان صاحب المؤيد نحيل الجسم ضئيلاً ، دائب الحركة ، وكنت وأنا ومحمد مسعود تشغفل في ترجمة أخبار الصحف الأجنبية وتحرير بعض المقالات ، وكان محمد بك فريد صديق للمرحوم مصطفى كامل عام ١٨٩٨ بعد أن اشتهر بانتصاره لصاحب المؤيد في قضية التفرقات الشهيرة وكان قد استقال من وظيفته في النيابة وانخرط في سلك الحمامة واتخذ له مكتباً في شارع عابدين بملك راتب باشا أمام العمارة التي كانت تشغلها الدائرة السنية ، واشترك معي في العمل على ما أذكر المرحوم حسن عبد الرازق الذي قتل في حادث النزاع الحزبي أمام دار حزب الأحرار الدستوريين واشترك معنا بعد ذلك محمود أبو النصر ، وفريد بك ابن أحمد باشا مدير الدائرة السنية .

فلما أظهر ما أظهره من المواطف الوطنية في قصة التفرقات وعرف أمره وكان يعمل كثيراً عن الاشتغال بالسياسة كما كان يحب الكتابة في المسائل الأدبية والعلمية

والتاريخ لنوع خاص - إذ أن له في التاريخ مؤلفات قيمة مشهورة منها تاريخ الدولة العثمانية وتاريخ العائلة الخديوية - لذلك ففكر محمد فريد في أن يصدر مجلة عربية أدبية علمية يشترك في تحريرها كثيرون من كتاب اللغة العربية .

وكان إسمي قد ظهر في المؤيد على مقالات وبحوث كبيرة مما أوجد فكرة حسنة عن شخص الصحفي عند الكثيرين من ذوى الفضل والسكينة في ذلك الميدان من أمثال المرحوم الشيخ محمد عبده والسيد توفيق البكرى ومحمد فريد .

فلما فكر محمد فريد في إصدار المجلة خيل إليه أنني أصلح لأن أتولى إدارتها على أن تكون ملكاً له ويكون الاتفاق عليها من ماله الخاص ، فاستدعاني إليه في مكتبه وتحدث معي في هذا الشأن فقبلت مع أنني كنت إلى ذلك الوقت أحرر في جريدة المؤيد .

وكان ظهور العدد الأول ( ١٥ نوفمبر ١٨٩٨ ) وقد فكر فريد وأرد أن تجارى المتعطف والهلل اللتين كان يصدرانهما اخواننا من الأدباء السوريين . وحرر فيها كثير من رجال مصر البارزين : الشيخ محمد عبده ، ومحمود أبو النصر ( وكان في ذلك الحين مقبياً في باريس يدرس اللغة العربية في مدرسة تعليم اللغات الشرقية ) واشترك مع محمد فريد في مكتبه في المحاماة وتولى تحرير الموسوعات وإصدارها بعد أن تخلت عنها كما كتب بها على بهجت ( مدير دار الآثار العربية ) صهر أحد فهمى العمروسي المفتش بالمعارف :

وقد كان لهذا الرجل فضل على ، ولأنه من أهل العلم والفضل وله في الموسوعات بحوث كثيرة ، وقد وضع فيما بعد كتباً عديدة أهمها ( كتاب الفسطاط ) الذي يعد حجة في التاريخ الإسلامى .

وقد نشر في العدد الأول موضوعاً تاريخياً طريفاً عن « زواج الجنرال منو » أحد قواد نابليون في الحملة الفرنسية بالقناة المصرية زينت الرشيدية في رشيد واعتنقته الاسلام وتسمية نفسه « عبد الله منو » .

وقد نشر صورة القدي عثر عليه على بهجت في محكمة رشيد الشرعية . وكان يعقوب أرتين وكيل وزارة المعارف الأرمني (من بيت أرنيين ومنها تسكران باشا ) هو القدي مهد السبيل لدى بهجت للعمل مديرا لدار الأناضول العربية التي شيدت بجوار دار الكتب .

\* \* \*

لما جاءت الحرب واعتقلت في الاسكندرية ، حدث أن أُلقيت قنبلة على السلطان حسين في أثناء ذهابه إلى رأس العين فداخله اضطراب كبير وتوجهت التهمة إلى كثير من الناس وكان من لحقهم رشاش من هذه التهمة كاتب هذه السطور لأنه كان من رجال الحديو السابق فصدرت الأوامر بتفتيش المنزل الذي كنت أسكن فيه بالاسكندرية .

\* \* \*

كانت أول مرة وقع فيها نظري على المرحوم الشيخ محمد عبده وكنت قد تركت مدرسة المعلمين العليا واندمجت في تلك تحرير المؤيد عام ١٨٩٨ وحدث حادث إطلاق الأمير سيف الدين الرصاص على أحمد فؤاد الذي أصبح بعد ذلك سلطانا فلسكا، وبدى في عاكة سيف الدين وكان الشيخ عبده إذ ذاك قاضيا في محكمة الجنائيات مع أحمد فتحي زغلول شقيق سعد . وكافني الشيخ على يوسف أن أحضر القضية وأخلص المرافعات وانقدت المحكمة في سراي صارت بعد إدارة لجريدة الأخبار وكان محمد عبده هو وحده القاضي الذي يلبس عمامة وذلك قبل أن يتولى الإفتاء .

بعد ذلك بسحو عام نقل الإمام إلى وظيفة الإفتاء وكان يلقى دروس التفسير في الرواق العباسي وأنا لا أزال محرراً في المؤيد أكتب المقالات بإمضائي ، وصادف أن كنت أقيم في منزل صغير في جهة هابدين .

كان من آداب الشيخ عبده ومكارم أخلاقه أن يعطف على صديقه الشيخ محمد عبدالمهاد زيد .

(وابن عم والدتي) وكان زميله في الأزهر ، قال زيد للشيخ أن ابن أخى حافظ عوض القدي تحرر في المؤيد قال له الإمام : أحضره لأراه .

هدت إلى المنزل فوجدت الشيخ عبد الهادي يفتظرني لنذهب إلى الشيخ الإمام كضربة لازب فذهبت معه إلى عين شمس وكان بدء معرفتنا وبدء عطف الشيخ الإمام على طيلة حياته حتى كنت معدودا عند الناس من أتباعه . وكان ذلك سببا في إيصال عيش كثيرين من ذوى قرباى ومن أهل بلدتى ، ومن هنا تبدأ ذكرياتى الحقيقية عن علاقة الشيخ عبده والمستر بلنت المعروف القدي كان يقيم فى حديقة كبيرة بعزبة النخل على مقربة من منزل الشيخ محمد عبده ( وقد اختصه مستر بلنت بجزء كبير من كتابه التاريخ السرى للاحتلال الإنجليزى ) رسم فيه صور قديمة للشيخ الإمام أثناء شبابه .

وكانت تلك العلامات من الوسائل التى يمكن بها الشيخ الإمام خدمة بلاده . وكان الإمام يتعلم الفرنسية التى كان يتكلم بها مع بلنت وبالعربية أيضا لما كان يزوره كثير من الإنجليز والارلنديين ، وكان هذا داعيا للشيخ عبده حين عرف أنى أجيد الإنجليزية وإنى أحسن الترجمة بها حديثا وكتابة ، إحتضنى بأن أكون رسوله ووسيطه بين الإنجليز والارلنديين .

وقد عثرت فى الأوراق التى بقيت عندي على خطاب المرحوم الإمام يطلب فيه إلى مقاتلة المستر ديون من زعماء الحزب الارلندى المشهورين .

ولذا العزيز

كتب إلى المستر بلنت يقدم إلى صديقه المستر ديون من رؤساء الحزب الإيرلندى ورفق إلى أن أعرفه ووعدته بأن أراه يوم الثلاثاء الآتية الساعة أربعة بعد الظهر فأرجو أن تذهب إليه فى الوكاندة التى يقيم بها وتتوجه إلى الأزهر وأكون شاكرا .

محمد عبده

الأحد ٢٢ مارس ١٩٠٣



« الملائة بين الإمام والخديوى » ١١ أغسطس ١٩٣٧

وقد بان عندى أن أصل الشيخ محمد عبده من أصول تركانية أو كردية ، وكان ذلك ظاهرا فى ملامح وجهه وفى تصوراته ونفسيته لأنه كان على أنه من الفلاحين وكان طالبا فى الأزهر وناشئا فى بيت لأتربى خلق الشجاعة والإقدام ، كان على عكس ذلك من الشدة والصلابة والعناد فيما يقصده تصويره ويمتقده ، قال لى مرة ونحن نتحدث عن الصحافة وعن جريدة المؤيد « أنا أحب أقول لك كلمة بصفة خاصة لأنك من الشبان الذين أحببتهم ولأنك ترتبط معنا بملائة قرابة ولا أحب أن تنقل هذا الكلام عنى ؛ أننى لا أستطيع أن أحمّل من الذين أصولهم من أواسط آسيا كالأنراك والحكام والماليك ومن تناسل منهم ما يعاملون به المسلمين أو المصريين بصفة خاصة من الاحتقار ، وأنا أحب الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ولكنى لا أحب منه ما أراه من التذلل والخضوع لما يصدر عن السراى أو عن عباس ( بهذا اللفظ كان يتكلم دائما عن الخديوى فى ذلك الوقت ) .

ولم يكن حين قال لى هذه الكلمة قد وصل إلى دور الخلاف الذى وصل إلى حد العناد والكرهية والمقاومة الشديدة بينه وبين الخديوى لأن ذلك كان أول توليه وظيفة الإفتاء .

وكان الخديوى ياجأ إليه ويستعين به فى حل بعض المشاكل ولكن الدسائس اشتدت بين الطرفين ، حتى وصل الحال بينهما إلى الكراهية الشديدة والحقد ، والرغبة من جانب الخديوى بنوع خاص إلى القضاء على الشيخ الإمام وإخراجه من الإفتاء والأزهر ، فلم يكن فى وسع الشيخ الإمام احتفاظا بما يعمل له لخدمة الأزهر والإصلاح ووطنه إلا أنه يعتمد على من يكون فى إمكانه صد اعتداء الخديوى عليه ، ومن كان فى مصر يستطيع ذلك غير اللورد كرومر . لهذا توطدت بين اللورد كرومر وبين الشيخ الإمام دعائم مودة وتقدير متبادل بين الطرفين ، وكان الشيخ فى كثير من الأحيان لا يسلم للورد كرومر

بما كان يرمى إليه في أمر من الأمور إلا بعد أن يقتنع الإمام بأن المصلحة في ذلك ،  
أو أن هناك عوائق سياسية لا تستطیع دفعها .

وأنا أعتقد شخصيا أنه قد كان للشيخ محمد عبده سلطة على كرومر آتية من طريق  
الثقة بما كان يمتدحه كرومر في الشيخ الإمام من الاخلاص والكفاءة والرجولة .  
وبنوع خاص بترفمة عن الغايات والأمر الصغيرة . قلت أن الخديو كان في أول أمره  
ميلًا إلى الشيخ الإمام ، وهو الذي ساعد على إصدار العفو عنه بعد الثورة المرابية  
حتى يستطيع أن يحضر إلى مصر ، وكذلك فمل عباس في أمر عودة عبدالله نديم . وكانت  
للمرحوم الإمام لياقة ظريفة وابتسامة أظرف ، ووجه صبوح وروحانية مؤثرة على كل  
من اختلط أو اتصل به ، ولولا الخلاف الذي وجد بين الخديو والإمام ، ما وجد ذلك  
الحريق الذي تألف من حزب الأمة ، ولا كانت الجريدة التي يحررها ( أحمد لطفى السيد )  
ولا كان عزل الخديو ..

والذى يدلنا على أن الخديو عباس كان شديد الميل أولا إلى الشيخ محمد عبده وأنه  
كان يركن إليه ، أنه طلب إليه أن يكتب كتابا عن تاريخ الثورة المرابية التي اشترك فيها  
المرحوم الإمام اشتراكا فمليا حتى لا تضيق حقائقها التاريخية .

ويقول السيد رشيد رضا أنه من سوء حظ مصر والمصريين بل الشرق أن الإمام  
لم يتم تأليف هذا الكتاب ، فقد صار تأليف الكتاب للأمر مشكلا لأن الأستاذ الأمام  
كان يلقى تبعة الثورة على الخديو توفيق مباشرة وجعل لما كان من إسراف الخديو  
إسماعيل وسوء إدارته لبلاد أسبابا مبهدة لها .

ولم يكن الإمام ممن يقبلون الرضوخ لسيطرة الرأى أبدا وكان همه ومجهوداته متوجهة  
إلى بث روح الاستقلال النفسى عند المصريين فكان يحقّر طلاب الوظائف وطلاب  
الرتب والنياشين .

وقد اشتهر محمد عبده مع علمه ، بأنه كان يحب التفسكهة ويقرب إليه رجال الفكاهة حتى كان يرسل كثيرا إلى المرحوم الشيخ البابلي ويجمع بينه وبين المرحوم حافظ إبراهيم الشاعر حيث يتألف من جماعتهم مجلس فكاهة يأنس إليه الشيخ ويستروح .

وكانت ( إحدى الصحف ) وقد نشر فيها مقال عن السياسة ، وأظن أنه كان هو الشيخ الشربتلي الذي كان يكتب في عدة صحف ومنها الظاهر التي اشتهرت بحمله هينة ضد الشيخ محمد عبده أيام فتوى اللقوذة . وقرأ الإمام المقال وما فيه من خلط ، وكان الشيخ بضرب به المثل بين الصحنين بمخلطه فإذا عابوا مقالة ما ، قالوا هذه مقالة شربتلية ، وقرأ الإمام المقال وقال ، ومعه عبد الكريم سليمان وحفني ناصف وقاسم أمين ؛ أنا أدفع جفنيها لمن يقول لي مما في هذا المقال من أغراض ومقاصد .

وكان الشيخ على يوسف ينصح لي كنهه بأن احتاط ولا أكثر من الاتصال بالشيخ محمد عبده وكنت أفضل أن أقطع علاقاتي مع جريدة المؤيد ، حتى لا تتأثر علاقاتي بالشيخ الإمام ، ولكن الشيخ رحمه الله كان يحب أن تزداد سلتى بالمصحافة ، وتجاربى فيها ، ولم يكن هناك وسيلة الاشتغال بجريدة أخرى .

على يوسف في مذكرات الحديو عباس

كتب أريد أن يكون لي صحيفة قادرة على أن تثير الشعب وتقوده شيئا فشيئا إلى إدراك أكثر وضوحا للفرض والواجبات الوطنية فدعوت كاتبنا من كتاب اللغة العربية، كنت قد سمعت عن صفاته ومزاياه هو الشيخ على يوسف، وكان قد تردد على مدرسة المعلمين وخارجا من الجامعة الأزهرية ، وكان قد لفت إليه الأنظار إن لم يكن بانساع أفقه النكسرى ، فبحماسة في المناقشة وبموهبة مجادل حقيقة ، ومقدرته المشهورة على هضمه للمائل ، وخاصة إذا ذكرنا أنه لم يكن يتكلم لغة غير العربية ولم يدرس إلا في المساجد . وكان الشيخ على يوسف وهو من أهل الصعيد يعرف عقلية مواطنيه ومطامعهم ،

وكان رغم أنه تربى في بيئة دينية يعرف كيف يفرق بين واجبات الفرد نحو بلاده والاحترام الواجب للدين وكانت سياسته تستند أحيانا على نفوذ الخليفة ولكنها لم تكن على الخصوص تركية أو إسلامية .

هذه ألوان قد زادت من تأثير الشيخ على يوسف على الشعب وكان الشيخ على يقنذ أحيانا مظهر مدافع عن الإسلام أكثر من محركا للشعور الوطنى ، وكان القرض من هذا التكتيك هو أن يجمع كل القوى المشتتة حول فكرة واحدة عامة وقوية .

كان الشيخ على فى بداية نشاطه يقنذ على الأخص ستارا لكثير من الشخصيات البارزة التى كانت تحمل إلى الجريدة ثمرة ملاحظاتها وخلاصة تجاربها فى حياة كرسى للادارة أو لسير العدالة ، كان أكبر رجال البلاد اقتداراً وأعلام نجبراً يساهمون فى عمله ، وكان معروفا أن القصر يؤيد ذلك ، فكان قارىء لسان حال التحرير يقطف من أعمدته زهرة الفكر المصرى وسرعان ما غدا المؤيد بفضل هذه الوسائل إحدى الصحف العربية الرئيسية يقرأه الناس من طنجه إلى الهند ومن تركيا إلى زنجبار . وقد كان المؤيد فى الواقع يحفل بالمقالات المظيمة بأسلوبها البارع وأفكارها العميقة ، وكان الشيخ بأسلوبه اللاذع وبلاغته التى لا تقدر ، قد غدا أستاذاً بفضل إحصاله اليومى بالشخصيات البارزة فى كل علم وفن .

كان على يوسف بارعا فى إستخدام الرباط الطبيعى للقوى الذى يربط المصريين منذ عهد بعيد ، وفى تأسيس وطنيته على أساس من تلك الماطفة القوية الجذور . ولم يكن تعليمه الدينى يؤثر إلا قليلا فى نزعاته التحررية .

الحق أن على يوسف لم يكن يوما ما رجل تركيا ، وإذا كان فى بعض الأحيان قد أيد الخليفة ، فإنه ما كان يبنى سلطان القسطنطينية وإنما زعيم الإسلام ، كان مصرىا قبل كل شيء ، ولقد نجح أباما كان شخصه أو كانت آراؤه فى أن يستميل الرأى العام ويجمعه ويملئه التفكير ، وكانت مقالات المؤيد تقرأ وتشرح فى أبعاد القرى النائية ، وكان المتملون أنصار الجريدة وكانوا يملون على رواجها وكان انتشار المؤيد ونفوذه يغازد بفضل عطافى الذى لا ينقطع عن الشيخ .

## النقد الاجتماعي

إبراهيم المويلحي ومصباح الفرق ١٨٩٨

كان إبراهيم المويلحي يمثل أرق نماذج الأسلوب المصري في أواخر القرن التاسع عشر وهذه باقة من كتاباته تمثل إراثه في الصحافة ونقد المجتمع .

(١) يسافر أصحاب السعادة مصطفى فهمي باشا إلى إيشي وأحمد مظلوم باشا إلى فيشي وإبراهيم فؤاد باشا إلى كارلسباد وبطرس غالي باشا إلى مريعات ، ولا يسافر سعادة محمد عبّاش باشا إلى كزيرا بل يكتفى بالاعتكاف في حمامات سان اسيفانو للتجرد والراحة وانخلوه من عناء الاشغال في الحكومة ، ولنظارتنا المظالم المذر البين في مهاجرة الديار المصرية في هذا الأوان ، أوان الحر وشدة القبط وخلو الحكومة مما يشغل الخاطر ويهم الناظر ، فإن الحملة السودانية وما يتبعها من فتح الخرطوم واسترداد السودان كلها أصبحت في عهده سعادة كمشتر باشا ، وعمل الخزان والنظر في تدارك أخطاره في كفالة المستر ولسون ، وبيع الدائرة السنية وسكة الحديد السودانية وما وراء ذلك من العواقب المجهولة في وصاية المستر ألون بالمر .  
( ١٦ يونية ١٨٩٨ )

(٢) ما الجرائد شهد الله — إلا وسيلة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذريعة إلى إقامة الحق ، وعق الباطل ، فهي عصا طمر ذى الحلم ، ودرّة عمر الفاروق ( وهي الصانع الحكيم للتنمية والانتماط ) باللوم والعتاب ، وما شرفت أمة ولا سلحت جمعية ولا انتظمت حكومة إلا بهذا الانتقاد .

ولعلنا أن الانتقاد المطلق العام لا يؤثر في النفوس ولا ينبه الأذهان ممدنا إلى التمييز والتخصيص . والتشخيص ، فإن الانتقاد وتوضيح الحقيقة في هيئة معينة وصورة معينة وذات مقصودة أبلغ في النفس وأدعى إلى اجتناب ما ينقد في ذلك التوضيح ، من أجل  
( م ١٤ — تطور الصحافة العربية للامارة )

النقد فتحنا حديث ( عيسى بن هشام ) وجربنا عليه متخصصين في موضع التعميم وممهمين في موضع التخصيص .

(٣) أما استئصال المال ففاجله كثيرة وبكفى له (الأزبكية) رقصها وقارها وخمرها وخمارها وغفائها ومنانيتها وبنائها ومبانيها ، قال لى أحد الأدباء أن في مصر خمسة ملايين من الأفدنة يأكلها فدان واحد ، هو محلات الحجر والميسر وغيرها في الأزبكية .

(٤) أيها القارئ : احقن ماء وجوهنا من تلك السحابة ، سماجة إعادة الجريدة مراراً لمن يرفضها ويردها وطهر صناعة التحرير من إدارتها فقد انحط قدرها في أمين المعتلاء ؛ القراء سماعون للكذب وأصحاب الصحف أكلون للسمعة ، وقد دخل في رفرة المهردين أميون لا يعرفون الكتابة ، وأسبغت الصحف المنتشرة في مصر — إلا ذات الشأن منها — كالجراد المنتشر .

وفي هذا الزمان — زمان الفضائل — يأتي صاحب الجريدة إلى أمير في بيته ، وهو لم يره طول حياته فيقول له قد جائتني رسالة كلها مطاعن فيكم وجمل لى مبلغ وافر من إدراجها في جريدتي ؛ ثم يتشم ويقول : من رجل لا أسمية وفاء يشرف القول ، ولكن عن بتظاهر لكم بإصداقة ، فيأخذ الأمير حينئذ في التفتيش من هذا الصديق في ذكراته حتى يكاد يحتقن فيه ، ويشرع في مجاملة صاحبنا ليكشف له ذلك الاسم ، ولا يقوم حتى يأخذ منه جائزة ثم يترك الرجل يشك في جميع أصدقائه .

(٥) الطغراء السلطانية (٧١ يوليو ١٨٩٨)

سيكون ورق النقود الذى يضمه البنك المصرى في المعاملات ، مكتوب باللغة الانجليزية واللغة العربية ، ولا يعلم أحد أن كانوا عولوا على وضع (الطغراء السلطانية) في أعلاه أم لا ، فإن تلك الأوراق سكة للتعامل بها بين الناس مثل النقود ، والفرامانات السلطانية تشترط أن السكة ( أى العملة ) تضرب في مصر باسم السلطان مزينة بالطغراء

السلطانية فإن لم يفعل البنك الوطنى مقتضى نص الفرامانات فى المعاملة بتلك الأوراق  
إشكال .

(٦) عيد جلوس السلطان أول سبتمبر ١٨٩٨

يوم البشرى بحلول العام الثالث والعشرين لجلوس سيدنا ومولانا الخليفة الأعظم  
أمير المؤمنين وحامى شريعة سيد المرسلين على عرش الخلافة الإسلامية وتحت السلطنة  
العثمانية ، فأخذت كل بلد زينتها وأعلنت الأمة الإسلامية سرورها وبهجتها وتجلت ليلة  
الاحتفال بهذا العيد السعيد فى أبهى مطارف الجبال وأزهى مظاهر الأبهة والجلال ،  
وكانت مصر من أعظم الممالك الشاهانية قياما بهذا الواجب فالتأمت لجنة من سراتها  
ووجوهها وأعيانها ، وأقامت زينة باهرة فى حديقة الأزبكية جمعت من معدات المسرة  
والاحتياج ما تشرح له الصدور وتبهج به النفوس .

(٧) البنك الوطنى عام ( ١٨٩٩ ) .

لا تتكلم فى هذا البنك ياكتر من قولنا أنه مشروع قديم فإن جماعة سمعوا فى إنشائه  
أيام الثورة المرابية ونعلم أنهم تسكلموا مع أحد المشهورين من أعضاء مجلس النواب فى ذلك  
الوقت أن يحصلوا مبلغ خمسة عشر ألف جنيه من أسهم الشركة حتى لا يعارض فى إنشاء  
البنك المذكور فتوقف فى هذا ولم ينجح المشروع .

## الاصطلاحات الصحفية

لمعرفة كتابات هذه الفترة لابد من مراجعته للاصطلاحات الصحفية والمباراة الشائعة الدائمة ، مثال ذلك ( السرى الأمثل ) يوصف بها الرجل الثرى . وكلمة « الأصولى » فلان يوصف بها رجل العانون وكلمة ( عطوفتلو أفندى حضرتلى ) يلقب بها الوزير و ( سيدنا فهرست السكال ) يوصف بها جمال الدين الأفغانى .

ومن المعاوين الدائمة ( ثفته مصدر ) وهى عبارة عن كلمة عتاب أو نقد ، ومن الكلمات الكثيرة الاستعمال ( برج الخفاء ) أى انكشف المستور أما ( المسكوف ) فهى تعنى بلام اللروس ودار الخلافة العلية : هى عاصمة الدولة المنيانية وكلمة ( لاحق لسابق ) التى تعنى بها الآن ( بقية مانشر ) . وفى النهاية يكتب ( سابق للاحق ) إذا كانت هناك بقية .

وكانت أغلب العناوين مسجوعة فإذا كانت القصة عن فتاة خرجت عن طاعة والديها وتزوجت دون رغبها كان العنوان ( الفار خير من هذا المار ) وإذا كان الخبز عن تفوق مدرسة ما قيل ( التبريز بين التلاميذ ) .

وقد كانت بعض أسماء الكتاب تختلف مما عرفت به من بدمثلا: خليل المطران ، ( خليل مطران ) ، باحثة فى البادية ( باحثة البادية ) أعنى : ملك حفى ناصف ، وكان الأستاذ مصطفى صادق الرافعى بوقع مصطفى الرافعى ( الطرابلسى ) وكذلك كان: أمين الرافعى ( الفاروق ) وأنطون جميل هو ( أنطون الجميل ) أما جورج زيدان فقد حرفت ( جرجى زيدان ) .

وكانت نماذج ( عقد القرآن ) على هذا النحو « عقد قران الشاب النقيب فلان على صليبة الشرف وربة المصاف فلانة كريمة فلان من أعيان بلدة كذا وقد وزعت المربطات وحفف الأسماع أبو خليل الحياى وخرج الجميع يلهجون بالشناء » .



أما في باب الوفيات فهناك نماذج مختلفة :

X قصفت يد المنون غصنا رطيبا هو الشيخ فلان عن ٧٨ سنة قضاها في البر  
والإحسان ، بعد داء أعيا نطس الأطباء فلم يمهله ، وكان الشهد زهيبا مشى فيه ملاحظ  
البوليس وشيخ البلد .

X رجل مات والرجال قليل .

اليوم تبكى مصر وعلماء مصر وأطباء مصر الخ . . .

X انطفأت اليوم في القاهرة شمعة ذكاء ، وغاب من عالم الأدب والنبيل نجم تلامذ  
فيه ٦٥ عاما فأكند وجهه تغبر السياحة وتمازيفها للغادرة : محمود سامي البارودي  
الشاعر المطبوع الذي يستمد من بحر الطافي كل ناز وشاعر ( الأهرام - ١٩٠٤ ) .

X رجل مات والرجال قليل ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

أكبر مصاب مصر في هذا الزمان وهي فقيرة من الرجال العظام ، أن تفقد  
حين أبنائها مثل من فقدت اليوم ، وقلما تلد مثله في كل عصر ، عصاميا نشأ بصفاته العالية  
ودل على نفسه بفضله الباهر كما تدل الشمس على وجودها بضوئها المقيم .

مات المرحوم « حسن عاصم » مات هذا الرجل الذي كان نبراس الأفكار في حواك  
الحوادث ، وهدى العقول في معضلات الأمور ، مثال العقل مجسما ، والحزم مصمما ،  
والرأى حكما ، إذا فقد الناس صوابهم في ملم كبير .

مات هذا الرجل الكبير فبكته العيون والقلوب ، بل فرقت عليه الأئمة الحبوب ،  
فخرج الناس زمراً وأفواجا من الطبقات المختلفة إلى منزله ببايدين ، وكلهم كاسف  
جزين . ( المؤيد - ١٩٠٧/١١/١٠ )

× تالله لو أعطيت بلاغة سبحانه واثل ، فإنا بكتاب أكثر مما كتب ، ولو سبقت ابن هانئ في الشعر فإنا قاتل أحسن مما قبل ، ولو أمارتنى الخنساء حزنها على صخر من جديد ، فإنا ببالغ حزن الأمة على الفقيده ، فملك يامصطفى كامل ألف رحمة ، وعلى روحك الشريفة ألف ألف سلام ، لقد كنت فينا ذلك الصائح المحكي وغيرك الصدى ، فأصبحنا لا نسمع غير البكاء والنحيب ، لقد كنت ذلك الدرع الذي ندره به عن أنفسنا مهام العدو ، فامسنا بمدك عزلاً لا نملك غير الوجيب ( مجلة الأستاذ — ١٩٠٨ )

× ما غربت شمس حتى غربت على أثرها شمس علم وفضل ، وما خيم الظلام على عالم الطبيعة حتى خيمة ظلمة الوحشة على عالم الرواة والنبل .

× وكتب أحمد تيمور في مجموعة قصائده نيا للشيخ البجيرى . قال :  
في يوم الجمعة ١٦ ربيع الأول ١٣٢٩ في العصر توفى إلى رحمة الله العالم الكبير الشيخ محمد موسى البجيرى ، شيخ الشافعية بالأزهر ، وكان يستمد لصلاة الجمعة فأحس بضعف قوته ، فلم تمض ساعات قليلة حتى أسلم الروح ، وكان في نحو الستين من العمر ، وشيعت جنازته يوم السبت من داره بالمطوف ، ومشى خلق كبير من العلماء منهم شيخ الأزهر سليم البشرى وشيخه السابق الشيخ حسونة النواوى ، والفقى الشيخ بكرى الصدفى ووكيل الأزهر السيد محمد شاكر وغيرهم . وكان رحمه الله متواضعا ضحوكا حسن المعاشرة نفعه الله برحمته .

## طرائف الصحافة

من خلال مراجعات واسعة لتطور الصحافة في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى نجد لمحات مريضة طريقة تشكل صورة الصحافة والمجتمع .

المؤيد : دام للمؤيد من سنة ١٨٨٩ إلى نهاية سنة ١٩١٥ وقد تركه الشيخ علي يوسف ١٩١٢ وتوفي سنة ١٩١٣ ورأس تحريره : الدكتور سيد كامل وحافظ عوض ومحمد أبو شادي وحامد ابراهيم ، وقد أصبح المؤيد لسان الخديو منذ ١٨٩٩ .

وقد وصف الشيخ علي يوسف من بعض الذين عرفوه بهذه العبارات : « لقد لبس الشيخ لسكل زمن لبوسه واتخذ حيال كل ذى سلطة من الوسائل والحالات ما يؤدي لنجاح خطفه بحكمة وحصافة » وعند ما توفي علي يوسف كتب عباس العقاد في مجلة عكاظ ينعي الشيخ فقال : ليس الشيخ علي يوسف صحفيا كبيرا ، كلا ولا هو بالرجل الكبير ، وإن كنا لانسى أنه ولد خاملا فأت شهيدا ، ونشأ نشأته الأولى متغربا ثم قضى نحبه مسموم الكلمة وجيها ، والشيخ علي قد أفاد بعض الناس ، ولكن قائدة لامة لها بحب الخير ، فلم ينجح الموت فيه صديقا غلصا ، ولا ينكر علي الشيخ ذكاه . ولكننا لا نستطيع أن ندعوه ننموا في القلب أو سمع في القهن ، وإنما هو عندي أشبه بالخذق في حرفة من حرف الكسب ، ولو كان الرجل سامي القلب واسع القهن لكان تقديره للعظمة اسمى وأكبر من تلك الناية التي نصبها غرضا له في حياته . كان الشيخ يقرض الشعر ليدح به السراة والأغنياء كما كانت وظيفة الشعر في تلك الأيام ، فلما حصل من الكتابة على ما يفنيه عن طرق هذه الأبواب ، رأى أنه لم تمد به حاجة إلى الشعر فتكره ومضى في الكتابة .

وقد عنت بمضهم عليه لا تقلاه على رياض باشا ، ونحن لا يهمننا نكرانه جيل هذا الانسان إذ ذاك بل قد نرى له بعض العذر ، فلقد ساعدوه وهو فقير خامل فلما أصبح من اهل الرتب والوجاهة أبوا أن يرفروا فيه إلا ذلك المجاور القديم .

وأنى ليشق على أن لا أجدلى عذراً عن نقيصه غير هذه وأن لا يكون فى نفسى ميل إلى احترامه ، ولست أعلم لماذا يجمعو الموت السيئات ويكبر الحسنات ، ولماذا نبقى الحكم للتاريخ البعيد ونحن أقدر على أن نرى الحقيقة عن كذب ولو تفاضيا عن اللقائس وللصائب لبطلت حكمه القدر .

وقد عرض المقاد لهذا الأمر من بعد فى مذكراته فقال :

قلت فى تأييد على يوسف ( فى مجلة عكاظ ) أن الرجل كان تقاضى راراً لكنه كان ينفع ويعمر لتمكين تدرئة واستصلاح الأعوان فى مشكلاته وقضاياه ، فن وصلت إليه يد من أيديه لم يكافئه عليها بالحبه وخلوص النية ولكنه يحس أنه مدين مطالب بدين يوفيه فى يوم من الأيام فلا جرم يشيرونه غير محزونين ويمضون فى جنازته متحدثين متشاغلين ، لأنهم فى حالة نفسية أشبه بحالة المدين الذى أعفاه موت الدائن من الوفاء له بما عليه .

× لما مر الملك جورج الخامس بالقطر المصرى فى يناير ١٩١٢ قدم له ( محمد محمود )

طاقة من الزهر وناب لطفى السيد عن الصحافة المصرية فى استقباله .

× ترجم أمين الريحانى قصيدة حافظ ابراهيم عن دنشواى التى استهلها بقوله : « أيها

القائمون بالأمر فىنا » إلى الانجليزية على هذا النحو :

You who are holdeng now the seins of power.

× نشرت جريدة الظاهر فى ( ١٨ أكتوبر ١٩٠٦ ) رأيا لقاسم أمين عارض فيه رأيه

فى تحرير المرأة قال :

لقد دهشت كثيرا مما كتبه مسيو تييرلوتى فى شأن حرية النساء الأتراك لأنهن على

ما أرى هنا وفي الاستانة العلية متمتعات بحرية تامة ولا يحجبهن ما يحجب نساءنا من ظلم المقاسير واستحكام الأبواب والنوافذ وتجميع الأستار والخوف .

هذا ولقد كنت أود المصريين قبل الآن إلى افتقاء أثر الترك بل الأفرنج في تحرير نسائهم وغاليت في هذا المني حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب وإلى إيثراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائهم ولكني أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس . فلقد تنبعت خطوات النساء في كثير من أحياء العاصمة والاسكندرية فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حدث الله على أن خذل من دعوتي واستغفر الناس إلى ممارستي . أنه قد نصح الدعوة في الاستانة ولكن لا تجوز الدعوة من هذا القبيل في مصر (١) .

× نشرت الصحف هذا الخبر : في عهد وزارة مصطفى فهمي أطول وزارة احتلال في تاريخ مصر (١٨٩٥ - ١٩٠٨) ظهر كتاب « رجوع الشيخ » مطبوعا في المطبعة الأميرية فذهل الناس ، وتساءلوا كيف تبيع حكومة الاحتلال طبع كتاب أباحى كهذا ويبيع علنا بالسكاتب . استقدم مصطفى فهمي مدير المطبعة الأميرية وكان ايطاليا فقر إحالة موظفي المطبعة المسئولين لحما كتبهم .

قال رئيس المطبعة : إنه رجل أجنبي لا يفهم من العربية حرفا واحداً ، وأن جميع المطبوعات العربية مخطوط بوكيل المطبعة حسن بك أمر الاشراف عليها ، وقرر أن الشيخ عبد المطلب رئيس قلم التصحيح في المطبعة هو المسئول ، فقد جاءه أحد الكتبة ، فسأله عما إذا كان يرضى بطبع هذا المخطوط فأففى له بجواز طبعه بحجة أن الاسلام يبيع لكل من الزوجين أن يحيط ببعض هذه الأمور علما ، وإن كان رئيس المصححين من رجال الأزهر فقد صدق على ما قاله وأمر بأجازة طبع الكتاب .

× لما أصدر مصطفى كامل جريدتيه الأفرنكيتين بمد إصدار اللواء ، قال أحدهم : لقد كفل اللورد كرومر طعامه في الصباح ، يفطر بالاجسين استندر ، وفي الظهر يتغدى باللواء ، وفي المساء يتعشى بالاستندار .

× كتب سلامه موسى في مجلته «المستقبل» ١٩١٤ عن طه حسين بمناسبة حصوله على الدكتوراه «نصارحه بأن شهادته منظور فيها ضعفه ونسكبه في نظره أكثر مما نظرت فيها كفاءته» .

كما كتب عن المقاد سنة ١٩١٤ يقول «المقاد لا يتقحم كفايات الأدب الأوربي و يترجمها لنا بوساطاتها كما يفعل السباعي أو لطفي جمعة ولا رساف ألفاظ كالرافعي والمنفلوطي»  
أبى النفس صلب المريكة في كل ما يمس شرهه الشخصي .

× في سنة ١٩١٥ طرأ تغيير على الصفحة الأولى من مجلة المقتطف حيث كتب ما يأتي:

«المقتطف: مجلة عربية علمية يحررها الدكتور يعقوب صروف» وعلقت الصحف :  
كان يجب أحداث هذا التغيير منذ عشرين عاماً ، لأن الدكتور فارس نمر قد انصرف إلى خدمة المقطم منذ ذلك الحين .

× كتب احمد فؤاد صاحب الصاعقة عام ١٩١٢ .

أنا الآن أحاكم على انتقادی سعد باشا زغلول ، وأتوقع الحسم على وكفى فارغ وكيسى .  
أفرغ منه ، وليس عندي مدخر لثل هذا الموقف ، فذهبت إلى إدارة المؤيد لأقترض من سمادة الشيخ جنبها ( يقصد الشيخ علي يوسف ) والشيخ له سوابق في ذلك فهو يقرضني ما أطلبه منه وينسى وأنسى معه ، فلما قابلته لم أجده معه إلا ٤٠ قرشا فأخذتها وخرجت عنه !

× اشترى مستر ويلكوكس المهندس الانجليزي مجلة «الأزهر» في فبراير ١٨٩٣ وشاركه فيها الشيخ أحمد الأزهر ، وبدأ يكتب فيها مدافعا عن اللغة العامية .

× قال توفيق دياب : كان المقطم هو الجريدة التي يشترك فيها أو يشتريها الممد والأعيان وكل راغب في التمسح بجاه الانجليز منذ أوائل الاحتلال إلى ثورة ١٩١٩ ، وكان الممد الذي يقرأ ويكتب يجلس كل مساء في حلقة من أسرته واخوانه في الدوار بعد العشاء ثم يتلو مقالات المقطم .

## وفيات الأعيان

كيف كانت الصحف تتناول رثاء الشخصيات البارزة في هذه للرحلة .

× تقول جريدة المؤيد في وفاة رياض باشا ناظر النظار وكان الرجل من أخلص أصدقاء صاحب المؤيد . ( ١٨ يونية ١٩١١ ) .

مات الرجل الذى كان أعظم الرجال همة ، وأعلام نفسا ، وأصدقهم وطنية . مات رياض باشا الرجل الذى خدم الأمة المصرية في سرائها وضرائها فكان مثال الحزم ، مثال الاستقامة ، مثال الشجاعة الأدبية في كل أدوار حياته .

ولما توفى مصطفى فهمى - رئيس الوزراء الذى تولى أطول وزارة في عهد الاحتلال قامت جريدة المقطم ( لسان الإنجليز ) برئاسة فقات : ( ١٥ سبتمبر ١٩١٤ ) . الوزير الطعير للرحوم مصطفى فهمى ، على أن ما اعتري عطوفته من الضعف التوالى بعد الشلل الأخير ، وقد وصفه اللورد كرومر في خطبته الوداعية فقال وهو أدري رجال السياسة (٤) باقدار الرجال : ماذا أقول عن صديق اليزى على السامى المقام فى ميني عطوفة مصطفى باشا فهمى ، فقد قضينا السنين الطوال بالهمة والصدق والإخلاص ، فى أيام تفاقنا فيها الخطوب وكثرت المشاكل ، قضى من خدم وطنه بالعقل الراجح والإخلاص التام ولكن زمانه كان زمان إطلاق العنان للألسنة والأقلام فأساء تصيرو الفطر الظن فيه وانتقد أعماله الذين يطلبون ما لا يستطيعون غمطوا فضله وحسبوا حسناته سيئات . . . » .

والمقطم يقصد الإشارة إلى رجال الحزب الوطنى الذين كتبوا فى نقد مصطفى فهمى أطنائاً من الورق . .

× وعندما غرق لورد كيتشنر فاتح السودان ومنذوب بريطانيا في مصر أفردت له جريدة الأهرام صفحة كاملة يوم ٨ يونيو ١٩١٦ وقالت : الطود العظيم يختلف وصف مناظره باختلاف وجهة الناظر إليه ، والرجل العظيم كالطود العظيم له من السجايا والزايا والأفعال المظيمة والأخلاق السكرية والآثار النافمة ما يحيط قلبه البليغ المقالات العديدة في وصفه ولا يستوفى مع ذلك غير القليل في شرحه وقد نمى إليها البرق أمس رجلا عظيما ولا كالرجال وبطلا مقداما تفوق لهيبته الأبطال وطوداً منيفاً تحرستونه الجبال .. الخ.

× ولما توفى السلطان عبد الحميد في ١١ فبراير ١٩١٨ وكان قد عزل في عام ١٩٠٩ قالت الأهرام : توفى وهو سبعين في ( بورصة ) بعد أن جاوز السبعين ، وبعد سجن جاوز العشر ، إنه لم يكن رجلا سلطانا فقط ، بل كان كل السلطة التركية ، كما كان مالها ماله وأرضها أرضه وشعبها عبيده ، فلا تقال في أطراف اليمن كلمة بغير إذنه ، ولا تجول بصدر البدوي بصحراء ليبيا خاطرة ، ولا ترسم على خاطره ، ولا يسير السائر في جبال الأناضول تحت حنج الليل الدامس إلا ومرى عيونه في مناقل خطوه ، مطلق الإرادة ، مطلق اليد ، نافذ الأمر ، لا إرادة إلا ما أمر ، وتنفذ أوامره فلا يسأل عما يفعل ، لا قانون ولا نظام ولا قيد ولا شرط ، لما بنى ، وإن كان بنيا وظالما حتى إذا ما ظلم قالوا في ذلك الظلم إنه عدل ، وإذا ما عدل قالوا في العدل إنه فوق العدل ، ضاقت عبارات اللغات عن تقديسه وتعجيدته فأخذوا الوصف من صفات خالقه ، فهو سلطان البرين وخاقان البحرين وظل الله في الأرض : بادشاه وشاهنشاه ، مجتمع الفضائل والكمالات . جمل صحف السلطة كلها تراويل وأناشيد تسبح بحمده ، جمل نصف الناس عيونا على النصف الآخر ، أزل الملك من نفسه منزلة المزرعة من صاحبها .

أما المقطم وكانت أكثر عداء لسلطان عبد الحميد فقد قالت ( ١٣ فبراير ١٩١٨ ) .



استحل حكم عبد الحميد بالآمال وختم بالآمال ، فكان نصيب السلطة خيبة الرجاء  
في الحالين ، ففي سنة ١٨٧٩ كان العثمانيون يعتقدون أن عبد الحميد يتم عمل أخيه مراد ،  
وكان مدحت وأنصاره يملكون النفس باكمال صرح الدستور فهدم عبد الحميد ما بنوا وشتت  
شملهم ، فقتل منهم من قتل ومات بعضهم مفقيا في الطائف ، ومهما قيل من سوء سياسة  
عبد الحميد الداخلية التي أورثت السلطنة العثمانية الضعف والقاقة ، وحطت قدرها ومنزلتها  
بين الدول فلا خلاف في أن سياسته الخارجية وقت السلطنة شر المطامع الأجنبية ، وحذق  
السلطان سياسة التفريق بين الحكومات الأجنبية كما برع بالتفريق بين طوائف رعيته  
وشعوبها :

## نقد الصحافة والمجتمع

عقدت مجلة المحيط سنة ١٩٠٦ فصلاً تحت عنوان «الكثير المبذل في الصحافة المصرية»  
جمعت فيه العبارات التي طال ترديدها على السنة السكتاب حتى أصبحت مبهمة  
ولخصتها فيما يلي :

عادت المياه إلى مجاريها - استأثرت رحمه الله بالمسكي عليه - براءة القذوب من دم  
ابن يعقوب - على أثر داء لم تنجح فيه حيل الأطباء - لحاجة في نفس يعقوب - مات  
مبكياً عليه من الجميع - ناهيك عن - أنسنا باقواء الوجيه الأمثل - فأكل المدعرون هنيئاً  
وشربوا مريثاً - وكانت السهام النارية تشق كبدا القضاء - سبقنا فذكرنا - كما  
أول من أذاع هذا الخبر - لم يخطئ ظننا فيما قلناه .

ثم قالت المحيط :

إن كثرة ما يكره في الصحف المصرية أن تضرب على نعمة واحدة في وصف الأفراح  
والحفلات وذكر الوفيات ، أن تنشر من أخبار التوديع والاستقبال ما لا يهم غير المودعين  
والمستقبلين ، أن تعقب الوصف في بعض الأفراح بذكر أصناف الطعام وآكلها وأنواع  
الهدايا وأسماء مهديها ، أن لا تدقق في تقريظ السكتب المهداة إليها وتطيل في مدح  
كل منها على السواء ، وأن تذكر من أخبار التنقلات والترقيات بين الموظفين ما لا يهم  
واحد من القراء ، أن تسرف في ذكر الألقاب ، أن تسكيل المدح والقدم جزافاً ، أن تنشر  
كل إعلان وغير إعلان يبيئها ما دام ماجوراً بغض النظر عن صحته ونتائجه ، وأن تضلل  
بالقراء في ذكر شركات معينة إستأجرتها لترويج أسهمها السكادة ، أن تكرر التهينة  
لذين أنعم عليهم بالرتب والنياشين عدة مرات ، أن تخلط الخصوصيات بالعموميات ،  
أن تذكر الأخبار المتعلقة بتمزيق ثوب العفاف بكيفية لا تصلح للمائلات ، وأن تنشر

من أخبار الاتجار ووصف كيفية الإقدام عليه ما يمكن أن يكون قدوة لدوى الاستعداد له ، وأن يتعزب كل منها المعصر معلوم فقذارى عيوبه وتساعد على التماهى فيه ، إن تعظم أصحابها مع أنها عمومية للشعب ، وأن تفشر كل ما يجىء به ( وكالات أنباء ) روتر وهافاس وأن يكن فيه مالا يهتم واحداً من الناس ، وأن تسرع إحداها إلى تكذيب الأخرى في خبر من الأخبار لا لشيء إلا لأنها سبقتها إلى نشره ، أن لا تسرع إلى تغيير حروف الطبع في مطبعتها متى تلفت . وتمذر على القراء قراءتها ، أن تعلم القراء مالا يعلمون من ألفاظ الشاتم والصباب وشوارد التنكيت ، أن تبتذل إدارتها في إرسال نسخها إلى من لا يطلبها .

وإن تجارى مشتركا وجيها في نشر كل ما يرغب لا لشيء إلا لأنه مشترك وجيه ، أن لا تسرع إدارتها إلى حججها ممن يرفضها أن تعرض عن الخوض في مسألة عامة مفيدة لأن إحداها سبقتها إليها ، أن يتخذها بعض أصحابها ومكاتبها سلاحا لقضاء أغراضهم الخصوصية الدينية . أن يحسبها ذووها آلة كافية ليخربلهم الحق في تعدى حدود الآداب العمومية .

#### نقد المجتمع

أحصت مجلة المحيط عام ١٩٠٥ وجوه النقد للمجتمع في مائة مسألة : ( بلغة ذلك المعصر ) .

الماشات . ضرائب النخيل . الامتيازات الأجنبية . نقص السلك الزراعي . قلة الفضة في فصل الشتاء ( النقد ) الفداء بالمال في القرعة العسكرية ، عدم وجود ملجأ منظم للقطاع ، عدم وجود محاكم شرعية للمسيحيين ، ضرب العملة المصرية في غير مصر ، بقاء تسجيل المقود في الحاكم اختياريا ، عدم تعميم السكبارى بدلا من المديات ، عدم ردم البرك والمستنقعات ، حصر الوسائل الصحية في المدن دون الأرياف ، عدم وجود أماكن المجزومين ، قلة ما يتفق على التعليم ، الاهتمام برصف الإحياء الأوروبية في العاصمة وإنارتها دون الإحياء الوطنية ، المضاربات .

تزايد الجرائم والجنايات ، تسكاثر عدد الشحاذين ، قلة ملاجى الفقراء والمدمين ،  
عدم وجود رقابة للصحفيين ، ضعف مرتبات الموظفين الأصاغر ( أى سنار الموظفين )  
فى الحكومة ، عدم مراقبة الفنادق والطاعم والحمامات ، تسهيل إخراج الحاجات الضرورية  
إلى خارج القطر ، قلة رواتب حفظة الأمن ، عدم استغلال قاضى التحقيق بإزاء النيابة  
العمومية ، عدم بيع الأراضي الأميرية جزأة للأهالى وببعضها جملة للشركات الأجنبية ، حلول  
للموظفين الأجانب محل الوطنيين فى الوظائف التى يستطيعونها ، جعل كل الضرائب على  
الفلاحين دون أهل المدن ، أماته المصنفات الوطنية ، عدم وجود نظارة للزراعة فى مصر ،  
عدم ضرب رسوم على الخمر مع ضررها ، احتسكار الملح ورفع ثمنه مع ضرورته ، تنازع  
الإدارة والقضاء ، تقاعد أرباب المعاشات ، حرية المقامرين ، الحشيش ، القلاء ، نظام  
المنابيات ، الزاحمة فى الزيادات ، قلة مساعدة الكتائب ، عدم وجود كليات أهلية ،  
قلة للمدارس الصناعية فى البلاد ، استعمال الحرية الشخصية فى غير موضعها ، ضيق سكة  
حديد قنا وأسوان ، عدم تمميم المجالس البلدية المختلطة فى البلاد ، عدم وجود مصاح  
خاصية للمصابين بالسل ، المعادى ، ضريبه النخل ، تباغض العناصر الوطنية ، إتفة الإنجليز  
مع المصريين ، احتقار الأجانب للوطنيين ، اختيار المعمد بدون شهادات مدرسية ، عدم  
وجود مدارس وملاجى للعميان ، عدم تأييد الملاك الصغار من الوطنيين ، عدم وجود محل  
خصوصى لقيد المواليد والوفيات ، عجز مصر عن إنقاص الضرائب إلى أقل من ٤ ملايين  
جنيه بدون مصادقة الدول .

# صحافة ما بين الحربين

تطور الصحافة في الأسلوب والمضمون بين ١٩١٩ إلى ١٩٣٩



## مدخل تاريخي لفترة

ترتبط صحافة ما بين الحربين بشرة ١٩١٩ ونتائجها السياسية والاجتماعية ، كانت أبرز مظاهر الصحفية السابقة مقاومة النفوذ الاستعماري البريطاني في جهات مختلفة ، بعضها تؤيد القصر ، وبعضها تنال الاستعمار ، وبعضها تخاصم القصر والاستعمار ، وتبلورت هذه الحركة الصحفية التي قادها الأهرام والمقطم من ناحية واللواء والمؤيد والجريدة من ناحية أخرى إلى ظهور ثلاث مراكز لقوى :

(١) الأولى : تدعو إلى محاسبة الاستعمار مادام لا سبيل إلى اخراجه وكسب كل ما يمكن كسبه منه ، وهذه كانت تحمل طابع « مصر للمصريين » وطابع « التعميل » .

(٢) الثانية : تدعو إلى مقاومة الاستعمار مقاومة لا هوادة فيها وكشفه في كل خطواته ومواقفه ، والحملة العنيفة عليه في طابع حماسي عاطفي ثار .

(٣) الموالون للقصر : في ظل امتداد حكم عباس الثاني ، وفي تقلباته من تأييد الحركة الوطنية إلى التنسك لها ، ومن موالة الدولة العثمانية إلى الخلاف معها ، وقد امتد حكم عباس الثاني من ١٨٩٢ إلى أوائل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ .

أما بالنظر إلى الصورة العامة للعالم العربي وعولة الخلافة ، فإن هذه المرحلة التي بدأت ١٨٨٢ بالاحتلال البريطاني لمصر ، كانت مجال صراع ضخم بين بريطانيا وفرنسا إنتهى عام ١٩٠٤ باتفاق ودي بينهما تطلق فيه بريطانيا لفرنسا يدها في الغرب مقابل إطلاق فرنسا يد بريطانيا في مصر ، وكان هذا ضربة للحركة الوطنية التي كانت تحاول أن تعتمد على فرنسا في مقاومة بريطانيا ، ودلالة أكيدة على أن الاستعمار مهما اختلف في تقسيم مناطق النفوذ فهو متفق

في السيطرة على الأمة العربية والشرق الإسلامي ، وقد امتد هذا الاتفاق الودى إلى نهاية الحرب العالمية الأولى حيث إقتسمت بريطانيا وفرنسا : العراق والشام بحد هزيمة الدول العثمانية في الحرب ، وكانت الجزائر قد سقطت في قبضة فرنسا ١٨٣٠ وعدن في يد بريطانيا ١٨٣٢ وتونس في يد فرنسا ١٨٨١ ثم سقطت ليبيا في يد إيطاليا ١٩١١ والمغرب في يد فرنسا ١٩١٢ .

وكانت هذه الأجزاء من العالم العربى داخلة في نطاق الدول العثمانية ، وقد عاشت الصحف العربية في هذه الفترة ثلاث قضايا كبرى :

( أولاها ) دستور ١٩٠٨ الذى أصدرته الدول للعثمانية وعلى أساسه فسكت قيود الصحافة العربية في الشام ( بأجزائه ) والعراق ، وقد استقبل هذا الدستور في مختلف أجزاء العالم الإسلامى والأمة العربية باهتمام كبير ، وفي مصر أولته الصحف الوطنية اهتماما كبيرا ودعت إلى دستور مصرى . وأصدر فريد وجدى صحيفة يومية باسم «الدستور» لتسكون نبراسا على هذه الدعوة ، والمعروف أن الأحداث في الدولة العثمانية لم تلبث أن اضطربت وانتهت بإسقاط حكم السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ وقيام حكم الاتحاديين ، وقد أحس السوريون والعراقيون الذى كان بعض كتابهم يرون في السلطان عبد الحميد حائلا دون الحرية — أحسوا بالنبطة وهللو للانقلاب ، وظنوا أن مجرا جديدا قد أشرق . غير أن حكام الاتحاديين لم يلبثوا أن واجهوا الأمة العربية بأقصى ألوان الاضطهاد ثم وقعت سورية في خلال الحرب العالمية الأولى تحت نفوذ أحد قاداتهم أحمد جمال باشا الملقب بالسفاح فقاوم الحركة العربية أعنف مقاومة .

وفي معركة إيطاليا مع طرابلس قام للعالم الإسلامى والأمة العربية بمواجهة صريحة للنفوذ الغربى واستطاعت صحافة مصر أن تحمل لواء المعركة سياسيا وماليا ، فقد فتحت أبوابه الاكتتاب حرصت عليه وأيدت المجاهدين ، ولم يقف شاعر من الشعراء أو كاتب من الكتاب عن النظم والكتابة في مؤازرة القتاتين ، وفي الكشف عن ظلم الاستعمار وحق الميبيين في أرضهم .



وقد وجدت مؤازرة هذه الحركة من دعاة مصر المصريين إعتراضا وخصومة ، باسم «الانليمية الضيقة» ، وكان لطفى السيد هو قائد هذه الحملة إعتراضا على التضامن العربى الإسلامى مع جارة مصر .

( ثالثا ) من أبرز أحداث هذه المرحلة قيام حركة الوحدة العربية والدعوة إلى الامركزية ، بعد أن إنتهى حكم السلطان عبد الحميد الذى كان يحمل طابع الجامعة الإسلامية ، والواقع أن الحركة العربية فى مقاومة السيطرة العثمانية كانت قد بدأت قبل ذلك ، ولما لم تلبث أن ظهرت بعد عام ١٩٠٩ ، فقد بدأ الاتحاديون يدعون إلى الجامعة الطورانية وإلى تبرك العناصر الداخلة فى نطاق الدولة العثمانية ومن بينهم العرب ، وجرت محاولات للقضاء على اللغة العربية فى المدارس والمحاكم والدواوين . وأحس العرب بضرورة اتخاذ موقف حاسم ، وكانت « الشام » بأجزائها ( سوريا ولبنان وفلسطين ) صوئل الحركة لارتباطها مع العراق بالدولة العثمانية . وقد اتخذ العرب خطوة حاسمة لمقتد المؤتمر العربى الأول فى باريس سنة ١٩١٣ وفى هذا المؤتمر حدد العرب موقفهم من الدول العثمانية وأعلنوا عن وجود أمة عربية داخلة فى نطاق الدول العثمانية وطالبوا بنظام لامركزى يحقق لهم استقلالاً داخلياً مع حماية اللغة العربية ومقومات الأمة العربية من أن تغطوى فى حركة التبرك التى كان الاتحاديون يحملون لواء الدعوة إليها باسم الحركة الطورانية أو القومية التركية . ثم وقع الصدع بين العرب والترك ، خلال الحرب العالمية الأولى ، وأوقع أحمد جمال باشا الملقب بالسفاح زعماء العرب بعد أن اتصل بهم ، وفى مقدمتهم من تصدروا المؤتمر العربى الأول وعلقهم على أعواد المشائى ، وكانت الدول العثمانية قد دخلت الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا وجرت بين بريطانيا والعرب بقيادة الشريف حسين وإلى مكة قدمت فيها تأكيداً لإقامة دولة عربية بعد انتهاء الحرب فى مقابل تأييد العرب لها ومؤازرتها ، وقد أوفى العرب للعهد خلال الحرب وحاربوا تركيا فى الجزيرة العربية

وفلسطين وسوريا ولبنان ، غير أن بريطانيا وفرنسا كانا قد تعاقدا على إقتسام هذه الأجزاء العربية باتفاق وقع باسم « سايكس باكو » .

وكان كتاب العرب وزعمائهم قد انقسموا ، فأزر بعضهم هذا الاتجاه وحذر بعضهم الآخر من تكاثر بريطانيا على العرب في سبيل تمزيق الوحدة العثمانية العربية ، وأسفرت الحرب العالمية عن سيطرة بريطانيا وفرنسا على الشام والعراق ، وأعلن في نهاية الحرب « وعد بلفور » بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وبذلك سقطت آخر وحدات العالم العربي تحت طائلة الاستعمار مع نهاية الحرب العالمية الأولى . أما مصر فقد أعلنت عليها بريطانيا الحماية بمجرد إعلان الحرب العالمية ، في نفس الوقت الذي أعلنت خلع الخديو عباس الثاني وتولية السلطان حسين ثم تولية السلطان فؤاد من بعده . ووقعت مصر في نفس لحظات إعلان الحرب العالمية سنة ١٩١٦ تحت الحماية فجدت كل مقدراتها في سبيل خدمة « الحلفاء » .

وقد كان الاحتلال الإيطالي ١٩١١ لليبيا والاحتلال الفرنسي للمغرب ١٩١٢ وصلابة المقاومة الليبية العربية إزاء الاحتلال الإيطالي العنيف لطرابلس ، كان ذلك من مقدمات الحرب العالمية ونذرها ، هذه النذر التي ظهرت في آفاق السياسة المصرية حيث بدأت بريطانيا تطارد رجال الحزب الوطني وتدبر المؤامرات لهم مما دعا كثير منهم إلى الهجرة ، وفي مقدمتهم عبدالعزيز جويش ومحمد فريد ، حتى لقد خلت البلاد قبيل الحرب العالمية الأولى من أصحاب الأفلام الوطنية الصادقة ، فيما عدا مجموعة أخذت تعمل مع أميين الرافعي في جريدة الشعب ، غير أنه لم تسكد ظلمر « نذر الحماية » حتى أغلق أمين الرافعي جريدته كي لا يضطر إلى نشر مراسيم الحماية بالقوة ، وتعرض من أجل ذلك وطائفة من الذين معه إلى الاعتقال خلال الحرب الأولى .

وبذا خلا الجو خلال الحرب ومن بعده لجامعة المتدلين الذين كلن يقودهم لطفي السيد

وجريدة الجريدة ويضمهم حزب الأمة ، ومن هنا بدأت الحركة الوطنية بعد الحرب في هذا الجو المعتدل والتفاهم والاتقاء مع بريطانيا في منتصف الطريق ، وتكشف من خلال مقابلة المتمد البريطاني للباشوات الثلاثة (عبد العزيز فهمي وعلى شعراوي وسعد زغلول ) طابع الحركة التي قادها سعد زغلول من بعد ، حين قامت منظمة باسم الوفد المسافر إلى أوروبا للدفاع عن القضية المصرية في المجال الدولي وأمام مؤتمر الصلح ثم أخذت تجمع التوكيلات لذلك ، فقد كان أغلب البارزين في هذه المنظمة من رجال حزب الأمة ، غير أن تمتعت بريطانيا حتى بالنسبة لهؤلاء الوالدين لها ، واعتقال سعد زغلول ، قد أوقد شرارة الثورة المصرية ، التي كانت تعيش في حضنة أنكار الحزب الوطني ودعوته الحارة قبل الحرب إلى الجلاء والحرية . وقد كشفت ثورة ١٩١٩ عن أسالة هذه الأمة ، وأدهشت أوروبا والعالم الغربي ، مما دعا بريطانيا إلى ادخال مصر في بحر زاهر من التويه باسم المفاوضات ، فأطلق سعد زغلول وأرسل وصحبه إلى باريس ، حيث لم يكن باب مؤتمر الصلح مفتوحا أمامهم ولا أمام وقود العرب من الشام وتونس الذين اتخذوا نفس الطريق وعملوا منفصلين ، واضطر سعد زغلول إلى قبول المفاوضة مع بريطانيا ، وبدأت في مصر حياة جديدة بعد الحرب المالية قوامها تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذي أعطى مصر الاستقلال مع تحفظات ، وبذلك بدأت مصر في إنشاء الحياة الدستورية وإقرار الدستور ومن بعده الانتخابات التي جاءت بالأغلبية الساحقة للوفد الذي كان قد انتقم إلى وفد وأحرار دستوريين ، وبدأت حياة برلمانية سياسية وفق النظام الغربي . ومنذ اليوم الأول للحركة الوطنية بعد ثورة ١٩١٩ أخذت الصحافة طابعا جديدا ، فقد ظهرت صحافة تؤيد الوفد المعمرى ، وتوازى زغلول باشا ، ثم نشأ حزب الأحرار الدستوريين ١٩٢٢ بعد أن انفصل عن الوفد فأنشأ صحيفة «السياسة» ، هنالك بدأت صحف البلاغ وكوكب الشرق وهما والين للوفد : والأخبار يحورها أمين الرافعي ، والسياسة لسان الأحرار مع صحيفتي الأهرام والمقطم وعدد من الصحف الأخرى من الدرجة الثانية تواجه

حياة صحفية سياسية جديدة إتصلت فيها بين الحربين وامتدت في ظل تشكيلات سياسية تكونت خلالها أحزاب الاتحاد والشمب والسمدين ، ثم ظهرت في الثلاثينات جماعات سياسية واجتاهية مختلفة باسم الأحزاب أو الهيئات كان في مقدمتها مصر الفتاة والإخوان المسلمين وحزب الفلاح وغيرها .

ومع هذا فقد ظلت الأهرام والمقطم والبلاغ والسياسة وكوكب الشرق أبرز الصحف وأضيف إليها من بعد الجهاد والأساس، هذا بالنسبة للصحافة اليومية أما الصحافة الأسبوعية فقد ظهرت صحف متعددة كان أبرزها : الكشكول وروز اليوسف وآخر ساعة والسياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعي والمرخة ومصر الفتاة . وكان أبرز كتاب هذه الفترة :

داود بركات ، خليل ثابت ، محمد حسين هيكل ، عبد القادر حمزة ، حافظ عوض ، عباس محمود العقاد ، أمين الرافعي ، إبراهيم عبد القادر المازني ، طه حسين ، توفيق دياب ، محمد المتنبى ، فكري أباطة ، محمود عزمي ، وأحمد حسين ، انطون الجليل، وهب الله حسين وأحمد نجيب . ولقد تطورت الصحافة في هذه المرحلة ، تطوراً بمعد المدى ، وبلغت ذروة الفن ، والأناقة في الطباعة، بما استحدثت من آلات وبما تقدمت تقدماً بالغ المدى من حيث الإخراج والتصوير، ومع سبق في مجال الخبر والترجمة، كما تطور أسلوبها الكتابي إلى نحو دقيق أنيق ، سهل ميسور ، مع مرونة في الأداء ، وقد بلغ ذلك غايته في المجلات الأسبوعية من حيث المناورة والمباراة الملفوفة والرمز والإيماء ، كما تقدم الكاريكاتير وصحافة القند السياسي الساخر الذي أصبح «قفا» له صحافته الواسعة الانتشار العديدة الاتجاهات .

وكان قوام الصحافة الأساسي هو «الحزب» الذي تقبمه ، أو الحكومة القائمة في مجال الحكم ، وظلت الصحافة بحاجة إلى مونة الحزب والحكومة خلال هذه الفترة ، ومن هنا كانت تبعيتها الفكرية والسياسية لفؤاد أصحاب البيوت التجارية والأحزاب وكبار الاقتصاديين والسياسيين .

## الصحافة خلال الحرب الأولى

ما كادت تدلح الحرب العالمية الأولى حتى أعلنت بريطانيا أن حمايتها لمصر ضرورة حربية . قالت إنها ستحتفظ بالبلاد في يدها وديمة تردها إلى أهلها وفرضت على مصر موقف الحياد ، وقد باهر لطفى السيد بمقادرة القاهرة وأقل الجريدة وسافر إلى قريته وانسحب من المعركة . وصدرت الأوامر العسكرية إلى مختلف المديرات بجمع شباب مصر العامل وحوقه إلى « السلطة » العسكرية بأنامه ومواشيه ، وزج بهم في خط الفار ومنعت الحكومة المصرية أنجلترا ثلاثة ملايين جنيهات ذهباً وكوت فرقا من الجيش المصرى تحت الراية البريطانية ، وصدت الجفود المصريين غارة الأتراك على قناة السويس وزحفت بهم خلف أعدائها في صحراء سيناء . وقد أخفيت كل هذه العمليات والتعمركات عن الصحف فلم يكن مسموحاً خلال سنوات الحرب إلا بأخبار إنتصارات بريطانيا وحلفائها ، وكانت الرقابة المفروضة غاية في العنف .

كيف كانت صورة هذه الرقابة : عندما<sup>(١)</sup> شبت الحرب العالمية في أغسطس ١٩١٤ كان عدد الصحف المصرية اليومية لا يكاد يتجاوز أصابع اليد الواحدة وكان حجمها أقل من حجمها الآن من جميع الوجوه ، وكانت أكثر مادتها مقالات طويلة مما قد يمل قراء المصر قراءته ، غير أن الحرب لم تسكد تقع حتى دب النشاط في الصحف المصرية لذلك القيد ، وأوفدت بعض مندوبيها إلى ميادين القتال المختلفة ، كما نشطت شركات الأنباء البرقية في إذاعة كل صغيرة وكبيرة عن تلك الحرب ولم يكن الرأى العام في مصر قبيل الحرب الكبرى يميل إلى تأييد قضية الحلفاء ( الإنجليز ومن معهم ) وكان الإنجليز يعرفون ذلك بلا ريب ، أضف إلى ذلك أن الروابط السياسية التي تربط مصر بتركيا لم تسكن قد فصمت بعد . لذلك رأى الإنجليز أن يمهّدوا

---

(١) من فصل مطول عن الرقابة نشرته للصور سنة ١٩٣٥ .

للمراقبة الفعلية على الصحف المصرية تفادياً من العذمة التي تحدث من جراء فرض تلك الرقابة دفعة واحدة . وقد رأوا أن يكون ذلك التمهيد في شكل كلمات أو مقالات تنشر في الصحف يشار فيها إلى الأخبار الكاذبة والأضرار التي تنجم عن إذاعتها وانتشارها بين الجماهير .

وكانت أول كلمة موعز بها لتحقيق ذلك الفرض مقالة صغيرة نشرت في إحدى الصحف في ٢٢ أكتوبر ١٩١٤ بعنوان « الأخبار الملفقة : أين مصادرها » ضرب كاتبها على نعمة التنفير من تلك الأخبار حتى انتهى إلى الغاية المنشودة وهي « كل المراد هو منع الأنباء الكاذبة والأخبار الملفقة التي يصنى إليها الجمهور أكثر من إصغائه إلى الأخبار الصحيحة ، والناس مولعون دائماً أبداً في كل زمان ومكان بمعرفة المكتم واكتشاف المجهول . وفي ٣١ أكتوبر ١٩١٤ نشرت جريدة الإيجشين جازيت الإنجليزية مقالا عنوانه ( حول مراقبة المطبوعات ) نوهت فيه بانتشار الأخبار الكاذبة وطالبت بفرض الرقابة على الصحف لمنع نشر الأخبار الملفقة التي يخشى منها على اضطراب الأمن والنظام .

وفي أول نوفمبر ١٩١٤ صدر الأمر بفرض الرقابة على الصحف وعرض (بروفاتها) قبل الطبع على المراقبين . والظاهر أن الضغط على بعض الصحف المصرية كان شديداً فراحت تحبذ هذه الرقابة الشاذة التي لم تستطع الحكومة البريطانية فرضها على صحافتها في بلادها ، وساعدها على فرضها في بلادنا ضمناً . فقد نشرت جريدة الأهرام (١٩١٤/١١/٢) خبراً يقول : صدر أمر قائد جيش الاحتلال بمراقبة الصحف المصرية وما يكتب عن الحرب قبل طبعه ، ولم تكن هذه المراقبة موجودة حتى الآن ، لكن نوقن أن إيجادها لا يراد منه غير منع ما يضر ويضلل الرأي العام مع احترام الحقائق والحرية الممتدة . والأهرام التي ورثت منهج الاعتدال عن مؤسسها وورث صاحبها خطة الدفاع عن مصلحة مصر الحقيقية من أبيه . وعه لا تدخر ولا يدخر صاحبها وسماً في مواصلة السير في تلك الطريق القديمة التي

انتهجت لها من يوم نشأتها فكات أقوم المسجل الموصلة إلى الخير والمبعدة عن الصبر .  
هذا ولم يعلن الحكم العرفي إلا في ٢ نوفمبر في اليوم التالي لتقرير الرقابة على الصحف .  
وبدئ فملا في تنفيذ الرقابة على الصحف قبل طبعمها ، وكان على كل جريدة أن ترسل  
بروفتين من كل ما تزمع نشره إلى المراقب المختص فيراجعه ويقر منه ما يشاء ويحذف  
ما يشاء ثم يوقع على إحدى البروفتين ويحتفظ بالأخرى للمراجعة بعد صدور الجريدة .

وبدأت الصحف تظهر في صورة لم يكن الجمهور يألفها من قبل فكات المقالات  
تتخللها مساحات بيضاء من أثر قلم الرقيب ، وأول بياض ظهر في جريدة الأهرام كان  
في العدد ١٩١٤/١١/٣ وكان من الأشياء التي تسكتهم السلطة العسكرية إنشاء اعتقال  
طائفة من المصريين والآتراك الذين اشتهروا بالمعداء لانبجاست وإعلان ذلك والدموة إليه  
فكات الصحف تحيال فتنشر تلك الأخبار بحيل لطيفة .

ولعل أغرف حوادث الرقابة أن جريدة ( الجريدة ) صدرت في ١٩١٤/١١/٨ ومقالها  
الافتتاحي محذوف برمته ، وكان الرقيب قد ضرب بقلمه الأحمر على جسم المقال دون  
عنوانه وإمضاء كاتبه ، وكان ذلك المقال في عمودين كاملين فظهرت الجريدة في ذلك  
اليوم وليس فيها من المقال الافتتاحي إلا عنوانه « موقفنا الجديد » ونحته رقم واحد دلالة  
على أن المقال مسلسل ، وأن هذا أول فصل فيه ، ثم ظهر في ذيل العمودين الأبيضين توقيع  
كاتبه وهو الأستاذ عبد الحميد حمدي . ولم يكذب يظهر هذا العدد حتى بادرت السلطة  
بإرسال إنذار إلى مدير الجريدة وقد أمرت بتعطيل الجريدة يوماً وهذا نص الإنذار :

« بأمر جناب المفتفت جنرال ج . غ . مكحول قائد جيوش جلالة ملك بريطانيا  
المظلي بالقطر المصري أبلغكم أنه طلب منكم حذف الفصل الافتتاحي من عدد جريدتكم  
يتاريخ ٨ نوفمبر الجاري ، استبقيتم هذا العنوان وإمضاء الكاتب له ، فقد تقرر توقيع الجزاء

على جريدتكم بقطيلها عن الصدور يوماً واحداً إنذاراً لكم لعدم العودة إلى ذلك في المستقبل . وينشر هذا في صدر العدد الآتى وبناء عليه لا يصدر عدد يوم السبت المقبل من جريدتكم » .

وتصور جريدة « الإيجيشيان ميل » جريدة الأهرام أيام الحرب الأولى وبمدها . فتقول : منذ ظهور الأهرام وهي فرنسية تركية . ويشاع أنها تكافأ على خدماتها مكافئات راجعة لانتهاجها كرامتها وتفضلا ، ويعلم الجمهور أن سياسة فرنسا أن تسخر الصحف وحينما إشعل وطيس الحرب اتخذت الأهرام سياسة معتدلة ، انفجرت الصحيفة في هذه الظروف عبر سياسة أخرى فأثبتت بخط عريض كلمة « جريدة مصرية للمصريين » وربما جعلت افتتاحياتها بأقلام قرائها ، حتى يظن بالطبع أن الحزب الوطنى اشتراها أو أجراها ، وفي هذا الوقت ارتفعت سوقها فصارت توزع ٢٢ ألف عدد . وهي لا تفتأ تثبت في أعمدها الاحتجاجات المطولة ضد الاحتلال .



## الصحافة في ثورة ١٩١٩

ما كادت الحرب أن تنتهي ، وما كادت ثورة ١٩١٩ أن تبدأ ، حتى صورتها الصحف بأنها حركة اضراب بعض تلامذة المدارس ، ونصحت للطلبة بالعودة إلى مدارسهم . ولم تفشر أخبار ثورة ١٩١٩ إلا بعد سنوات طويلة من وقوعها ، وقد كان مقر الثورة الأول هو الأزهر الشريف ، وقد قام على رأسه رجال مجاهدون حملوا لواء تنظيم تحركات الثورة في متدتها : مصطفى القاياتي وإبراهيم أبو اليمون ومحمد عبد الله دراز . وأعلنت بعض أجزاء القطر المصري الاستقلال ، ففي المنيا أعلن الشيخ أحمد حتاتة قيام الجمهورية ، وفي زفتى أعلنها يوسف الجفدي . وشارك الفن في المعركة وبرز اسم شيد درويش وبديع خيرى ويونس القاضى ، وكان محمود الميهى ينظم القطع الصغيرة التي يرددها المتظاهرون ومنها في مقاطعة لجنة ملتر قوله :

لجنة التلاميذ أنا قد أنبأ الوفد عنا  
فاسألوا سمداً يجيبكم لا جواب اليوم منا

وكان زكى مبارك في مقدمة خطباء الثورة ، وكان يخاطب بالفرنسية للوفود الأجنبية التي تقدم إلى الأزهر ومن شعره في المعركة :

لعمري القبايل الدم وهي شواهد      بيأس القى أودى بما جئنا من عز  
لأن لم يبد طوعا عن النيل غاصب      نرى لبته فينا أحر من الكفر  
لاستمطرن الشعب سخطا وتقمه      على ما جفت يمانه في مصر من نكر

ومما يذكر في هذا الصدد أن رجلا من دمنهور اسمه « حسين ثابت » أرسل برقية لجريدة الأهرام على أثر مجيء لجنة ملتر إلى مصر وطالب بمقاطعتها ، وكانت هذه البرقية

بمناوبة الشرارة التي اشتعلت ، وتحديد موقف مصر منذ تلك اللحظة من هذه الاجبة .  
وقد استطاع بعض الذين طأخوا ثورة ١٩١٩ أن يقدموا عن طريق الصحف صوراً  
من مذكراتهم ، وهذه إحدى تلك الصور : بقلم واحد من أبرز المشاركين فيها ، المرحوم  
الشيخ محمود أبو العيون :

كانت سنة ١٩١٩ نقطة تحول خطيرة في تاريخ مصر الحديث . في ٩ مارس ١٩١٩  
قامت مظاهرة طلبة المدارس العالمية التي مهدت لانفجار الثورة . . . حتى إذا وصلت إلى  
باب الخلق أطلقت القوات الانجليزية الرصاص على المتظاهرين النار من كل شارع ، وقد أثر  
في نفسى هذا الاعتداء الوحشى الفاهر على أبقاء وطنى فقصدت في صباح اليوم التالى إلى الجامع  
الأزهر واعتليت المنبر وخطبت في الطلبة أحضهم على الثورة .

وما أن انتهيت من إلقاء خطبتي حتى خرجت الجماهير من الأزهر في مظاهرة كبرى  
تهتف للاستقلال ، وما كادت تصل إلى المشهد الحسينى حتى أمطرها الجنود برصاص بنادقهم  
فكان أول شهيد طالب صغير اسمه مصطفى ماهر وأتبعه كثيرون وأذكر أن امرأة كانت  
تطل من نافذة مسكنها تشهد تلك المصارع الدموية فموب نحوها أحد الجنود الانجليز  
رصاصه أصابها في صدرها . وأذكر أن الجنود الانجليز حاصروا مسجد الحسين أثناء  
صلاة الجمعة في ذلك اليوم ، وكلما خرج واحد من المصلين أطلقوا الرصاص عليه فكان  
يوماً مشهوداً . لهذا جئت بمطواه وحضرت تاريخه : الجمعة ( ١٤ مارس ١٩١٩ ) على الباب  
الأخضر المشهد الحسينى تخليداً لذكراه .

وفي اليوم التالى ١٥ مارس ١٩١٩ عمت الثورة جميع أنحاء البلاد وفتح الأزهر أبوابه  
للعنفدين من رجال الثورة يخبطون في الجموع الحاشدة . وأذكر أن أول مظاهرات ليلية  
فى الدنيا هى التي خرجت من الأزهر في ذلك الحين . ومن التدابير التي لجأت إليها أنى  
أنشأت جمعيات سياحية يوردية فى كل أنحاء القاهرة وكنت فى كل مساء أجمع برؤساء

هذه الجمعيات وأذيع عليهم التعليمات والأنباء وأعذبتهم بالمسائل التي يجب أن ينفذوا لوها في خطبهم ،  
وفي أوائل مايو سنة ١٩١٩ اعتقل زميلي مصطفى القاياني وعندئذ توقفت القبض على وأخذت  
أنسحر فيمن يخلفني في تنظيم حركة الخطابة في الأزهر . ووقع اختياري على زميلي الشيخ  
محمد عبد اللطيف دراز وأعلنت وقتها « جنون الثورة » وقلت أن الثورة مجنونة وخطابوها  
يجب أن يكون مجانين . فلما قبض على في ١٢ مايو ١٩١٩ خلفني في الحركة الشيخ دراز  
وقال في أول خطبة ألغاها بعد اعتقاله : الحمد لله الذي جعلني أجن خلف لأجن سلف ، واستمر  
يدير حركة الخطابة حتى اعتقل بعدى بقليل خلفه غيره وغيره من إخواننا .

وإذا ضاقت السلطات الإنجليزية ذرعا بالأزهر وأحاطته بقوات عديدة مسلحة ، لتمتع  
الناس من دخوله ، ولكننا لم نجزنا ذلك بل احتلنا عليهم ورحنا نرشد الأهالي والطلبة  
إلى طريق آخر يسلكونه عن طريق زاوية العميان وبذلك يجتمعون في الأزهر ليتلقوا  
من خطبائه الوحي والإلهام واحتلنا حتى لقنا الجنود الإنجليز عبارة « زاوية العميان »  
فكانوا إذا شاهدوا أحدا من الأهالي طردوه وأبعدوه عن الباب الرئيسي للأزهر .  
وبقولهم : « جون زاوية العميان » فيتحرف إلى طريق زاوية العميان ويدخل الأزهر  
في هدوء وسكون . وفي ١٧ مارس قامت أول مظاهرة جامعة لسائر طوائف الشعب ، وقد  
خرجت كما هي المادة من الأزهر ، وسارت متجهة نحو المنورية ، الغربلين ، هابدين ،  
ولما اعترض الجنود المسلحون طريقها صمما على إختراق نطاقهم مهما حدث .

وفي ١٧ أبريل خرجت من الأزهر مظاهرات اشتركت فيها جميع طوائف البلد من  
موظفين وعمال وطلبة وقسس ورهبان وتجار وعاميين وأطباء ، حتى النساء البلديات سرن  
في المظاهرة وهن يركبن العربات السكرار ، ويتعرضن لرصاص واعتداءات الإنجليز ، وكنت  
في هذه المظاهرة أحمل وزميلي مصطفى القاياني « العلم المصري » وأبدى في أيدي إخواننا  
القسس الذين كانوا يتقدمون المظاهرة معاً كدليل على اتحاد الملل مع الصليب .

ورسم « حسن الشتاوى » سورة ثورة ١٩١٩ كما شاهدها<sup>(١)</sup>.

فقال : الذين يريدون أن يرسموا صورة شهر مارس الخالد من ١٩١٩ يجب أن يمتدوا باحساسهم إلى شهر الثورة وهناك يدخلون معاهد العلم قبيل اشتغالها فيسمعون أساندها يتكلمون هنية في فنونه وهنية يتلون فيها على مسامع تلاميذهم مبادئ ولسون ويتواعدون جميعا على يوم العصر والخلاص ، فترى في حجرة الدرس موجه محققة من حشجة القلوب . وللقلوب يأس إذا انقشع ذاب أمامه الجديد .

واقبل يوم ٩ مارس والناس حلقات على جنبات الطريق ، إعتقلوا سمدأ واتصف النهار فاذا الناس لا ينصرفون إلى بيوتهم وإنما تنوع الأخبار فتحدث يحكى عن ثورة في الصعيد وآخر يتكلم عن الطلبة وإستعدادهم ، ثم أقبلت الساعة الرابعة بعد الظهر واتسمت الحلقات ، وإذا كل حركة حادث ، وكانت الثورة قد بدأت تصبح حقيقة ملموسة في خيال الناس وفي لحظة انتقاها القدر ، أقبل طالب من مدرسة الاعدادية وجذب ( سفجة ) ترام غمرة في وسط ميدان باب الخلق ، حادث بسيط ، ولكنه كان كافيا لأن يخرج الناس جميعا من الترام ويقفوا حول هذا الرسول المجهول ، وزاد عدد الطلبة واختلطت الصيحات : أين سمدأ ، الثورة أيها المصريون ، وفي دقائق ممدودات كان جمع محمشد في باب الخلق ورجال البوليس يتسمون ويبتعدون ، ثم سار الحشد في طريق « تحت الربع » وهناك أصبح مجرى متدفقا من الأنفس ، وتوات الصيحات « الاجتماع في مسجد المؤيد » في المؤيد ، ونهض على المنبر خطباء يقذفون النار وكانت الساعة حوالى الخامسة ، وأقبل الانجليز بمخيلهم ورجالهم ، ولكن الثورة كانت قد بدأت ، والنار لا تخيفها ولكن تنمشها ، وسارت الموجة حتى الأزهر ، وفوق هذا المنبر الخشبي القدى يراه الداخل من الباب وباليته يحفظ إن كان لا يزال موجوداً ، أعلفت الثورة ، وبعد برهة سمعنا طلقات نارية ، ولكن سمعنا في الوقت نفسه نداء كالرعد « فلتحى الحرية » . . فليحى الاستقلال .

وفي منتصف الساعة السابعة أشعلت مصابيح الطرقات ، وبعد دقائق كسرت ثم هشمت ، وهنا أقبل الفرسان ! الأنجليز ، والبلد كله ظلام ، وكنت تسمع طلق النار يأتي من هنا وهناك ، على أبواب الأزقة والحارات ، وفي منتصف الساعة الثامنة كانت الثورة في كل مكان وبات الناس أما سائرا في الطرقات ، وأما مستيقظا ينسقط أخبار الثورة .

ثم أقبل الفجر وقال قائل في الأزهر عقب الصلاة : « إلى قشلاق الأنجليز » إحدروا من المرور على كوبرى قصر النيل لثلاث محاصروا في الجزيرة ، موعدنا عند باب سميراميس وأفعن الناس لصوت لا يعرفون مصدره ، إيمان الثورة ووحيا ، وفي الساعة الثامنة كان حوالي عشرة آلاف عن باب سميراميس وما بدأوا يسرون بهذه المظاهرة الكبرى حتى كان عددهم قد أربى على الخمسة عشر ألفا ، وقبل أن يلحقوا بميدان الاسماعيليه لحق بهم من شارع « الشيخ العبيط » بجوار سراي كمال الدين ضابط من كبار ضباط الجيش البريطاني ، قيل حينئذ أنه أحد قواده ، واخفط بالمتظاهرين الذين تواصوا بمسلته ، وعدم التعرض له : فقال : ماذا تريدون . ولأى شئ هذه المظاهرة فليقبل منكم فريق أن تتفامم معه قالوا : كلا . كلا : تفاهوا مع زعمائنا . سنحير في مظاهرتنا حيث نشاء وماد الرجل سالما أمينا ، ولكن على وجهه علامات الجد وسارت الثورة إلى ميدان الاسماعيليه ثم شارع سليمان باشا والأجانب يلوحون ويهتفون وبعضهم يشير الزهور . وبعد ذلك تماقت الأيام والأهوام .

وقد أشار : ( م . ت . خ ) عام ١٩٣٢ كيف حالت الرقابة عام ١٩١٩ دون تسجيل أحداث الثورة فقال : ماكدت اتصفح جرائد الأهرام والأنسكار والمقطم في شهر مارس ١٩١٩ حتى عاودتنى ذكرى مؤلة قاسية هي ( البلاغ ٢٤ مارس ١٩٣٢ ) ذكرى الرقابة على الصحافة في ذلك الوقت وكيف حاربت هذه الرقابة تسجيل الحقائق وتبيين الوقائع وإعطاء كل ذى حق حقه ، والواقع أن الحركة المصرية عام ١٩١٩ كانت أكبر ظاهرة ملحوسة لحقيقة القوة القومية التي تسكن في روح الشعب . فلا عجب أن يلجأ السععمرون إلى ( م - ١٦ تطور الصحافة العربية للعاصرة )

قطع الصلة الصحفية بين الشعب وحقيقة الحوادث ليحفظوا هذه الحوادث في ظلام داس .  
أنك لتر حين تصفح الصحف في مارس ١٩١٩ بذكرى ثانية تهتز لها النفس روعة  
ورغبة لم نصفها الصحف حينذاك إلا بأن تقول عنها ( أنها حوادث يؤسف لها وما هي  
إلا ذكرى الشهداء الذين نثرنا عليهم بالأسى الورود والزهور ) . والواقع أن ثلاثة من  
أبرز كتابها استطاعوا أن يحتفظوا ببيوسيات كاملة لثورة ١٩١٩ وقد نشروا هذه اليوميات  
في صحيفة البلاغ وغيرها من الصحف ، هم : أمين الرافعي وعبد الوهاب البجار ومحمد  
الخصري .

ومما يذكر أن جريدة سلطات الاحتلال لم تسمح بإصدار صحف وطنية جديدة إلا  
في أواخر عام ١٩١٩ . حين صدرت الأنسكار ( أبو العيين بدر ) في ٩ أغسطس ١٩١٩ .  
كما صدرت جريدة النظام ( سيد علي ) في ٢٩ نوفمبر ١٩١٩ .

## رئيس التحرير

كانت شخصية رئيس التحرير أبرز شخصية في الصحيفة ، حتى كان يمكن أن تذكر كل صحيفة برئيس تحريرها : الأهرام : داود بركات ، السياسة : هيكل ، المصور : فكري أباطة ، آخر ساعة : التابى وهكذا . وفي هذه الفترة أصبح لرئيس التحرير من السلطان ما يفوق سلطان الوزراء وقد بلغ ذلك النفوذ حداً ، جعل مثل الدكتور هيكل وهو رئيس تحرير « السياسة قد منع » محمد محمود « رئيس حزب الأحرار الذى يصدر السياسة من نشر بيان له فى السياسة واضطره إلى نشره فى جريدة الأهرام ، وفكري أباطة هو أقدر من يحددنا عن منصب رئيس التحرير يقول : رؤساء التحرير فى نظرنا مساكين ، أغلبتهم السachte ضئيلة ، عالية ، سقيمة ، ولعل لطول السهر وكثرة العمل دخل فى الموضوع حورثاسة التحرير فى مصر وظيفة من أدق الوظائف ، ومركز رئيس التحرير مركز من أخرج المراكز ، دفعك من الوجهة السياسية والمسئولية الجنائية فشرحها بطول ، وإنما تمال بنا نقفهم بابغرفة رئيس التحرير وهو يكتب على ورقة يحرق مقالته الافتتاحية ، ها قد مد يده مصاحفاً وهو يتقسم بعد أن ألقى قلبه على القرباس ، أو كذلك أنها ابقامة متسكنة متصمة ، وأؤكد لك أنه فى حاجة إلى العزلة والافتراء لأن رئيس المطبعة يطلب الافتتاحية بإلحاح ، ها قد دق الجرس لطلب القهوة عملاً بواجب الضيافة ونحن لا نحس ولا نشعر أو أننا لا نود أن نحس ونشعر ، ها قد أخذنا نتعاهد وهو طائر الذهن يجب إجابات مضطربة غير مستقيمة ، ها قد انتهز فرصة سكوت قصيرة فتناول القلم خلسة وحرر سطرأ أو سطرين ، ولكن إرتفع من أحدنا صوت عال أجش يوجه إليه سؤالاً ، فالتقى القلم مرة أخرى والتفت للسائل ، وجبن الخجل والدفاع بمقل لسانه ويمطل واجبه ، ونحن على هذا كله لا نحس ولا نشعر : والغريب أن رؤساء التحرير جميعهم يقعون فى هذا الخطأ وينتابهم هذا الضعف ، فلام لديهم الشجاعة الواجبة لاسئذان الزاين ، لإتمام

علمهم ، ولا يخصصون وقتاً مناسباً — وفي جهة منفردة — يتممون فيه ما يجب عليهم أن يتموه في ميماده ، فإذا ظهر المقال مضطرباً مفككاً مرتبكاً ، فالمسئولية عليهم أولاً ، وعلى ضيوفهم الظرفاء ثانياً ، والجمهور هو الذي يمانى على كل حال . وقد شاهدت الوفود المتلاحقة المتتابعة التي تفد على رئيس التحرير ، هائداً دخل وقد ضخم من طلبه العالمية ويبدم عرائض وتقارير فطلبوا إلى رئيس التحرير بلهجة الأمر الفاهى أن ينشر عرائضهم ، ها قد تناول رئيس التحرير منهم الأوراق بيد مرتجفة فهاه إسهابها وتطويلها فالتمس الاختصار ، ولقد ارتفعت هبات السخط والاحتجاج مقترنة بالإشارات الحارة ، والحركات المصيبة ، فاضطر أن يضع الورقة أمامه بمنأى وأن يقول لهم بكل تواضع ومسكنة : حاضر . وها قد دخل شاب يتراشق ، ولكنه ليس بالرشيق ، ويتظارف ولكنه ليس بالظريف ، فسأل بلباقة وزلافة عن السبب في عدم نشر مقاله الذي أرسله أمس ، فيجيب رئيس التحرير إجابة مؤدبة متواضعة ، أنه سيراجعه ، ولكنه لا يقتنع بهذا الجواب فيطلب بإلحاح أن يراجع أمامه وفي مواجهته ، لأنه تأخر بلا مبرر وبلا موجب ، والمصلحة العامة ، وحرية الرأي ، وأهمية الموضوع ، تستلزم سرعة النشر ، فيحتال عليه رئيس التحرير بكل الأساليب ليصرفه فيأبى إلا إذا وعد وعداً أكيداً ، فإذا وعد وعداً غير أكيد ودع مصاحفاً وعلى فنه ابتسامة صفراء مصحوبة بهذه الكلمات — حسناً سأمر على حضرتك بعد الظهر . وها وقد انفتح باب الغرفة من تلقاء نفسه لرجل من ذوى الحثيات والمقامات ولكنه يحمل مقالا سخيفاً ، فيقوم له رئيس التحرير ومن بجوار رئيس التحرير يؤدون واجب التبجيل والتعظيم ، فيجلس منتفخاً ، ثم يلقي بالرسالة إلى رئيس التحرير طالبا تلاوتها فإذا تلاها في سره أمره بالتلاوة العلنية ، فإذا أخذ يتلوها علانية أخذ هو في نفسه بظهر الاستحسان ، ويطلب الإعادة فإذا أتم رئيس التحرير التلاوة على مضض سأله : مارأيك ، فأجاب : هال ، فقال : إذن دق الجرس ! فيدق الجرس ، فإذا حضر الخادم أخذ الرسالة من رئيس التحرير ، وقال له خذها ، فإذا سأل الخادم إلى أين قال : إلى المطبعة . إذا لاحظ انتقاريء في الجريدة التي يقرأها ضعفاً أو اضطراباً أو سقماً فيعلم أن ذلك راجع إلى سببين : ضعف رئيس التحرير + ( تلامة ) المراسلين والمكاتبين والزارعين .



### حياة رئيس التحرير

ويصور انطون الجميل رئيس تحرير الأهرام كيف يمضى رئيس التحرير يومه : يقول :

« نهض رئيس التحرير من نومه بعد سهر طويل يتناول النسخة من صحيفته فينظره في الحال - وعينه مدربة على ذلك - على عنوان ناقص في الصفحة وعلى غلطة مطبعية في الصفحة الثانية ، وعلى إهمال في ترتيب الصفحة الثالثة ، وعلى رقم مقدم أو مؤخر في الصفحة الرابعة مما لا يخفى على نظر ابن المهنة وإن غاب على القارئ العادي فيجد رئيس التحرير في كل ذلك أو في بعض ذلك أولى مضايقات يومه . ولا يكاد يزول عن نفسه أثر هذه المضايقة الأولى ، حتى يقرم القليغون مرة ومرتين وثلاثا ، هذا كاتب لم تنفخر مقالته فيسأل عنها عاتبا ، وهذا بيت مالى يحاول أن يتحدرى عن مصدر خبر له أثره في دوائر المال والاقتصاد . ويخرج رئيس التحرير من منزله ويترك مركبته ليسير بضع دقائق على الأقدام من قبل الرياضة ، فيقابله أول عابر سبيل ويقبل عليها مسلما ، ويأبى إلا أن يرافقه في سيره متحدثا إليه عن منزلته في قلوب قرائه وأثر مقالاته في دوائر السياسة والأدب فيشكره رئيس التحرير ، ولا يمضى عابر السبيل في سبيله بل يتطرق إلى السباحة والتعليق على الأزمة الوزارية إلى آخر أنباء الحرب . ولا يكاد يتخلص رئيس التحرير من هذا الفضول حتى يقبل عليه آخر فيحدثه عن مقال طريف يغسكه في تديبجه ويريد أن يختص به جريدة الأستاذ . وينتهى المطاف إلى مكتبة في دار صحيفته فيرى أمامه أكداسا من الرسائل البريدية والبرقية ، وقبل أن تمهد يده إلى واحدة منها يكون الحاجب قد ألقى إليه ببضع بطاقات زيارة ينتظر أصحابها قدومه ، هذا يريد تجديد اشراكه ، وهذا يطلب تغيير عنوانه وثالث يشكو من عدم وصول الجريدة في ميعادها ، ورابع يرغب في نشر إعلان وخامس يطلب نشر خبر .

وعبثا تحاول أن يقنع الزائر أن في دار الجريدة عشرات من الموظفين أقدر على خدمته

وقضاء حاجته من رئيس التحرير ، ولكن الزائر لا يرضى إلا أن يقابل رئيس التحرير .  
 لأمر خاص - والإعلان مع أنه أبعد الأشياء عن عمل رئيس التحرير لأنه عمل تجارى بحث ،  
 ومع ذلك فلا بد من حشر رئيس التحرير فى شؤون الإعلانات ، هذا يريد تخفيض  
 الأجرة مع أن للإعلان رسوما مقرر ، وهذا يريد نشر اعلانه فى مكان بارز ، مع أن لكل  
 صفحة فى الجريدة رسما خاصا ، والإعلانات فى الصحف حقل واسع للدروس  
 السيكولوجية ، فهى تارة مظهر بخل ممقوت وتارة مظهر سخاء مستنكر ، بمخفف الرجل  
 بزواج كريمته أو بمآتم والده ، فينفق فى هذا السبيل مئات الألوف من الجنيهات من غير  
 حساب ، وبأبى إلا أن يعرف عشرات الألوف من القراء عقد قران سائلة المجد والشرف  
 وربة الصون والمفاف أو وفاة السيدة الجليلة التى قضت حياتها فى أعمال البر والتقوى ،  
 فإذا طلب منه قسم الاعلانات مائة أو مائتين من القروش إستنكر المبلغ وهرول إلى رئيس  
 التحرير بواسطة بما له من مكانة فى الجريدة ليخفف ربالا أو ريالين ، ورئيس التحرير يؤثر  
 غالبا أن يدفع الفرق من جيبه . وفى أثناء هذه المضايقات وهذه المخالفات يستمر التليفون  
 يمثل الدور الذى بدأه فى الصباح ، استيضاح عن حادث ، التحقق من إشاعة ، الاستفهام  
 مما يجرى فى مجلس النواب أو مجلس الوزراء . ولعل من أشد مضايقات رئيس التحرير  
 ما يجيئه عن طريق الكتائب التطوعين ، وهم لاشك مشكورون على غيرتهم على الأدب  
 بحمل ثمرات قرأهم إلى دور الصحف ، ولكن للصحف اليومية أحكاما ليست للمجلات  
 التى هى المجال الطبيعى لكل هذه المقالات . فالتأنيب القلبرى والحل مقدمان فى الصحف  
 اليومية على ما سواها ، ولكن بعض هؤلاء الكتائب يرويدونا على مثل ذلك ، بلقى  
 الواحد معاصرة ثم يرسلها إلى الصحف طالبا نشرها ، وهى أحيانا من النوع الذى يكفى  
 أن يسكب به العشرات من الساممين فلا يصح أن يسكب به الألوف من القراء .  
 وعلى ذكر ذلك أذكر أننا فى سنة ١٩٣٢ وكانت قضية القابل فى أشد أدوارها ،  
 حتى أن المحكمة كانت تمقد فى الغالب جلسيتين فى اليوم فتستغرق تفاصيلها أنهارا من محفلة

وحوالى الساعة العاشرة فى إحدى الليالى ، حمل إلى الحاجب بطاقة ثقلت باسم صاحبها وما تلاه من الألقاب المالية الضخمة ، فاضطرت إلى مقابلته على مضض ، ودخل وبعد عتابة ومجاملات ، قدم إلى مقالا كثير الصفحات فألقيت نظرة على العنوان لأتبين الموضوع فألقيته مما لا تذهب جدته ولا تضع بهجته بل هو من قبل سد الفراغ بمثله فوصفته جانبيا : قال صاحبنا : أرجو أن تقرأ مقالى هذه . قلت : أنا مشغول الآن جداً ، سأطالما غدا ، قال : ولكن بهمنى أن تنشر صباح غد . قلت : لا سبيل إلى ذلك : الساعة الآن العاشرة ولا نستطيع جمع مقالات والجريدة مزدحمة ، وقضية القنابل مستغرقة جانبيا كبيرا ، فلما رأى تصميمى على الرفض وقف كاسف البال وم بالانصراف ثم عاد فقال : ألا يمكنك يا أستاذ أن تؤخر قضية القنابل وتنشر مقالى هذه . وكدت أصعق لأن موضوع مقالته التى لا تحتمل التأجيل هو « سيد الحوت فى الأفيانوس » والكتاب المتطوعون مصدر مضايقة أخرى ، ذلك أنهم يثقفون إلى موضوع تطرفه الجريدة فيتهافتون على الكتابة فيه ، كأن هناك مباراة عامة .

صورة وصفية لرؤساء التحرير ( بقلم فكري أباطة )

داود بركات : قيل عنه أنه شيخ الصحافة ، لم « اتق » عن سنة ولم أهم بالبحث عن تاريخه . وإنما لا أدري أين تسكن تلك القوة السارية في أسلوبه ، له ثورة أو ثورتان في العام يبلغ فيهما القمة ، مقالاته حديث الناس وفي الأزمات يندلع قلبه كالنار فتجد في « المحليات » نصف نهر يملوها (عنوان) يندد بالخطر . لا أظنه يتمشى مع عواطفه ووجدانه في آرائه ، لعله يحكم ( العقل ) ويراعى ( الظروف ) أكثر من تحكيم القلب . ولعله معذور فبين يديه عمل كبير ، وفوق عاتقه مسئولية عظيمة ميزته على زملائه أن محصوه التاريخي هائل ، فهو يمتاز في المناسبات وكثرة معلوماته لا يفتي .

خليل ثابت : بطل الشرق والشرقيات ، مغرم بدراسة تطورات الشرق ومآئل الشرق وهي فصيلة بلا جدال ، أحسن من يجيد الوقوف على الحياض ، مع الأزمات ، تحرير وترتيب عملياته ترتيب وتحرير شهي سهل مقبول ، ولذلك يقرأ الناس جريدته بسهولة . ولئن أخذت عليه كثرة الأخبار التافهة كحوادث النشل وحوادث الترام وتفتلات ملاحظي البوليس — وكلاء البوستة ، ونظار المحطات ، ودرجه تلك الأخبار العادية في صدر المحليات بعض الأحيان — لئن أخذت عليه هذا فلمل جريدته في حاجة إلى معاونة هؤلاء ، ولعله أدرك سر ميل الشعب إلى الحوادث والمفاجآت . معلوماته المحلية غزيرة ، ولكنه يحمل به ألا يتكلم في الافتتاحيات عن حلوان — والتراب في العاصمة ، وآلة الرش الجديدة فالافتتاحيات روعة وجلال .

أمين الرافعي : هو بلا منازع قد إحتسركر خاصيتين : ( الأولى ) جنون العقيدة . ( الثانية ) استحضار النصوص . أما جنون العقيدة فقد أحاطه بسياج متين من الإجلال خاله ، أما استحضار النصوص فلا أظن أنه يوجد في مصر كاتب يجاريه في هذا ، وويل لسلي سياسي يلتقي الكلام على عواهنه ، فعند أمين الرافعي أقواله السابقة وتصريحاته السابقة ، كأنه كان يدرك في الماضي أن المصالح سيناقض نفسه وينسخ نظرياته ، آخذ

عليه التكرار في نفس الموضوع ، ودفاعه من هذا أن فيه ترسيخاً لفكرة ، وقد يكون وجبها أو لا يكون .

عبد القادر حمزة : يمتاز بملسكة التحليل ، يحلل الموقف أو موضوع اليوم بمهارة عظيمة ، وإن وجبت الفالطة — وعند الصحفيين هي كثرة الوجوب — فقد لا تسعيط اكتشافها . إيجازه يتفق وميل القارىء ، والمودة في الكتابة اليوم هي الإيجاز المفيد .

ولعل تفوقه في التحليل وتسلسل الدلائل يرجع إلى دراسته القانونية ومراته الجدلى .

حسين هيكل : لا يعرفه العامة إلا منذ تولى تحرير السياسة ، أما الخاصة فقد قرأت له كثيراً في الجريدة وغيرها ، ميزته أنه ( Brillant ) مشرق في تفكيره ودقيق جداً في تحديد موضوعه ، وأظهر ما يروعك في أسلوبه أنه يحيطه بسور من الجلال ، ولطه وهو يكتب يتذكر من يكتب بلسانهم من الوزراء وجبابرة العقول . نياض من ناحية الأدب ، ويدهشني أنه يكتب في الأدب كل هذه المجلدات .

حافظ عوض : journalesite ( محقق ممتاز ) بمعنى الكلمة في محاولات واضحة في تحسين جريدته ، لعله أقدر من يدرك سرفته ، مطلع على الأدب الإنجليزي وقوى في مادته ، ورجال المهنة السابق لا يحتاجون إلى تعريف .

× وهذه صورة أخرى لرؤساء التحرير : بقلم كاتب مجهول .

أنطون الجليل : يجلس إلى مكتبه في الأهرام إلى ما بين الثانية صباحاً ، يكتب أحياناً ويراجع أحياناً ثم إذا به ينتقل بين مكاتب التحرير وبدروم المطبعة ليشرّف في توضيب الصحائف بين عمال المطبعة وصفا في الحروب ، فإذا أحس بالجوع عند منتصف الليل إنسل إلى بار اللواء وهو على قيد خطوات من مكتبه فتناول عشاءه وعاد إلى ما كان عليه من محل معواصل فلا يبرح مكانه إلا إذا عرف أن ما كينة الطباعة قد بدأت تدور .

خليل ثابت : يذهب إلى فراشه في الساعة التاسعة تماماً فإذا جاءت الساعة السادسة صباحاً وأيقظه قد زل إلى مكتبه بالبيجاما أو الروب دى شامبر ففتحه وجلس وحيداً فريداً يطالع جرائد الصباح فإذا جاءت الساعة الثامنة سلم لعامل المطبعة « افتتاحية المقطم » التي يضمها عادة أربعة مواضيع مختلفة . يكتب بسرعة غريبة وخطه رديء لا يقرأه إلا الاختصاصيون من

همال الصف الذي مضى على اشتغالهم بالمقطم عشرات السنين ، ويصمد إلى مسكنه بعد ذلك ليتناول طعام الإفطار وليرتدى ملابسه ، حتى إذا جاءت الساعة التاسعة ألفيته رابضاً على مكتبه ليشرف على كل صغيرة وكبيرة مما ينشر في المقطم حتى الإعلانات ومن عادة أن يراجع بروفة مقاله بعد تصحيحها .

الدكتور هيكل : سريع في الكتابة إلى حد بعيد حتى ليشمل السجارة أحياناً قبل أن يمسك بالقلم فلا ينتهي من تدخينها إلا وقد انتهى من كتابة المقال . خطه لهذا السبب لا يقرأ إلا إذا اجتمع لك رموزه عدد من زملاءه . لا يعنى بالأسلوب بل يسرف في استعمال حروف الجر بلا حساب لكنه يعنى بالفكرة ويناقش في منطق سليم ونحويح حكيم .

عبد القادر حمزة : إذا أراد أن يكتب شرب فنجانا من القهوة وسجارة ثم يشرع القلم كأنما أرهف سيفاً . يكره أن يدخل عليه أحد أثناء الكتابة حتى لا ينقطع تيار أفكاره الزدحة ، وهو يحب أن يراجع ما يكتب وينشر قبل أن يتسلمه عامل المطبعة . ينال من خصمه بهدونه ورزاقته أكثر مما ينال منه غيره بمعدته واندفاعه .

التابعي : نشيط جداً ولكنه بمزاج ، يستطيع أن يحرر مجلته الكبيرة من ألفها إلى يائها في جلسة واحدة إذا أراد بحث الهدوء لتضايقه أحياناً دقائق ساعته الأنيقة .

توفيق دياب : خطيب بطبعه حتى في مقالاته يؤثر أن يعل ، وقد يكتب بيده شيئاً ، يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ويشير بيده أحياناً ويدق على المنضدة يمينه أحياناً ، يتحدث ثم يهدأ ، يرفع صوته ثم يخفضه ، فكأنما لا يعل على كاتب ، بل يتحدث إلى جماعة ويخطب في جمهور ، يعنى باللفظ المخفار ، ويمد إلى الكلام المتبقى للتأثير على قراءه . فلما يبدأ كتابة مقالة قبل منتصف الليل وكثراً ما يعل وحوله نفر من خاصة أصدقائه كان يقصدهم فيما مضى أمير الشعراء شوقي أو وحيد الأيوبي .

عباس المقاد : يؤثر الهدوء إذا بدأ يكتب ويكتب في الصباح الباكر ويعنى بالأسلوب يقدر ما يعنى بالفكرة ، لم يتولى رئاسة التحرير يوماً من الأيام ، ولكنه عمل في كثير من صحف : النبر . البلاغ . الجهاد . روز اليوسف . الضياء .

## من تجارب الصحفيين

لم يكن رؤساء التحرير وخدامهم هم الشخصيات البارزة في الصحافة اليومية والأسبوعية خلال فترة ما بين الحربين بل كانت هناك شخصيات مؤثرة ، لها صوتٌ مدويٌ ، وتجربة ضخمة وقد سجل كثير من هؤلاء الكتاب الصحفيين تجاربهم الصحفية والظروف التي عاشوها ، وهي في مجملها تغطي صورة الصحافة من الداخل :

(١) تجربة عباس العقاد

ليس في وسع الكاتب السياسي مهما يكن شأنه ، ومهما يكن الشعب الذي يكتب له والموضوع الذي يكتب فيه ، ليس في وسعه أن يؤدي البين القانونية التي يؤديها الشهود في المحاكم قبل الانضاء إلى القضاة بما يعملون .

فهو قد يقول الحق ولكنه لا يقوله كله في وقت واحد ، لأنه مرهون بأوقاته التي ينكشف فيها على حسب الناصبات والأحوال . فهو إذن قد يقول الحق ولكنه لا يقوله كله كما يفرض عليه بين الحركة . وتفسير ذلك أنه لا يقف في كتابه موقف الشاهد أمام القضاة ، بل يقف أحيانا موقف العلم أمام التطبيق أو موقف الطبيب أمام المريض أو موقف الواعظ المصلح أمام أتباعه المريدين .

وإذا وجب على الشاهد أن يقول كل شيء أمام القاضي الذي يحكم في القضية حكمه الفصل فليس من الواجب على الواعظ ولا على الطبيب ولا على العلم أن يقول كل ما في نفسه للتلاميذ والرضى والموعوظين وقد يكون في الأمر سر يتعلق بأناس آخرين ولا يملك الكاتب أن يجر به علانية في جميع الأوقات لأن كتمان ذلك السر أمانة بحاسبه وعليها ضميره وبحاسبه عليها أولئك الناس الذين أئتمنوه عليها .

وإذا كان الكاتب يكتب للناقلين والجهلاء فليس أصعب عليه من الصدق وليس أيسر

تهدية من الكذب والتمويه ، والكذب فى بعض الأحيان عجز وليس بقدره ، فإذا لم يملك الكاتب قدرة الصدق كذب وهو عاجز مضطراً إلى مخالفة الحقيقة ، ولكنه إذا قدر على الصدق لم يكذب ولم يخالف ما فى ضميره ، فربما كان الصدق أرفع من فن الكذب فى أكثر الأحوال ( وعندنا ) أن الكيفيات يخالفون غيرهم فى أمرين ظاهرين : وهى أنهم من جهة خاضعون لرقابة الجماهير ، ومن جهة أخرى خاضعون للمفريات والمؤثرات التى تسلطها الجماهير عليهم وهم يشعرون أو لا يشعرون . تخضوعهم لرقابة الجماهير يجعلهم أكثر من سائر الناس حذراً من الكذب والتمويه . وخضوعهم للمفريات من قبل الجماهير يجعلهم على نقىض ذلك أكثر من سائر الناس رغبة فى مساواة الجماهير أو رغبة فى إخفاء الحقيقة واسطناع الأباطيل ، وأن الكاتب ينبغي أن يخلص فى كل سطر وفى كل كلمة وفى كل حرف بخطه يمينه ، سواء قال الحق كله أو صرح ببعض الحق أو ترك بعضه مكتوماً إلى حين ، وخلاصة هذا كله أن الكاتب كالطبيب والواعظ والمحامى فى موقفه من الصدق والصراحة فلا الأطباء ولا الواعظ ولا المحامون يقولون كل ما يملكون ، ولا الكاتب يطالبون بذلك فى شرعه الأخلاق أو فى واجب الصناعة ، ولكنهم جميعاً يطالبون بواجب الإخلاص الذى لا يستقطه عنهم عذر من الأعذار .

#### ( ٢ ) تجربة التابى

هذه صورة للتابى وللمجلة آخر ساعة كتبها أحد الصحفيين فى مذكراته .

الذين اشتركوا فى تحرير العدد الأول من آخر ساعة ( ١٩٣٤ ) هم : أحمد الصاوى محمد ، أمينة الصعيد ، سعيد عبده ، زينب صدق ، السندباد البحرى ، صاروخان ، قاسم فرحات ، كريم ثابت ، محمد التابى ، محمد حسنى عبد الحميد ، محمد عبد الوهاب .

وتدخل غرفة الأستاذ التابى فنجدته جالسا إلى مكتبه وقد وضع على ذراعيه أكامه



السوداء وراح يدخن شجاجة أو يشرب فنجانا من القهوة ، والقابى رجل ديمقراطى لا يحب التحكم أو أملاء رأى ، ومن هنا إذا أراد وضع فكرة صورة نادى «ساروخان» ونادى جيم المحررين يطلب منهم أن يسكروا فى صورة كاريكاتور . وعلى يمين الأستاذ يوجد غرفة ساروخان . . تدخل حجرتة فتجده قد خلع جاكيتة وأسند يده إلى رأسه الأسلع وقد أمسك بريشته القاسية يسود بها وجوده الناس ويبعث بالانافة والجمال، وبجيد زميلنا كامل الشناوى المحرر بالأهرام تقليد صوتى الأستاذ المقاد وتوفيق دياب إجادة تفوق الوصف . وحدث مرة عند ما كان الأستاذ المقاد يعمل فى إحدى الصحف اليومية أن تظاهر الشناوى بأنه الأستاذ المقاد ودق التليفون لسكرتير تحرير تلك الجريدة وصب عليه دشا بارداً من الشكيمة والسباب ، وتضايق سكرتير التحرير وكاد يستقيل لولا أن الشناوى دخل عليه وأخبره أنه هو الذى كان يتحدث باسم المقاد وبصوته ، فشمع سكرتير التحرير صديقنا الشناوى إلى الباب بما يستحق من التحية والاحترام والشلايب .

وبعد دقائق دق جرس التليفون فى حجرة سكرتير التحرير وقال المتكلم إنه الأستاذ المقاد وثار سكرتير التحرير وقال على اعتقاد أنه الشناوى يعيد الكرة مرة ثانية : « بلاش أمور عيال » أقفل السكّة واتركنى أشغل وما كاد ينتهى من هذه الجملة حتى رأى الشناوى واقفا أمامه وسمع الأستاذ المقاد الأصلى يقول فى التليفون .

ومن المقالب والفصول الباردة فى ( آخر ساعة ) أن حدث منذ أيام أن زار الدكتور غلوش رئيس أركان جمعية منع المسكرات زميلا من زملاء أشهر بيننا بأنه أشد الناس إيمانا بمزايا المسكرات وأكثرهم تطبيقا لهذا الاعتقاد . وظننت أن الدكتور غلوش زار الزميل لهدية إلى الماء القراح والصراط المستقيم . ولكن ما كان أشد دهشنا عند ما رأينا الزميل يتظاهر باللقى والورع أمام رئيس جمعية منع المسكرات ويهاجم للمشروبات من

الوسكى إلى النازوة ، ويسأل بدهشة عن مصير السكرى يوم القيامة إذا ساروا على الصراط المستقيم الذى هو أحد من السيف وأرفع من الشجرة وليس له درابزين .

ولم نحتمل نحن الأصدقاء نقاق الزميل فانفقنا فيما بيننا على مقالب نظيف نرد به الزميل إلى الصراط المستقيم ، اتفقنا على أن يدخل أحد سعاة الجلة وفى يده زجاجة ويسكى ويقول للزميل أمام الأستاذ غلوس : حضرتك ح تأخذ زجاجة الوبسكى ممالك ، وإلا أبته .

وقام الساعى بالمهمة خير قيام وأغنى على الزميل ، وحمل الأستاذ غلوس مبادئه المروفة وغادر الزميل بعد أن نظر إليه بكل هزؤ وزرابة واستخفاف .

قال صحفى كبير : إن التهويش والصحافة كلمتان مترادفتان بمعنى واحد ، ومن التهويش الذى يلجأ إليه الصحافي : المصادر العلمية ، ودوائر الحل والربط ، ومن يبدىهم مقاليد الأمور وولاية الأمور . يسمع الواحد منهم خبراً من ساعى أحد الوزراء أو من موظف درجة ثامنة حرف جيم فى مكتب مساعد وكيل إحدى الإدارات فتأبى عليه كرامة المهنة أن يقر ويمترف بالواقع ويقول : بلغنا من أحد صغار موظفى قسم الروزنامة بوزارة المالية بدلاً من أن يقول هذا بالخط العريض أنه سمع الخبر من ولاية الأمور ، وتقرأ فى الصحف اليومية برقيات تقول أنها لمراسلها الخاص فإذا وقعت حادثة فى حارة غير مطروقة بزقاق غير معروف بقرية مجهولة فى جريدة مدغشقر نشرت الصحف فى اليوم التالى برقيات مطولة لمراسل الحريدة فى هذا الزقاق . . ويسأل القراء : هل لهذه الصحف — وخمسة عشر غير المقروءة منها — هل لها مراسلون فى كل مكان .

(٢) من تجربة فكرى أباطه

فى سنة ١٩١١ كان فى المدرسة السعيدية تلميذان صغيران يتناوبان ويقتادلان الرسائل التى تمس السياسة العامة ، أثناء إلقاء الدروس فى الفصول ، هذان التلميذان ( النجيبان ) كانا : محمد العابى وفكرى أباطه وإن كان أولهما سيثور ثورة حامية ضد هذه الذكرى الأليمة التى تسجل منه بوجه التقريب . عرف التلميذان بتملقهما السليق المزى للصحافة منذ ذلك الحين ، أولهما يعالج الصحافة فى بعض المجلات ، والثانى يعالجها فى المؤيد تحت اسمين مستمارين . . فرقت بينهما السنين والمجون إلى أن التليا مرة أخرى بمد جيل كامل صحيفتين ناضجتين . فسلك كل منهما طريقه حتى اليوم .

كانت أمينى بمد ثورة ١٩١٩ أن ينشر توقيعى تحت مقال لى بالأهرام . كان أقطاب السياسة فى مصر يعلون على أفكارهم ونحن نممل مما فى الحركة الوطنية . تجرأت فى ٥ ديسمبر ١٩١٩ بنشر مقالى الأول الذى هز الخواطر فى جريدة الأهرام « خيال وصياد » .

رداً على جريدة الشمس التى أشارت إلى شكوى المصريين من استئثار الإنجليز بالوظائف الكبرى ، فلجأت إلى دوسيهات بعض رجال كبار موظفى مصلحة الزى وإلى إحصاء عن عدد كبار الموظفين الإنجليز فوجدت النسبة فادحة فى المرتبات والوظائف .

وفى مقال تال : ٢٣ يناير ١٩٢٠ ( نطاط ورقاص ) .

بشرت الشهادة الوحيدة التى وجدتها فى ملف أحد كبار الرؤساء فى وزارة الأشغال . . وأنه يجيد ركوب الخيل والنط والرقص ، وكان مساعد مدير أعمال وزارة الأشغال ورئيساً على مصريين حازوا الشهادة المليانى الهندسة وقد أحدثت المقالة دويافعلقت عليها جريدة التيمس .

وأبرق إلى تفلأ باشا ( صاحب الأهرام ) طالباً الحضور لمقابله فحضرت من الزقازيق

وعرض على أن أحترف الصحافة فاعتذرت بشدة في ذلك الحين مؤثرا الهواية على الاحتراف .  
وشبت نار الثورة ١٩١٩ فحررت كثيرا من المنشورات للطلبة الناشيد التي طبعت منها الآلاف  
ووزعت . وخطب ضد مشروع ملنر في المنشورات السرية والمظاهرات « كفت فكبرى أباطه  
ضد مشروع ملنر في الأهرام ٢٠ سبتمبر ١٩٢٠ .

ثم حيل بيني وبين الكتابة في السياسة ، ولما كنت هاويا للصحافة قلت لأشعلن نفسي  
بمناوشة الجنس اللطيف مؤقبا بدل الإنجليز ، وقد بدأت ثورة تسوية تحمل لواءها اثنتان :  
واحدة توقع مقالاتها باسم الخنساء وكانت قوية الأسلوب واقعية التعبير ، فلطمنتني أكثر  
من لطفة ، وهكذا اكتشفت أن الخنساء هي « محمد لطفي جمعة » .

أما الثانية فكانت قناة مثقفة غاية التشويق ، هي « مديرة ثابت » وكانت تطالب إذ ذاك -  
بأن يكون للنساء حق التصويت بمناسبة وضع الدستور .

لم تفرني المروض المشهية لكي أحترف ، فظلت هاويا ، فلما عرض على أن أجمع  
مقالاتي في مجموعة واحدة لم أجد في جيبى رأس مال الطبع والنشر ، فاعتمدت على الناشر  
مصطفى محمد بشارع محمد علي ، ثم عرض على جبرائيل تقلا أن احتل زاوية في جريدته الكبرى  
شرط على نفسه ألا يتدخل في موضوعها ولا أهدافها ولا مبادئها ، ولكنني كفت في مسهل  
شبابي المندفع فظننت أن الاحتراف قيد وذل وغل .

خيل وسباه

أول مقال كتبه فكرى فى أهرام ٥ ديسمبر ١٩١٩ (١).

نشرت القيمس مقالا رقيقا عطف فيه على المصريين ونددت بإسراف الحكومة فى توظيف الشبان الإنجليز وطلبت فى النهاية المدول عن هذه السياسة الأشعبية المؤدية إلى السخط والاستثناء . خيل لى أن القيمس تفرض ضمنا أن عدد الانجليز فى الوظائف الكبيرة ضئيل أو على الأقل لا يذكر بجانب المصريين فبحثت وبحثت حتى وصلت إلى نتيجة وفت أمامها مذهولا متحيرا - فى مكنتات الوزارة كتيب صغير - غير السكتيب الأصفر، حصرت فى أسماء الموظفين المصريين والأجانب . حدثت فى كتيب منها وأخذت أجمع وأطرح وأضرب وأسم وكانت النتيجة ٧٤٥ انجيز ٩٩ أجانب ، ١٥٠ مصريون أى أن عدد الانجليز ثلاث أضعاف المصريين . وقد وفد علينا فى هذين اليومين جيش جرار من شبان انجليز زاحمنا حتى فى أصفر وظائف مصرنا العزيزة ، وسارت حكومتنا مع الوافدين على النصف الثانى من المبدأ المشهور ( أحرار فى بلادنا - كرماء لضيوفنا ) فالتحقهم بالوظائف الفنية وغير الفنية، وترتب على ذلك خروج عدد من الموظفين المصريين فالتجأوا للمحاكم طالعين المدل وكان دفاع الحكومة ولا يزال ملخصا فى كلمتين : رقتناه للاستعناء ، ولو انصفت لقات : رقتناه للاستبدال ، وقال فكرى أباطة فى ذكرياته : كتبت عن رجل كبير قلت : إنه يزحف نحو المجد ونحو القمة بسرعة ، فطلبني بالقايون وكلمني ثائرا غاضبا من كلمة « يزحف » قائلا : أترانى طفلا صغيرا وهل هذا يليق ، قلت له بكل هدوء : سل أحد الانويين عن معنى « يزحف » فى هذه

---

(١) احترف الصحافة حين تولى رئاسة تحرير للصور سنة ١٩٢٦ .

المبارة وكلنى من فضلك بعد خمس دقائق ، وبعد خمس دقائق كلنى قائلا : شكراً  
يا فكرى بيتولوا أن زحف ( دى كويسة ) .

(٤) من تجارب إبراهيم عبد القادر المازنى :

كنت أعمل فى جريدة الأخبار مع أمين الرافى : وكان عبد القادر حمزة كلما رأى  
سياسة جريدته « الأهالى » متفقة مع سياستنا المستقلة فى الأخبار يدهونى إلى الكتابة  
فى جريدته فأفعل ولكن بتوقيع مستعار باسم استقر عليه الرأى « مطلع » ، وكان رأى أن  
الحال لا يدعو لظهور الأحزاب وتمدها فقاومت حركة تأليف حزب جديد فى ست  
مقالات نشرتها جريدة البلاغ بتوقيع « مطلع » ، وكان الأستاذ العقاد يكتب فى البلاغ  
ويحمل من ناحيته على الحزب الذى دار تأليفه ولكن باسمه الصريح ، ولم يكن يلح فى  
هذه الحملة ، وإنما كان كل منا يكتب فى هذا كما دعت مناسبة . ومضت الأيام وقام الحزب  
وإذا بيمض الخلق بنقادون المرحومين حسن باشا عبد الرازق وإسماعيل بك زهدى على باب  
حزب الأحرار الدستوريين . وقد تبين من بعد أنهم مجانبين لا علاقة لهم بصحافة  
ولا أحزاب ولكن ثروت باشا أراد أن يمد « البلاغ » وصاحبه ومن يكتبون فيه مسئولين  
أديبا عن الجريمة ، وكان هذا خطأ مبيناً ، فأما صاحب البلاغ فعروف ، وإما العقاد فيكتب  
باسم الصريح وإما « مطلع » فلم يمد ثروت باشا من بدله على أنه المازنى ، ودعانى أمين  
الرافى وقال :

اسم ، أخبر صاحبك أنكما ستفنيان من مصرويعنى بصاحبى الأستاذ العقاد ولا أحتاج  
أن أقول أنى لم أقصر فى إبلاغه ولا فى الاستعداد للنفى وتهدير الأمر مع أمين الرافى على  
ما يكون وأنا مؤمن ، ولا سيما بعد أن رأيت القيادة تستدعى عبد القادر حمزة للتحقيق معه  
ولكننا لم ننفع ، لأن وزارة ثروت إستقالت وجاء وزارة نسيم فصرفت النظر عن هذا .

× فر الشيخ جاويش من تركيا ودخل مصر في فلة من الحكومة ودعاني أمين  
الرافعي ذات صباح ، ودفع إلى كتابا وقال : إقرأ ، فإذا هو من الشيخ جاويش يعلن فيه أنه  
دخل مصر ويسوغ اضطراذه إلى التمسك والدخول خلسة ، فأشرت عليه بنشره ففعل ،  
فقامت الدنيا وقعدت واضطربت الحكومة وانطلق البوليس السرى في كل مكان يتجسس  
ويتمحري ، وسار الناس يهدون علينا : يسألوننا أين هو ؟ وكان الدستور قد صدر وهو يحرم  
نقى المصرى ، فأشرت عليه بمقابلة يحيى إبراهيم رئيس الوزراء ، وقلت أنه قاض قبل  
أن يكون رجل سياسة ، فصدق ظنى ولم يحب في هذا الرجل . قال : هل للشيخ جاويش  
أن يظهر وهو آمن . قال : « نعم بلا مرأ » فصدرت الأخبار فيها دعوة له أن يظهر .

× × كانت الصحافة قبل ربع قرن - يقصد قبل ثورة ١٩١٩ - وإلى عهد  
غير بعيد « صحافة رأى » لهذا كانت المقالة من أهم ما في الجريدة . وهى التى كان عليها  
العمل . كانت الصحف لا تنشر من برقيات روتر وهافاس إلا بضعة سطور كانت الصحف  
تشتري اقراء مقال واحد : اللواء ، مصطفى كامل ، المؤيد ، على يوسف ، أو المنفلوطى .  
الجريدة : لطفى السيد . إن المقالة كانت هى الجريدة . ثم فتحت الصحف صدورهما  
الكتاب والأدباء ينشرون فيها شعرا ونثرهم وأسبق الصحف إلى ذلك جريدة الدستور لفريد  
وجدى . أما أم تطور صحفى فلم يحدث إلا فى عنفوان الثورة المصرية ١٩١٩ لأن الصحف احتاجت  
إلى الاطلاع على ما يكتب عن مصر فى الخارج والوقوف على ما يجرى فى مؤتمر فرساي  
فبدأت الصحف تتخذ المراسلين المصريين فى باريس ولندن . ومن أهم آثار الحركة  
الوطنية أن احتاجت الصحف إلى معرفة حملات الصحف الأجنبية عنها فدفعها هذا إلى العناية  
بالشئون الخارجية .

× × فى ١٩٠٩ نشر عبد الرحمن شكرى الجزء الأول من ديوانه فحمل عليه

محمد المرسفي حملة عنيفة في مقال نشرته جريدة مصر الفتاة (أبو بكر لطفى المنفلوطي) وكان المازني في ذلك الوقت طالبا بمدرسة المعلمين العليا ومن المجتهدين بشعر شكرى، فكُتب مقالا في الرد على المرسفي نشر في جريدة مصر الفتاة، كان أول مقال للمازني ثم نشر ١٤ مقالا متتاليا في جريدة الدستور عن ديوان شكرى في مصر الفتاة (٤ مايو ١٩٠٩) وهذا نموذج منه :

أيها الكتاب ولا أقول الأدباء فليس كل كاتب بأديب ولا كل ناقد بناقذ ، خليك بكم أن تتأدبوا في مخاطبة الشعراء فإن أوجع ما يعانيه الشاعر أن يقوم من لم يستجد من الشعر غير ما نظمه ابن الفارض ولم يعن إلا بما قال البهاء زهير من الكلام الموزون القفى الذى ملؤه الوهن والغميزة ، فيقول له تعال أعلك كيف تقول الشعر . أيها الشيخ أنا نعرف اليد التى حركت قلمك فكعبت ما كتبت ، أما ذلك السباب الذى رميت به الشاعر فليس منك وإنما هو منسوب إليك ، ولو كان هذا الكلام من قتل التفاف لارتباك من دهاء أستاذك ما يزيدك حيرة في أمره .

• — من تجربة أحمد حسين

فتحت عيني في فجر الثورة المصرية ، كنت طفلا وقعداك لم أتجاوز الثامنة من عمري ، ولم أكن إلا طالبا بالمدارس الابتدائية في السنة الأولى منها ، ولكنى أذكر أننى اشتريت كسكل طفل في ذلك الوقت في الجهاد القومى فاندرجت في سلك المظاهرات وارتفع صوتى بالهتافات الداوية « مصر والسودان لنا » ، إن الصورة التى أيقظت روحى بقوة كانت تغطى جدران معبد الكرنك ووادي الملوك ، علمتنى كيف كانت لمصر حضارة منذ أربعة آلاف من السنين ، الله أكبر لقد ، رأيت مصر تعلم العالم وتضىء عليه بجامعة الأزهر المصرية ، وتحارب الجيوش الأوربية الجيوش فتقمهرها وتأسر ملوكها وقارت عين هذا الجندوما نعيش منه من ذل فعرفت السر ؛ السر هو : « أن الله لا يغير ما بقوم حتى



« خذوا ما بأنفسهم » ، لابد من العمل ، لابد من رفع الفاشية التي تعمى أعين المصريين ، أصدرنا جريدة الصرخة منذ أربعة سنين ، كنا نحوطن بالطلبة ، رأيت كل شيء مملوكا للأجانب ، فدعوت الأمة إلى جمع قرش من كل مصرى لتأسيس مؤسسة قوية وقد كان وجمعت القروش وشيد مصنع الطرايش ، فكان هذا إيذانا بنصر الشباب ويشيرا بمودة الروح

× قد تكون الاعلانات عن الخور حقا ، مورد كسب عظيم للجريدة ولصاحب الجريدة ولكن الجرائد لها مهمة أخرى غير مهمة الكسب الشريف والغير شريف ، فالمصحف مهمة أخرى أكثر قدسية من الكسب واكتناز الأموال ، أعنى بها قيادة الرأى العام وتوجيهه نحو الأصلح والأمثل ، فالمصحف ليست إلا مفبر الرأى العام ، مصابيح الإصلاح ، كفاح في سبيل الحق ، ولكنها لا يمكن مطلقا أن يكون سبيلا للكسب ولا شيء غير الكسب ، وهى لو تفكبت الطريق لأخرى بها أن تكون بما تفعله أداة هدم لا أداة بناء ، ليس يؤلنا أكثر مما يؤلنا من رؤية الصحافة الرشيدة عديدها إلى هذه المذكرات فتعاونها وتلبسها ثوب البراءة وتهيل عليها عبارات من التحييد والاطراء .

× إلى طلعت حرب : لقد أصبحت فريدا في تاريخ مصر ، كوكبا دريا لا مما يضىء سمائنا الملبدة بالغيوم والآلام ، أى شيء لم تفعله من أجل مصر ومجدها ، أنت رجل التعليم ، رأيتك فى العام الماضى على رأس مدرسة فى حلوان وسوف تراك على رأس مدارس أخرى كثيرة ، وأنت بمد ذلك الرجل الذى أوجد لمصر بنكها الأهم البنوك فى صفوات قلائل ، أنت الرجل الذى رد على مصر كرامتها الاقتصادية وبث الثقة فى أرجائها وأخذ كل ثروتها ، وهما هو بنك مصر بمد أربعة عشر عاما فى مصر لا يسير إلا من مجد إلى مجد ، أى شيء لم يفعله هذا «البنك» بل لم يفعله أنت من أجل مصر وعظمتها ، أو لم توجد مصانع النطن ، أو لم يصبح

مصنع المحلة بعد الزيادات الجديدة من أعظم مصانع العالم ، أولم تشتتر المصانع الانجليزية للفلقة لتديرها على ضفاف النيل ، أولم تنشئ لنا الأساطيل تجوب الهواء والماء ، فرفت العلم المصرى فى السماء ، وفى أنحاء العالمين ، يجب أن يكون ورق القند موقعا عليه من طلعت حرب لا من « كوك » .

× مصر هى مركز العالم : ومعلمه الانسانية وأم الحضارات وهى منبع الحكمة وموئل الأديان جميعا فمنها خرجت الديانة الموسوية وبها احتمت المسيحية ، وهى التى رفعت لواء الاسلام عاليا ، وأنشأت جامعة الأزهر ، وهى التى حاربت أوربا الصليبية فهزمتها وأسرت ملوكها ، وهى التى انقذت المدينة والعالم من شر التتار المخربين ، وهى التى أفتت كل أعدائها وغزاتها ، وبقيت حية خالدة وهى التى رمت بالجيوش الانجليزية إلى البحر وهى التى قرعت جيوشها أبواب أوربا وأخاف أسطولها الأساطيل ، وهى التى تقدم الاسلام اليوم وستقول إليها زامعه .

× لا تتكلم إلا بالعربية ولا ترد على من لا يخاطبك بها ، فطهر — فقاطع الخمر ودور اللهو الحرام والشبهات الأخرى — لا تشتري إلا من مصرى ، ولا تشتري إلا ما صنع فى مصر — الاحتلال العلمى فى المدارس الأجنبية التى تفزونا ، فهل آن لنا أن نهجر هذه الدور ، المحاكم المحتلة : سفحة سوداء . حاجة مصر إلى بنك مركزى . جهاد الأمة فى سبيل الاستقلال الاقتصادى . والقضاء على الأمية . إعترفوا بمظائكم واخلدوا ذكراهم . قاطعوا أغاني التخلف . شركة قناة السويس تؤلف دولة فى الدولة . لابد من إلغاء الامتيازات الأجنبية (١٩٣٣) .

٧ - من تجربة « محمود كامل »

للككتور هيكل طريقة في معاملة صغار الكتاب المبتدئين قد يعتبرونها في بادئ الأمر عنيفة قاسية . كان كاتب هذه الكلمة يقوم بكتابة سلسلة مقالات في السياسة عام ١٩٢٢ ( في عالم السينما ) وحدث أن تأخر نشر بعض المقالات ، وكان للدكتور هيكل إذ ذاك والسياسة في عظمتها وعزها سكرتير خاص هو الزميل طاهر حقي يستفسر من الزاغبين في مقابلة رئيس التحرير واعتقدت أني لو مررت بالأستاذ حقي لما فزت بمقابلة الدكتور ، فأنهزت فرصة سانحة وافتحمت النرفة وأبدت احتجاجي على تأخر نشر المقالة وكم كانت دهشتي عندما صاح في وجهي - يعني هي مقالات برناردشو ، انتظر حتى نجد لها مكانا . وحدثت طي الدكتور هيكل مدة كنت اعتقد أثناءها أنه مثال الشراسة إلى أن نشرت في السياسة بحثا عن الأدب الأجنبي ووجدني يوما جالسا في غرفة سكرتير التحرير الدكتور محمود عطا وكنت لا أزال طالبا في مسهل دراسي العلمية ، فاقترب مني وأخبرني في صوت هامس أنه قرأ البحث وأعجب به ، وأنه يريد أن يفضي إلى بسر خطير من أسرار المهنة ، وهو أنني إذا أردت الترجمة فلا يجب أن أترجم وأقدم الأصول إلى المطبعة ، بل يجب أن ألقى ما أترجمه في الدرج أياما عديدة عشرة أيام أو خمسة عشر يوما ، ثم أعود فأنقحه وأصله في أسلوبه الخاص حتى لا استعبد لأسلوب من أترجم عنه ، وأخبرني أنه فعل ذلك .

٨ - من تجربة توفيق حبيب

أن الصحافة المصرية نهضت بعد الحركة الوطنية بزعامة سعد باشا فزالا المقالات الطويلة ، حلت المقالات المختصرة المملوءة بالمعلومات ، ظهرت العناوين المبشكرة والصور ، ظهر التقنين في تدوين الجنايات وقائم البوليس والرسوم الكاريكاتورية في المحاكات وغيرها . وإمتازت الجرائد الهزلية بالتصوير الكاريكاتوري ، ولم يكن في القديم شيء من الصحافة الأسبوعية الموجودة الآن ، بل كانت قديما مخصصة لنهش الأعراض ، مما يدل على انحطاط

الصحافة، أن إبراهيم المزني أصدر جريدة أسماها الهلال المماني للطن في منافساته من النسوة الساقطات، وكانت أعظم جريدة أدبية أو هي الجريدة الأدبية الوحيدة هي «مصباح الشرق» .

أما أشهر الجرائد الأسبوعية فكانت : الأستاذ ( نديم ) حمارة منيتي ( محمد توفيق ) الخلاعة ، الشجاعة ، السبق ( أحمد عباس ، حسين شفيق ، محمود جاد ) وكان القفش عماد الصحافة الفكاهية كقولهم . « غاب توفيق حبيب عن مطبعة الأخبار فاستبدل بما كيفة قص » . هذه الجرائد كان عمادها الطمن في الأشخاص والجرأة في النقد ، حتى استهدف أصحابها لسجن سنوات طويلة ، وأكبر شاهد على ذلك المرحوم أحمد عباس ، فإنه نظرًا لكثرة الأحكام التي صدرت ضده انتحر بجوار جامع أبي العلا ببولاق ، وكان رحمه الله متأنقا في ملابسه — وبين ١٩٠٠ — ١٩١٣ كان محلات اللهو والتسلية من ميدان الأوبرا إلى شارع كامل ، الرومي ، باب الشمرية ، وكان شارع وجه البركة مركز هذه الحركة ، وكادت تظن أن به كل يوم مهرجانا ، ولم تكن الحياة ندب في هذا الشارع قبل الساعة التاسعة مساء ، ثم تستمر إلى الصباح ، وكان أعظم البارات وأهمها ( دراكانوس ) من جهة ميدان كامل وباب اللوج عند ميدان الخازندار ، وأبنامرت لا تجد إلا الأعيان وكبار التجار وأعظم المزارعين وكبار الموظفين والأدباء . وكانت هناك قهوات للرقص البلدي المشهور ، وكان هناك جماعة من تجار الجواهر يؤجرون لأولئك النسوة حليا نفيسة من الذهب والاماس ، وتجمع الراقصات « النقطه » في طبق ويتقاسمنها مع أفراد جوقة التخت . أما المحاليس الأدبية فكان أشهرها في الفجالة قهوة ( السكايتال بار ) ومعيدها الشيخ إبراهيم اليازجي ، وكان يحيط به أتباعه وتلاميذه من محبي اللغة العربية ، ثم تليها قهوة الشارلويه بالفجالة أيضا وكانت لزبائنها الممتازين شرفه لا يسمح لغيرهم بالجلوس فيها ، وقهوة بريكلي أمام التياترو المصري ( تياترو اسكندر فرح ) وكان يجلس فيها كتاب الروايات التمثيلية وفي مقدمتهم إلياس فياض

وفرج أنطون وجورج طنوس ، وقهوة الليموناده بباب الخلق وعميده الشيخ مهدي أبريافه ،  
والشيخ مفتاح الزجال والشيخ أحمد القوصي ، ويحيط بهم فريق من أبناء دار العلوم ، أما أهم  
القهوات ، فكان الاسبلندر بار وقهوات عمارة ماتاتيا وكان عمدها أمام المبد وأحمد فؤاد  
وحسين وصفي رضا وحافظ إبراهيم وأحمد زكي باشا .

٩ — من تجربة توفيق دياب

أتحدث إليك عن الماضي — عن ذلك العهد الذي مني فيه دستور مصر بالتعطيل  
مرة ، ثم بالتبديل مرة أخرى ، فهجرت مكاني من إدارة الجامعة واتخذت مكاني بين  
أصحاب الصحف ، وكلما أصدرت جريدة حجبوها بعد فترة تطول أو تقصر بين أسبوع  
وعام ، حتى انتهى الطراد إلى جريدة « الجهاد » ، فعاشرت وزخرت حياتها بألوان الكفاح  
صفوات ثمان ، ثم احتسبتها شهيدة كريمة ، قبل نشوب الحرب الأخيرة بزمن يسير .

ولو كان ما أكتب الآن قصيدة لقلت هنا بيت القصيد ، أعني هنا لباب الموضوع .  
ولباب الموضوع أن يدي ، لا يد عمرو ، التي وأدت ابنتي « جريدة الجهاد » . وأدتها  
بيدي ، كما كانت حرب للجاهلية تشد البناات غافة العار . والفرق : هو أني أتيت عملا  
لا يحرمه خلق ولا دين ، بل يوجبانه الوجوب كله .

تسألني كيف كان ذلك ؟ وإليك الجواب بعد تمهيد :

توجهت في صدرى شملة من الحاسة للدستور سنة ١٩٢٨ ، فطار بي وهجها  
من نومة الوظيفة إلى خشونة الفضال ، ولقد أكبر الجمهور هذه التضحية الهينة ، لأنه  
قامها بياستها ولم يقسمها بقيمتها ، كانت الحجة يومئذ ملتزمة في صدور الناس ، فلم يكن  
عجبا أن تتصل حرارة القلم المؤمن بحرارة الرأي العام ، وأن يترقب الشعب صفحه المعبرة  
عن لواعجه ، فيتخطفها في شوق ولهف . وكلما ألقت السلطة صحيفة شفعاها بأخرى  
أرفع منها صوتا وأبلغ أثرا ، ذلك وإقبال الجمهور يتضاعف على كل وليدة جديدة ، بعد

احتجاب أختها الشهيدة ، حتى بلغ ما أكلته تلك الحرب ثلاث عشرة جريدة ، في أقل من ثلاث سنوات ، يد عمرو وأدت كل تلك الصحف ، إلا صحيفة الجهاد ، وكانت كبرى جرائدى ، وأطولها ممراً ، وأوسعها انتشاراً في مصر وسائر بلدان العرب وأدتها بيدي - نعم وأدتها بيدي فداء لضميرى أحجبت جهادى بيدي ، وأنا أعلم علم اليقين أنى بذلك أحطمت سيفاً طاملاً تهيبه أقوياء ، وطاملاً ينصر به حق وإنهزم به باطل ، سيفاً يتيح لحامله كثيراً من المنافع ، لو استباح الإيفال في سوق المنافع ، سيفاً يجذب بريقه من يعمدون الضعف إذا تسلح ، ويجمدون القوة إذا تجردت من السلاح ، سيفاً كم طلب نجده زعماء ، وكمنى هدته خصوم ، فلم يستعجب رنينه قط ، ولا اهتز نصله إلا لصوت الضمير . ولكن لماذا جردت نفسى من هذا السلاح ؟ لماذا حطمت سيفى يدي ؟ لا لشيء سوى أنى حنبل متزمت في مواطن الشبهات والريب . . علوت المبار سنوات في سدر الشباب وأواخره ، وفي أوائل الكهولة وإلى يومنا هذا ، ألقى المحاضرات في الأخلاق ، وفي روائع المثل الأعلى والحياة السامية ، فكان عمالاً على مثلى وتلك مفارقتى وقبائى طيلة أيام العمر ، أن أ كفر برسالة الأخلاق لأستبقى جريدة الجهاد . لم يكن إلى بقائها من سبيل سوى التلوى والعوج ، سوى قبول المال ، والمال الكثير ، إن لم أقل الثراء العريض ، من جهات شتى تشتري التأييد بالمال الكثير ، فهدى شركة غفيرة قوية ذات نفوذ بينها وبين الحكومة خصومة ناشبة ، « والجهاد » تنصر الدولة ، لأنها نذود عن مصالح الجمهور في هذا المراك و يرسل الشركة مندوبها يعقد يتعطب لقيمتها الضخمة لباب الطامعين ، عقد إعلانات لدى طام أسطره قليلة وفقراته متباعدة وأجرته باهظة ولن يكاف الجريدة إلا السكوت عن الحق ، رفض في غضب واحتقار ، وهذا بلد يحارب بلد يحارب بلداً فيجفع الجهاد إلى الناجية المظلومة ويزورنى مندوب الظالمين يمرض ألوفاً من الجنهيات لا لشيء سوى أن أنشر برقيات المستطفين فيأبى ابن حنبل

ويعصر على الإباء ويباقى إحدى عاضراته على الندوب في فضيلة الأخذ بيد الضعيف الوديع حين يعتدى عليه القوى القاهر ، فلا الندوب يقبل الفضيلة ، ولا ابن حنبل يقبل المال . وهكذا يرفض الجهاد بينه وبين ضميره مبالغاً ظاناً لقد تقبل قتله كبرى جرائد الغرب . على أنه عمل محمى مشروع ، وأنها برقيات تنشرها صحف الدنيا على الإحلاق . ذلك دون أن أعرف من رجال البلد الفقير للظلم أحداً ، أو أعلن تضحية الجهاد لأحد . وتلك جهة أجنبية أخرى تريد إبداء عطفها على الجهاد ، فتحاول أن تبعث إليه بهدية مالية شهرية ، في غير غرض ظاهر ولا عوض مفهوم . . أليست مجرد تعبير عن العطف والتقدير ؟ ويرفض ابن حنبل في إباءه وشمم ، لأن العطف المصحوب بالمال شراء للذمم من غير عقد . وصاحب الجهاد خلال ذلك مرهق بأقساط شهرية تجاوزت قدرته ، وكان يدفعها ثمناً لإحداث ما عرف الشرق من مطابع الجرائد اليومية وآلاتها . وإنما أقدم على شرائها خدمة للصحافة المصرية ، وحرصاً منه على أن يبلغ بها مبلغ السكال . لقد خانته التقدير ، ولكن لم يخنه الضمير . لقد نزل عن تلك الطابع والآلات للدائنين . ونزل لبنك مصر الذي أمانه على ثرائها ، عن أرض واسعة للبناء في أحسن أحياء الجزيرة — ولكنه لم ينزل قط ، وإن ينزل أبداً ، عن جوهر الأخلاق التي آمن بها وحضر فيها طيلة أيام العمر . ولو شاء أن يضحي بدمته في شيل جريدته ، لسكان اليوم في عداد الأغنياء ، ولظل الجهاد في عداد الأحياء وسكان غنى أشرف منه السكفاف وحياء أكرم منها الموت . عند الله ، وعند الناس ، نفسى — وبمجيئ اليوم أن تكون الذكريات مصدر سعادتي ومدد ما بقى لي من أيام : « وأدت جريدتي »

١٠ — من تجارب لطفي حمة

الصحافة المصرية مدينة في تقدمها للسياسة الوطنية لأن اللغة لا تزدهر إلا إذا كان للكتاب هدف يرى إليه غاية يقصد إليها لأن ، الكتاب عندما اتجهوا إلى السياسة أخذوا

يعتنون بالمعاني ويعملون فيما يكتبون على الأنكار بعد عهد التمويل على الألفاظ ، كان مصطفى كامل صحفيا موهوبا ولما دعا بأسرار هذا الفن حتى لا يكاد يجاريه أحد في عصره من مواطنيه وحتى تغلب في الصحافة على شيخ المؤيد ودحره ورد مكابده في نحره ، فأسس اللواء جريدتين أخريين إحداهما بالفرنسية والثانية بالإنجليزية وكانت الثلاث تظهر كلها في يوم واحد .

وقد كتب موريس كولزا محرر الجنرال ونجيب في سنة ١٩٠٧ أن مصطفى كامل رغم كرومر على الإفطار بجريدة أجيشيان استاندار ويعذبه باللواء العربي وبمشيه بالاستندار أجيشيان . وكانت الدوافع الشخصية ذات أثر قوى في حياة الصحافة في العقد الأول من هذا القرن ، فشغل شيخ المؤيد على حضائنه وسمة حينته بقضية الزوجية فاهلته من حرفته وسياسته . كما أنه المرحوم محمد أبو شادي بك بجريدة الظاهر نحو مشاركة الأستاذ الإمام محمد عبده حتى تناول على شخصية بتهم كاذبه كافتعال الفتاوى المزعومة كالوقوذة وإباحة استعمال القبة للمسلمين في جنوب أفريقيا ، وقيل إذ ذاك أن أبو شادي مدفوع من الجالس على الأريكة الخديوية وطامع في الانقلاب كما انقطعت بعض الصحف للدفاع عن الاحتمال ومقاومة تيار الوطنية الجارف .



# دخائل الصحافة

في مرحلة ما بين الحربين

ما كادت الحرب العالمية الأولى أن تقوَّف حتى بدأت مرحلة جديدة في تاريخ مصر ،  
كان أبرز معالمها « ثورة ١٩١٩ » وطلب الاستقلال ، وكانت الصحافة مرآة هذه  
الحركة : وهذه هي الصورة : صورة الاستقلال ١٩٢٣ والصحافة :

« كانت ثورة ١٩١٩ ذات أثر في الصحافة ، وكانت الأغاني كان التمثيل من وقود  
الثورة ، كان الشعب يقابل هذه الأغاني بحماسة وإعجاب « مصر العزيزة للمصريين ، وحبها  
للوطنيين » . و « ياعم حمزة ، إحنا التلامذة واخدين على الميش الحاف والنوم من غير لحاف » وكان  
عجزي الفناء والإنشاء يحورون أغانيهم القديمة ويبدلوها مسابرة لظروف الحركة الوطنية .  
وظهرت عشرات المقطوعات التي تدور حول الحرية والاستقلال وكذلك التمثيل . والروايات  
كلها كانت تدور حول حب الوطن والاستشهاد في سبيله ولما اشتدت الرقابة على المسارح  
ولم يبق في استطاعتنا ارضاء الجماهير ، كانوا يجمعون الروايات الأخرى اقحاماً وكان كثير من  
المثاليين يشيخ بسمعه عن الملحن في أثناء قيامه بدوره ثم يرتجل كلاماً آخر ليس من صلب الرواية .

وكانت كتابات الصحف حارة : منيوت حنا بواصل الكتابة الحماسية في جريدة مصر ،  
سيد علي في جريدة النظام : حملات على الاستعمار ، محمود هزيم ( المحروسة ) : عبد الباقي سرور  
نسيم ، مصطفى لطفي المنفلوطي في جريدة الأفكار وفي شتى الصحف رسائل من باريس —  
عبد الرحمن الببلي ، محمد الدين ناصف وكانا يهزأ بها ( الببلي وناصف ) جريدة مصر توزع  
بعقالاتها الوطنية في القاهرة وحدها ما يربو على عشرة آلاف نسخة من العدد الواحد ،

زملاء الشباب : عبد الرحمن الجدبلي الطالب بمدرسة القضاء الشرعي ، ذكي مبارك بنظم كثيرا من القصائد الحماسية ، متبرة المهديّة تخلط أغانيها الهزلية بالأناشيد الوطنية .

ويقول فكري أباطه أن لغة الصحافة كانت مهشمة مهذمة فلقّة ، أما اليوم (١٩٢٤) فاللغة سليمة صحيحة راسخة ، وكان أسلوب الصحافة أمس أسلوبا ضيما ركيكا يحتاج لعمليات ترميم وتعمير ، أما اليوم فالأسلوب منسجم واضح كله ذوق سليم لا يفتر منه الطبع ، وكانت موضوعات الصحافة أمس موضوعات سخيفة جوفاء ، أما اليوم فالموضوعات قيمة مفعمة بالآراء والابتكارات والاستنتاجات . اقرأ جرائد الأحزاب السياسية المنشادة واعمل إحصائية اذكر فيها عدد الشتامّ المتبعة والمصرية وعدد الأكاذيب العمومية وعدد المغالطات النقلية والاستنتاجية ، أنك إن فعلت وأقمت على هذه الإحصائية الصحفية الأخلاقية إحتجت لمصلحة إحصاء تمّ العمل في عام مهما حشدت لها من جيوش المال والنفاز والأفلام والمخابر .

تقدمت الصحافة حقاً في فرع الروح ، وابتكرت في عالم الهجاء فنونا لها قواعد وأصول ، وأية أخلاق مهما بلغت المتانة والرسوخ تستطيع أن تستمر في مقامها ورسوخها وهي تلقى في كل صباح ومساء دروسا متجددة مستمرة ، متدفقة في السب والظمن والتجريح والشهير . شئنا ، شئنا وبدأنا نشعر بعيل إلى الوقاحة تحت ضغط التخليد والمادة ، وتحت تأثير الدروس النهارية والليلية من كتابنا الأفاضل وعمرينا المعلمين ، تلك هي النواحي السوداء المهرزة القائمة من نواحي التقدم الصحفي اليوم .

٢ - ولكن هل كانت الصحافة بعد ثورة ١٩١٩ صحافة وطنية مائة في المائة ، الواقع أن الدكتور هيكل لا يرى ذلك ويقول أنه كما جرف تيار الرأي العام الرجعية وجعل الحرية المطلقة لا يفيد منها غير الاعتبار القوي ، كذلك جرف الصحافة ودفع

بها جميعا لممارسة النهضة الاجتماعية ، وأنه ليأخذك العجب ، إذا حاولت أن تقارن بين صحافة ١٩١٩ إلى ١٩٢١ وبين هذه الصحافة نفسها فيما تلا ذلك من السنين . خضعت الصحافة إلى تيار الرأى العام يومئذ وجملت تنفيذية وتقوية وتمهد له أسباب سلطانه وسيادته ، ولو أنهم - أى الزعماء - أولو النهضة الاجتماعية ماهى جديرة به لاستمرت مظاهر للنشاط الاجتماعى ، ولكن هؤلاء الزعماء ألفوا أنفسهم بإزاء قوى سياسية اضطرتهم أن يمحسروا نشاطهم فى الميدان السياسى وأن يتركوا الميدان الاجتماعى بغذى نفسه ، بل لقد حاولت القوى السياسية المختلفة أن تستغل النشاط الاجتماعى لفائدتها .

وكثيرا ما فكرت أنا كصحفى فى هذا وفى انواجب القدى يجب على أن أقوم به ، ولكننا معشر الصحفيين زى الجمهور منصرفا إلى الفاحية السياسية إنصرفا بجملة يمر على ما سواها من غير أن يأبه له ، ثم أن السياسة دخلت فى مصر فى كل شىء واخضعت لسلطانها كل شىء ، وكل طائفة من الطوائف حتى من لاصلة لعملهم قط بالحياة السياسية .

٣ - ويفسر زكى عبد القادر إجماع الصحافة فى فترة ما بين الحربين حين يقول : كانت الصحافة حينئذ فيما عدا الأهرام والمقطم صحافة حزبية تقوم على الصراع الحزبى وتنغذى منه بتلقى إعانات من الأحزاب ولا تستطيع أن تعيش بنيرها وتلقى إعانات من الحكومة إذا كانت من الحزب القدى ينتمى إليه وتلقى صفعات منها إذا كانت معادية لها ، فهى من حيث الفن الصحفى لم تكن تمنى به ولا تلقى بالها إليه . كانت النزعة الحزبية هى الغالبة ، كان من واجبها من حيث القيمة الصحفية أن تمنى بالأخبار والتحقيقات الصحفية وتحدد وجودها وتحقق تطورها .

ولسكنها فى الواقع لم تسكن تمنى بالأخبار العناية الواجبة ، كانت المقالات السياسية من أهم مادة تشمل عليها ، وكان الكتاب السياسيون هم أهم الشخصيات فى الجريدة .

ومن عداهم مساعدون تافهون ، يمكن الاستغناء عنهم ، كانت الجريدة تباع حينما تباع بسبب كاتب سياسى معين أو كتاب سياسيين معينين ، فى البلاغ عبد القادر حمزة وعباس العقاد رضى كوكب الشرق أحمد حافظ عوض وفى الكشكشكول سليمان فوزى وفى السياسة هيكى وعزى . . جريدتان فقط لم تكونا تعتمدان فى البيع على الأسماء أو على الحزبية هما الإهرام والمقطم . وكانت الصحافة الحزبية كل واحدة منها تنشر مقالين سياسيين أحدهما فى صدر الجريدة والأخرى فى وسطها ، عدا أعمدة صغيرة أو لمحات هنا وهناك لا تخلو من الطابع السياسى ، وفيما عدا ذلك كانت الأخبار تأتي فى الصف الثانى أو الثالث ، كانت الجريدة لا يمنبها أن يفوتها خبر مادامت تحمل المقالات السياسية الحاسمة النارية الممنمة بالألفاظ الضخمة والعبارات الحاسية والشتائم المقتناة . كتب العقاد يمارض هيكى ذات مرة فلم يعرض لمقاله ولكن عرض لشخصيته ولمح تلميحا بل صرح تصريحاً بأن هيكى كتب ما كتب وهو غير واع ، كان فى غيبوبة اشتهرت عنه حينئذ .

٤ - من هنا ترى أن صحفياً لا مما كإبراهيم المازنى يتمنى فيما لو بدأ حياته من جديد أن يكون بائع طعمية :

« نعم : أننى أختار أن أكون بائع طعمية ، حقاً لو بدأت حياتى من جديد لما احترفت حرفة الصحافة فى مصر ولفضلت عليها بيع الطعمية وفتحت دكاناً كدكان ( أبو ظريفة ) أبيع فيه الطعمية والفول والمدمس ، وثق بأننى سأكون أحسن حالا مما أنا فيه الآن ، وربما فقت أباً ظريفة وأمثال أبى ظريفة من بائعى الطعمية والفول المدمس الذين تروج بضاعتهم فى مصر أكثر من رواج الأدب ولا يمانون عشر معشار ما يمانيه الأديب ، وأنا على اعتقاد بأننى سأنجح فى هذه المهنة التى أرى أصحابها أحسن نجاحاً وأوفر خطأ من الأدب وسأستطيع أن أقدم لربائى طعمية جديدة وفولا نظيفاً ، وسيصبح اسم المازنى علماً على بائع طعمية وفول مدمس مشهور ، بدل أن يكون علماً لا يهيب لأبجنى من وراء أدبه

إلا الشقاء الدائم ولا يجد من الجزاء ما يتناسب مع الجهد ، مادام بائع الطمعية أروج حالا من الأديب في مصر ، فلماذا لا أطلق الأدب ولا أنخذ حرفة للميش ، ولماذا لا أفتح « أبو ظريفة » . أجمل زبائني من أصحاب الممدات بدلا من أن يكونوا من أرباب الأذهان وقد وجدت بالتجربة منذ عشرين سنة أن تغذيتي للأذهان لم تغد .

٥ - ومن أجل هذا زى « مصطفى صادق الرافى » بفضل الوظيفة على العمل في الصحافة .

لماذا آثرت الوظيفة : إنما آثرت الوظيفة على الصحافة لأن الصحافة عندنا هي عمل اليوم والساعة ، والجمهور هو الذى يصرفها بحسب أهوائه وزخواته ، فالصحافة مقيدة بأوهام أكثر مما هي مقيدة بحقيقة نفسها ، وذلك كله بعيد عن حقيقة الأدب بمعناه الصحيح ، فإنه ينظر إلى الوقت الدائم لا الوقت الفار ، ويراد به معنى الخلود لا معنى النسيان ، ولا يقتل النبوغ شيء كالمعمل في الصحافة العربية فإن أساس النبوغ العميق والتأمل في أسرار الإسناد أما الصحافة فلها أساس غير هذا . وعلى من يدخلها أن يكون تاجا من تيجانها لا خرزة من خرزاتها . ويكون أشبه بالفارة القائمة تلقى أشعتها في أعلى الجو على مدى بعيد من الآفاق .

٦ - ويروى حسن شفيق المصرى كيف كان السكاتب يستطيع أن يكتب أى شيء

ليسد به فراغا حين يقول :

من ذلك حادثة حريق الآستانة وينسبونها إلى المرحوم الشيخ الشربلى ، تفصيل الحادث أن الصحفي الذى أقدم على تلك الكذبة وجد نفسه في حاجة قصوى إلى حمود علوه من جريدته ، ولم يكن عنده أخبار ينشرها أو حادث يعلق عليه ففكر جليا ، ثم جعل يكتب بصف حريقا وهما قال أنه شب في الآستانة ، وانطلق بذكر التفاصيل وكيف اندلعت ألسنة البيران فالتهمت المنازل ، وجاء رئيس المال وقال : الحريق لم تستعرق أكثر

( م - ١٨ تطور الصحافة العربية للامامة )

من ثلاثة أرباع العمود فكيف الحبل إلى ملثة إلى النهاية ، وكذب الصحفي بقية العمود  
لـكـذـب الخبر الذى إستغرق ثلاثة أرباع العامود .

فى أثناء حرب البلقان كان « أبو العيين بدر » يصدر فى مصر جريدة الأفكار التى كانت  
تزاحم المؤيد وكان يحرر فى الأفكار حسين شفيق المصرى . فجاءت جريدة « الأفكار » تنشر  
كل يوم طائفة من التفرقات الخصوصية والرسائل البريدية تصف فيها تقدم الجيوش  
العثمانية إلى الأمام واكتساحها الأقطار وعدد القتلى والجرحى من البلقانيين بتوقيع  
مراسل الأفكار الخاص « اسلانكى زاده بك » وأقبل الجمهور على الجريدة إقبالا عظيما وصار  
الناس يتخطفونها فى الشوارع إلى حد أن الشيخ على يوسف صاحب المؤيد تضابق وراح  
يدعى أن برقيات الأفكار مزودة لا أصل لها . ولكن هذا لم يمنع الجريدة من المضى  
فى نشر برقياتها . وبلغ فى النهاية عدد الذين قتلهم برقيات الأفكار من البلقانيين ضعف  
سكان أوروبا على الإطلاق .

٧ — ويتصل بهذا جانب الحياة الصحفية الخاصة ما يجد بعض الصحفيين من قسوة  
فى الحياة: يقول توفيق حبيب: أنه حكم صارم قاسى، لا أدرى متى يتغير أو يتبدل ، هو الحكم  
على المشتغلين فى تحرير الصحف أن يعيشوا فقراء ويعتوتوا فقراء ، فقد يعيش بعضهم  
منها فترة من الزمن ، ولكن إذا أقمده المرض يوما فلا بد أن يد يداه سائلا الدواء والقرش  
للعيش . . . وهكذا كان الحال قديما وهكذا الحال حديثا مع ما دخل عالم الأدب والصحف  
من تطورات ، فبذ خمسين سنة نرى بشاره تقلا كاتباً معاصراً هو « محمد أنسى » فقال : يزيد  
الأسف أفيدكم أن المنية قد اغتالت فى الليل الفاتئ المرحوم أنسى مدير المكاتب الأهلية ،  
توفى على أثر داء الفالج فلم ينبجج به دواء ، وقد خلف الأنسى كل من عرفه وعلم سمو  
مكانته من التهذيب والعلم ، فقد رضم أفابيق العلم من المرحوم والده « عبد الله أبو السعود »

حفد الصفر وتمكن من العلوم واللغات ونشأ على مبادئ والده ، فخدم الأدب خدمة شريفة  
ألف وطبع كتباً عديدة في مطبعته وأنشأ أكثر من جريدة وسافر مراراً إلى أوروبا . .

أما دفنه فجرى صباح اليوم كما يليق بمقامه إذا مشى وراء نمشه (١) عدد عديد من ذوات  
الحكومة والموظفين والأعيان وأمامه فريق من البوليس وكلهم يردد جمل الأسف على  
مفقده ، وأما في هذا المقام نالت أنظار الحكومة إلى رعاية عائلته وأطفاله فهي تعلم حق العلم  
أنه وأباه من قبله خدماتها باخلاص واستقامة « وعلق الصحفي على المجوز على الخبر بعد  
تحسين عام فقال : ومضى خمسون سنة ونحن نرى الفيلم يتكرر ، مات الشيخ رشيد رضا صاحب  
النار ، الرجل الذي ملأ الدنيا كتاباً وأصدر نحو أربعين مجلداً من المنار ومجلدات في شرح القرآن  
وطبع عشرات المجلدات من كتب قديمة وحده ، كان يطبع ويخزن فترك مخازن مشحونة  
بأكداس من هذه الكتب ، ولقد كنت أعتقد كما يعتقد غيري أن الشيخ رشيد مات  
عن بضعة ألوف من الجنيهات مما جفاه خلال رحلاته إلى الهند والسند واليمن والبحرين ،  
والتدخل بين الإقباط والمهاجرة والسلطين والأمراء والامب على مسارح السياسة  
الشرقية ، والدعاية للحركة العربية واللامركزية والدسوق الممانى وغيرها ، فلما مات  
انكشف الغطاء ، إذ هب الزملاء والرصفاء المارقون حقيقة الرجل فأعلنوا خيبيته وبؤس  
عمله . قالوا : أن الرجل شيد بيتاً لا يسكنه ويدم فيه بل ليأوى إليه ما كينات الطباعة  
وصناديق الحروف والدشت وغير الدشت من رمم تسمى كتباً ، هذا البيت على ما قاله  
عارفوا الشيخ مرهون على ألف جنيه يحل في الشهر القادم قسط منها قدره  
ثلاثمائة جنيه . . الخ . .

٨ - ويصور سلامه موسى في تشاؤم ما وصلت إليه الصحافة بين الحربين فيقول :  
أما الصحفيون فهم كالجنود المرتزقة لا تحارب إلا مع القائد الذي يدفع لها الأجر الأكبر  
ثم هم لا يفيدهم شيء أن يعملوا بعد ذلك في صفوف أعدائه يصوبون إليه السهام التي دافعوا  
بها . فالقطع مثلاً لا تستعجى أن تعلن في مكان بارز منها أنها صحيفة حكومية وأنها دائماً  
مع الحكومة القائمة مهما كان لونها السياسي وهي حين تفعل ذلك تتفعل ذلك الشعب  
الذي يد المونته للقطع ليصبح كل يوم أقوى على معاداته والكيد له . .

والأهرام هي الأخرى تقلب للوفد ظهر الجن كلما سقطت وزارته ثم يقصد إليها  
جمهور متحمس الهيئة ولباق للأستاذ العقاد خطبة فيكشف عن عورته لرجال الصحيفة الرقطاء  
استخفافاً لهم وتحقيراً ، وحين تهب جريدة السياسة للدفاع عن زميلاتها تروح الأهرام  
تتمسح بالقراء وترضاهم .

والأهرام آية أخرى نستحق من أجلها الإعراب لأنها ترتكب ضد وطنها ومبني  
أرومتها الخيانة العظمى ، وذلك إنما ما فتئت توجه إلى استقلال سوريا سهامها المسمومة  
بل للأهرام آية أخرى فهي تناقض المسلمين في رمضان حتى تخصص مكاناً في أظلم أعمدها  
لنشر حديث متتابع عن الصوم والصلاة والزكاة ، حتى ليظن القارئ أن داود ركعت  
وآل تقلا جميعاً قد ارتضوا الإسلام ديناً أو أنهم من خريجي قسم التخصص  
في الأزهر الشريف .



## أثر والاحتلال، في الأدب والصحافة

استعرض الدكتور زكي مبارك أثر الاحتلال في الأدب والصحافة فقال : كان احتلال  
الإنجليز لمصر صدمة قوية أبقت ما عفا من العقول والقلوب والأرواح ، وكان عسف  
المحتلين وتلونهم وعينهم وإستهانتهم بكرامة الرجال ، كل أولئك مما أحفظ رجال القلم وآثار  
الضئيفة والحق في أنفس الشعراء والكتاب والخطباء والفكرين ، والأدب لأقود له إلا النوازع  
القوية من حب وبعض ورجاء ويأس ، وعطف وحقد ، وقد خافق المصريون في عهد  
الاحتلال جميع الألوان النفسية ، أفطن أن ذلك يقع دون أن يترك أثراً قوياً في أنفس  
الكتاب والشعراء ، العنصر الأول من حياة الأدب هو الحرارة والصدق ، كان أقوى ما بنى  
عليه الأدب المصري في عهد الاحتلال .

ونحن قد صحت لنا بفضل الاحتلال أيام فورة وغليان تركت لشمرائنا وكتابنا  
صفحات من الأدب سيكتب لها الخلود ، وفي هذا دليل أننا لم نقتبل ظلم إنجلترا مستسلمين  
وإنما قارعناها بنرائنا وعقائدنا ، وفرضا عليها أن تنظر بعد خمسين عاماً ، فلا تجد لها في مصر  
إلا ما دخلت به من أسنة وحراب ، وهذا كله بفضل ما فعلت أسنة الأفلام ، لأن الأيام لم تسكننا  
بعد من المعركة الفاصلة من أن نشرع في وجهها رحماً ، وإنما وقفنا نحاربها بأفلامنا وأفكارنا  
ثم أن هذه النهضة قد إقيمت في وجهها ألوف الأسداد والحصون ، ووضعت في طريقها ألوف  
العقبات والعراقيل ، ثم استطاعت مع ذلك أن تكفح كل ما أترض سبيلها أو وقف في وجهها .  
من أشد المظالم يصوبها المحتلون وأشياءهم إلى حملة الأفلام وأرباب الفكر والبيان .

وجهدت إنجلترا في صيغ تعليمها بالصيغة الرسمية لتقف آمال المعلمين منا عند كتابة  
الدواوين ، فهل أفلحت . كيف ونحن الذين أنشأنا الجامعة المصرية بأموالنا وغذيناها  
بطلابنا من طلابنا وأساتذتنا . ونحن الذين رفعا الصحافة العربية إلى مقام لا يفضلها

منه من الصحف الأوربية إلا القليل ، ونحن الذين أعزنا القلم وسمونا بالبيان ولو شئت  
لكاثرنا الانجليز أنفسهم بكتابتنا وشعرائنا ومفكرينا .

كان المحتلون يقشاهم دأما من الروح الأدبية وكانت الحكومة تجاهلهم ، فلا تتوجه إلى  
كاتب أو شاعر بمطاف أو تشجيع ، فهل قضى ذلك الإهمال على الأدب ، وهل منع مصر من  
أن يقوم بالدفاع عنها أدباء أوفياء يلقون الأذى في سبيلها باسمين ، عجز المثليون عن قتل حرية  
الرأى والقول ، ولكنهم نجحوا نجاحا مبيها في أن يشغلونا بأنفسنا ، وأن يوجهوا جهود أدبائنا  
إلى أشغال الفتن الأهلية ، فإن نصف ما أنتجه شعراؤنا وكتابتنا وخطباؤنا قد وقع في هاوية  
النزاع والشقاق ونو ذهبنا نستقرى الجيد الممتع من أعمال الكتاب والشعراء والخطباء  
لأبنا أظهر جوانبه ما أنشأ منشئوه في إيقاد الأحقاد الحزبية والدعوة إلى تمزيق الوحدة  
وتفريق الصفوف ، وأنه لمن الحزن أن تقرر أن هناك آثار أدبية كثيرة كانت كلها تجريحا  
في أعمال مصطفى كامل وسعد زغلول ، وتلك الآثار ستظل حية باقية لما فيها من الحرارة  
والقوة ، وهما أساس حياة الأدب ولكنها ستظل كذلك شاهدا على أن المصريين أو فرقا  
منهم وقعوا فريسة للأعيب المحتلين ، ولا يمكن أن ننسى أن الانجليز كانت لهم يد خفية ،  
فأثار في مصر من المناوشات الأدبية والدينية والاجتماعية ، وهذا كلام يبدو غريبا لأول  
وهلة ، ولكن الذى بدق النظر يراه عين الصواب ، فمن مصلحة الانجليز أن تحيا المصائب  
في مصر وأن تعتمد فيها المذاهب الاجتماعية والدينية ، ألم يعلموا حرصهم في كل مرة على  
حماية الأقليات .

أنهم ليودون أن تصبح الديار المصرية كالقطار الشامية مسرحا لعشرات المذاهب  
والديانات ليتم لهم ما يبتغون من إضرار الفتن بين رجال الدين ورؤساء الأحزاب ، وأن  
القرءاء ليذكرون الفتن التى قامت مرة قبل الحرب ، وكان فيها مؤتمر للمسلمين في مصر الجديدة  
ومؤتمر للأقباط في أسيوط ، وكانت تلك المؤتمرات بالفعل مظهرأ من مظاهر الحياة الأدبية

أنشئت فيها خطب ورسائل وقصائد ستطيل ذكرها باقية في تاريخ الآداب ، ولسكنها ستظلي كذلك شاهدا على أن الانجليز شغلوا المصريين بأنفسهم حينما من الزمان . أن انجلترا لا تلعب ولسكن المصريين يلعبون في بعض الأحيان ، والآدب مع الأسف بطبيعته كفن من الفنون قد يكون من أدوات اللعب عند الرجال . وهم حين يفعلون ذلك أطفال كيار ، لقد شغلنا الانجليز بأنفسنا ما في ذلك ريب واستطاعوا أن يوجهوا جانبنا من أدبنا إلى أحياء الفن الأماهية فلننظر إلى جانب هذا ما استطاعوا بقوتهم أن يصرفونا عنه من فنون الآداب .

لقد صرفنا الممثلون عن درس ما وقع لنا في عهدهم من البلايا وحرموا الآدب المصرى من إستغلال تلك الموارد التى تبعث حرارتها روح الصدق فى الآدب ( التل الكبير - دنشواى - حادث العزبة ) ومضت رقابهم تعقب كل ما يكتب فى بث الروح الوطنية وأصبح من المتعذر على الأدباء من الموظفين وهم جمهور كبير أن يكتبوا أو يظلموا فى الشؤون القومية .

ولو عن طريق درس الأخلاق وصار من الممكن فى عرف بعض الموظفين فى وزارة المعارف أن يؤلف كتابا فى التربية الوطنية ، حتى إذا جاء إلى العصر الحديث وأنظمتها أشار بجميع الأسماء البارزة وترك سعد زغلول ، وإنهانا القوق عن تعيين من فعلوا ذلك ، وحسب القارىء أن تقسم له أن هذا وقع من موظفين أدباء كان ينتظر أن يترفعوا عن مثل هذا الاسفاف ، والموظفون من الأدباء يقدمون لنا أعظم الشواهد على أعمال المهتلين ، لأن الموظفين عندنا هم العنوان الظاهر على طبقات المتعلمين وهم كذلك نموذج لمن استقرت حياتهم المعيشية وأصبحوا قادرين على خدمة وطنهم فى نزاهة وإخلاص ، افتراهم استطاعوا أن يحرروا أفلانهم لخدمة الوطن عن طريق الدراسات التاريخية والأدبية التى تفرس العزة القومية فى النفوس ، أم تراهم انصرفوا إلى شؤونهم الخاصة واكتفوا بالقليل والقال فى إيهاء القهوات لأن الممثلين راضوا الإدارة الحكومية على القل والمسكنة وحببوا إليها القناعة

والخمول . لقد درج الناس في مصر على هذه القاعدة المشثومة ، وهي أن لا صراحة ولا قدرة لموظف على كلمة الحق ، وقد عرف الإنجليز كيف يروضون فريقا من الكتاب على الرضا بهذا الحظ المفحوس ، وفي مقدورنا أن نسمى عشرات من الأدباء اشترت ألسنتهم الحكومات المختلفة وقبرت مواهبهم في مكاتبها واقنعتهم بأن الرتب الثابت أجدى عليهم من شرف العمل لتحرير البلاد .

وليت الأدباء من الموظفين توجهوا إلى الدراسات الانسانية حين عزت عليهم الدراسات القومية ، أنهم لو فعلوا لأصبحوا أساتذة لكبار من أمم الشرق ، ولكن الدولاب الإنجليزي أراد أن يديرهم إدارة سوفية ، حيث يمسون ويصبحون ، ولا هم لهم إلا الملاوات والترقيات فضلا عما ابتلوا به من الشلل العقلي الذي سيرهم أداة صماء في أيدي الرؤساء والوكلاء .

كان عهد الاحتلال خيرا للأدب من حيث الصورة ، لقد انطلقت السفنة كثيرة وشهدت مواهب عديدة . ولكنه كان شرا من حيث المعاني والأفراض فقد شغلنا الإنجليز بأنفسنا وحولوا أدبنا إلى مناقشات حزبية وصرفونا عن الدراسات القومية والانسانية .

## صناعة الأخبار

برزت في صحافة ما بين الحربين أهمية « الخبر » ، فقد أخذت الصحافة تعنى به وتوليه اهتماماً كبيراً، وأصبح في الدرجة الأولى من مواد الصحيفة، وقد صور أحد الصحفيين العاملين في ميدان الأخبار أهمية هذا العمل فقال : تزداد مهمة الخبر للصحفي مشقة وتمقيداً في ظروف تعتبر الوزارات أو ما كانوا يطلقون عليه « الانقلابات السياسية » وعندما تصبح الجريدة أو المجلة التي تعمل فيها معارضة لسياحة الوزارة القائمة في الحكم ، عند ذلك تتضاعف الصعوبات . ومن الرأى السياسي الأليم في مصر أنه في الوقت الذي يعاني فيه غثرو الصحافة المعارضة للحكومة أشق المصاعب في تسقط الأخبار والأنباء ، تفتح مكاتب كبار الموظفين على مصراعها لخبري الصحف الموالية . ومن التجارب الأليمة التي وقعت لكاتب هذه السطور أنه كان يعمل في جريدة يومية تنطق بلسان هيئة سياسية كانت هي القابضة على زمام الحكم حينذاك فكان لا يجد أى صعوبة في جمع الأخبار لجريدته كانت الأبواب المغلقة تفتح له ويتلقاه كبار موظفى الدولة بالترحيب والجمالة .

وتغيرت الأحوال السياسية فجأة وأفضت الهيئة السياسية التي تنطق هذه الجريدة بلسانها عن الحكم وأعقبها هيئة أخرى تضم لها الحقد والعداء ، ففي ليلة وضحاها تنسكرك له أو تظاهر بالنسكرك كبار الموظفين وصغارهم ممن كان يعقده عليهم في جمع الأخبار والأنباء ، واضمحى الواحد منهم لا يتحدث إليه إلا وهو يثقل بمنه ويسره ، خشية أن يراه أحد فيشئ به إلى الوزير أو المدير، وتلقيت يوماً رجاء من صديق حميم لى من الموظفين الذين كانوا من المصادر الهامة لأنبأى وأخبارى إلا أزوره في مكتبه رحمه به لأنه صاحب عيلة (وعايز يربى أولاده) ورأيت أن الموظفون على دين وزرائهم ، وهم يعجاشون أن اتصل بهم خوفاً من وزيرهم ، فلا اتصل بالوزير ولأجرى معه حديثاً أو حديثين ، ومتى رأى الموظفون أن وزيرهم يستقبلنى ويفضى إلى بما أسأله ، عنه فانهم ولا شك سيحذون حذوه ، وبمئت ببطائفى إلى

معالي الوزير مع سكرتيره الخاص ، فلم يلبث أن دعاني إلى مكتبه ورحب بي وأكرم وفادتي وأدرت دفعة الحديث بلباقة وكياسة حتى اطمأن الوزير إلى أن زيارتي إنما هي زيادة صحفية بريئة ، وأجابني عن كل ماسألت ، واستأذنت في نشر ما أنضى به إلى في صحيفة حديث فأذن لي في ذلك ، ونشرت الحديث في اليوم التالي كما هو بدون تغيير أو تبديل وبعد أيام أعدت الكرة مرة ثانية ، نجحت الكرة وفتحت لي الأبواب المنقطة ولم يعد الموظفون يخشون إستقبالي في مكانهم والإفضاء إلى بما عندهم من أبناء .

(٢) المخبرون في الصحف اليومية

ويتصل بهذا عمل الصحفيين وهذه صورة دقيقة عن هذا الموقف :

كان وضع المخبر الصحفي أقل شأنًا من أي كاتب بالجريدة حتى ظهرت جريدة السياسة في ٣١ أكتوبر ١٩٢٢ وكان القائم بأمرها الدكتور حافظ عفيفي فرتب لهذه الجريدة فلما خُصَّصًا بالأخبار جعل رئاسته للرحوم سامي قصيري أقدم من اشتغل في هذه المهنة ، وكان حتى تلك السنة مرتب الخبر الأول في المقام (١٥ جنيه) فأعطاه السياسة (٣٥ جنيه) وكان قسم أخبار السياسة مؤلف عام ١٩٣٧ من عزيز طلحة وزكي عبد القادر وعلى بليغ ومحمد فهمي يوسف ومحمد خالد حتى عام ١٩٣١ التحق على بليغ وزكي عبد القادر بالشعب . وعزيز طلحة ومحمد فهمي بالجهد ومحمد خالد بالأهرام .

أما الأهرام فكانت مرتبات محرريها قبل ظهور السياسة قليلة : رئيس القسم نجيب هاشم . وله حوادث صحفية مع كبار رجال الدولة خلال ثلاثين ٣٠ عاما وكان مساعده صالح البهنساوي .

(٣) في مايو ١٩١٩ أعلنت نقابة الصحافة وشكلت من :

جبرائيل تقلا ( صاحب الأهرام ) نقبنا : أمين الرافعي ( الأخبار ) الوكيل ، سيد علي ( الأفسار ) سليمان فوزي : أمين الصندوق ، جندى إبراهيم ( الوطن ) سكرتيرا وعضوية

داود بركات ( الأهرام ) تادرس شفوذه ( مصر ) حامد إبراهيم ، رشيد رضا ( المآذ )  
خليل ثابت ( المقطم ) أميل زيدان ( الهلال ) .

( ٣ ) بطاقات الصحفيين .

وفي ١٩٢٩ أعدت وزارة الداخلية بطاقات للصحفيين لتسهيل أعمالهم .

#### ٤ - أخبار الأقاليم

أولت الصحف في هذه الرحلة اهتماماً لأخبار الأقاليم ، وهذا تقرير عن هذا القطاع:  
كيف ننذى صحفنا اليومية بأنباء الأقاليم والريف المعمرى وهى خاصة كل يوم بهذه  
الأبناء ، وهل هى تعين مراسلين خصوصيين مأجورين لموافاتها بأخبار تلك القرى الصغيرة .  
أن لكل جريدة من الجرائد اليومية الكبرى وكيلاً أو مراسلاً في الإسكندرية وهو  
يتقاضى أجراً على القيام بهذه المهمة ، أما مراسلو الأقاليم فالتقاعدة المعمول بها أنهم  
لا يتقاضون من الصحف التى يرسلونها أجراً مميّطاً ولكنهم يتقاضون الأجر عملياً  
من البلاد التى يعملون بها . وتعينهم الصحف في الحصول على هذا الأجر بنشر أنباء  
قد لا تهم الصحيفة ولا قرائها ولكنهم الراسل النشيط وتعود عليه ببعض الخير ،  
ولمؤلاء المراسلين أسلوب خاص في كتابة الأخبار وهو الأسلوب المفيد الذى يوضحهم  
عن الأجر . فقد تسرق جاموسة أحد المزارعين ويبادر المراسل إلى إرسال الخبر إلى الصحيفة  
في ديباجة راتمة عن إستتباب الأمن في البلدة بفضل حضرة صاحب السعادة مديرنا المحام  
الذى لا يفتأ ينصح العدد والمشايع والمأمورين بوجوب الحرص على مصالح العباد وبمعاينة  
سعادة وكيل المديرية الذى اقتبس هذه المسكارم من مديرنا الحازم .

وحضرة المحسكدار الذى اهتم بالحادث اهتماماً خاصاً وأصدر تعليماته الثاقبة إلى حضرة  
للمأمور الذى لا تنفك عينه عن مراقبة إفراد تقدم الأمن والذى جمع الضباط ورسم لهم خطة  
العمل وطريقة التقبض على الجاني الأثيم ، فاستطاعوا بفضل هذه الخطة الرشيدة إلقاء القبض

على السارق إذ ضبطه أحد الجلود مخفياً في إحدى المزارع ، كما ضبط خفيّر الناحية الجاموسة المسروقة ضالّة في إحدى الطرقات ، سلسلة طويلة يجب أن ينمق بها صدر كل حادث مهما كان تافهاً ، وعدالة في توزيع الثناء على رجال الإدارة في كل مناسبة .

(٥) مالا يفصح في حينه .

هل كل ما يعرفه الصحفي ينشر أم « لا » .

هذا سؤال محير كان موضع البحث في خلال هذه الفترة : أجاب عليه فـكـرى أباطه فقال : أدلى إلى أحد الوزراء بمحدث خطر من بعض الشؤون التي كانت تشغل الأذهان في تلك الأيام وأرسلت الحديث المطبوعة وأعد للنشر . ولكن حدث قبل الشروع في طبع الجريدة بنحو ربع ساعة أن إتصل بي ذلك الوزير ، وقال : أرجوك لا تنشر الحديث . وكان الحديث قد أدرج في صحيفة الاخبار والصحيفة ممددة للطبع . وشمرت فعلاً أنه متضايق فانتصت بالجريدة وقلت عندكم حديث لوزير ( كذا ) إحدفوا عبارة أنه حديث مع فلان وقولوا أنه حديث مع بعض المشتغلين بهذه الشؤون .

(٦) أمر السوريين في الصحافة

كان دور الصحافة السورية في الحركة الوطنية هاماً وخطيراً خلال هذه المرحلة فإلى أي حد كانت الصحف السورية الراسخة تخدم الحركة الوطنية وفي هذا كتب سلامة موسى فيقول :

× ما زالت الصحف التجارية السورية التي تنزع نحو السياسة التجارية تفوق على الصحف المصرية وتطردها أحياناً من الميدان ، ولكن ليس هذا لكفاية أصحابها وإنما نظروف سياسية تقضى بهذا القضاء على بلادنا .

× مجلة اللطائف المصورة نشأت حوالي سنة ١٩١٥ وهي المجلة الوحيدة المنشورة في مصر ، وكانت تستند إلى السلطة الإنجليزية والدليل على ذلك أن السلطة الإنجليزية



كانت تأخذ من إدارة تلك المجلة ألواناً من النسخ المملوءة بـصور إنتصارات الإنجليز في الحرب ، وترميها بواسطة الطائرات على خطوط الأعداء الأتراك في سينا وفلسطين .

× الرأي العام خاضع لآراء الكتاب السوريين في مصر سواء أكان ذلك في السياسة أم في الثقافة ، وعندما كانت تعطل في الصحف المصرية التي تدافع عن الحريات كانت تروج الصحف السورية التي رسخت وإنقشع أمامها الميدان .

× قال نيومان في كتابه عن مصر في عهد الاحتلال :

إن الرأي المصري قنبت به منذ نصف قرن جماعة من السوريين الذين يبيعون أعمدة جرائدهم لمن يدفع أغلى ثمن ، ( وقد نشرت الأهرام فصول هذا الكتاب ) وحذفت هذه العبارة . « أما السوريون فإنهم مشهورون بسيطرتهن على الصحافة المصرية التي اتخذوها وسيلة لتسكديس مقادير هائلة من النقود ، فهم دائماً يعملون على استغلال الخلافات بين الأحزاب ، ويبيعون أعمدة جرائدهم لمن يدفع أغلى ثمن وليس هذا النوع الراق من الصحافة ولكنها مع ذلك صحافة رابحة .

## محاكمات الصحف

لم تتوقف محاكمات الصحفيين خلال فترة ما بين الحربين . وهذه قصاصات من هذه  
المحاكمات قالت :

١ - المائدة ( ١٠ / ١٠ / ١٩٢١ ) تحت عنوان :

الصحافة المصرية تتألم : « لقد عرف الخاص والعام الضربتين للمؤلفين اللذين أصابتا  
الصحافة العربية ونعني بها تعطيل جريدة اللواء المصري وإبعاد علي بك كامل ( شقيق  
مصطفى كامل ) ثم سجن صاحب جريدة وادي النيل ( محمد الكلزيه ) والكاتب  
حسن الشريف ، وإننا وإن كنا لا نريد تحميل هاتين الضربتين المؤلفين نشير  
إلى ضعف جرائدنا العربية الأدبية الذي سببه عدم اتحاد أصحابها وعدم اهتمامهم بالدفاع  
عن مهنتهم .

( ٢ ) الصحافة أمام القضاء ٣١ / ١٠ / ١٩٢٤ .

سليمان فوزي ( صاحب الكشكول ) ومحمد الهياوي .

( ٣ ) الصحف في ٧ أغسطس ١٩٢٥ .

أمام القضاء : عبد القادر حمزه ( البلاغ ) عباس العقاد ( البلاغ ) سيد علي ( جريدة  
النظام ) محمود رمزي نظم ( النظام ) .

( ٤ ) قضية جريدة السياسة عام ١٩٢٤ :

قال توفيق دوس أن هذه القضية كانت تتعلق بعقالات عنيفة جدا كتبها طه حسين  
طمنا في سياسة الوفد المصري ، ولما لم يكن موقفا عليها باسمه فقد رفعت النيابة العامة  
الدعوى ضد حافظ عفيفي وهيكل ، وظلت أترافع فيها عشرة أيام كاملة وانتهت بفرامة

هيكل وتبرئة حافظ . ورفضنا رفضا قفصى براءة هيكل ، كانت أهمية القضية من الوجهة السياسية . كان محظورا على الأحرار عقد اجتماعات عامة لبناء سياستهم ، فلما رفعت الدعوى الجنائية كانت المرافعة عبارة عن بسط تلك السياسة بأوسع المعاني وكانت قاعة محكمة الجفنايات هي ( الصيوان ) الذي تجتمع فيه خلاصة المثقفين من المصريين لسماع تلك السياسة .

وكانت جريدة السياسة تنشر تلك المرافعة حتى وصل عدد ما يطبع منها إلى خمسين ألف نسخة في الرقت الذي لم تصل إليه مقطوعة أكبر الجرائد إلى ٣٠ ألف .

( ٥ ) عاكة جريدة الصرخة .

قالت الأهرام في ١٢/٤/١٩٣٣ نظرت أمس المعارضة المرفوعة من الأستاذة : أحمد حسين وسيد فتحي رضوان وحافظ محمود محرري الصرخة ، وقد تخلف الأستاذ أحمد حسين لمرضه في السجن وحضر للدفاع عنهم : الأستاذة محمد علي علوبة وعبد الرحمن الرافعي ، وفكري أباطه ونعيمه الأيوني .

وجه القاضي التهمة إلى المتهمين أنهم حسنوا أمراً من الأمور التي تمد جنفحة بحسب القانون بما نشره يوم ١٣ نوفمبر الماضي ، قرر المتهمان بأنهما لا يريان فيما كتباه جريمة يعاقب عليها القانون ، ثم وقفت الأستاذة نعيمه الأيوني وترافعت وهي مرتدية روب الحمام طالبة قبول المعارضة والإفراج عن المقبوض عليهم . وحكمت المحكمة بالإفراج عن المتهمين بكفالة قدرها عشرة جنيهات .

وكان أحمد حسين ( ٢١ سنة ) محام ومقيم بشارع عمر بن عبد العزيز نمرة ٧ بالمفيرة

قسم السيدة ، وسيد فتحي رضوان ( ٢٢ سنة ) محام ومقيم بشارع مصر القديمة نمرة ٨٢٠ وحافظ محمود ( ٢٦ سنة ) سكة عبد الرحمن بك نمرة ١٧ بالحلمية الجديدة قد نشروا

في جريدة الصرخة مقالا عنوانه (يا شباب سنة ١٩٣٣ كن كشباب سنة ١٩١٩ ورسخوا سورة  
تحت عنوان الشهيد المجهول ، وحض المقال شباب ١٩٣٣ على أن يتمثل بشباب سنة ١٩١٩  
الذى قدم نفسه وقوداً للجهاد والوطن وأشعل ثورة جامعة ضد الإنجليز والأجانب  
لا تعرف هوادة ولا لينا ولا تعقلا .

(٩) سجناء الصحافة :

أحمد فؤاد صاحب الصاعقة : : الهجاء ، وتناول سعد زعلول بالقذف .

المقار : حملات شديدة في جريدة المؤيد الحديد .

توفيق دياب : ( الهجاء ) إنتقد موقف وزارة صدق والبرلمان من خزان جبل الأولياء .

محمد الشاذلي : ( آخر ساعة ) حمل على وزير الحفانية وأتهام البوليس بتعذيب الأهالي .

حسين شفيق المصرى : إنتقد خروج حمد الباسل وزملائه على النحاس .

رياض شمس : مقالات عدت عيبا فى الملك .

محمد الشافعى البنا : ( للمصرى ) ، أهانة الفقرائى .

أحمد حسين ، فتحى رضوان ، أحمد عتد اللطيف الشيمى : جريدة الصرخة .

صليمان فورى : مجلة الكشكول .

عبد المنعم رخا ، عبد الحلیم محمود : مجلة الصريح .

أحمد شفيق : مجلة المطرقة .

عبد السلام شهاب ، محمود رمزى نظيم : مجلة الحوادث .

محمد مصطفى حمام : الخ . . . الخ .

(١٠) الهجوم على الصحف وتعطيلها

سنت بمض الحكومات الحزبية وهى فى الحكم ، مهاجمة الصحف المعارضة لها ، بدأ ذلك عام ١٩٢٤ على جريدة الأخبار التى يصدرها أمين الرافى وتكرر ثلاث مرات ، واقتحم المظاهرون دارها عنوة ، وقد صورته أمين الرافى على هذا النحو :

٢٢ مارس ١٩٢٤ : جاءت بالأمس مظاهرة إلى إدارة الأخبار وكان بابها مقفلاً فهجم عليه المظاهرون وحاولوا كسره واقتحامه ليجددوا الأساة التى وقعت منذ ثلاث سنوات عن قطع أسلاك القليقون . هبوا أن المظاهرين تمكنوا من كسر الباب والاعتداء علينا وقتلنا ، هبوا أنهم غمضوا أيديهم فى دمائنا ، وذهبوا بقليل أو كثير من هذه الدماء إلى حضرة صاحب الدولة سعد باشا بدلاً من ذهابهم إليه بهتافهم وحده . فهل كانت الدماء تنفع الأمة بأن الدستور أصبح قائماً على المبادئ المصرية .

٢٤ مارس ١٩٢٤ : ذهب مدير الأخبار إلى النيابة الأهلية فى الساعة الخامسة بعد ظهر أمس وقد كان يظن أنه سيسأل عن حادث الاعتداء الذى وقع على الأخبار فإذا به يحقق معه كتهم ويسأل عن المقال الذى نشره يوم السبت ٢٦ مارس ١٩٢٤ « هجوم جديد على الأخبار : قذف الطوب والأحجار وأعمال التكسير والتعطيل » : وقع الاعتداء على الأخبار يوم الجمعة الماضى فطلبنا من الحكومة أن تحقق هذا الحادث وتقوم بواجبها ولكن أصواتنا ذهبت إدراج الرياح ، وكان رد الحكومة علينا أنها أحالتنا إلى النيابة لتحقيق معنا باعتبارنا متهمين لا شاكين ، ولم يمض على حادث الاعتداء الأول خمسة أيام حتى تجدد الهجوم على الأخبار بصورة شنيعة ، فقد جاءت مظاهرة يحمل أفرادها الطوب والحجارة وأرادت اقتحام الباب . فأخذوا يقذفون حجارتهم وطوبهم على الأبواب والنوافذ فأصابت حجارتهم كثيراً من النوافذ ودخلت إلى الغرف ، ما يريدون ، يريدون

أن نطلق عقولنا ولا نقول ما نعتقد ؛ أريدون أن نسكت من إنتقاد الأعمال التي  
توجب النقد .

(١١) كلمة مابرة أحدثت أزمة :

كقب حسن الشريف يصور أفسى تجربة صحفية مرت به فقال: كنت في فبراير ١٩٢٠  
رئيسا لتحرير جريدة مصر ، وكانت جريدة مصر إذ ذاك أجراً الصحف وأشدها تطرفاً .  
وكنت قد كتبت مقالا عنيفا عن الخطر الذي يهدق بمصر من تنفيذ مشروعات السودان  
شدت فيه التكبير على وزارة يوسف وهبه (باشا) وعلى : محمد شفيق وزير الأشغال :

وقلت بالحرف : «أما أنت أيها الوزير فاهو إلا يوم واحد تقضيه في منصبك بعد اليوم وتكون  
قد فقدت كل شيء » قصدت فقدان كل شيء من الكرامة أو الاعتبار لا كل شيء من  
المافية ولا من الحياة . وحدث في اليوم الثاني لظهور المقال أن قبلة أقيمت على وزير الأشغال  
قال الوزير: «ما هو إلا يوم واحد» ثم لا ينقضي اليوم الواحد إلا وتلقى على قنينة ، وأتهمني شفيق  
باشا بأنني السبب في إلقاء القبيلة عليه وقال أنه يؤكد أن حياة الوزراء ستكون في خطر  
وكتبت الصحف : القنابل ، حسن الشريف ، القنابل ، نذرننا على صفحات الجرائد ونحدد  
وقت ارتكاب الجريمة .

وقد أوقفت جريدة مصر وفرضت الرقابة على الصحف من جديد .

(١٣) صالون الأهرام :

في خلال فترة ما بين الحربين ظهر صالون الأهرام ، عبارة عن غرفة رئيس التحرير الأستاذ أنطون الجميل . تضيق الغرفة أحيانا عن أن تسمع كل أعضاء المشلة .

يترك كل فرد داخل الصالون حزبيته على الباب ، ويجوارها لقبه ومركزه حيث تختلف مشلة الأهرام عن المشلة الأخرى ، أنطون الجميل . مستقل ، جبرائيل نقلا معارض - عبد الهادي (سعدى) زهير صبرى وفدى اشتراكي ، عبد الستار الباسل وفدى عفاظ ، وعبد الجليل أبو ممره (دستوري) حنني محمود ، توفيق دياب ، وتجد في مشلة الأهرام كل صنف . فهي أحيانا تنعقد بشكل مؤتمر حربي ، يبحث الخطط العسكرية على الخرائط ؛ هنا يعبر الخبير الحربى عبد الرحمن عزام وعبد الستار الباسل الخبير في طرق الصحراء . وقد انقطعت محاضرات الباسل بعد انتهاء حملة شمال أفريقيا . أو على هيئة مؤتمر اقتصادى يبحث المال والأسهم والسندات . فيتولى الحديث أحمد نجيب مندوب الحكومة في بورصة الأوراق ، وسيد جلال بوصفة خبيراً في شؤون التموين ، أو تنعقد على هيئة مجلس أدباء فيتصدرها توفيق دياب ، وتوفيق الحكيم ، أحمد الصاوى وعمدو كامل الشفاوى ، وعندما تنعقد مشلة الأهرام بهيئة سوق عكاظ يتصدرها الشعراء ، خليل مطران وكامل الشناوى ومحمد الأسمر ، وقد كانت الحكومات تهتم كثيراً بما يجري في هذه الغرفة ، حدث أن ذهب حسين سرى منذ أسابيع إلى الأهرام ودخل غرفة أنطون الجميل فقال : هل هذه هي الغرفة التى تحسب الوزارات حسابها . هؤلاء عبد الحميد عبد الحق . عبد الحميد إبراهيم صالح . سليمان نجيب . فسكرى أباطه . الألقى عطية ، لويس فانوس ، حسن الأعور ، محمد عبد الوهاب ، وإدجار جلاد ، وتوفيق صليب ، محمود عزمى ، محبوب ثابت ، على راتب ، مأمون عبد السلام في غرفة الأهرام حيث تسمع كل الآراء وكل الملاحظات وحيث تتصاعد الضحكات العالية من الأسدقاء والخصوم على السواء .

## الأخطاء المطبعية

من أهم القضايا الصحفية التي توفقت في فترة ما بين الحربين «الأغلاط الفنية والمطبعة في الصحافة» وقد عرض لذلك الأستاذ محمد مسمود فقال :

### ١ - أخطاء الكتابة

أخطاء الصحف صنفان أحدهما مصدره المحررون والمترجمون من الكتاب ومردّه غالباً إلى الجهل والسهو ، والثاني مصدره الطابعون أى منضدو الحروف ورؤساؤهم ومردّه أولاً إلى طبيعة الحروف العربية وكثرة عددها وتشابهها ، ثم إلى جهل الطابعين أصول صناعتهم وعجز منضدى الحروف منهم عن إدراك معنى ما ينضدون حروفهم ، لأن سودايم تعلموا رسم الحروف في الطابع لا في المدارس فهم يحملون بسائط العلوم العربية من نحو وصرف .

٢ - الأخطاء في الصحافة المصرية ليست تراثاً ورثته عن صحافة الربع الأول من هذا القرن فيما قطعته من أشواط بخطواتها القائرة ، وإنما مصدره طغيان الجانب المادى منها على الجانب الأدبى وقصر العناية فيها على الوضع دون الموضوع ، كما أنها ليست تقيصة لاصقة بها دون غيرها من صفوف المطبوعات كالسكتب التى يتسع الوقت عادة لإبرازها فى ثوب قشيب . ومع ذلك لا يكاد يظهر كتاب فى عالم المطبوعات حتى تكون لآلى الأخطاء منشورة على صفحاته . كتب الأستاذ الشرقاوى « من علماء الأزهر » بدمى على الدكتور زكى مبارك وقوع أخطاء مطبعية فى كتابة التراثينى فقال : كنا نحسب أنه لا يوجد خطأ فى كتاب يشرف على تصحيحه رجل عالم كالدكتور زكى مبارك ويتولى طبعه دار السكتب المصرية ، فرد الدكتور يقول : أن الغلط المطبعى فى المطبوعات العربية قد عجز عنه الإساءة ولا سيما إذا كان المؤلف



هو الصحيح، فانه يقرأ في صحائف ذاكرته ، وهو يظن أنه يقرأ في صحائف الكتاب « وهذا التعليل يدل على أن سواد أخطاء الموظفين ناشئ من تصحيحهم التجارب المطبوعة لمؤلفاتهم بأنفسهم ، لأنهم وهم بسبيل تصحيحها تسبق خواطرم أنظارهم فتعثر الأخطاء أمامهم مرأ دون أن يفتنوا لها .

٣ - وجاء في كتاب أعجام الأعلام الذي ألفه الاستاذ محمود مصطفى هذه العبارة « فات حرصنا أغلاط قليلة » ولعل ما أوردناه هو كل ما وقع في الكتاب من أغلاط ثم أورد ( خمسة أخطاء مطبعية فقط ) وها أنذا قد بلغت من مطالعة الكتاب إلى صفحة ١٣٨ ( الكتاب ٢٥٠ صفحة ) فأنحصت سوى الأخطاء الخمسة المقدمة ستة عشر خطأ مطبعيا غليظاً .

وهذا الدليل المقنع على أن المؤلف لم ينفعه حرصه في إخراج مؤلفه بريئاً من عيوب الأخطاء وأن مساعدة الطابعين له على ذلك كانت مجرد حسن ظن لم يحققه الواقع ، لأنه إذا كان مجموع الأخطاء في الصفحات ( ١٣٨ ) بلغ ٢١ خطأ ، فالمنظور مع مراعاة قاعدة النسبة والتناسب أن يرتفع في كتاب يبلغ ٢٥٠ صفحة إلى ٣٨ غلطة وكسراً من غلطة واحدة .

٤ - كما فتحت صحيفة من صحفنا المتبارية في مضمار الإجاهد والانقان ، يكون الأخطاء بمختلف أنواعها أول ما يلمس نظري منها ، ولقد استغزنى ذلك منذ فترة من الزمن إلى اللقطات دررها وأصدافها من بطون الصحف فاجتمع لي منها بضعة آلاف قيدت أو أبدتها في كراسات كثيرة رجاء أن تناح الفرصة لي لإبرازها في كتاب يكون عدة الكتّابيين في توقيهم معائر الأخطاء التي تملأ طريقهم كما تتسامح صحف كثيرة في نشر عبارات للكتّابيين بلهجون فيها ضعف التأليف وركاكة العبارة :

× الحنان الاموى : نسبة إلى الأم بينما هو بالنسبة إلى أميه .

× أموميتها الحنونة : يريد بالأُمومية الأمومة .

× حكمت المحكمة على التهم لعام واحد سجننا من الاسعاف بقانون التأجيل ( بريد وقف التنفيذ ) .

× ستلقى محاضرات عن الاسرائيليين في عهد الفاطميين أى منذ قرين ونصف .

× « والسحت سواء كان حلالا أو حراما » السحت في اللغة هو كل مال لا يحل كسبه أو أكله فمن أين يكون منه حلال أو حرام .

× « أولا فأول » — أو أولا بأول ( الصواب أول بأول ) وجلس على يمينه أو يساره ( الصواب جلس إلى ) من أول وهلة ، لأول وهلة ، في أول وهلة ( الصواب أول وهلة ) .

× افتتح دولته معرض السكرتريم : الصواب الأقحوان .

× صورة بروفييل : الصواب : صورة من طرض ( جانب الوجه ) .

× المدالية : الشارة هذا بالاضافة إلى الأعلام الجغرافية ، الاصلاحات العلمية ،  
الأما كن ، الاصلاحات الطبية ، الفسكلية .

٥ - نشرت الجريدة هذا الخبر : دعا جلالة ملك إيطاليا إليهم المسيو تيير وعهد إليه تأليف الوزارة فألقى بين يديه كلمة شكر قال فيها : أن آسف فلا آسف إلا على شيء واحد ، هو معجزى الآن عن كسر رقبتك بيدي كما يكسرون رقبة الديك الرومى ، فلما قرأ الناس هذا الكلام البذى ، أيقنوا أن المسيو تيير قد أصابه مس من الجنون وتوقعوا له ، سوء العاقبة ولكنهم لم يلبثوا أن تحقق لهم فساد حسابهم وخطأ ظنهم ، لأنهم لما مضوا في قراءة الصحيفة قرأوا في النهر القالى من الصحيفة ما يلي : أسفر التحقيق الدقيق الذى أجراه البوليس عن جنابة شارع . . . عن نتيجة باهرة فلما قبض على الجانى الأثيم الذى لم يتألك بعد أن جرد من سلاحه وشدت يده إلى عنقه أن ساح وكيل النيابة خائفا .

« أن الله وأبناء وطنى يشهدون بأنه لم يكن لى ثم من غاية غير الاخلاص فى خدمة مليكى ووطنى » إذ فهموا أن الطابيعين الكرام قد أزعجوا الجملة الأخيرة الواردة على لسان

الوزير المؤرخ من حيزها في العمود الأول حيث حل محلها قول المجرم القاتل الذي عز عليه أن يرى نفسه عاجزاً عن الفتك بوكيل النيابة فأعرب عن أسفه لأنه لم يكن يستطيع كسر عنقه كما يكسر عنق الديك الرومي .

٢ - أخطاء التصحيح

عرض المصحح زكي للمساح لأخطاء التصحيح في الصحافة المصرية فقال : أن المصحح الصحفي بعد أن كان عمله مقصوراً على الخطأ المطبعي أصبح في نظر المجتمع رجلاً معروفاً أنه مختص في علوم اللغة العربية متعمق في آدابها . ومن الأخطاء التي عرضت لي أقدم هذه النماذج .

١ - خطأ التعبير : قول خيرى سعيد ( التواءات نفوس الأطفال ) وقد التوى عن النرض الذي يرى إليه والتوى فيه أيضاً نظرى وقللى وشمورى ، وعلى ما أظن والله أعلم بغيره واحكم أنه يريد أن يهول « أهواج نفوس الأطفال » .

٢ - الخطأ اللغوي والخطأ المعنوي : يقول حبيب جامانى : عهد إلى هذا القائد الباسل بقيادة الجيش ، ويقول آخر: عهد إلى جلوريا سوانسون بتمثيل دور البطولة ، فكان هناك معاهدة بين الأستاذين على الخطأ والصواب ، كما لا تخص « عهد إليه في » ويقول بعض الأساتذة : هذا الشيء يوازى ثمنه ألف جنيه . والصواب : ( يساوى ثمنه ) ويقولون أيضاً ( لا يكلمه قط ) وفأثم أن « قط ظرف » زمان لاستفراق الماضي ، وتختص بالنفى .

(٣) الخطأ المطبعي : من ذلك أن زهيا عاد من الاسكندرية وأخذ المحرر يصف الرحلة إلى أن قال ( وما بلغ دولته بيت الأمة حتى علا التهليل ) ولكن شاء الخطأ المطبعي أن تكون الجملة هكذا : ما بلغ بيت الأمة حتى علا الصهيل ، وكان أحد المثاليين قد صنع تمثالا نصيفيا لسميد باشا وأراد أن يقدمه لدولته أمام الجماهير التي كانت تند على بيت الأمة ، فوصف أحد المحررين هذا النرض فقال: ( ولما عرضه أمام الجمهور ) ، فأبى الخطأ المطبعي إلا أن تكون الجملة ( لما عرضه أمام الجمهور ) ، ودعا أحد أعيان الريف إلى مادية وكان أكرولا وأراد أحد المحررين أن يهتمكم به أثناء وصف المادية فقال : « ثم هيأ القفمة وابتعلها » فجاءت

جملة هكذا « ثم هيأ العمة وابتلعها » . والظريف في الموضوع أن هذا العين كان ممها ، وكان أحد النقاد يصف إحدى روايات رعاة البقر في أمريكا فأراد أن يقول « نخطف الحص المجلة وطار » فظهرت جملة « هكذا نخطف الفجلة وطار » . وأراد محرر أن يصف تحمزا أحد مصارعينا للوثوب بقوله : « ثم تحفز للوثوب » فكان رسفه هكذا « ثم تقمزمز للوثوب » أ . ه .

X من الأخطاء المطبعية : الآن هلموا إلى العمل واصنوا إلى صوت « الضمير » : فجاءت « الحبر » وقولهم : الفرنسيون يضيقون الخناق على « البطل » الرا كشي فجاءت : « البصل » وكان اسم جريدة البلاغ يرد أحيانا البلاغ أو البلاء .

أخطاء مطبعية « عندما يخل توضع للسطور » .

يحدث أحيانا أن يخطئ الموضع لوجه العمل في جمع سطور الأخبار . فيختلط بعضها في بعض . . وينشأ عن هذا الاختلاط خلط عجيب ، يثير الضحك أو يستثير الاستغراب وهذه طائفة من هذه الأخبار المختلطة نشرت بمجلة « مسامرات الجيب » .

ثناء : كتبت جريدة يومية ذات مرة ثنى على « همة » أحد المشايخ الذين قاموا ببعض الأعمال التي تستحق الثناء فكتبت الخبر وعلقت عليه قائلة : « وأنها ثنى على همة فضيلته » ولكن حرف الماء لأمر ما رفض أن يسقر مكانه ، ورأى حرف العين المكان شاغرا فلاه وخرجت الجريدة ثنى على « همة » فضيلته . . وغضب الشيخ واعتذرت للجريدة في اليوم الثاني .

جثة : ومن التعليقات المعروفة في الجرائد اليومية عبارة : « وسنوافي القراء غدا بالتفاصيل » ، وحدث أن نشرت جريدة خبر جريعة قتل غامضة ، وبعد أن روت كل ما لديها من معلومات كتبت العبارة التقليدية . . ولكن الحروف تضادبت . . فخرجت العبارة غيفه مروعة ، فقد قالت الجريدة : « وسنوافي القراء غدا بجثة القتيل » ! . .

خبر زواج : ونشرت إحدى الجرائد خبرا عن حصان جمع في شوارع القاهرة ونشرت بجانبه خبر زواج أحد اليونانيين ، وهما حلالا لسطور أن ترقص فاختلط الخبران ، وظهر خبر

الزواج كآلآتى : « ثم زواج الخواجه كارلو كانا كسى فى الكنيسة اليونانية ثم خرج جامعا واندفع إلى مقهى بلدى فخطمه وأصاب بضمة أشخاص باصابات قاتلة ، وعاد إلى المنزل بين نهانى المحبين والأسدقاء » . . أما الحصان سميد الحظ فسكرتبه خبر هياجه بالطف صيفة عرقها الصحافة : « بينا كان أحد الحوذبة يقوم جواده فى شوارع القاهرة إذ انطلق فاستقل مع عروسه « عربية » طافت بهما شوارع القاهرة . . وقد استطاع البوليس تهديته والقبض عليه .

شعبه الرقيب : وفى عامود وفيات جريدة نشر أطرف نعى متواضع إذ جاء فيه : « توفى إلى رحمة الله وكان مثالا للرجولة الكاملة والأخلاق الفاضلة تنمده الله برحمته الواسعة » ويظهر أن الفقيد أبى اسمه الكريم أن يحمل هذه الصفات ظلما وعدوانا فاختفى من السطور وأوحى إلى جامع الحروف بأن ينسأه ، وعندما سئل سكرتير التحرير عن هذا الغلط اعتذر بأن الرقيب شطب اسم الفقيد .

رؤية رمضان : إعتادت الجرائد اليومية أن تنشر خبر رؤية رمضان بصيغة تقليدية وأرادت الحروف والسطور أن تترخ قليلا . فخرج خبر الرؤية فى جريدة يومية كبيرة ، وقد خلطا عجيبا . . قالت الجريدة : تحت عنوان رؤية رمضان : « احتفل فى المحكمة الشرعية أمس برؤية الشيخ » . . . « ذلك فى الساعة السابعة والدقيقة الحادية عشرة . بحضور الشيخ رمضان المبارك وعماظ القاهرة وبعض هيئة كبار العلماء » .

عودة : ومن الأخبار التى رقصت فيها السطور رقصا صريحا خبر ترى حرب عاد من أوروبا ودفع مبلغا طيبا للجريدة ، لتنشر له خبر عودته فى الاجتماعيات ، ولكن عمود الحوادث كان له بالمرصاد ، . وثارت الحروف وغضبت السطور من النعوت الكاذبة ، التى ألصقها المرء بترى الحرب وتحركت من أماكنها واختلط الخبر بمحادثة عامل سقط من عمارة يميل فيها فسكرتبه فى الاجتماعيات هكذا :

« عاد إلى القاهرة الوجيه (٠٠٠) بمدرحله طويلة في أوروبا ، حاملاً الأسمت ومواد البناء ، إذ سقط من أعلى المارة . وتوافد على مكتبه الكثيرون مهئين حضرة بعودته من أوروبا » . وكتبت الحادثة كالآتي :

« بينما كان العامل أحمد البرموني يصعد المارة التي يعمل فيها وكان في استقباله لفيف كبير من المعطاء والوجهاء ، وقد أصيب برضوض وحملته الاسمان بين الموت والحياة » .  
ومن هذه النماذج :

كتب داود بركات - قدك يجب ترقية القضاء . فنشرتها الأهرام - قدك يجب ترقية القضاء . وكتب أحدم فيثني على ( هم ) العلامة المفضل فجاءت ( عمه ) وكتب أحدم اسم ديوان شكري فجاءت شكري . ونشرت مصلحة السجون : مصلحة الصحن .

وعبارة « أقطاب » الوزارة : نشرت « أو شاب » الوزارة .

وصاحب المزه : نشرت صاحب المزه .

ولجنة البطالة : نشرت لجنة البطالة .

واختلط عمود بآخر فظهر في عمود واحد وفي موضع بارز هذا الكلام ( يجب أن نبعث عن هذا العامل والأمراض الاجتماعية ونصف لها العلاج ، ونساعد . . . الرافعات اللآتي يحضرن إلى هذه البلاد ثم يفسدن الوسط الاجتماعي .

ونشر أحدم نعيًا وخفي المصحح أن يتجاوز السطور المقررة له ، فكتب أمام السطر الأخير في الهامش عبارة « إن كان له مكان » ، فجاء النعي هكذا : توفي إلى حمة الله ( فلان ) أسكنه الله فسيح جناته إن كان له مكان .

# تطور الصحافة الأسبوعية

(١) صحافة النقد السياسي الساخر.

(٢) صحافة الأدب والثقافة .





## صحافة النقد السياسي الساخر

صمدت الصحافة الهزلية للظلم والظالمين ، ولم تذر عطفا ولا كبرا إلا سخرت منه وتألفت صحافة النقد السياسي الساخر بعد ثورة ١٩١٩ وكان أول من منى بها حافظ موسى ( خيال الظل ) وسليمان لوزي ( للكشكول ) وكان ( خيال الظل ) مواليا لحزب الوفد و ( الكشكول ) مبارضا له ونجح الكشكول نجاحاً باهراً واكتسح . هنالك تحولت مجلة ( زوز اليوسف ) التي كان يحررها محمد المتابعي : صحيفة للفن التمثيل أساساً ، تحولت إلى مجال النقد السياسي الساخر وبلغت غاية البراعة والذوق ، ثم استقل المتابعي بمجلة خاصة هي « آخر ساعة » وظلت الكشكول وروز اليوسف وآخر ساعة أبرز صحف الكاريكاتير في هذه الفترة . وإن كانت قد ظهرت عشرات الصحف التي حاكت هذا اللون وأهمها الرفائب .

من أبرز فنون الصحافة الأسبوعية : صحافة النقد السياسي الساخر ، وكانوا يسمونها ( الصحافة الهزلية ) أو ( صحافة الكاريكاتير ) وكانت أبعد أثراً وأكثر رواجاً من الصحافة الأدبية ، ظهرت هذه الصحافة قبيل الثورة العربية : قوامها الصورة والكلمة الفكاهية القائمة على نقد الأوضاع الإجتماعية . وكان من أبرز العاملين في ميدانها : يعقوب صنوع ، عبد الله نديم ، وظهرت صحف : حمارة منيتي ومصباح الشرق ، وخيال الظل والمسامير والشجاعة ( ١٩٠٧ - ١٩١٠ ) وكان الأسلوب للصحنى الهزلي ضمن وسائل الكفاح خلال ثورة ١٩١٩ ضد الحماية وفي سبيل المطالبة بالاستقلال والدستور والثورة ١٩١٩ أثر في ظهور عدد من الصحف الهزلية ونفر من الكتاب السياسيين الظرفاء .

وفي العدد الأول من حمارة منيتي ( الدربني ) جاءت الافتتاحية هكذا :

« الحمد لله الذي زين الدنيا بمصاييح والقلوب بالسرور والتفاريح ، وجعل الضحك عنواناً للنشراح ، وتمثالا للسرة والنجاح » .

وفي فترة ما قبل الحرب ظهر الماسير ( السيد طارف ) أحمد عباس ( جريدة السيف )  
حسين شفيق المصرى ( جريدة الناس ) يقول : أخذت على نفسى أن أكتب لقوى ،  
وأنا من قوى ، ولقوى ، بقلم فرس فى الجحيم أو النعيم ، فإن أصبت المحز فى ذلك الموقف  
فأهو الإلهام من الوطن .

وكان طابع هذه الصحافة ما يطلعون عليه « القفص » ومثال ذلك : قال أحدهم  
لفلان باشا ، نظن أنك الوطنى الوحيد قال : أنا وطنى حسب الظروف ، ومن ذلك : بلفنا  
أن المرحوم عثمانى عندما جاء عزرائيل يقطف روحه قال له : خلى عنك !

كما أصدر محمود بيرم التونسى مجلة الشباب وتناول حياة الطبقات الفقيرة وقد أبرزت  
الصحافة الساخرة بعد الحرب كتابا ظرفاء لمت أسمائهم فى مقدمتهم : محمد إبراهيم هلال ،  
عبد العزيز البشرى ، توفيق حبيب ، حسن شفيق المصرى .

\* \* \*

وقد عرض سلامه موسى لهذا اللون من الصحافة فى بحث ضاف<sup>(١)</sup> :  
مؤسس الصحافة الأسبوعية السياسية فى مصر هو الأستاذ محمد التامى . ولكنه  
عندما شرع فيها لم يكن يقصد إليها بالقدات فإنه بدأ تحرير ( مجلة روز اليوسف ) بالكتابة  
عن الأدب والفنون والمسرح ، فلم يجد إقبالا يذكر فجعل يتحول رويدا رويدا حتى زال الأدب  
والفنون وحتى المسرح . ثم تفرع من المسرح فروع كثيرة هى القيل والقال عن الأشخاص  
البارزين حتى دخل فى هؤلاء رجال السياسة ، ولذلك أقبل القراء على مجلة روز اليوسف  
فراجت وكثر المقلدون لها ، ولكن بلا نجاح .

ثم استغل الأستاذ العابى بمجلة آخر ساعة فسار بها على الخطة التى رسمها وهى القيل والقال  
عن الأشخاص البارزين ، مع الإكثار من الصور الكاريكاتورية . ولكن هذه الصور  
هى من مخترعات الأستاذ سليمان فوزى فى السكشكول .

إن كل ما تعتمد عليه المجلات الأسبوعية هو القيل والقال ، بصرف النظر عن صدق ما يقال وكذبه ، لأن كل ما يطلب هو البراعة في إيراد الخبر . العناية بالأخبار المستغربة النادرة من الجنسين . وقد تكون هذه الأخبار مؤلة لمن تروى عنهم ولكن ليس هذا من شأن المجلة . وليس شك في قدرة الأستاذ التابى و فراسته الصحفية ، ولكن الإنسان عندما ينظر إلى وفرة المجلات الأسبوعية التي نشأت على غرار روز اليوسف وإلى الإسفاف في تناول الأشخاص يتساءل : هل كان أثره مفيداً أم مضراً في الصحافة ، والذي لا شك في أنه لو كانت الأمة أرق قليلاً من ناحية الثقافة لما استطاعت أن تقرأ المجلات الأسبوعية الحاضرة ، بل هذا هو الذي اعترف به الأستاذ التابى في آخر السنة الأولى من مجلة روز اليوسف . وفي عام ١٩٣٠ نقد إبراهيم جلال ( وهو نجل المرحوم محمد عثمان جلال )  
- أكبر دعاة العامية والمدرسة الساخرة - نقد الصحافة الساخرة . قال :

إن الصحف التي لها اتصال بالمسارح تنشر صوراً وأخباراً يندى لها وجه الفضيلة ، وتأبأها أذواق العامة فضلاً عن الطبقة المتعلمة ، فالمفروض في الصحافة أنها مدرسة تهذب أخلاق الشعب ، وترفع مستوى آدابه ، والمفروض في المحرر أنه معلم يرشد القراء إلى ما فيه نفعهم من علم وأدب ، لذلك يجب أن يكون كل عمل يأتيه المحرر يرمى إلى تهذيب المجموع حتى في الكتابة الهزلية كالسكت والملح . وعندى أن الخلاف بين الصحف الحزبية يجب أن تكون خالياً من الهجوم والإفنداع فيه ، وأن يكون كل من الطرفين يرمى إلى الإفنداع وإظهار الحق دون التمرض للأشخاص ، فالغماز التي أقل ما فيها أنها تزيد شقة الخلاف بين المتخاصمين وتولد في النفوس أحقاداً وحزازات ليست من مصلحة المجموع في شيء .

وكان أبرز صراع في مجال الصحافة السياسية الساخرة بين مجلتي الكشكول وروز اليوسف . ونقل هنا نموذجين من كتابات الصحيفتين :

مقال روز اليوسف

إننا باسم كرامة الصحافة التي أذلها صاحب الكشكول وأسف بها إلى حيث يجعلها فوطه المطبخ القذرة يسمح فيها ما شاء وباسم ضحايا صاحب الكشكول الذين عاشوا وعاشت أعراضهم عشرة أعوام مادة لريشة الكشكول وقلمه ، يتبادل فيها بالطنين والتشهير ما كان يجب أن يكون منبهة أبطال ومفخرة بلاد وباسم ماضيه اللين التقيح ، الذي اكتفى فيه بأن يكون خطه من مكارم الدنيا جلصة عليها مكتب إدارة مجلة ( نوفمبر ١٩٢٩ ) .

مقال ( الكشكول ) : روزا وتابها العريف .

كان ولیم يقاب صفحات الدليل المصرى في قسم الصحافة ومضى يتمتر في قراءة أسماء الصحف والمجلات ، حتى وقف من بينها على اسم مجلة (روزه اليوسف) فأخذته نوبة من الإعجاب : اسم كويس خالص ، يجب أن يكون لسان حال الوفد ، حتى نضيف إلى خشونة رجاله الصناديد ، لطاقة الجنس الناعم ، لتسكن صاحبة المجلة امرأة ولتسكن مجلتها تافهة ، ولتسكن هي امرأة وزعت من عمرها ستين عاما هبه للتمثيل ، حيث هرعت آلهة الفن وراء الستر السميك وتركزت لأبطال الغرام والحب محالا لأعداد العرض والأنجاز، من عساه لا يرضى بتحرير مجلة تحمل هذا الاسم ويكون له جرأة على أن يسب ويشتم . ويسطو بالافتداع على الأعراض والكرامات دون أن يستطيع واحد النبيل من عرضه وكرامته ، لم يطل في اختياره واحداً من الشباب المتراحم ، ثم أدناه منه « خذ عندك . امرأة وزير سابق اسمه ولا بلاش اسمه ، تهرب مع خادمها ، موظف كبير يقبل هدية من مرءسته بألف جنيهه ، أخت وزير تضبط في هوامه مع آخرين .

ما تنسايش . علامات التعجب ، أكثر من علامات الاستفهام ، أدى خمسين جنيهه على الحساب .

× هبت النياية من مرقدها ، تأخذ بخبىق ولد ممرور ، لا تزال آثار الطين والوحل عالقة بركبتيه من جبوه على الأرض (٢٢ / ١١ / ١٩٢٦) .

اللطائف = (تأديب صاحب الكشكول) :

ومما يتصل بهذه المركة ما نشرته مجلة اللطائف تحت هذا العنوان ( ٢٨ أغسطس ١٩٢٢ ) قالت : لم نستغرب مطلقاً حادث (العلقة) التى ذاقها صاحب الكشكول فى عمل الخلوأى صولت فى القاهرة منذ أصابع وكانت حديث الآداب والسيدات فى اجتماعاتهم ومساراتهم فى المحافل والبيوت ولتى الكاريكاتور الذى نشرناه فى العدد الخاص عن الكشكول وعلقية إرتياحا من جميع القراء بدليل كثرة ماسمناه من الثناء .

فقد دأب الكشكول على نشر الصور والنبد بقصد الطعن فى أقدار الناس ولا سيما العظماء والمشاهير والخط من كرامتهم لغاية معروفة لا تخفى على أحد، فكان يعمل أسبوعاً بعد أسبوع على اضحاك الناس من مشاهير الأمة بمجملهم موضوعاً للهمز والسخرية وهذا للتشنيع والتقبيح، فأخذ الناس يشمرون أن الصحافة المصرية مبتلية بآفة تعمل على هدم كرامة وشهرة رجالنا المبروفين وأفرادنا الذين يشار إليهم بالبنان ، ومما زاد الطين بلة خروج الكشكول بطعنة وقدمه على السيدات وهزمه على السيدات المصريات كتابه وتصويراً حتى طفع الكأس وصار من المنتظر أن يحل بصاحبيه ما حل به، والمرء لا يعلم إلا على حسابه ، والغريب أن صاحب الكشكول جمع بين منه الكتابة والقول وجراً الاعتداء على الناس ، بالضرب فقد اتصل نبأ من تفاصيل حادث العلاقة أنه كان البادى بالإعتداء على محمد بكري المهدس فى مصلحة الساحة على أثر مناقشة حاده دارت على سفالة مقصد من الخط من قدر سيدات الوفد بنشره صورهن بأسلوب تنفر منه العقول السليمة فإ كان من فوزى إلا أن صفع بكري على حين غرة على صدغه الأيمن ثم على صدغه الأيسر ، فأمسك بكري بتلابيب صاحب الكشكول وقبض عليه بيد من حديد ، ودفعه أمامه إلى أن ألصقه بمحائط المكان وهناك أخذ يكيل له اللكمات بنير عداو حساب وكانت ضرباته مؤلة أقعدت صاحبنا شجاعته الأولى فأخذ يصيح ويستغيث . ولكن بكري لم يترك فوزى إلا بعد أن أشبعه وزوده بما ظنه كافياً فى المستقبل .

وهكذا ظلت معركة الصراع بين صحافة الوفد وصحافة خصومه قائمة ومستمرة ؛  
ووصلت إلى مجال القضايا ، والانتهاك بين كتاب المجلتين : الكشكول وروز اليوسف  
وهو إتهام في مجال ( الشرف ) كما تقول الصحف ( ١٩٢٩ / ١١ / ٢٢ ) .

ولا ينفج هذا من أن يصف أحد تلاميذ الأستاذ التابى بعد ذلك بأكثر من عشرين  
عاما فيقول : مدرسة التابى الصحفية لها أثرها في تاريخ الصحافة ، لقد حرر أسلوب الصحافة  
الساخرة من الأسجاع والمترادفات ، فهو الذي أدخل اللغة الكاريكاتورية في الصحافة ،  
بضمة خطوط سريعة تمر كأنها لوحة فنية رائعة ، كلمة واحدة تلتصق بشخصية السياسي  
وتحوّله من رجل وقور إلى مسخرة ، لقد كانت لنة الصحافة قبل ذلك أشبه بفساتين  
السيدات في الماضي مليئة بالقبول فجمل لنة الصحافة بسيطة .

( الصاوى في مجلة روز اليوسف )

وهذا نموذج من كتابات مجلة روز اليوسف عن « الرصفاء » كما كانوا يسمونهم في هذه  
الفترة : دأب الصاوى في التظاهر بمناصرة النهضة النسوية ومشايعتها وذلك بدفع بعض  
دينه للسيدة هدى شعراوى التى ساعدته على الظهور ، وعاونته في الحياة التعليمية وجعلت  
منه شيئا ، وهذا لون من البر نشهد للصاوى فيه بالوفاء ، ولكن الأهم في الأمر أن الصاوى  
قد ظن - طوال هذه السنين أن مناصرة المرأة ونهضتها لا تخرج عن معنى الكتابة  
في النرام والتلاعب بالألفاظ الحب والصباة ونجوى القلوب وخفق الأثدة وما إلى هذا  
الكلام المجيب ، وهذا ما يدعونا إلى أن نلاحظ أن الصاوى ككاتب لا يمكن  
أن يؤثر أو يبقى لكتابتة أثر ، ذلك لأنه يتملق نزوات الجماهير في كتابته ،  
ثم هو رجل يجيد الإعلان عن نفسه كثيرا ، وبشتى الطرق . وعلى العموم نحن  
نحىء الأستاذ الصاوى بزواجه وتساءل هل سيظل يملأ مجلته الفرامية  
بالحب الرخيص والعشق التافه . . أو بما يكون فيه فائدة للقراء وتدم لمن يطالونها

في وزارة المعارف التي جومل فيها إلى حد أن اشتركت في أكثر من خمسمائة نسخة من مجلد هذه، لقد شكالى أحد الأدباء من أن وزارة المعارف تقرر مثل هذه المجلة في مدارس البنات بينما هي عبارة عن مجموعة أقوال وكلمات في الحب والفراغ مما يفتح عيون الفتيات وبلقى في روعهن أن التبذل معناه رقة العواطف .

#### الصاوى في مجلة الجامعة

وكتب صاحب الجامعة :

نشأ الصاوى يقيا من الوالد وكفلته السيدة والدته حتى نال البكالوريا فاستخدم في الحكومة في مصلحة . . الناجم ! وهناك تفتحت كنوز أدبه وبدأ يظهر رسائل صغيرة للأهرام اتخذها إسما ثانيا هو « مائل ودل » ثم أخذ يخلق فرص الحياة حتى اتصل بسيدة عظيمة من زعمات النهضة النسوية بمصر فأوفدته إلى باريس ليتم دراسة فاسافر ورجع . واصلت أدرى ماذا حمل من باريس، بلد الشهادات ، ثم اختير محررا في الأهرام وأوفده الأهرام إلى باريس ورجع ولا أدرى ماذا حمل هذه المرة أيضا من باريس من الشهادات . وإن كنت أدرى يقيا أنه اكتسب من باريس أسلوبا ظريفا شائقا وعقلية لا بأس بها .

وتمكن وهو موظف بسيط يحمل من اللغة الفرنسية بضعة ألفاظ بمونة زميل له موظف في المصلحة من خربجي الفرير أن يترجم روايتى تايبس والزنيقة الحمراء . وتمكن من أن يحصل بالأهرام الذي أنصح له صدره وأن يسافر على نفقة جهة غير حكومية لاتمام الدراسة ، وبعد فان كثيرين من قراء الصاوى ليمتقدون فيه الغرور، ويظنون أيضا أن الرسائل التي ينشرها على اعتبار أنها مرسلة إليها جلها مفتعل ومفتعل . والصاوى أن كان فشل في أن يكون قاسم أمين في الكتابة عن المرأة المصرية كما فشل طه حسين في كشفه عن كنوز الأدب الفرنسى كما فشل في أن يكون قائداً من قواد القصة المصرية فهو على أى حال كتاب من أقوى كتاب الشباب .

### الأدب للكشوف

ولم تتوقف هذه المجلات عند هذا الحد من الهزائم في مجال الأسلوب والمضمون بل ذهبت مجلة الراديو التي كان يصدرها محمود عزت الفتى إلى محاولة هدم القيم الأخلاقية والاجتماعية ، حتى جاءت مرافعة النيابة في حماكته على هذا النحو : قال حسن صالح الجداوى :

الصحافة مهنة نبيلة لها جلالها ، ولها خطرهما ، والصحافي رجل نبيل خطير ، يكدر نهاره أو ليله أو إن شئتم الحق نهاره وليله في تلقط الأخبار وتفسق البيانات وجمع المعلومات ليصبح القاس ويمسحهم بأخبار كل ما هو جار في جميع أنحاء المعمورة . فالصحيفة إذن مدرسة يستكمل فيها المتعلمون علومهم ، ويتلقى عنها أنصاف المتعلمين كل معارفهم ، على أن الصحافة والصحافي لا شأن لهما بقضية ( الراديو ) إلا بقدر ما يهتم طبيب بقضية أحد الدجالين الذين يدعون الطب ، والطب منهم براء ، فإذ مجلة الراديو ولا صاحبها ومعارفه إلا أذعياء صحافة يظهر في ثوبها ويلتصقون بها . انظروا إلى القارورات التي لطخ التهمان بها صفحات المجلة باسم ( الأدب المكشوف ) و ( الأدب الوضيع ) اتضحوا أن التهمين لم يقصدا أدبا ولا رميا إلى تأدب ، وإنما قصدا إلى انجبار شنيع بضاعته أخط الشهوات وأخسها .

والأدب هو فكرة تسمو بصاحبها عن ماديات الحياة وأردانها ، فيرتفع بنفسه ويمكن أن يخلق بهم إلى أسماء التفكير وينير أمامهم طرقه ويفدى روحهم ، ولست أنكر أن في بعض كتب الأدب القديمة حكايات وملح تشير من قريب أو بعيد إلى بعض ما يتصل بالملاقات الجنسية ، كما لا أنكر أن بعض كتاب الغرب في العهد الحديث قد أخذوا يتجهون نحو دراسة العلاقات والميول ، ولكنني أتحدى للهم أن يأتي بصحيفة أو كتاب تدنى إلى مثل ما تدنى هو إليه ، وأوقف صفحاته على مثل ما كتب ويمثل أسلوبه وألفاظه : أما المشرع المصري فلم يشأ أن يجارى المشرع الفرنسي في إلغاء عقوبة كل اعتداء على حرمة الآداب فأبقاها ورفع عقوبة الفحشاء ووضع لها حداً أدنى هو عشرون جنينها مما يدل



على رغبته في العقاب لا على انتهاك حسن الأخلاق فقط بل على حرمة الآداب أيضاً ،  
فأما الآداب فهي المبادئ المعتمدة من المجموع ، هي تلك المبادئ الأساسية التي لا تقوم  
الحياة الاجتماعية والأخلاقية إلا بها ، والتي تواضعت العادات وتواضع الناس على الأخذ  
بها ، فمن صول له نفسه أن يبرر الإباحية أو تزوج المرأة بأكثر من رجل ، أو حرية  
المرأة في جسمها ، يذتهك حرمة الآداب ، ويجب أن يأخذ القانون بمقابله وقد فعل  
التمهم ذلك ، أما حسن الأخلاق فأظن أن من امتهان العقول أن يقال أنها في حاجة لتعريف ،  
خصوصاً بعد ما تعرض التهم لموضوعات لا جدال في أنها مما لا يصح نشره على الناس ،  
لأن التهم نشر بحثاً علمياً تعرض فيه لثقل ما تعرض له للوصول إلى فائدة علمية ، لجاز  
أن يناقش فيما قصد ، وفي الفائدة مما قصد ، ولو أنه نشر فناً أو أذاع ربما لجاز أن يقول  
قائل : إن هذا هو الفن ، وإن لفن حقاً . أما والتهم بعرض عليها أنواعاً من الشهوات  
والفجور ، لغير ما قصد إلا إهانة الشهوات الدنيئة ، ورغبة في الكسب ، فليس  
من المعقول أن ينسب مثل هذا لفن أو الفن . إن لنا عادات وأخلاقاً تغير أمامنا سبل  
التقدير ونعرف بها ما هو حسن وما هو سيء ، فلا تضموا القائل يقول ، في فرنسا  
أو في أمريكا يفعلون

معركة سياسية (١)

وقد أثارت الصحافة الهازلة معركة سياسية بين جريدتي السياسة وكوكب  
الشرق ( مايو سنة ١٩٣٣ ) يقول الدكتور هيكل :

× اتخذ هذه الصحف أسلحة للنبال السياسي وإفساد أذواق الجماهير ، امتدت  
هذه الصحف إلى حياة الناس الخاصة ، وروجت لكثير من الفساد ، أن تشجيع هذا  
النوع من الصحافة جناية على الأخلاق ، أكبر ما جنى على قضية هذه البلاد خلال  
عشر السنوات الأخيرة الاستهانة بالأخلاق ، واتخاذ الأسلحة للظفر بالخصوم السياسيين .

(١) راجع تفاصيل المعركة في كتابنا « الصحافة السياسية في مصر » .

× أى جناية على الأخلاق أكبر من أن تقوم سائر الصحف تتناول حياة الناس الخاصة فى منازلهم ، وبين أهلهم ، ثم تردف ذلك بأخبار كلها الخلاعة والمجون .

× انتشرت هذه الصحافة التى تنال من كرامات الناس وأعراضهم انتشاراً مزعجاً ، فبعد أن كانت مقصورة على مجلتيْن أو ثلاث أصبح يظهر منها فى كل يوم مجلة ، وأصبحت تلقى من إقبال الجمهور السافج الذى ألف هذا النوع من الكتابة ما أصبح خطراً داهماً على الأخلاق وعلى العقول .

× هذه الصحف ليست أقل خطراً ولا أقل فتكاً بأخلاق الأمة من المحدثات .

من تجربة أكبر كتاب الصحافة الكاريكاتيرية : حسين هفنى المصرى

تذكرت أيام الصبا والشباب ، فى ذلك الزمن الذى كان يمرمر النسيم ، كانت مصر فى ذلك العهد تبدأ سيرها فى طريق المطالبة بالاستقلال ، كنا نلهو ونلعب ولكن كان لنا أدب وكانت لنا أخلاق ، ولم نكن ننسى أن بلادنا رازحة تحت أعباء تقال . فلم يكن مرحنا ولهونا يصرفنا عن التعاون على إلقاء تلك الأعباء عن عاتق الأمة .

ولست أنسى أن عدد المتعلمين منا كان أقل من عدد الجنميات وأسألوا عن المهرجان الذى كان يقام تعظيماً للتلميذ الذى ينال الشهادة الابتدائية ، فإذا علمتم هذا عرفتم قلة عدد الذين كانوا يقرأون ولا تذكروا الذين كانوا يكتبون ، فإنهم كانوا كالجن نسمع بهم ولا نراهم ، فى تلك القلة من القراء كانت تعيش الصحافة وليس المجيب أنها كانت تعيش ، ولكن المجيب أنها كانت قوة فاهرة تهاجم الأعداء ويتق حربها الأصدقاء .

نشر قلم المطبوعات عدد قراء الصحف اليومية والأسبوعية فى ديسمبر ١٨٩٢ ( ٢٧٧٥ )  
الاهرام - ١٤٥٥ - المقطم - ١٢٠٠ المؤيد - ١١٣٤٥ - استاد - ١٣٠٠ - المتكلف - ٧٤٠  
الحلال - ٦٠٠ - الزراعة - ٥٤٥ - الفلاح - ٤٤٣ - الحروسة ) وأوسع الصحف انتشاراً  
لم يبلغ عدد قراءها ثلاثة آلاف ، وأكبرها حجماً وأطولها وأعرضها ، أربع صفحات .

فإذا علمت أن الأهرام والمقطم كان كثير من نسخها يرسل إلى لبنان والشام والعراق والأناضول وبلاد المغرب الأقصى ، رأينا أن « الأستاذ » كان أوسع الصحف انتشاراً في مصر وصاحبه عبد الله نديم ، الكاتب الشاعر الرجال الجاد الهازل المنقطع النظير ، خطيب الثورة المرابية القدي كان الإنجليز يحسبون له ألف حساب ، وكان المصريون يرفعونه إلى صف المظهر ( ومن هنا يكون عمر الصحافة الأسبوعية من عمر الأستاذ ) ١٨٩٢ ، وأنها نشأت بين يدي هذا الأديب الكبير ، وهو أول من أجاد الجمع بين الجد والهزل ، في الصحافة ، ولقد القادون ، ومنهم من قعد به العجز عن إدراك شأوه ومنهم من لحقه ولكن بعد زمن ، ثم سبقه السابقون من التأخرين - أما الأدب المحض ، الخالص من الدامية القدي يكاد يكون سالماً من اللحن ، فبدأ عهده بجريدة مصباح الشرق الأسبوعية التي نشأها « إبراهيم المويلحي » كان مصباح الشرق بأسلوبه وحسن ديباجته في نظر القوم تحفة يقتنونها ، أما الصحافة الهزلية بعد « الأستاذ » فسارت في الطريق القدي رسمه لها عبد الله نديم وارتقت من حيث الصناعة ولكنها انغمست في أقدار الهجاء الشنيع وبذاء الألفاظ ، ولم يسلم من ذلك القبح إلا « الأرغول » فقد نزهه صاحبه الشيخ محمد النجار عما يشيبه من تلك السفاهة ، اللهم إلا ألفاظاً أصابته بالمدوى .

أخذت الصحافة الأسبوعية بالإرتقاء بمهارة مبيتى والخلاعة ، ثم الشجاعة ، ثم السيف والمسامير ، ولكنها إرتقت في كتابتها وتدهورت في أخلاقها إلى أسفل مكان ، ولكل صحيفة من هؤلاء الصحف تاريخ يجعل منه إبليس لأنها كانت تمشي بالطن على الكبراء والخوض في الأعراض ولم يكن في أصحابها كاتب إلا محمد توفيق صاحب ( حارة مبيتى ) فقد كان أديبا يكتب وينظم الشعر والزجل بأسلوب بضحك الفكلي والآخر نأميون ، كان يكتب لهم كتاب مستترون وراءهم فلا يعرفون الجمهور ، اذكر منهم الأدباء أمام المبد ، خليل نظير ، وواحد صاحبنا ندم بعد كده وربنا تاب عليه

( يقصد نفسه ) . ظهرت حمارة منيتى ١٨٩٨ فجأة ، فكانت ترفس هذا وتمض هذا وتنهق في وجه هذا ، ولم يسلم الأستاذ محمد عبده من شرها وراجت رواجالم تبلغ إليه صحيفة غيرها ، حتى لقد وصل ما يباع منها في الأسواق إلى أكثر من أربعين ألف نسخة مع قلة عدد التملين ، وكان إغناش الحماره في السب والقذف بالبذاءة المفكرة ، نسكبة على الأدب القوى ، فقد قلدها كتاب الصحف الأسبوعية في قبج للذهب ، وخالفها بعضهم في طريقة الكتابة فجاءوا بأساليب جديدة منها الذسكت التي كانت تنشر في مجلتى للشجاعة والسيف من بعدها وهما لأحمد عباس وقد كان لا يحسن القراءة والكتابة ولكنه كان شملة ذكاء له بديهية ظاهرة وروح من أخف الأرواح وله نوادر ظريفة .

وكانت الصحف في تلك الأيام تحاول أن تكون كالشجاعة والسيف فتسخر سخرًا تشمئز منه النفوس فلا يقام لها وزن فتختفي بعد صدورها بأسابيع ، ولم تكن الصحف الأسبوعية كلها للهزل في تلك الأيام فقد ظهرت على الشجاعة والسيف صحف آخر منذ ثلاثين سنة ( ١٩٠٦ ) وأصحابها في حكم الأميين ، وكان يكتبها لهم رجل عجيب يدعى الشيخ الشربلى ، رأيته رأى العين يجلس في بعض مشارب القهوة بالعتبة الخضراء ويكتب الجريدة كلها في ساعتين ، وهى أربع صفحات من القطلع الكبير ، وقد حاولت أن أعرف سبب وجود تلك الصحف فلم أستطع لأننى لم أقدر على فهم ما كان الشربلى يكتبه ولا أظفه كان يفهم ما يكتب .

(٢) انتدأت بالأستاذ فصباح الشرق ، فخارة منيتى فالشجاعة فالسيف وجاء بعد ذلك التطهر من أرجاس المطاعن الشخصية والاقذاع فتوليت كتابة جريدة السياف عام ١٩١٤ فجملتها صحيفة سياسية وأدب وحول دفة الهجوم عن الأشخاص إلى ناحية الحكومة والمحتلين وأنصارهم من الجماعات والرجال السياسيين ، فراج السياف حتى طبع منه أربعون ألف نسخة في الأسبوع ، ومعاذ الله أن أدعى أنني أول من طهر الصحافة الأسبوعية

من الأردن ، فقد سبقني عبد الله نديم وإبراهيم المويلحي ، والشيخ محمد النجار أصحاب الأستاذ ومصباح الشرق والأرغول وأستاذي محمد مسعود وحافظ عوض ، فقد أنشأ مجلة خيال الظل ١٩٠٦ وهي وجريدة السياسة المصورة لم يعيشا طويلا لأسباب غير الكساد فقد كانتا رائجتين كل الرواج ، لأنهما أقدم الصحف التي ابتدعت التصوير ، ومنها أخذ الكشكول ومجلات دار الهلال وروز اليوسف وآخر ساعة .

( ٢ ) عدت بنفسى إلى عهد الشباب حين كنا ندخل قهوة الرقص والفناء فنرى أعاجيب : الأفراد وحياة النفوس وألف ليلة ونسمع بهمة المحلاوية وليلة وقر وتوحيدة والواندية وملسكه سرور وأضرابهن من الغيد الحمان ولا سيما الفزانة الباهرة شفيقة القبطية التي طالما جن بها العقلاء ، وتذكرت الوارثين من أبناء العطاء والعمد والأعيان والأغنياء والواحد منهم يدخل الملهى ووراءه العدد العديد من المحاسيب والأنباع الذين إذا غضب غضبوا وهم لا يملكون سبب غضبة ، وضربوا من يعرفون ومن لا يعرفون بالهراوات والكراسى وبونيات الحديد ، وخططوا الحابل بالنابل وتركوا السكان قائما حصيفا .

وكان الوارث أو العمدة أو الوجبة يدخل المرقص كما يدخل غيره من أنداده فيقبارون في البذل والسخاء ، فبطريون وبيوتهم تخرب بالإسراف وهم لا يشعرون .

ولا يزالون في هذا الجنون حتى يأتى على كل منهم وقت يحتاج فيه إلى الخبز . واست أنسى ما حيت ذلك المهرج إلا شيب ( الشيخ بحر ) وكانوا يلقبونه بالخطيب ، ومهمته أن يتقاذف هو وبعض الناس شتائم مضحكة بين فترات الرقص والفناء على النحو المعروف بقولهم اشمنى . أما شارع وجه البركة فكان قطعة من جنة النعيم ، بما فيه من الملاهى الشائنة والحانات الفسيحة الجنبات التي تعج عن فيها عجيبيجا ، والمصاييح تقلالاً فيها وعلى أبوابها ولها مثل نور الشمس في النهار . وفي شارع عبد العزيز ، نجد فرحة المحزون وبهجة المكروب والسعادة التي يسيغها الشيخ سلامة حجازى على قصاد تياترو اسكندر فرج ،

والشيخ سلامه وتلاميذه يمثلون الروايات العربية السامية المأني الفضيحة الكلام من وضع  
تجيب الحداد واسماعيل حاصم ، روايات سلاح الدين والسيد وقلب الأسد ، وتليهاك ،  
وعائده ، واليتيمتين وغيرها من قصص التاريخ والأخلاق . والشيخ سلامة بضاهى أعظم  
يمثل أوروبا ، ويعلو على البلبال بالصوت البديع ، وليس له ند في إيقاع الألحان لافي  
الشرق ولا في الغرب . ولم يكن الشيخ سلامة حجازى عظيما في التثيل والفناء إلا بقدر  
عظمته في الأخلاق فلا وقاحة بين المفرجين ولا تبذل للمتفرجات .

( ٣ ) الكاتب يكتب كلمة عن حفلة طرب وأنس وإبتهاج ، وقانون العقوبات يرفرف  
بأوراقه على رأسه وفيه مواد أشد خطرا من المواد المفرقة والقلم عن يمينه والنقص عن يساره  
يقص به من الصحف والكتب والنشورات ما يستشهد به على صدق ما يقول . فلا يدري  
من يراه بمقص ، أمحرر هو أم حلاق . ولا بد لهذه المقتطفات القصوصة من الصحف  
ليلصق بالورق الذي يكتب عليه فلا يفرغ من مقاله حتى يكون كالطفل الذي أكل عسلا  
وطحينه أو الإسكاف الذي رقع حذاء فلوث يديه بالمراس .

وهذا قليل إذا رأى الصحافي حادثا وكتب عليه كما رأه ثم فوجى ببلاغ رسمي يكذبه ،  
وهو غير بين أن يتطلع هذا الكذيب في برشامة خوفا من المحاكمة ، وإما أن يجيء  
بالبراهين على صدقه بمد أن فانت الحادثة وتفرق الدين رأوها معه وضاعت أدلتها .

## الكاريكاتير والصحف الهزلية

يقول سليمان فوزى أبرز رجال الصحافة الهزلية في مصر (الكشكول) ١٩٢١ - ١٩٤٠ تقريبا - أن أول من أدخل التصوير الهزلي في الصحف العربية هو (يعقوب أبو نظارة) وكان مدرسا في المدارس الأميرية واشتغل بالتمثيل وأنشأ جريدته «أبونظارة» في أواخر عصر اسماعيل الذي غضب عليه فقصده إلى باريس وأصدر جريدة أبو نظارة وجرائد أخرى، ثم (عبد الحميد زكي) <sup>(١)</sup> الذي أصدر جريدة مصورة بالألوان باسم السياسة المصورة كانت وطبعا أولا في فينا ثم في روما ثم في مصر وكان (خليل زينية) المحرر بالأهرام قد إتفق مع جريدة (البتى باريزيان) على أن ترسل إليه إعدادها مصورة بدون متن (مكان الكتابة تحت الصور يترك أيضا) وكانت متى وردت يعلوها بما أعده لها من مادة باللغة العربية ، ثم أصدر : الراوى والمرأة والمصور ، ثم أصدر (عبد الحميد كامل) جريدة هزلية باسم (البابا فقلو للصرى) طبع صورها الكاريكاتورية على الحجر ، وأصدر (محمد المولحي) جريدة أبو نواس فكانت أرق صحيفة هزلية كاريكاتورية ، وأصدر (إبراهيم رمزي) مجلة أسبوعية باسم الفيوم ، ثم حولها إلى جريدة وكان يصدرها دائما بصورة هزلية محفورة على الخشب ، ثم أصدر (يوسف حناته) جريدة لها صحيفة هزلية ونشر صورة الملكة فكتوريا ( ملكة بريطانيا إذ ذاك ) برأس إنسان وجثة حيوان معلق في مشفقه ، واهتمت للنياحة بالموضوع وأحس بالعقاب ففر إلى الاستانة .

---

(١) أمه (السياسة للصورة) في نظره ورعى الصحافة الهزلية أول مجلة سياسية مصرية مصوالة ، وكان عبد الحميد زكي عام ١٩٠٧ ضابطا بالجيش المصري ثم أصدر مجلة عام ١٩٠٨ - وقد إرأبنا العدد ٣٩ (يناير ١٩٠٩) وكانت تطبع ١٢ ألف نسخة ، وقد توافقت ثم عادت إلى الصدور عام ١٩١٢ وكانت إدارتها في شارع للمزى وقد اختفى في تحريرها : حافظ إبراهيم ، أحمد نسيم ، جرجي زيدان ، حفي ناصف ، عبد العزيز المصري ولده حوت تطبيقات سياسة لازمة وهدم سياسي ورسوم كاريكاتورية ملونة .





هذا المصور لا الذى يتطلبه مركز المصور يرسم شذقيه على حدة ، واثقه على حدة ، وأذنه على حدة ، وفه على حده ، ولفته إلى اليمين أو اليسار ، وهكذا حتى لا تتغير ملامح الوجه والشكل فى أى وضع أراد المصور أن يضم صورته .

ويقول سليمان فوزى : أن الكشكول والمتاعب التى لاقاها أصدقائه والمشتغلون فيه لم تستطع الاستمرار فى خدمة فن التصوير الهزلى إلا بفضل القضاء العادل وأحكامه وفصل الذين تولوا الدفاع عنه من الهامين ، فبقوة هذه الأحكام ونحت رايها أمكن أن يتشجع أصحاب الصحف الهزلية وأن ينهض فن التصوير الهزلى ، وأن تكثر صحفه وتعدد « ا . هـ .

#### فن الكاريكاتير

٢ - ويتحدث إبراهيم هدايه عن فن الكاريكاتير فيقول : يتكون الكاريكاتير من العناصر الثلاثة : الشكل ، الحركة . الأخلاق واللفظ . المفروض أن الرسام يعرف الخطوط المميزه فى وجه الشخص ، ويعرف مقاييس الجمال ومن هذه يسقط على الأجزاء البارزة عن التنظيم فيبرزها أكثر ويبالغ فيها إلى المقدار الذى يراه كافيا . وكل ذلك مع المحافظة على الشبه . ثم ينتقل إلى الجسم فان كان نحيلازاده نحولا ، ويمثل ذلك إن كان طويلا أو قصيرا . وبعد ذلك يعود إلى ملابسه فيبهدها كاللازم ثم إلى عصاه إن كان من يمسكون العصا أو إلى مظلة إن كان من أصحاب المظلات وغير ذلك من حاجاته التى اشتهر بملازمتها له ، وأخيرا إلى طربوشه ، هذا الطربوش المسكين قد برع الكاريكاتير المصرى بحق ، أكثر من كاريكاتير القبة ، لأن فورمة الطربوش قابلة للعبث الكاريكاتيرى أكثر من جميع قبعات العالم وخصوصا مسألة الزر إذا كان الشخص خطيب فستعبد أن شذقيه مفتوحان بمبالغة مضحكة ونجد الجاس قد طبر طربوشه قسرا إلى الوراء أو لمب بزره كيف يشاء . وهكذا حركات يده التى يحاول بها أن يقنع . لكل شخص أخلاقه ، ولكن الرسام سيمنى بإبرازها وخصوصا المعنية بالذات فى موضوع الصورة .

جشمه ، نجله ، حرصه ، دهاؤه ، ما يضر من شريرة . أما اللفظ فينير عنه بأسفل الصورة  
بما يناسب الموقف .

### سيكولوجية الكاريكاتير

٣ - وفي حديث مع الرسام «ساروخان» يكشف الرسام عن فنه وفهمه لأخلاق الناس  
وطبائهم . س : ما هي المظاهر الخارجية التي تدل على مواطن الشخص الذي رسمه .  
ج : عندما أنظر إلى شخص أبحث في وجهه أولاً . وفي هندامه وحركانه ثانياً عن  
الظاهرة الخارجية التي لا بد أن تدل على ناحية من نواحي خلقه وطبيعته وتفسيره ، ولا بد  
أن يكون في وجه كل شخص من الأشخاص ظاهرة من هذا النوع . خذ مثلاً الطربوش  
فإن طريقه وضعه على الرأس يجعله أحياناً جزءاً مغمماً للعين صاحبة فيصبح قطعة غير منفصلة  
من شخصيته ، بل يصبح ذلك الطربوش وحده شخصية قائمة بذاتها مادام في موضعه  
وفي وضعه على الرأس . وهناك أيضاً الميرون ، الميرون التي هي مرآة النفس ، والتي لا يمكن للباحث  
التمعن في بحثه إلا أن يستدل منها على مكنونات الشخص الذي يراه أمامه ، وهناك أيضاً  
الأنف والابتسامة والأذنان والشعر والعنق والذقن وكل ما يقع عليه النظر . أن كثرين من  
الناس يشبه بعضهم بعضاً في الشكل الخارجي ، وهؤلاء لا بد أن يشبه بعضهم بعضاً من  
الناحية النفسية والعقلية أيضاً فالشخص الذي يكون هيئته الخارجية عادية أو إذا شئت فقل  
سخيفة ، لا بد أن يكون شخصيته الداخلية التي لا ترى عادية أو سخيفة ، وفي كل إنسان طائفة  
من المميزات الحسنة والسيئة وفي كل إنسان عيوب وفضائل وليس في استبطاء أحد من  
الناس أن يفلت من مراقبة الباحث المدقق وإذا أراد أن يدرس شخصيته ويعرف نفسيته من  
مجرد النظر إليه ، غير أني ألفت النظر إلى شيء آخر ، هو أنني لا أكتفى بالنظر إلى شخص  
مرة واحدة أو مرتين لكي استخلص الرسم الذي أضمه له والذي يصبح في نظري صورة

حية لصاحبه، كلا، بل أننى أراقب الأشخاص مراقبة طويلة فى حياتهم الخاصة والعامة  
وأقارن بين أعمالهم وبين ماتنييه من أسارب وجوهمم وسماتهم وهكذا أنق فى سعة ملاحظائى  
واستخلص من ذلك درس الطويل الرسم الذى أضمه .

#### تطور الكاريكاتير

٤ - ونحدث أحمد راسم من تطور فن الكاريكاتير فقال :

إن « الإنتقاد مع التهمك » هو أول مفهوم للحرية وأولى خصائصها وقد أخذ منه  
الكاريكاتور يتطور حتى صار الأسلوب المفضل للانتقاد والتهمك والتعبير . واستمد  
حيوته من الصحافة واندغم فيها فسمت فى سبيل القديوع والإنتشار، ظل يماشى الصحافة  
حتى أصبح فنا قائما بذاته ولا شك أن الكاريكاتور سلاح فى يد للمعارض سياسة كانت أو جماعة  
ويتناول بالنقد مختلف النواحي الإجتماعية وبحيث يمكن التعرف إلى المجتمع فى مختلف  
مبادئه وفى كل فترة من الزمن .. وبالرغم من الرقابة عليه فإنه استطاع أن ينفذ إلى غايته فى مخاطبة  
الشعب بالإيمان المنف والتمز اللطيف، وقوام الكاريكاتير التمييز بخطوط قليلة وبسيطة وبإيجاز  
واقضاب لا عن هيئة المرء فحسب بل عن كامل شخصيته وعما يوحيه على أن يبرز  
ما فى هذه الشخصية من ناحية الطرافة وأن يضبط على ناحية الضمف فى خلقه ويحسم  
أغرب ما فى الملامح .

× لا يشترط فيه الأمانة للمؤرخ ولكن إعطاء خطوط تفصح عن المراد بإيجاز

وقوة، وقد سار الكاريكاتير فى طريق طويل مدى مثنى سنة ومر بتطورات كثيرة  
حتى بلغ هذه المستحبة المنتجة وهذا الإيجاز الرائع، وكان كاريكاتور المصر الماضى مثقلا  
بخطوط تتشابك وتعارض ولأول مرة فى مجلة « الاستراسبون » ( الفرنسية )  
وكاريكاتيرها، بدأ الكاريكاتير ففماستقلايته على الزمن، فى فرنسا يبرز أمثال: سيديب وايفل  
وضورد وويد ومونيه وباك، لسكل واحد مدرسته فى الفن الكاريكاتيرى ومدرسته

في الفن والإيحاء وخلق الجو واستثارة العاطفة . ولا شيء يسو على تقدم أو بنحو من  
تهكمهم . تهكم قوامه « الغمز اللبق - الإشارة البعيدة ، الوحي - السذاجة التي تخفى  
وخزاهداً لـ لكل واحد أنموذجه المفضل يعود إليه ويعرّضه في شتى المناسبات والأوضاع  
ولكل شعب أسلوبه في هذا الباب . فالسكاريكاتير الإنجليزى ( لو ) وقد أرخ المجمع  
الإنكليزى بفرائب أطواره السياسية والإنجليزية بمميزاتا المحيرة في براعة وذوق فائض .

أما السكاريكاتور الأمريكى فلا يعدو مجرد الرسم الهزلى . وقد دخل الفن السكاريكاتورى  
الأمريكى الرسوم المتحركة Dessin Animé التي ابتدعها الفنان دسنى ( دنى ) إلى الرسوم الهزلية  
تداول المجتمع والسياسة والأحداث بنقد لطيف وهي ترى إلى إثارة الرّح والسرور .

وبعد الحرب العالمية الماضية انتشر السكاريكاتير في الشرق وكانت قبل الحرب  
جريدة ( أبو نضارة ) وجريدة الدبور في لبنان نشرت الفن السكاريكاتورى والنهار  
في لبنان صحيفة يومية وارتقى الفن السكاريكاتورى متطوراً مع الصحافة .

ويرى العقاد أن الرسم السكاريكاتيرى من ناحيته العامة فن جميل يستحق المسكّنة  
الحلّامة التي وصل إليها من أوروبا وأمريكا وغيرها من بلاد الحضارة . أما الرسم  
السكاريكاتيرى في مصر خاصة فإنه فن حديث العهد إلى حد ما ولكنه بلغ درجة محدودة  
من التقدم والإرتقاء وقال أن أحسن الصور السكاريكاتيرية التي نشرت لى ، هي صورة تمير  
فيها ألطف تنفير عن ناحية بعينها من نواحي شخصيتى أبداعتها ريشة الأستاذ سانقس  
ونشرت في الإثنين منذ سنوات .

٥ - ويرى نقاد فن السكاريكاتير : أن أبرز معالم الفن هو :

× إبراز ناحية معينة من الشخصية .

× المبالغة في إبراز بعض الصفات المرسومة إلى المبالغة في تشويهها .

ولما كان ساروخان ( روز اليوسف وآخر ساعة ) وسانتس ( الكشكول ) هما من أوائل رسامى النقد الهزلى فى الثلاثينات فقد جرت أبحاث حول كل منهما : أما ( ساروخان ) فهو يعمد إلى دراسة الشخصية التى يجمع رسمها ويلىم بصفات صاحبها وعاداته، أما ( سانتس ) فهو يبحث عن النواحي المضحكة فى الشخصية التى يتناولها بريشته ، وعما خفى من نقط الضعف فى روحها وعمله يوصف بالتخطيط الباسم ، وكشف النواحي الهزلية للروح والمادة ، وامتزاج موهبة الفن فى الرسم مع بلاغته فى النقد والتعبير مع فلسفته الساخرة .

وريشة ساروخان كما يقول تلميذه «رعاة» رغم شدة اللذع فيها ، خالية من الحقد وهو لم يحاول قط أن يجامل شخصياته أو يلىن فى رسم فلاح خشن المظهر مثلاً فيحيطه بشيء التنعم ، وهو يرحم عن عواطف الضعف فى الشخصيات السياسية ، ووجوهه مليئة بالحياة ، حافظة لأشبابها ، وهو يسجل جميع احساسات الروح بالظل والنور ، ويرسم ملامح النبوة والضعف والدهاء والمكر مما يعجز عنه الكتاب بقلمه .

\* \* \*

وقد ابتكر السكاريكاتير شخصية ( المصرى أفندى ) : آخر ساعة ، (مجنون المصور) المصور ، ( مصر ) قناة تمثل مصر ، ( جحا ) مجلة الفكاهة ، ( مارس ) إله الحرب عند الإغريق ، ( جون بول ) بريطانيا ، العم سام ( الولايات المتحدة ) .

وقد حاول عبد القادر حمزة أن يثبت أن فن السكاريكاتير كان من إختراع الفنانين المصريين القدماء على عهد الفراعنة ، وأنهم لم يقصروه على الفكاهة بل أرادوا به معانى سياسية واجتماعية .

ويرى ( توفيق حبيب ) فى صحافة السكاريكاتير رأياً مخالفاً لراى أنصارها يقول : أن صحف السكاريكاتير قد حملت منذ اليوم الأول على نهش الأعراس ، وأن صحف خبارة

منيتي ، والمخلعة والشجاعة والسيف كان عمادها العطن في الأشخاص وأن ( إبراهيم  
المزني ) أصدر جريدة وأسماها ( الهلال الثماني ) للعطن في منافساته من النسوة الساقطات .

#### سانتس وصاروخان

توفي « سانتس » في ديسمبر ١٩٤٥ وقالت جريدة المصور عنه : أنه فنان من أعظم فناني  
السكراريكانير لا تزال رسومه الهزلية تزين صحائف أعداد المصور القديمة بضع سنوات ،  
كان خلالها عميد رسامي دار الهلال ، ورغم أنه من أصل أسباني فهو من أقدر الرسامين  
على فهم الروح المصرية ومجاراتها ، وكأنه مصري صميم ، وله لوحات فنية غير هزلية ،  
كما أنه له تماثيل عدة تألفت منها مجموعة ثمينة . وكان سانتس قد أقام في مصر أكثر من  
ثلاثين عاما وعمل مدرسا في الفنون الجميلة وعمل في الكشكشول .

أما صاروخان فقد عمل في مجلة آخر ساعة ١٥ عاما ، وفنه مشبع بروح النكتة  
الملاذمة ، ومن أعمال صاروخان إهتامه بمفق عبد الفتاح يحيى (أحد رؤساء الوزراء السابقين)  
فقد سافر إلى الإسكندرية وكانت له مقابلة في مصر فأبرق إلى السفير معتذرا ، ولكن  
ريشة صاروخان رأت أن عبد الفتاح يحيى كان في إحاطة طاعته الحضور لمقابلة السفير  
مستمعينا بمنقه الطويل ، فيبث برأسه من الإسكندرية إلى القاهرة متخطيا كباري النيل  
ومزلقانات السكة الحديد وحواجز المرور حتى تدخل غرفة السفير .

جريدة ( هاهاها ) ( ٨ مارس ١٩٠٧ )

قدمها صاحبها في العدد الأول : « صحيفة هزلية تصويرية أسبوعية » لصاحبها محمد مسمود  
وحافظ عوض (وكم ذا بمصر من المضحكات ولسكنه ضحك كالبكا ) .  
الغرض من الجريدة : أن تصور الحوادث والأشخاص في المسائل السياسية بصورة يبق  
لها تأثيرها في النفوس ، وأن الصور تؤثر في المجموع ، وتثبت في العقل أو على شبكة اليمين  
بمخلاف المقالات فإنها تسمح الواحدة الأخرى ، وتفسى بمد قراءتها ، وبالاختصار نريد أن  
توجد شيئا جديداً في الصحافة العربية هو « الرسم الهزلي السياسي » :

قال: والنرض، من السكارى كاتير - على ما أعرف - التمكن من تصوير الناس على حقائقهم  
«عزاء سقار الضحك والاستخفاف والمزل، وقد صار في أوروبا فنا مهما، بل هو اليوم من  
الفنون الجميلة التي لا يحيد فيها إلا النوابع، ونوابع الدوابع الذين لا يوجد لهم في مصر مثيل،  
وإذا كان في القراء من يحتاج إلى تفسير لهذه الصور فليس لمشلة تصدر هذه الجريدة، لأن النرض  
عن هذه الجرائد التلبيس والتعمية والادغام والابهام وكل ما تشاء مما يدخل تحت كلمة  
(الحدق، يفهم) .

وقد أصدرت مجلة (هاهاها) عددا واحداً، ثم أصدر حافظ دوض بمفرده (مجلة خيال  
الظل) في الأسبوع الثاني ١٥/٣/١٩٠٧. ثم أعادها بمد الحرب العالمية الأولى في مواجهة  
جريدة الكشكشكول حيث كانت تمثل وجهة نظر الوفد بينما كانت الكشكشكول تمثل وجهة  
نظر خصومه .

## صحافة الأدب والثقافة

يمكن أن يوصف بالصحافة الأدبية في هذه الفترة كل صحافة غير سياسية . فقد كانت الصحف اليومية متخصصة في شئون السياسة ، بينما مزجت المجلات الشهرية ونصف الشهرية والأشهرية بين شئون السياسة ودراسات العمران والاقتصاد والتجارة وغيرهم . ثم بدأ تيار جديد في هذه الصحافة يدخل الأدب ضمن هذه الموضوعات ، وفي عام واحد ظهرت مجلتي « الجنان » في بيروت و « روضة المدارس » المصرية هذه العبارة تعريفاً بهدفها :

تعلم العلم واقراً      تحز نخار النبوة  
قال ليحيى      خذ الكتاب بقوة

ومنذ ذلك التاريخ بدأ عهد يمكن أن يطلق عليه « فجر الصحافة الأدبية » يتمثل في كل صحافة غير سياسية . والواقع أن المكتتاب في الثلاث الأخير من القرن التاسع عشر كانوا يفهمون الصحافة الأدبية على أنها الصحافة التي تأخذ من كل شيء بطرف . وأشار أغلبها في افتتاحيات أعدادها الأولى إلى تجنب البحث في السياسة والدين .

أما ما عدا ذلك من مباحثات الاجتماع أو الاقتصاد أو العلوم أو القانون أو الجغرافيا فهي داخلة في الصحافة الأدبية غير منفصلة عنها . وقد ظل هذا المفهوم سارياً خلال أربعين سنة تقريباً . ظهرت خلالها مجلات متخصصة في العلوم وحدها « كالتقطف » ومجلات متخصصة في الطب « كاليوسوب » و « الطبيب » ومجلات متخصصة في الهندسة . ثم تطورت بعض هذه المجلات وأدخلت الأدب ضمن دراستها كما فعل « التقطف » بعد أكثر من عشر سنوات من صدوره . حتى لفظة ( الآداب ) عندما أطلقها الشيخ علي يوسف على مجلته لم تكن تعني الأدب وحده وإنما هئيت مختلف مباحث الثقافة .



وفي خلال هذه الفترة كانت الصحف تمزج بين مباحث الأدب والعلم والتاريخ ومختلف الفنون الأخرى ، ولم تظهر صحف متخصصة في الأدب الخالص إلا في عام ١٩١٠ بظهور مجلة « الزهور » لأنطوان الجميل وأمين تقي الدين و « البيان » للشيخ عبد الرحمن البرقوقي سنة ١٩١١ . وقد غلب الطابع العلمي على المجلات غير السياسية حتى ليتمكن القول بأنه كان أبرز من الطابع الأدبي الخالص . كما كانت دراسات أحوال الوطن الإسلامي والعربي من أبرز موضوعات هذه المجلات ومن الصحافة الأدبية ذات الطابع الخاص : المجلات النسوية وقد صدرت أولها « أنيس الجليس » عام ١٨٩٨ ثم صدرت « السيدات والرجال » عام ١٩٠٣ و « فتاة الشرق » عام ١٩٠٦ .

وهناك مجلات غلب عليها طابع الدين والثقافة الروحية « كالنار » و « الشرق » . وأهم المجلات الأدبية التي صدرت في هذه الفترة هي :

الجنان ( بطرس البستاني ) ١٨٧٠ - بيروت روضة المدارس ( رفاعة الطمطاوى ) ١٨٧٠  
بيروت المقتطف (٢) ( يعقوب صروف وفارس القاهرة الآدب ( على يوسف ) ١٨٨٧  
عر ) ١٨٧٦

القاهرة : الأستاذ ( عبدالله القديم ) ١٨٩٢ القاهرة : الهلال ( جرجى زيدان ) ١٨٩٢  
القاهرة : والبيان ( إبراهيم اليازجى ) ١٨٩٧ القاهرة : الضياء ( إبراهيم اليازجى ) ١٨٩٨  
- القاهرة

بيروت : المشرق ( لويس شيخو ) ١٨٩٨ - اسكندرية : أنيس الجليس ( اسكندره أفزينو ) ١٨٩٨

القاهرة : الموسوعات ( أحمد حافظ عوض ) ١٨٩٨ القاهرة : مصباح الشرق ( إبراهيم المويلحي )  
- ١٨٩٨

القاهرة : الجامعة ( فرح أنطوان ) ١٨٩٩ - القاهرة : المجلة المصرية ( خليل مطران ) ١٩٠٠

صدر المقتطف في بيروت ثم انتقل إلى القاهرة وصدرت الجامعة في القاهرة ثم انتقلت إلى نيويورك :

القاهرة : مجلة المجلات العربية (محمود حسيب) السيدات والرجال (روز انطوان) ١٩٠٣

١٩٠١ -

القاهرة : مجلة سر كيس (سليم سر كيس) ١٩٠٥ - القاهرة : فتاة الشرق (لببية هانم) ١٩٠٦ -

المقتبس ( محمد كرد على ) ١٩٠٦ لبنان : العرفان (أحمد عارف الزين) ١٩٠٩ -

القاهرة : الزهور (أنطوان الجميل وأمين تقي الدين) بغداد : لغة العرب (انستاس ماري السكروملي)

١٩١١ -

١٩١٠ -

القاهرة : البيان (عبد الرحمن البرموقى) ١٩١١ .

#### تطور الصحافة الأدبية

ويبدو صورة تطور الصحافة الأدبية واضحاً في هذه المجلات : ف « الجنان » مجلة سياسية علمية أدبية تاريخية ، شعارها « حب الوطن من الإيمان » ، على مؤسسها بطرس البستاني بأحوال العمران وتطور المجتمع في هذه الفترة ، وجعل للثقافة الأدبية والتاريخية جانباً واضحاً فيها . وفي العدد الأول ( كانون الثاني ١٨٧٠ ) يتحدث عن بلاغة العرب ، وينشر أولى تجارب القصة له ( قصة الهيام في جنان الشام ) ثم يواصل دراساته في معنى التراجم ويكتب عن صيبويه وابن سينا والمتنبي ، وينشر دراسة عن اللغات ( لويس صابونجي ) وفي مجلة « الجنان » كتبت أول كاتبة عربية ( مريانا مراث ) في الصحف مقالها الأول ( شامة الجنان ) ثم اتبعته بمقال ( جنون القلم ) وتضمنت الصفحة الأخيرة ملحاً وأشعاراً وحكماً ، ونفاوت أبحاثها : الحرب والتمدن وحقوق النساء وفضل اللغة العربية .

وأبرز دور قامت به في هذه الفترة هو نشر الدعوة إلى « تحرير المرأة » بخطاب بطرس البستاني المشهور . وبها نشرت فصول المساجلة الأولى تقريباً في معارك الأدب العربي بين اليازجي والشدياق . وكانت تحمل رأى إبراهيم اليازجي حيث كان ينشر الشدياق رده في مجلته « الجواب » . كما نشرت كثيراً من القصائد لفا صيف وإبراهيم اليازجي . أما « روضة المدارس » فقد صدرت بعبارة : « تحت نظارة حضرة رفاعة بك » ، ناظر قلم الترجمة . مباشر تحريرها : على فهمى رفاعة . وكانت ذات طابع مدرسي العقائدي . فعنيت

بشرفصول متعددة من التاريخ والجغرافيا والفنحو . وبها نشرت ( المقامة الفكرية في المملكة  
الباطنية ) ترجمة عبد الله فكرى ، و ( قدماء الجرمانيين ) لمحمد توفيق أحمد . كما عنت بيعت  
للؤلؤفات القديمة فأحيت ( سياحة حسن الطيب البندادى إلى مصر ) ، واهتمت بأبحاث متعددة  
عن ( تخطيط الصحراء الكبرى ) لأحمد نجيب ، ونبذة في الرسم لحسن والى ، والألحان  
والأغانى لثمان مدوح .

كما نشرت كتاب ( قلائد الفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر ) ترجمة رفاة  
العلم طاوى ، وأبحاثا إجتماعية وفلسفية مثل ( قدوة الفرع بأصله في حب الوطن وأهله ) لعل  
فهمى رفاة ، و ( توقف الجمعية على تماقب الأجيال البشرية ) له أيضا ، ( وكانوا يطلقون  
لفظة « الجمعية » على ما يعرف اليوم بالجمعية ) .

أما « المقتطف » فقد بدأ على نحو على خالص . ولم تظهر الأبحاث الأدبية فيه إلا بعد  
عشر سنوات ، أى حوالى عام ١٨٨٥ ، حيث بدأ يكتب عن أصل الكتابة والألفاظ  
الأدبية والتمثيل العربى والخط العربى ، وأخذ منذ عام ١٩٠١ فى نشر الشعر ونقد دواوينه  
نقد ديوان حافظ لأسعد دافر ) و ترجمة الروايات فترجم رواية « أمية » عن الإنجليزية .  
أما « الهلال » فقد كان طابعه فى البحث التاريخى واضح الدلالة ، ولكنه عنى بنشر القصة  
عندما كتب جرجى زيدان ( أرمافوسة المصرية ) و ( فتاة فسان ) واهتم إلى جانب ذلك  
بدراسات التراجم وأبحاث اللغة والتعريب وتاريخ الأدب .

وعنى « الضياء » ثم « البيان » بالعلوم ، فقد كان الشيخ إبراهيم اليازجى محبا للعلوم  
الملك والكواكب ، فكان ذلك أبرز اهتمام مجلتيه . وكان أبرز أعماله فى « الضياء » بحثه  
عن ( لغة الجرائد ) والعناية بالمطاراتحات ومرادفات الألفاظ . وكان فنه هو تحويل الأدب  
إلى علم ، فهو يتحدث عن القمر كشاعر ثم لا يلبث أن يتحدث عنه كعالم يقول :  
« . . . إذا استقل فى فلسكه يسبح فوق الوهاد والآكام ، ورأيته يتراجع مع النجم  
وهو مجدّ فى وجهته إلى الأمام ، فتخطى الأبراج وكأنه وائف لا يمس له الناظرون انتقالا ،  
مثال الرونق والجمال وآيه الأبهة والجلال . . . إذا برز من الأفق إنهزمت فى وجهه جيوش  
الظلماء » ، وانفجرت الكواكب لمعه فى عرض السماء . . . » .

ثم يقول « .. أما شكل القمر ، فالظاهر أنه كروى على الجلبة ، إلا أن الذى يستقبلنا منه إنما هو أحد صفحيه دون آخر . . . » . وقد تناولت مجلته ( الضياء والبيان ) دراسات فى التربية وأشعة رنتجمن والقوى النفسية للأطفال والزجاج والطاعون والصائبة ، ونشر شعرا لنجيب الحداد ، من ذلك قوله :

من بدور تسير فى المركبات	ومن القبعات فى حالات
ملكها أزهار الصنع من	نبت الأيادى لا أيادى النبات
افحوا نفاخر الثمر فى الحسن	وورد يفاخر الوجنات

وكتب فيها شكيب أرسلان واحمد زكى الملعب من بمد بشيخ العروبة .

وكانت « المجلة المصرية » تحليل مطران فى أوائل القرن علامة على لون جديد من الأدب ، ففيها نشر دعوته إلى وحدة القصيدة واهتم بالشعر ، وجمع لأبوابها مقسمة على مختلف الفنون : التاريخ ، الزراعة ، الاقتصاد النفس ، العلم ، تلخيص الكتب . وقال فى افتتاحيتها أنه يتجنب البحث فى الدين والسياسة ، وإن هدفه الأدبى هو اطراح مبتذل القول ومطروق المأى . ونشر فيها للكافى ، وإبراهيم رمزي . ونشر شعرا للبارودى وقصائد لحنى ناسف قاضى محكمة أسيوط ، كما قدم ( المرأة الجديدة ) لقاسم أمين ، وتمريب الألياذة لسليمان البستاني ، وعنى بالسكنوز الدفينة من الكتب النادرة ، وقدم دراسات عنها ونشر طائفة من المؤلفات المترجمة كراوية ( بين نارين ) لجورج مطران ، وقد وصفه بأنه ( شقيق وميمى فى إنشاء المجلة ) ، وزهرة الشاى ( قصة سينية ) مترجمة لمحمد مسعود .

وكانت مجلة « الزهور » ( ١٩١٠ ) قمة هذا التطور ، فقد أصدرها أنطوان الجليل وأمين تقي الدين فى أول مارس ١٩٠٠ فكانت « صلة تعارف بين كتاب العرب فى كل الأقطار ، وذلك بنشر ما تجود به قرائهم الوقادة من النفثات الرائعة . وأعلنا أن عدداً من الكتاب

سيشاركون في تحرير المجلة ، وقد كانت فعلا مجلة أدبية خالصة لأول مرة في تاريخ الصحافة الأدبية ، لم تشغل بنير فنون الأدب - وقد قسمت المجلة إلى أبواب : رياض الشعر ، جوائن العرب ، حداثن الغرب ، أشواك وأرهار ، حديقة الأخبار ، الروايات . واستطاعت فعلا أن تجمع الأدباء والكتاب من مصر والشام وبغداد وتونس وطرابلس الغرب والجزائر وأمريكا ( المهجر ) وقد غلب عليها الاهتمام بالشعر . وكتب فيها شوقي والكشاف وعمر ونسيم وإسماعيل صبرى وأمين الريحاني وحافظ إبراهيم وحفنى ناصف وخليل مطران وداود بركات وشبلى شميل وفليكس فارس وعبد القادر المغربي ومحمد كرد علي ومحمد مسعود ومحمد السباعى والمنفلوطى وحليم دموس . وكتب فيها أنطون الجميل بتوقيع ( حاصد ) وعرض بالفند لعائفة من المؤلفات كـ « النظرات » للمنفلوطى و « الريحانيات » للريحاني و « تاريخ الأدب » لحفنى ناصف الذى أصبح ( وكيلاً لمحكمة طنطا ) و « الجاذبية وتعليلها » للزهاوى . ونشر أبحاثاً عن نهضة الأدب فى الشام وفى العراق ، وترجمات لشبلى شميل . وكتب فيها جبران من باريس . أما « البيان » فقد عنى صاحبها ( عبد الرحمن الترقوقى ) بالترجمة من اللغات العالمية . وكان أبرز كتابها العقاد والمازنى ومحمد السباعى واطفى جمعة وعباس حافظ . وقد ترجموا كثيراً من الآثار الأدبية عن اللغة الإنجليزية . وكان دور « البيان » هاماً فى مرحلة الترجمة . فقد جمعت إلى رصانة الأسلوب العربى جودة المترجمات . ومن أبرز الكتب التى ترجمتها « الأبطال » لسكارليل ، و « الواجب » لجول سيمون و « الأكاذيب المقررة فى المدنية الحاضرة » لماكس نورد ، و « أميل القرن التاسع عشر » لروسو ، و « رباعيات الخيام » و « اعترافات موسيه » ، وترجمات غن وليم هازلت وتشارلس دكفز ، كما نشر فيها عبد الرحمن شكرى وسلامة موسى ومحمد عبده . ونشرت « مذكرات ابليس » للعقاد ، وأبحاثاً عن ابن الرومى للمازنى ودراسة عن ابن زيدون لأحمد زكى ( باشا ) ومقالات للرافعى عن اللغة العربية فى الرد على لطفى السيد . وكتب فيها دكتور هيكل وصادق غنبر وحسن القاياتى . وفى هذه المرحلة ظهرت مجلة « لنة العرب » للآب انتستاس مارى السكرملى وهى ( مجلة متخصصة فى أبحاث اللغة مع العناية بالتاريخ وتحقيقاته ) .

وتعد نهاية هذه المرحلة في أوائل الحرب العالمية الأولى علامة بدء مرحلة جديدة بتخصص عدد من المجلات لأبحاث الأدب منها مجلة «السفور» التي صدرت خلال الحرب العالمية وكتب فيها منصور فهمي ومصطفى وعلى عبد الرازق وأحمد زكي والزيات وهيكمل وطه حسين . وما يذكر أن أربعا فقط من هذه المجلات هي التي استطاعت أن تستمر في الصدور من بعد هي : المقتطف والهلل والعرفان والمشرق ، وقد احتجب «المقتطف» و«المشرق» وبقيت مجلتا «الهلل» و«العرفان» تصدران إلى يومنا هذا ، الأولى في القاهرة والثانية في صيداء لبنان .

أما أبرز المجلات الأدبية والثقافية التي صدرت فيما بين الحربين<sup>(١)</sup> :

( ١ ) السياسة الأسبوعية : هيكل ، المازني عفان ، طه حسين .

( ٢ ) البلاغ الأسبوعي : العقاد ، لطفى جمعة ، زكي مبارك .

( ٣ ) الرسالة : الزيات ، العقاد ، الرافعي ، طه حسين .

( ٤ ) الهلال : أمير بقطر ، إبراهيم المصري ، العقاد ، هيكل .

( ٥ ) المقتطف : فؤاد صروف ، الرافعي .

( ٦ ) المشرق : لويس شيخو .

( ٧ ) المنار : رشيد رضا ، شكيب أرسلان ، وغيره .

( ٨ ) العصور : إسماعيل مظهر .

( ٩ ) المحلة الجديدة : سلامة موسى .

( ١٠ ) الفتح : محب الدين الخطيب .

( ١١ ) الزمراء : » »

( ١٢ ) الثقافة : أحمد أمين ، زكي نجيب محمود ، فريد أبو حديد .

( ١٣ ) الصفحات الأدبية الأسبوعية في : البلاغ ، كوكب الشرق ، الأهرام ، الجهاد ، الوادي .

(١) تناولنا دراسة هذه الصحف وكتابتها في كتابنا (الفن العربي للعاصر) . وقد أصدر الدكتور

عمود فياس دراستين عن الصحافة الأدبية من أوائلها إلى أوائل الحرب العالمية الثانية .

# الكتاب والمصاحفون

حفل مجال الصحافة بعدد كبير من الكتاب والصحفيين والمصاحفين ، وقد استعملت الاصطلاحات الثلاثة في التفرقة بين أصحاب الأقلام من كتاب الصحف ، وبين الصحفيين الملتزمين في صياغة الخبر ، وبين الكتاب غير المحترفين الذين أطاق عليهم الدكتور محمود هزيم لقب المصاحفين . وكثيراً ما جمع العاملون في الصحافة في هذه الفترة بين عمل الكتاب وبين عمل الصحفيين ، فكانوا ينفون أحطال الخاصة ويحرمزون السبق في مجال الخبر ، وفي نفس الوقت كانوا يكتبون الفصول والتعليقات ، وهذا وقد جمع معظم كتاب الصحف ، بين الكتابة في مجال السياسة وفي مجال الأدب ، فكانوا صحفيين وأدباء في نفس الوقت . وقد كان المقال الوطني والسياسي هو أبرز مادة الصحافة فيما قبل الحرب الأولى بينما أصبح الخبر موضع الاهتمام في فترة ما بين الحربين .

- ١ -

## مرحلة ما قبل الحرب الأول

(ميخائيل عبد السيد) : وصف سلامه موسى ميخائيل عبد السيد صاحب جريدة الوطن فقال : تعلم العربية في الأزهر وظل طوال مدة تعلمه متخفياً يتظاهر بالإسلام إلى أن عرف أنه مسيحي فأخرج . . أفاده الأزهر وأخره معاً ، أفاده بأن جملة يقرأ ويكتب بالعربية بأحسن ما يمكن أن يصل إليه مسيحي في ذلك الوقت ، وأخره فكان لذلك يتمصب المسيحية ، بل إن ميخائيل كان ينز بالتعصب وقد ألف كتابه الهداية لذلك ، ومما يحكى أنه أخذه وأهداه إلى اليازجي صاحب مجلة الضياء فلما خرج أشعل اليازجي ثقاباً وحرقه ترفناً عن قراءة المثالب والمطاعن في الإسلام .

( محمد بيرم ) : أقام محمد بيرم الخامس في مصر بعد جولات طويلة بين تونس والعالم العربي وأوروبا وصل إليها ١٨٨٤ وأنشأ جريدة الأعلام وكانت له خطة في محاسبة الانجليز والاستفادة منهم وقد انتقد عليه بعضهم ذلك ، لأنه يخالف الخطة التي كان عليها في تونس ، وأنه إناهجها فراراً من الحكم الأجنبي فكيف يكلف المصريين عكس ذلك ( الحلال م ١٦ ) .

( حمزة فتح الله ) : صاحب جريدة البرهان ، قال عنهما محمود عزى أنها كانت صحيفة السراى ، وأن حمزه كان يقول عن الشورى « لا يحب العمل بها ولكن يصح الأخذ بها » .

( سليم عنجورى ) : كان واحداً من أولياء جمال الدين الأفغانى ، ثم أصبح من أولياء الحكومة التي جاءت بعد ثورة ١٨٨٢ ونظم قصيدة في مدح بريطانيا .

( أدب اسحق ) : كان من أنصار جمال الدين ثم اختلف مع رياض باشا فخرج من مصر وهاجبه في باريس ، وكان يناصر الحرية ويهاجم الاستعمار ولكن كان يماضى انجلترا ويناصر فرنسا ويرى أن استعمار فرنسا حلال واستعمار بريطانيا هو وحده الحرام ، أعيد إلى مصر وأعطى درجة ونيشان وملكة عزيز مصر المرتبة الثانية فوجد الخديو والعهد البريطانى .

( أمين الحداد ) : محرر مجلة أنبس الجليس التي كانت تصدرها ( اسكندرا افرىفو )

( إبراهيم القفاى ) : وصفه السيد رشيد رضا بأنه أرق تلاميذ السيد جمال الدين بعد الأستاذ الامام .



كانت له المقالات الرائعة والمخطب النافعة ولكن الأمراض حالت بينه وبين الإصلاح حتى وافاه الأجل .

(أحمد حلمي) : حرر في جريدة اللواء أول عمدها، وظهر بنوعه في تدوين أخبار قضية دنشواي ، عمل مع عبد العزيز جاویش وأمين الرافعي وصادق عنبر وعلى الغاياني وإبراهيم رمزي وعبد الرحمن الرافعي وسني اللقاني ، وكان مصطفى كامل يبعث إليه من باريس برسائله بوصفه نائباً عنه في تحرير اللواء ، وقد حوكم أحمد حلمي في قضية الطعن على الخديو ، بأن نقل إلى جريدة القطر للمصري يوم عيد الجلوس ( يناير ١٩٠٩ ) مقالا نشرته جريدة العدل .

(حسن حسنى الطويرانى) : صاحب جريدة (النيل) صحفى وشاعر، بدأ حياته بالتأليف والتصنيف ، عمل في الصحافة في القسطنطينية بين عربية وتركية . وبرع في الكتابة باللغتين ، عاد سنة ١٨٩٠ إلى مصر مستأنفاً عمله في الصحافة ، وفي القسطنطينية حرر جريدة الاعتدال والسلام وكتب عدداً من المؤلفات منها ( صولة القلم في دولة الحكم ) وبمحت مسائل ضعف المسلمين في كتابه ( التصحيح العام في لوازم عالم الإسلام ) وله كتاب الصدع والالتئام في أسباب انحطاط وأرتقاء الإسلام، هاجم إبراهيم اليازجى في قصائده في هجاء الترك . أصدر في مصر جريدة النيل ( ١٨٩١ ) والشمس والزراعة ١٨٩٤ والمارف . وكان يفخر بأجداده الأتراك ويتمسب لهم على العرب . وقد أفسح صدر النيل للسكينة العربية زينب فواز وله معها مساجلات ، قال عنه أمام العبد : أن حياة حسن حسنى الطويرانى ضاقت في وجهه وسئم الحياة وكان يرى نفسه في المرآة خيالا، ومازالت حالة كذلك حتى جاد بنفسه والله يعلم أن مكانه الرجل من العقل مكانه من العقل .

(الشيخ الشربتلى) : عمل في الصحافة زهاء ربع قرن أو أكثر وأشرف على أكثر من عشر صحف يومية وأسبوعية وكان مقره في قهوة العلم في باب الخلق : مجمع كتاب مصر وصحفها .

يحمل تحت أبطه محرته الدحاسية وأورلق تحريره وأقلامه ، ويجلس في انتظار أصحاب الصحف الذين كان أغلبهم من الأميين . يقول لطالب المقال : هل تريد من الفروع المادى ، أم المتوسط أم الفاخر ، الأول من نوع أسلوب المؤيد واللواء وهذا نحن تحريره خمسة قروش ، للصحيفة الواحدة ، والثانى من أسلوب محمد عبده وتوفيق البكرى ، بمشرة قروش للصحيفة ، والثالث ( الفاخر ) من نوع كتابات ابن المقفع ، والجاحظ ، وبديع الزمان ، خمسة عشر قرشاً للصحيفة - كتب مائة مقال تحت عنوان ( السرطان السيامى ) فى إحدى الصحف اليومية ، كان يحدث فيها عن مجاهل أفريقيا وعادات أهلها وعن الهزود الحر ، وشذوذ طبائهم ، وكان يلفق الحوادث ويرتب وقائعها ترتيباً قصصياً .

( يوسف الخازن ) : وصفت جريدته « الأخبار » بأنها جريدة لا مبدأ لها ولا منتهى . تحافظ على صداقتها للاحتلال وعداوتها للدولة العلية .

وقالت جريدة المكشوف : وهى تنمى يوسف الخازن ( آيار ١٩٤٤ ) لم تسكن جريدة الأخبار مع الأسف تسايير الحركة الوطنية المصرية بل كانت تقاومها مقاومة جريئة وتسايير الأغراض الأجنبية ، فكان المصريون يكرهون الأخبار ويسمونها ( الجريدة الصفراء ) ، وقد أصدر يوسف الخازن جريدة الأخبار بالاشتراك مع داود بركات الذى تركها ١٨٩٩ واستقل بالأهرام ، ثم توقفت الأخبار وكتب يوسف الخازن فى الجوائب والراوى واشتغل فى المقطم ، ثم أعاد الأخبار سنة ١٩٠٧ وقد عرفت مقالاته الماكرة اللثيمة فى مختلف المواقف الوطنية وخاصة عندما هاجم مرابى بعد عودته من منفاه .

يقول صاحب هامش الأهرام : لم يكن يمالئ الوطنيين وكثيراً ما كان يفقد مسلكتهم ، كتب جورج طغوس يوماً عن لازمات الكتاب ، فقال أما « لازمة الخازن » فهى « أما سعد باشا » وقال إن الخازن سافر إلى باريس حتى أواخر ١٩١٩ وعاد إلى بيروت

وفي سبتمبر ١٩١٩ تولى عبد الحميد حمدي تحرير الأخبار ، ولما كانت السلطة مانعة إصدار  
صحف فقد ابتاع أمين الزاوي رخصة الأخبار بمبلغ ٨٠٠ جنيه في أوائل عام ١٩٢٠ وراجت رواجها  
كبيرا . ( خليل مطران ) : عمل في جريدة الأهرام ومكث بها بضع سنوات ، وهو الذي أقدم  
لها داود بركات الذي أصبح من بعد رئيسا لتحريرها . أكثر من أربعين سنة ، يقول :  
أصبح مرتبي فيها لا يكفي لإعالة عائلتي ، اضطررت أن أجد اشتغالي بالأهرام ومارست  
التجارة وأسدرت إلى جانبها المجلة المصرية . ونشرت بها معظم ما نظمه إسماعيل صبري ،  
وقد مكثت هذه المجلة تسع سنوات ، وكانت طريقة التوزيع عسيرة لأنها تقوم على  
الاشتراكات ، وقد ذهب المحصل مرة إلى صديق من أعز أصدقائي للحصول الاشتراك فقال  
صديقي للمحصل : هل هذا عن عيش ، فألمتني جدا هذه الكلمة وأغلقت المجلة ،  
وهجرت الصحافة واشتغلت بالتجارة ، ثم عدت إلى إصدار الجوائب المصرية خمس سنوات  
ثم انصرفت عنها .

( نقولا الحداد ) : وصفته مجلة اللطائف فقالت في ١٩١٨ : كان في العقد الرابع من عمره .  
ويقيم في حاصمة القطر وله صيدلية باسمه في شارع شبرا . تلقى علومه في كاييتي صيدا وبيروت  
شغف منذ صغره بالتحرير والكتابة . مضى عليه في عالم التحرير نيف وعشرون سنة  
لم تخل جريده أو مجلة عربية من كتاباته ، لم يترك موضوعا إلا طرقة ، معرفته باللغة الانجليزية  
معرفة جيدة وأسفاره إلى أوروبا وأمريكا متصلة ، وله رواياته الفكاهة ، وأبحاثه الاجتماعية - اشتغل  
في الصحافة فكان محرر جريدة الرائد المصري ، المحروسة ، جريدة الأهرام ، الجامعة ،  
جريدة الجامعة في نيويورك - مال منذ اثني عشر عاما إلى تأليف الرواية وتصنيفها وتحريرها فلم  
تكد تصدر أول رواية له ( عين بعين ) حتى تفاولها الجمهور برغبة وإهتمام ، أشهر رواياته :  
الحقيبة الزرقاء ، حواء الجديدة ، الصديق المجهول - يضم نصب عينه في رواياته شيئا معلوما  
لا يعتمد ، فإذا أراد أن تكون رواياته مسلية فكاهية كان ذلك ، وإذا أراد أن يكون مغزى  
اجتماعي أو اقتصادي أو أخلاقي كان له ذلك أيضا ، كما يدرك ذلك كل من قرأ رواياته الكبيرة  
وهو يكيف كتاباته تسكيما يوافق الأحوال . وله مؤلفاته كثيرة في أبحاث عمرانية واجتماعية  
تدل على سلطة كلام مداوك فلسفة عقلية في المقام الأول بين الكتاب والملاء والأدباء وله  
شغف بنظم الشعر كلما دعا .

## ٢ - مرحلة ما بين الحربين

(داود بركات) : قال : كان ذلك حوالى عام ١٨٩٣ حين رأى عزيز الزند صاحب المحروسة أنى أجيد الكتابة فبمث إلى وعرض على التحرير فقبلت . كانت الصحافة حزبية فى ذلك العهد . كانت المحروسة والأهرام تدافعان عن مصالح الوطن وتقولان بأن تركيا هى سياحة الحق فى مصر ، ويستندان إلى تأييد فرنسا وروسيا فى مكافحة الانجليز . وكان ، ( المقطم ومصر ) يؤيدان انجلترا . وكان الحزب الخديوي يؤيد الصحف الوطنية . وكانت من الجوائد المسموعة فى ذلك الوقت جريدة القاهرة ( أسبوعية ) والسلام لصاحبها طلبات ولسان العرب للشيخ بخيت الحداد من الجرائد اليومية ، وكلها لاتزيد عن أربع صفحات والنسبة للثورة العربية . كان حزب الخديو يعتقد أن العربيين خونه ، ولكن الشبان كانوا يعتقدون أنها حركة وطنية رائدها الاخلاص ، فى سنة ١٨٩٦ اتفقت مع الشيخ يوسف الخازن على إصدار جريدة يومية ونجحنا فى ذلك نجاحا لم تكن نتظره ، إذ كان عندنا أنى مشترك وكنا نبيع فى اليوم ٨٠٠ نسخة وكان ذلك عدداً عظيماً فى ذلك الوقت كانت الصحافة ( إذ ذاك ) قليلة الانتشار ، كان المؤيد فى أحسن أيامه لم يكن يطبع أكثر من ٨ آلاف نسخة وطبعت الصحف يوم وفاة مصطفى كامل ٤٠ ألف سنة ١٩٠٠ ويوم وفاة سعد زغلول ١٣٠ ألف .

(عبد القادر حمزة) : صور عبد القادر حمزة ارتباطه بالصحافة فقال : فى ١٩٠٩ اشتغلت فى الجريدة نحو عام ثم تألفت شركة لإصدار الأهرام فانتخبت رئيساً لتحريرها وبقيت على

ذلك إلى سنة ١٩١٩ ، ثم أدت (الأهالى) لحسابي ، ونقلها إلى القاهرة ، وفي ١٩٢١ عطلت الحكومة الجرائد المنتمية للوفد ، كنت أحرر الأهالى للدفاع القضية الوطنية ومستقلا عن الوفد . أرسل سعد (باشا) حافظ عوض ليعرف رأيي فيما إذا كنت أناصر الوفد أم لا ، أخذت الحكومة تحاربني فلما عطلت الأهالى ٨ نوفمبر ١٩٢١ ، أصدرت المحروسة . التي عطلت من بعد فأعدت إصدار الأهالى فعطلت في مارس ١٩٢٣ واعتقلت في قصر النيل .

(عباس العقاد) : لما توقف الدستور (الجريدة) دعاني حافظ عوض للعمل في المؤيد ، في ظل الحرب العالمية تركت الصحافة ، كتبت في الأهالى بعد الحرب . كانت الأهالى تناصر الوفد فاشتغلت بالتحرير فيها ، ثم انتقلت إلى جريدة الأهرام وكانت تناصر الحركة الوطنية . وكتبت في الأفكار ، البلاغ ، كوكب الشرق . ويقول العقاد : لم يسبق لسعد باشا أن أملى على خطة معينة لا تبهما في كتاباتي السياسية ، بل كنت دائما كما أنا الآن استوحى رأيي من عقيدتي السياسية وفكرتي الوطنية .

(ابراهيم عبد القادر المازني) : صور المازني علاقته بالصحافة فقال : لما قامت الحركة الوطنية هجرت الإشتغال بالتعليم وانتمرت في هذه الحركة ، وكان أمين الرافعي يعمل لإصدار الأخبار ، وقد طلب في أن أعمل معه في هذه الجريدة ، وفي الفترة التي كان يستعد أمين لإصدار الأخبار سافرت في رياضة إلى الإسكندرية فطلب مني صاحب جريدة وادي النيل أن أترجم له التفرقات الخارجية فاجبت طلبه وكنت إلى جانب ذلك أحرر بعض المقالات الخاصة بالقضية المصرية فارتاح صاحب وادي النيل إلى تلك المقالات .

وكان أمين الرافعي ما زال يستعد ، فاشتغلت بجريدة النظام وفي خلال اشتغالي طلب مني عبد القادر حمزة أن أرسل له ببعض المقالات لنشرها في الأهالى فسكنت أقوم بها العمل أيضا إلى أن تم الإستعداد لإصدار جريدة الأخبار .

(أحمد وفيق) : وصفه فسكرو أباطة فقال : في كتاباته ضحية المبدأ ، ارتفعت لفته (م — ٧٧ تطور الصحافة العربية للأمامرة)

بجاء في العامين الآخرين لدرجة أنها يجب أن تهبط ، عندما يبدأ يقدم لك آية من آيات  
البلاغة ، وعندما يشور يقذف عليك ما يقذفه بركان فيزوف ، أعتقد اعتقاداً راسخاً أنه أعلم  
المصريين بتطورات وتاريخ القصة المصرية .

(عبدالله حسين) : بعد من أبرز كتاب الأهرام في فترة ما بين الحربين ، وقد صور صلته  
بالصحافة فقال : إنني متفرع من أسرة صحافة منذ إنشاء جريدتنا اليومية الكبرى « المؤيد »  
التي كان يصدرها قبل الحرب السيد علي يوسف ، وكان والدي من أكبر معاونيه  
في إنشائها إذ كان ابن خالته . كانت نشأت الأولى في دار المؤيد . عندما كان بشارع  
محمد علي ، ومنذ أن ولعت عيني على نور الدنيا شهدت في اللحظة نفسها جريدة ( المؤيد )  
والجرائد الأخرى التي كانت ترد إليها . وعندما جاءت الحرب الكبرى وكفت أدرس  
الحقوق في السنة الأولى شجعتني الميل إلى هذه الحركة بالكتابة في الصحف واختصمت جريدتي  
المقطم والأهرام بالكتابة .

× لا أرى في الصحافة إلا أنها ميدان للدفاع عن الحقوق الوطنية ، ولذلك ترى كتاباتي  
مشبعة دائماً بهذه الروح وهي أكثر وأبعد من أن تشوبها الروح الصحافة التجارية الظاهرة  
في أقلام الكثيرين من الذين يعيشون في الصحافة . وتضطرم الظروف إلى التنقل  
من الصحف بنير رعاية المبادئ التي تروجها . وقد وجدت في جريدة الأهرام وسطاً  
كريماً وتشجيعاً كثيراً ، أن عملي في الصحافة قد دعت إليه رغبتني في الدفاع عن المبادئ الوطنية  
وفي اليوم الذي أرى في الصحافة متعارضة مع مبادئ فاني أعزها وأكون خصماً لها .

× الصحفي الخبير هو صحفي المستقبل ذلك لأن المقالات تهبط قيمتها في نظر القراء طالما بعد  
عام وهم يؤثرون معرفة آخر الأخبار وأصدق الحوادث .

(الدكتور محمد أبو طايه) : اشتغل في الصحافة عشر سنوات ١٩٢٠ - ١٩٣٠  
وكتب في افتتاحات كوكب الشرق والبلاغ وحرر في مجلات دار الهلال وخيال الظل

حوال اكتشاف والوطن والاطائف والمصور وكل شيء والفكاهة وكان يوقع «أبوناظرة».

(جورج طنوس) : كان وكيلا لقلم الرقابة الصحفية في مصر في أثناء الحرب الأولى ، أصدر جريدة المنبر سنة ١٩٢٠ ، مؤلف كتاب نقطة العرب باللغة الإنجليزية ، ولد في لبنان وتعلم في كلية فكتوريا بالإسكندرية وأنتم علومه في كبردج ، وتزوج إحدى كريمات فارس نمر ، وصف بأنه كاتب متقن يكتب بأساليب مختلفة دون أن يشعر القارئ . أن صاحب هذه الأقلام المختلفة شخص واحد ، عمل في تحرير كوكب الشرق ١٩٢٨ توفي ( يونيو ١٩٤٢ ) .

(نجيب هاشم) : عمل في الأهرام منذ ١٨٨٩ ، ثم عمل في المؤبد ، واشتغل في المقطم ومصر والوطن والإكسبريس والجريدة والأخبار ( مع يوسف الخازن ) ثم البلاغ . ثم ما يذكر رواية خبر الاتفاق الإنكليزي الفرنسي ١٩٠٤ ، وكان عمله في جريدة الأخبار التسلق على الأحوال الحاضرة كما كان مختصا بترجمة تقرير الورد كرومر في المقطم . ( توفي يوليو ١٩٣٤ )

(منيرة ثابت) : برز اسمها في أوائل سنى الثورة الوطنية ، وكانت تتقن اللغة الفرنسية . وقد أصدرت جريدة لسبوار اليومية بالفرنسية فكان هذا أول حادث من نوعه ، أصبحت الصحيفة لسان حال الوفد ، ثم أصدرت جريدة الأمل الأسبوعية بالعربية ، وكانت تطالب بحق المرأة المصرية في الانتخاب وعضوية المجالس النيابية وتعديل شروط الزواج والطلاق لحفظ حقوق المرأة والحد من تعدد الزوجات ومساواة المرأة والرجل في الحقوق السياسية والاجتماعية بوجه عام ، وقد حملت لواء الدعوة إلى انشاء نقابة للصحفيين ، وتزوجت عبد القادر حمزة .

وصف فكرى أباطة أسلوبها سنة ١٩٢٦ فقال : أسلوبها فيه روح - وفيه حياة ، يشترك أنه أسلوب جديد وإن كان لم يبلغ بعد درجة التكوين الكامل ، متدعة للدرجة

القصوى ، وهى تعتمد فى ذلك على أنها أنسة ، ومن الجنس اللطيف ، جريئة . . . فلننظر إلى مستقبلها بعيد اليقظة .

( سيد على ) صاحب جريدة النظام : رسم لطفى جمعة ( أكتوبر ١٩٣٢ ) صورة وصفية للمصحف سيد على : كان سيد على صديق وشريكى فى تحرير جريدة اللواء أيام المرحوم مصطفى كامل . ليس على قيد الحياة الآن من هذه الفئة سوى أحمد حلمى وأمين عمر الذى كان يكتب مقالات فكاهة بقوقيع « أبو حفص » ، أما البقية فقد امتدت إليها يدى الردى فى مدى ثلاثين عاما . كان محرراً مختصا بالترجمة من الفرنسية إلى العربية كما كان عثمان صبرى مختصا بالترجمة إلى اللغة الإنجليزية وفى حياة سيد على ثلاثة فترات : ( ١ ) عهد اللواء .

( ٢ ) بعد وفاة مصطفى كامل وعهد تحرير مصر القناة وتأسيس النظام والأفكار .

( ٣ ) عهد الانقطاع عن العمل .

وكان فى الفترة الأولى مترجما ينقل ما يراه الباشا ( أى مصطفى كامل ) جديرا بالترجمة أو ما يثاره هو بعد مطالعة صحف البريد الفرنسى وكان قلمه سيالا ، وأسلوبه . فوق العادى وكان مصطفى كامل شديد التمسك بالسكور إلى حد « الهوس » ، وكان نهض من نومه حوالى الفجر ويبدأ العمل فى الساعة وكان أول وجه يلقاه وجه سيد على طربوشه مدووج على جنب ، وفى عروة سترته زهرة ، كان صحفيا فقط ، لم يخضع لمبدأ معين ، وقد خدم الحزب الوطنى فى اللواء مصادفة ، وكان محبا لمصطفى كامل ، فلما مات مصطفى تساوت الأمور فى نظره ، ولم ينضح رأيه مع خلفاء مصطفى فى قزان ، فاختلف معهم وأسس جريدة مصر القناة وسار جنبا إلى جنب مع الجرائد الوطنية ونالت نصيبا



عن الرواج سبباً أثناء المناقشات الحادة التي حصلت في الجمعية التشريعية حول مد امتياز قناة السويس .

اتصل سيد علي ببعض رجال السياسة الأوربية وكانت الوكالة الإنجليزية تخطب ود كل صحفي لبنى المربكة ، ولكن سيد علي كان قليل الإختلاط بهم ، اشترك مع أبو العنين في جريدة الأفسكار ، بدأها في غبط المدة وانتقلت إلى حى عابدين . وفي ١٩١٦ اعتقل سيد ، ثم أفرج عنه بعد وفاة أبو العيين ، اختار جريدة النظام وكان قد أسسها محمد مسعود ، وكان سعد زغلول يدعوهم ويكلفه ببعض الأعمال الصحفية . ثم انقطع عن الصحافة منذ ١٩٢٥ تقريباً وأنجه نحو الزراعة ، وكان يركب فرساً أسود اسمها عزيزة وقد ألفها مآ جمعية الدفاع عن حقوق رجال الصحافة والأدب .

(الشيخ صالح روتر) : حاول أحد الصحفيين أن يرسم صورة له فقال : أنشأ شركة أنباء تنقل كل ما تهفو إليه النفس من أسرار ومعلومات ، ولم يكن يحفظ إلا كلمة أفرنجية واحدة هي (ريز يدانس) : أى دار الحماية وكان يقولها فى كل مناسبة وكل وقت . ومهمة الشيخ روتر تتحضر فى أنك تقول له نبأ ما ، فيطوف القهاوى بعد أن يضيف إليه كل ما يسمع له خياله الخصب من رنوش ثم يعود إليك فيخبرك به على أنك لا تمرقه ، فإذا جادلته فى بعض النقاط صاح : سبحان الله : هذا خير من « بز أمه » .

(الدكتور سيد كامل) : وصفه زملائه بأنه كان صحفياً من الطراز الأول : عمل فى جريدة المؤيد ، وكان مندوباً له فى قضية دنشواى ، أتم دراسة الحقوق ١٩٠٨ وسافر إلى فرنسا وأكمل دراسته فى السربون ، وبهر الأساتذة الفرنسيين بذكائه ، نال الدكتوراه فى الحقوق برسالة : « المسألة الشرقية ومصر فى مؤتمر الآستانة » ، عمل بعد عودته رئيساً للتحرير بالمؤيد بعد وفاة مؤسسه الشيخ على يوسف ، رافق الخديوي عباس فى أوربا خلال سنى الحرب ،

عاد إلى مصر سنة ١٩٢١ قاتلحق بتحرير جريدة الأخبار ثم عمل محرراً في جريدة السياسة ، ثم عمل مع طلت حرب في بنك مصر حتى توفي ( يونية ١٩٣١ ) .

له جولات في وصف الحرب الروسية اليابانية ، كان يكتب بتوقيع ( بيدبا ) .

« توفيق حبيب » ( صاحب عامود على الهامش ) في الاهرام : بدأ يعمل في الصحافة ١٩٠٠ في جريدة الاهالي ، التقى في دار العلامة محمود أنيس في شبرا بكثير من أهل الادب والسياسة وفي مقدمتهم الشيخ عبده وأحمد زكي باشا ، أصدر جريدة اسمها « الشيطان » ثم التحق بجريدة مصر . اشترك مع جندي إبراهيم في شراء امتياز جريدة الوطن من صاحبها ميخائيل عبد السيد ، ثم أصدر الإكسبريس ، وعمل في الجريدة مع لطفى السيد . وفي الاخبار مع يوسف الخازن وفي المصور والكشكول والاتحاد ثم التحق بالاهرام . وفي عام ١٩٣٢ تسمى « الصحفي المجوز » وبدأ يكتب عاموده : « على الهامش » يقول : بلوت الصحفي أشكلاً وألواناً ودرجات وطبقات مختلفة ولم أنل منها إلا الكفاية ومع ذلك لا أزال أحبها وأعشقها .

( د . محمود عزى ) : كتب عن نفسه في ٢٣ أبريل ١٩٣٧ ( المصور ) يقول اشغلت بالصحافة ١٨ سنة ، كنت مدرسا في مدرسة التجارة العليا إلى نوفمبر ١٩١٨ ثم بدأت على الصحفي بإصدار ( المحروسة ) ١٩١٩ حتى عطلتها السلطة العسكرية ، فأصدرت ( الانفكار ) إلى ١٩٢١ حتى عطلتها السلطة ، فأصدرت ( الاستقلال ) ١٩٢١ وساهمت في ( السياسة ) ١٩٢٢ حتى ١٩٢٨ وأصدرت مع توفيق دياب ( وادي النيل ) و ( الشرق الجديد ) ١٩٢٩ ، وجريدة اليوم ، ثم غادرت مصر ١٩٣٠ - ١٩٣٤ حيث عملت في مجلة الخديو السابق وعادت ١٩٣٤ فتعاونت مع توفيق دياب في إصدار ( الجهاد ) ثم رأت تحرير جريدة ( روز اليوسف ) اليومية ١٩٣٥ ثم أصدرت مجلة الشباب سنة ١٩٣٦ وكفت أول من كتب ( الدبليوميات ) في الجهاد ١٩٣٤ ، إنني أول صحفي مصر أدخل كلمة « ثقافة » في متداول الألفاظ العربية .

وأول صفى مصر حضر مؤتمرات دولة فى لوزان ١٩٢٢ وأول من أدخل بدعة البرلمانيات والتعليق على الحوادث البرلمانية بصراحة وجرأة كبيرة، وأول من سن نظام المقالة فى عموم واحد فى جريدة الاستقلال . وقد تحدث محمود عزمى عن تطور الصحافة فى محاضرة له عام ١٩٤٦ فقال : انه أصدر الاستقلال سنة ١٩٢١ وكانت فى أنجاهها « مصرى وطنى » مختلفة فى التفاصيل مع سعد زعلول ، وتميل إلى عدلى . وكتب فيها طه حسين وهيكى وعنان، وقال بائع الصحف الصغير عنها انها ( جورنال أنجليزى ) . وكان باعة الصحف يذهبون بها إلى بيت الأمة ويقبضون الفلوس ، وقال أن جريدة الاهرام كتبت على صدرها بعد ثورة سنة ١٩١٩ : جريدة مصرى للمصريين ) والصحيح ( جريدة مصرى بالمصريين ) .

وقال : كان الناس إذا شاهدوا « الهلباوى » يقولون : لبسقط عمامى دنشواى ، أو يقولوا : « أطلقنا الحمام » . وقال ان « سمودى » مقمى الصحف الوفدى ، تحدى ثروت باشا عندما أصدر الأحرار الدستوريين جريدة السياسة ، فأصر سمودى ألا توزع السياسة إلا نالسمراقتى حده ، وكان لثروت باسا بعض الاشراف على التوزيع، ولم تسقط السياسة أن ترى النور إلا بالاتصال بسمودى .

(فكرى أباطة) : يقول : كنت أحفظ أربعة آلاف بيت من بيوت الشعر المختار .  
أبن ذهبت هذه الآلاف من المذكرة النبىة . وكنت أحفظ مقالات الحربرى كلها . .

١٢ يولية ١٩٢٦ . فى ترانس حمام سان استفانو جلست أجرعه الكازوزة جرمامه  
حمام مقمب كله حمة وعافية . . وإذا شاب سمهرى القند تحيل القوام يقترب منى ويحيينى  
قال : أنا أميل زيدان عدى فسكرى فى إصدار مجلة مصورة ويسرنى أن تعاوننا .

لم اكن افهم مطلقا إلا أن اكتب وأفرح بطبع ما اكتب ونشره ، وكنت اكتب

الأهرام سبعة أعوام (١٩١٩) واصبت نجاحا بلا شك ، وفي ذات يوم من الأيام استبدعني جبرائيل تقلا وقال لي بلمحة رقيقة : أنه جرت العادة في أوروبا أن يقبض الكتاب المشهورون حقهم من الكتابة ، فلا بد أن تحد لك أجرا ورت يومها ثورة .. شعرت كأن لطمة مست شرقي وحررت كرامتي ، وكلما ازداد دهشة من ثورتى ازدادت غضبا وخفقا . كنت كاتبا ( بكرا ) وظننت أن الفلوس تخرج « غدريتي » وأخذت أصيح في دار الأهرام : أبا عتري . أنا حزب وطني . أنا أكتب للبلد لا للحبي . .

وكتب المقالات الأولى في الأسابيع الأولى من الزقازيق حيث كنت أقيم ، وإذا بشيك ظريف يتهاوى إلى بالبوسنة فأقلبه مندهشا ، ولكن رقه العالي يحمي ثورتى ويهدى أعصابى ونحدرنى تحديرا فاقبضه وأنا صامت وأظل أقبض — بصمت — من ١٩١٦ إلى اليوم ١٤ هـ .

وكان فكرى أباطة أول من مزج بين حرص الفقيه القانونى المسلح دائما بالمنطق والقانون والأدلة والحجثيات وبين الأسلوب الصحفي الناعم القوى أو السهل الممتنع .

(محمد المهياوى) : نمر على الأزهر في وقت مبكر . المنشئ . لاكثر دعايات الكشكول في الفترة التي وقع الخلاف فيها بين الحزب الوطنى والوفد ، كان أخطر من دافع عن الحزب الوطنى . قام مشروع ملتر في جريدة الأمة ، شاعر وكاتب . وله قصائد هزلية نشرها في الكشكول بامضاء «الشاعر إياه» ، له كتاب «الطبيع في الشعر» وله كتاب اسمه (مصر في ثلثي قرن) . وعندما رفعت بريطانيا الحماية وقالت (الكلمة الآن لمصر) كتب تقول (الكلمة لمصر ولكن ليس لمصر أن تكلم) أول كتاب نشره : الفرائد : مجموعة ما كتب في مطامع صباه . قبيل أن سمد زغلول كان ينتظر كلماته في الكشكول كل أسبوع .

توقيعات الصحفيين

- (١) ع. م. - الأهرام : عباس مصطفى (٢) لكتاب كبير بنم عنه قلعه - مصطفى لطفى المنفلوطى  
(٣) س - سعد زغلول (٤) لأمر من أعلام البيان فى الجهاد، كوكب الشرق - (شكيب أرسلان)  
(٥) محمد واحد : محمد بن : كوكب الشرق : كان الناس يظفون أنها حافظ عوض : ولكنها  
جورج طنوس (٦) ابن طييه : السياسة : محمد حامد محب المحامى (٧) أبو التلاميذ . محمد سليمان  
عناره (٨) هندس = عمدة التابى (٩) خلدون : محمد خالد (١٠) ابن رشيق = محمد على غريب .  
(١١) عليم : فى جريدة الأهرام = اسماعيل أباطه (١٢) محمود المقاصد : محمود نغرى -  
فى اللواء (١٣) س ١ : سعد زغلول فى البلاغ (١٤) حكيم : مكرم عبيد فى المصرى (١٥)  
غالب القحط . وديك الجن : أحمد نجيب الهلالى - المصرى (١٦) صريح : محمد محمود -  
المصرى (١٧) فؤاد ، سماد ، ربيعه ، ح. ي. ، = انطون الجليل : الزهور (١٨) مستقيم = اسماعيل  
صدق (١٩) هى . بن . بن = داود بركات الأهرام ١٩٠٨/١٩٠٩ (٢٠) ابن غانم =  
توفيق دياب (٢١) . حقوق : إبراهيم دسوقى أباطه (الفرالى أباطه) (٢٢) ع . م . :  
عباس المصطفى (٢٣) ميمص : مصطفى أمين (٢٤) صحنى عجوز = توفيق حبيب  
(٢٥) : اشموز : محمد أمين حسونه .

صحفيون اجتذبتهم المناصب

ترك الصحافة كثير من أعلامها أمثال : محمد مسعود وراشد رستم ومحمد أبو طايه  
وعباس حافظ ( فى عام ١٩٢٩ ) وعملوا بصحيفة التجارة والصناعة والتعاون الرسمية  
ومن الصحفيين الذين ولوا منصب الوزارة : الدكتور هيكل ، والدكتور حافظ عفيفى ،  
والدكتور أحمد ماهر ، والدكتور طه حسين .

كان أحمد ماهر مديرا لسياسة جريدة كوكب الشرق فى عهد وزارة صدق ١٩٢٣  
يكتب المقالات الرائعة ، وعمل أحمد عبود بالصحافة فصدر جريدة الكشف سنة ١٩٢٧  
وهو أول من أدخل تقليد نشر الصور فى الصحف اليومية ، وأول من عقد اتفاقات

مع كبريات الصحف الإنجليزية لنقل تفرقاتها لتنشر في مصر وأنجلترا في وقت واحد .  
وعمل عبد الرحمن عزام في الصحافة ، وكان مديرا لسياحة الكشاف على مبادئ الوفد .  
فلما رأت أن تملن استقلالها تركها عزام ، وحافظ عفيفي كان صاحب امتياز جريدة  
السياسة ثم مديرا لسياستها ، والاقتصادي أحمد نجيب انضم إلى أسرة الأخبار بعد  
صدورها بأيام صحفيات :

#### للرأة في الصحافة

عمل في هذه الفترة عدد من الصحفيات . في سنة ١٩٣٤ كانت أمينة السعيد  
في كوكب الشرق وسهير القلاوى في الوادى ثم تحولت أمينة السعيد إلى الصور ودار  
الهلل . أماميرة ثابت : فاصدرت الأمل ( لاسبوار ) بالفرنسية وأصدرت :  
صيرانبراوى « المصرية » بالفرنسية ، وأصدرت لبيبة أحمد : النهضة النسائية . وأصدرت  
روز اليوسف : مجلة روز اليوسف ، كما أصدرت فاطمة نعمت راشد مجلة أسبوعية وعملت  
بالصحافة أيضا حبيب المصري ومنيرة عبيد .

وقد سورت انطون الجليل دور المرأة في الصحافة في نهاية مرحلة ما بين الحربين  
فقال : إذا كان محور الصحافة « تسقط الأخبار » . فإن المرأة إذ تجلس في قاعة استقبالها  
بين زائراتها أو تقعد على عتبة دارها مع جاراتها ، هي أروع من يروى أخبار الناس .

إن الصحافة النسوية لم تعرف عندنا إلا منذ حوالى نصف قرن ، عندما أصدرت  
( هند نوفل ) أول صحيفة نسوية ١٨٩٢ . ثم توالى صدور الصحف ، ولا أغفل مجلة  
الأجيال التي أصدرتها : هدى شعراوى وتولت تحريرها سيرانبراوى وكثير مع استشار  
تعليم للبنات عدد الكاتبات الأدبيات اللواتي ينشرن في الصحف والمجلات  
المقالات والأبحاث . وللصحافة فضل لا ينكر على نهضة المرأة فقد أفسحت الصحف  
المجال للمرأة ، تكتيب وتنفرة آراءها وتذيع دفاعها عن حقوقها . وخصصت بعض  
صحف يومية صفحات أسبوعية كاملة للمرأة والشئون النسوية ( الكوكب البلاغ . الجهاد ) .

## المصاحفون

( فترة ما بين الحربين )

محمود أبو الميoun : ظل طوال حياته مكافأ بالقلم فى ميدان عاربة البناء ومساوىء الشواطىء ، والأخلاق ، والدعوة إلى التعلم الدينى فى المدارس . وله ثلاث مجموعات مقالات هامة نشرها فى الأهرام .

X الصحيفة السوداء ١٩٢١ وهاجم فيها الانجليز أبان سطوة احتلالهم .

X مذايح الأعراس ١٩٢٣ .

X مقالات « باضمة الأخلاق » ١٩٣٣ يقول : فى نفسى

آلام أرى فى الكتابة ما يخفف عنها هذه الآلام ويشمرها

ببعض الذة .

أحمد زكى باشا : له أكثر من ألف مقال فى الصحف والجلاب فى الفترة من ١٨٩٢

إلى ١٩٣٤ وكلها تتعلق بالتحقيقات التاريخية وتصحيح

الأسماء الجغرافية .

محبوب ثابت : أولى اهتماماته : الكتابة عن السودان ووحدة وادى النيل وشئون المال :

محمد مسعود : أولى اهتماماته لتصحيحات القنوية والتحقيقات التاريخية ، قارع شيخ

العروبة زكى باشا ، يقول ، اكتب لنفسى وللعالم ذوى أى اعتبار آخر .

مفصور فهمى : أمضى وقتا طويلا بعيدا عن العمل الرسمى ، وعاش فى قربته يرأسل

الأهرام بكلمات من خواطره فى مختلف المجالات تحت عنوان

« خطرات نفس » جمع منها القليل فى كتابه والباقي لا يزال منشور

فى دوريات الأهرام .

د. محمد صبرى : بدأ فى سنة ١٩٢٢ كتابات متنوعة فى الأهرام ، فى الوطنية والابحاث التاريخية والاجتماعية وما يزال يكتب إلى اليوم .

وحيد : كان يرسل الصحف فى فترة ما بين الحربين بكلمات قصيرة فى التصحيحات اللغوية ( أقرأ عنه فى كتابنا الشرق فى فجر النقطة ) .

محمد ليب البتانوى : نشر فى صحيفة الأهرام فصولا متنوعة عن رحلاته فى أنحاء العالم وأهمها رحلته إلى أسبانيا وأمريكا .

التفتازانى (محمد الغنيمى) : كان محرر حديث الصيام فى الأهرام خلال الثلاثينات ، ويقنول خلالها موضوعات متنوعة فى التاريخ والأدب والتراجم .

توفيق اسكاروس : حفلت الصحف بمقالاته فى التحقيقات المتنوعة فى التاريخ المسيحى وتاريخ الأدب ومنابع النيل وعلاقات مصر بالحبشة .

محمد فريد وجدى : نشر عددا من الفصول والدراسات فى الأهرام وغيرها عن تركيا الجديدة والأديان والمعضلات الفكرية والاجتماعية والعرب والترك والقرآن وله أكثر من ٣٠٠ بحث فى مجلة الأزهر .

خليل حسن : له عشرات الأحاديث والابحاث حول اكتشافات الآثار الفرعونية التى كان يقوم بها .

د. أحمد غلوش : حفلت الصحف والمجلات بكتاباته وأحاديثه وصوره حول تحرير المسكرات .

الكاتبة م. زيادة : ظلت تنشر فصولها فى جريدة الأهرام وقتا طويلا ثم حررت باب المرأة فى السياسة الأسبوعية فترة من الوقت .



عمر طويسون : أولى اهتماماته للدراسات التاريخية المصرية في عصر محمد علي ، وخاصة الرسائل ، الحملات العسكرية ، كما سجل رحلاته إلى الصحراء الغربية وغيرها .

أحمد فؤاد (الدكتور) : ركز اهتمامه وكتاباته عن : مصر والسودان في نظر العلم والتاريخ .  
د. علي مصطفى مشرفة . نشر عديداً من الأبحاث عن العلم وبسط مفاهيم وتحدث عن طبائهم  
الاجرام السماوية .

أحمد شفيق ( باشا ) : نشر عديداً من مذكراته عن تاريخ مصر في عصر اسماعيل وما بعده .  
عزيز خاكي : نشر عشرات من الدراسات والفصول التاريخية والقانونية .

لطفي جمعه : يضاف في نشاطه في تلخيص المؤلفات الغربية التي تهتم بمصر  
والعرب والمسلمين ، نشاط أحمد زكي باشا ، فقد نشر عشرات من  
الفصول والدراسات في مختلف الصحف ، وكانت له فصول أسبوعية  
في البلاغ اليومي ، وله مقالات متعددة في البلاغ الأسبوعي ، ومجلة  
الرابطة العربية وعشرات المجلات منذ ( ١٦١٦ - ١٩٥٠ ) .

عبد المتعال الصميدى : من خيرة الكتاب في مباحث الاسلام والدين ، نشر عديداً من  
الدراسات والمقالات .

محمد رمزي : أولى اهتمامه بدراسة الحواضر والمدن وتاريخها وأعلامها ، وسار  
في ذلك على نهج الخطط التوفيقية لعل مبارك .

شكيب ارسلان : هذا كاتب عربي عاش فترة ما بين الحربين تقريبا في جنيف ، وقدم  
للصحف والمجلات المصرية أبحاثا ومقالات لأحد لها ، وكتب  
في الأهرام وكوكب الشرق والجهاد والبلاغ وفي مجلتي المنار والفتح .

وتناول عشرات من أبحاث السياسة والاسلام وألقى نظرات صائبة

على آراء المستشرقين وكتاب الغرب في قضايا العرب والمسلمين .

الأب /انتاس الكرملى : نشر فى الصحف المصرية عديدا من أبحاثه اللغوية والأدبية  
وكانت له مساجلات .

جميل صدقى الزهاوى : نشر فى الصحف المصرية شعره وكتابات له وكانت له  
مناقشات ومساجلات مع كتاب مصر حول كثير من القضايا  
العلمية والفلسفية .

حسن القاياتى : أولى اهتمامه بالأنايبش اللغوية وتخصص فيها .

محمد ثابت : نشر كثيرا من الفصول عن رحلاته فى العالم العربى وآسيا وأفريقيا .

وهناك عديد من المصاحفين ، شغلوا الصحف بأثارهم ولكنهم كانوا أقل فى الدرجة من  
حيث النشاط والانتاج فى مقدمة هؤلاء : الدكتور أحمد عيسى ، عبد الحميد أبو هيف ،  
أحمد تيمور ، عبد الحميد نافع ، أمين واصف ، عهود العزيز البشرى ، عبد الرحمن عزام ،  
ليبب السكرداني ، محمد عبد المطلب ، أحمد فهمى العمروسى ، الدكتور محمد شرف ،  
أمين سامى<sup>(١)</sup> .

---

(١) يستطيع الباحث لتوسع فى دراسة هؤلاء الكتاب مراجعة مؤلفاتنا (١) المعرف فى غر البقطة  
(٢) أعلام وأصحاب أفلام (٣) النثر العربى المعاصر (٤) الصحافة السياسية فى مصر .

## تكریم الكتاب<sup>(١)</sup>

أول الهيئات الصحفية والسياسية كتابها بالاحتفاء والتكريم ، وكان الدكتور هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة ( ١٩٢٢ - ١٩٣٦ ) في مقدمة هؤلاء بمد أن ترك الصحافة وبمناسبة إصداره مؤلفاته الإسلامية : حياة محمد والصديق والفاروق ومنزل الوحي .

X محمد علي علوبة<sup>(٢)</sup> : صديق الدكتور محمد حسين هيكل رافع لواء الثورتين : ثورة الأدب وثورة الفكر أما الثورة الأدبية فقد شب إوارها وأزكى نارها وهو بمد في ريع شبابها أما الثورة الدينية فقد حمل الدكتور هيكل لواءها زهاء تلك الفترة أو أكثر .

كان الدكتور هيكل في ثورة الأدبية والدينية على السواء ، قلقا حائر النفس ناقدًا ، نوعا ما على الأدب العربي والفكر العربي والتراث العربي بكل ما يحويه من أوضاع وسنن ، بمد أن رأى في أوروبا معينا فياضا من الماني والأفكار والاتجاهات ، وكان في قلقه وحيرته ونقمتة مخلصا ينشر الحقيقة لا يتكلف وممانيا لامباها ، ثم أدى به إجهاده وإخلاصه للحقيقة التي ينشرها من وراء القلق والحيرة والعقمة ويطلبها بالمعانة والتجرد ، أدى به ذلك إلى النتيجة المنطقية التي لامعدي عنها لسكل من التجرد لفكرة ، لقد عثر الدكتور هيكل على الفردوس المفقود ، الفردوس الذي يكشف له عن عظمة الشرق وسمو آدابه وجلال الشريعة التي ملأت نفسه زهوا وغرا وإعجابا وغمرتنا بلهجة من الطمأنينة ، فأبنا هيكل القلق الحائر النفس ، هيكل الناقم المسخط على التراث العربي ، يخرج منه هيكل العربي المالح الباني ، هيكل الذي إمتلأت نفسه يقينا ومنالاة بالشريعة السمحة وزهوا بالحمد العربي ، هيكل الذي يحمل في إحدى يديه قبسا من نور الحقيقة وفي الأخرى قلعه يترجم عن معاني ذلك النور ويشر به ،

---

(١) نعرنا نصلا عن تكريم المقاد في كتابنا ( للعارك الأدبية )

(٢) الصحف مايو ١٩٣٥ .

مخلصاً في ذلك آكد الاخلاص واتمه . لقد قادت الحقيقة هيكل ، ولو كان الهوى هو القدي  
قاده كما قاد كثيراً من الباحثين ، لما وصل إلى هذه النتيجة الباهرة ، ولكنه طلب الحقيقة  
جاهداً حتى ظفر بها .

× عبد العزيز البشري : لقد كنا نحن معشر الأزهريين ولعلنا مازلنا نعتقدان المنطق  
الصحيح حكمة لنا من دون الناس جميعاً ، ذلك بأن علم المنطق يدرس في الأزهر حتى درسه ،  
فاذا أصبنا غير أزهري يرتب المقدمات ترتيباً مطلقاً ، ويجري الأقيسة إجراءً مستقيماً ،  
حتى يصل إلى النتائج الصحيحة ، أخذنا من صنيعة المعجب .

ثم عرفت الشاب هيكل ، ١٩٢٠ ، فإذا هو على تدفقه في خاطر الساعة وإذا هو على  
تمتمته في طلب دقائق المعاني ونظمها في أنوار الألفاظ لا ينحرف قيد شعره في سبيل المنطق  
في ترتيب المقدمات ونظم الأقيسة ، على إختلاف أشكالها نظماً صحيحاً ، لا يطرعه أي خلل  
في أي قطر من أقطاره ، وأول ما يشعر به محدث الدكتور هيكل وقارئه على السواء هو إبعاده  
في النظر وامعانه في التفكير ، حتى لقد برئ المرء له ولا مثاله ، على ما بذلوه في ذلك من  
جهد ، وما عانوا من تعب وكد ، وحسب هيكل فضلاً أن خلقاً من الناس كانوا يظنون أن  
هناك تناكراً بين العلم والدين ، فثبت بكتابة حياة محمد أن الدين لا ينافر العلم ولا يقف عند  
هذا ، بل لقد أثبت أن الدين مما يحتمه ويلزم به : العلم الصحيح .

× الدكتور منصور فهمي : إنني عرفت هيكل القدي ارتفع به قلعه الثابت وجهاده  
الفكري إلى أعلى الرتب من نحو ثلاثين سنة ، وهو من طلاب العلم وزين أعضاء الجمعيات  
العامة ، وبين ناشئة الكتاب التميزين ، وكان يبشر منذ أدب الشباب الرائع بما كان  
ينتظره في كهولته من فصيح الأدب ، وكان سمو خياله في صباه ينبئ بطموحه في سمو  
المقاصد ، وكان صدقه وصفاء طويته يشعرنا بصدق وطنيته ، كان هيكل طالب  
العلم والكتاب والحامي في صفاد من الود لا يتسرب إليه حقد لخلاف في رأي ، ولم يقطع

حالة من صلات الودة بنضرب وهو يتكشف لدى كل من عرفه حسنه بحبها ويرتبط به من أجلها .

× الشيخ مصطفى عبد الرازق : كنا شبابا نطلب العلم في باريس ، وذهبنا ثلاثة إلى بعض الملامى تلمو كما يلهمو الشباب ووجدنا هناك عراقا يصف للناس أسرار قلوبهم وينبئهم بما يضر الغيب لهم في المستقبل المحجوب .

قال لأحدنا وهو يومئذ أصغرنا سنا وأحدثنا عهدا بباريس ، إنك ستكون عظيما بين أصحاب القلم ، ولم تكن هذه البشارة كبرى اليشار ، التي شرح العراف بها صدورنا للمستقبل ، ولسكنها كانت على ذلك أكثر روعة في نفوسنا ، ذلك لأن الشباب المعصرى المتعفف في ذلك العهد ، ينزع بحماس إلى مذاهب الديمقراطية التي تريد أن تهدم القفاوت بين الناس بالأموال والإنساب والمناصب ، لتبنى مراتب البشر على أساس الثقافة والعلم ، قد تكون يشاره العراف لزميلنا الشاب قد أعانت على توجيهه وجهة الدراسات الأدبية إلى جانب دراساته القانونية والإجتماعية ، وكان زميلنا من القداء والجد والنشاط بحيث نهض بهذه الدراسات المختلفة نهضة السباق الممتازة ، وليس في إنتاج الدكتور هيكل شيء من نوع الأدب الرخيص ، الذي لا يقتضى جهدا ولا يحمل عناء ، بل تمتاز آثارة الأدبية بالفكر العميق والتحليل الدقيق ، وفي كتاب حياة عماد وفي منزل الوحي توجيه للأدب العربى جديد يصونه عن فقدان شخصية في الآداب الأجنبية ، من غير أن يضع عليه أى معنى من معانى النحوض والتحديد والرق ، ولقد صدق عراف باريس منذ عشرات السنين .

× إبراهيم عبد القادر المازنى : إذا كانت الذاكرة لم تخفى نقصة زينب هى أول ما أفنتح به الدكتور هيدل حياته الأدبية ، ويعيننى من أمر هذه القصة التي لقيت بعد ذلك

بسنوات من الإنصاف ما هي جديرة به ، أنها أولا ابتداء في ميدان جديد ، وثانيا : أن روح الإيمان التي برزت جداً في كتابية حياة محمد وفي منزل الوحي ظهرت في هذه القصة .

وهذا هو الذي أريد أن ألفت إليه النظر ، فإن روح الإيمان ظاهرة في كل ما أخرج الدكتور هيكل من الآثار الأدبية ، بل حتى في مقالاته السياسية وبغير الإلغفات إلى هذه الناحية ، يستحيل أن يطل المرء على وجه صريح يستريح إليه العقل ، هذا الوهب المفاجيء من الغرب إلى الشرق ، ومن العناية المقصورة على الأدب الأوربي ، إلى العناية المقصودة على ينبوع للتأويخ الإسلامي ومصدره الأول ، وقد كنت في أول الأمر وقيل أن تتصل أسباباً بأسبابه أراي في حيرة من أمره ، لا أرى له عناية تذكر بالأدب العربي والتاريخ العربي ، وكنت فوق ذلك أسمع أنه ملحد ، وكان ذلك مضافاً إلى ذلك يجعلني أتصور أنه سائح طاب له المقام فاقم ، ولكنه بقي محتفظاً بخصائصة التي جاء بها ولم يتأقلم ، واحسني كفت أعود إلى كتيبه وأراجع نفسي في مقالاته السياسية التي يكتبها كل يوم في « السياسة » فاستغرب ذلك ؛ أن روحه هي روح المؤمن العميق الإيمان ، لا روح الملحد الذي يحترق على الحكم على ما لا يفهم بمجرة حكم مريجة ، وسألت نفسي يوماً : كيف يكون ملحداً من لا يختار من كتاب رنسا « جان جاك روسو » ليترجم له في العربية .

لماذا لم يختار فولتير مثلاً ، وكيف تتطلع النفس وتنتجعه دائماً إلى المثل العليا وصور السكال في الدنيا ، وتكون مع ذلك نفس ملحد ، وهيكل نازف فكيف يتأتى أن تنزع إلى الثورة والتمرد ، نفس ملحد يكتبني من النظر بالسكف عن النظر ، ومن عذاب البحث بالراحة من البحث ، ومضت الأيام فمرقته وكتب لي الحظ أن أحمل معه وأن أكون أحد أعوانه في السياسة ، فلم أحدثه في هذا ، فقد أغثنى الاتصال به عن السؤال ، فلما شرع يكتب - ونحن في غمرة ثقيلة من المشاغل السياسية - « حياة محمد » وبنشرها تباعاً في السياسة الأسبوعية ، كنت واحداً من القليلين الذين لم يستغربوا منه هذا الاتجاه ، ولم يقع منهم موقع المفاجأة ، بل كنت على يقين جازم بأنه - بفضل إحتيلاء روح الإيمان على نفسه - أفند

سمن يكتب حياة محمد كما ينبغي أن تكتب ، وأرجو أن تصدقوني حين أقول أني فرحت  
بكتابته لحياة محمد ، وأن فرحي وزهوي ما كانا ليزيدا على ذلك ، لو أني كفت السكاك  
الموفق لحياة محمد ، ولا أحب أن أكرم أن فرحي لم يخل من أناية ، فقد أغبطت لأن  
نظرتي لم تخطئ ، حين اعتقدت من قبل أني أعرفه ، أن في نفس هذا الرجل كزاً  
سمن الإيمان . كثير أن يفرد به واحد ، ولو أن بيير يوت مورجان أو روكفلر وزع من  
ملايينه التي لا يستطيع أن ينفقها كلها ، على بضع مئات لأيسروا ، ولما أحس هو بخسارة أو فرق ،  
وكذلك هيكل المليونير الروحاني ، فليته يعطينا مما أعطاه الله فيقينا من هذه الفار الخالدة ،  
إذن لكان مثلي أن بطعم أن يكون يوماً من الأيام شيئاً .

الصحف العربية في مرآة الصحف الأجنبية

نشرت جريدة ما نشستر جارديان البريطانية مقالا عن الصحافة المصرية ١٩٢٩/٢/٢٢  
مقات : تمثل الصحف والمجلات العربية دوراً هاماً نشيطاً في الآداب المصرية ، ليس فقط  
في البلدان التي تتكلم العربية بل في بلدان يعرف أهلها العربية ولا يتعلمونها إلا كلغة  
علمية ، وتحتوي مطابع تجمع فيها الحروف العربية . فمصر اليوم المركز الرئيسي لهذا  
النشاط الأدبي .

وقوة الصحافة في مصر عظيمة جداً وأبناء العرب يحترمون العلم كل الاحترام وهناك  
كلمة ما ثورة عن مصر ، هي أن المصري إذا رأى شيئاً مطبوعاً اعتقد أنه حقيق ، فالصحافة  
المصرية والحالة هذه تبرز نفوذاً قوياً في نشر الآراء الجديدة ، وفي وسعها أيضاً أن تكون  
مصدر شر واذيه ، كما يفعل بعضها في تضليل الرأي العام لمأرب ذاتية ، ولحسن الحظ بزغ  
الآن فجر جديد في عالم الصحافة وجمعت بعض الصحف من نفسها قدوة في هذا الشأن ،  
وهو قد نشأ هناك سمور ، بالكرامة وسيصبح ما كان بدى منها شاذاً مثالا عاما يحبذ ،  
فهناك صحف عربية تشر بمسئوليتها نحو قرائها ولا تنهك الانهماك كله بتكديس  
الأموال في خزائن أصحابها . وقد إنقضى الآن زمن عدم مراعاة القدمة والضمير ، وبدأ  
القارئ المصري يحرز الموهبة اللازمة للتمييز بين الأخبار الصحيحة التامة المزهة  
التي تقدمها له أفضل الصحف العربية والأخبار المرتبكة والآراء المتخربة التي لا تزال راسمال  
الأنجار لبعض الصحف التي هي أحط سممة وكرامة .

ومن الغريب في مصر أن الجريدة التي لا تراعى كرامة الصحافة تباع «كالكسكس» بسبب مقالات يومية تنشرها لبعض مشاهير الكتاب يستعمل فيها كل ما في حافظته من عبارات القذف والسباب والكلام البلدى البذى .

وهناك بعض الصحف الفكرة تراها تبرز فجأة ، وتأخذ دوراً هاماً بين الجمهور ، لأن حزبا من الأحزاب يكون قد فقد جريدته وقتيا بسبب عقوبة تعذيبها يتخذها لسان حاله ، ولم يكن حدوث مثل هذا قليلا في خلال العشرين الأخيرة ، ومثل هذه الصحف لا تشتري وتقرأ إلا بمحتوية من الأخبار الهامة بل للاطلاع على الآراء التي تنشر فيها بطريقة حماسية مريبة . ولا يستغنى من يشترها عن شراء غيرها من الصحف التي يعتمد على صدق روايتها ، وهذا هو سر النجاح المستمر الذي صادفته صحيفتان استغفاهما القاضى مارشال من كتابه الأخير .

جريدة الأهرام أنشئت عام ١٨٧٥ وكانت أول جريدة عربية يومية وحافظت منذ صدورها على مكانها الأول في السبق بنشر الاخبار ، فهي والحالة هذه جريدة جذابة وافية المواد الإخبارية ، ساسة الامة ، جيدة الاسلوب ، وهي مشهورة بنوع خاص بتلغرافاتها انحصارية ، ولا تزال الجريدة العربية الوحيدة ، التي لها مراسلون خصوصيون مقيمون في عدد غير قليل من المواسم الاجنبية تتلقى منهم يوميا برقيات خصوصية عن الحوادث في العالم ، والاهرام جريدة مستقلة لا يتحكم فيها أى حزب سياسى .

أما جريدة المقطم فقد أنشئت عام ١٨٨٩ وحافظت على سمعتها بنشر الاخبار الموثوقة ولا سيما فيما يتعلق بالاخبار المحلية كترقية الموظفين وتقلهم ، وما إلى ذلك من أخبار مصالح الحكومة ولهذا السبب يطالها معظم موظفى الحكومة بمد الظاهر عند ذهابهم إلى مشارب القهوة والاندية ، وللمقطم مكانتها الخاص في لندن ، وهي معتدلة في آرائها السياسية وميالة إلى تأييد أية حكومة بتولى الحكم .

أما جريدة السياسة فلها أنشئت من قريب ، وأنها لسان حال حزب الاحرار الدستوريين ، ومن مظاهر التطور الصحافى الحديث النجاح العظيم الذى لقيه بعض للصحف الاسبوعية المصورة ، فانها تصدر في ثوب بديع من الصور المتقنة الطبع التي لا يقل رونقها وجمالها عن رونق أية صحف أخرى في سائر أنحاء العالم .



# إطار لصورة العصر وملامح المجتمع

من خلال الصحافة العربية في مصر (فترة ما بين الحربين)

(١٩١٨ - ١٩٣٩)



## ١ - تحرير المرأة

سجلت ثورة ١٩١٩ إستشهاد عدد من الفتيات المجاهدات . شقيقه محمد ، نعيمه رياض ، عيشة عمر ، حميدة خليل ، كاسبق بمضمن إلى السجن واتخذن من سجنهن أوكاراً للحركة الوطنية كما اتخذن من حجابهن وسيلة لإخفاء المنشورات الدرية .

وعند ما تقرر إعلان اضراب العام لمدة ثلاثة أيام ، أصدر الحاكم العسكري البريطاني أمراً بفصل كل موظف لا يعود للعمل في اليوم التالي ، هنالك بكرت كرام للسيدات ورباطن على أبواب انوزارات والمصالح الحكومية وممن سلال الخبز والطعام والنقود ، فكن إذا رأين موظفاً متسللاً بادرن بملاقاته ، وقلن له : هذا هو الخبز إذا كنت جائناً ، وهذا هو المال إذا كنت محتاجاً ، فيعود خجلاً على عقبه ، وبعد ما أعلن مقاطعة البضائع الانجليزية بادرت السيدات بحاصرة المحلات الانجليزية ، دون سواها ، وممن جيش مرابط من طالبات المنازل .

٢ - ما كادت لهب الثورة تنحف ، وتعود البلاد إلى طبيعتها شيئاً ما ، حتى احتفل بذكرى قاسم أمين في ٢٣/٤/١٩٢٠ وحفلت الصحف فيها بمدح بعمارك ومساجلات ضخمة فيها أطاق عليه « بين السفور بين والحجابين » وفتحت جريدة الأهرام باب المناقشة على مصراعيه ، واشترك في ذلك ، عبد ربه مفقاح ، و«ع» هانم فوزى ، وعبد القادر بسيوني وعبد الحمد حمدي ( مدير جريدة السفور ) وعبد العزيز سليمان ويوسف الدجوي ومن تحدثوا في يوم قاسم أمين : الدكتور هيكل والشيخ محمد الخضري .

قال الخضري : أنه أول من رد على كتاب قاسم ( تحرير المرأة ) بالثويد ، وهو مدرس في مدرسة المنصورة ، وكتب رده دون أن يقرأ كتابه لما كان متشعباً به من أفكار تخالف أفكار قاسم ، ووصل في اليوم ذاته إلى المنصورة المرحوم الامام الشيخ محمد عبده فتلا عليه

ذلك الرد منتظراً منه الشفاء والمدح ، فلم يفز من الإمام بكلمة ، وهز رأسه استخفافاً ، ولما اعترف له بأنه هو الكاتب ، وأنه لم يقرأ الكتاب ، نصحه بأنه يعرف الكتاب وما كتب ، والغرض من كتابة قبل الرد عليه ، فانتصيح ولما ظهر الكتاب الثاني لقاسم « المرأة الجديدة » قرأه وكتب ثلاث فصول عنه ، وتعرف بقاسم ، وأدرك أن الرجل يريد تعليم المرأة التي تصوغ عقول أبناء الأمة ، وكما تصوغ تلك العقول ، تكون الأمة ، وعدا ذلك من حجاب وسواء ، فهي ذبول وتفاسيل لا يجوز أن تمس الجوهر وهو « تعليم المرأة » لتعلم الأمة ، لأنها الأساس !.

٣ - مضت الصحف تولى مسألة تحرير المرأة أهمية كبرى حتى ظهرت بواكير خريجات الجامعة ( في الثلاثينات ) نعيمة الأيوبي ( المفضلة بالعارف ) ، ثروت التونسى ( التي كتبت على اللوحة الفحاشية ) : دكتور لا دكتورة ، سهير القطاوى ، أمينة السعيد ، فضيلة عارف ، نفيسة سماحة ( طبيبات ) نبوية نصر الشافعى ( كلية التجارة ) فاطمة سالم ( آداب ) وكانت نعيمة الأيوبي أول من لبست روب الحمامة : « يوم أن نالت نعيمة الأيوبي ليسانس الحقوق من كلية الحقوق بالجامعة المصرية يومها تم ثارت ضجة في القطر كله ، وثارَت المناقشات في أعمدة الصحف حول اندماجها في سلك الحمامة ، وأرادت نعيمة أن تحقق أمالها إلى النهاية فأنخرطت في تلك المهنة الفحاشية ، وارتدت الروب الأسود وقامت مدافعة أمام المحاكم وبدأت مدة تمرينها عند محمود فهمى حندية المحامى . ثم ودعت الروب الأسود وعادت إلى أحضان الحكومة ووزارة المعارف . ثم اختصت بمقابلة السيدات الوافدات إلى ديوان الوزارة . وبعد التدريس ، قررت العودة إلى الروب الأسود .

لم يكن نعيمة الأيوبي أول محامية مصرية ، فهناك الآنسة كريمة الأزبى أبو العز ، التي حصلت على ليسانس الحقوق بالفرنسية . ولم تعمل بالحمامة . ومضت الصحف تنشر أخبار الخريجات . فالدكتورة نعيمة الأيوبي المفضلة بوزارة المعارف ، تسافر ١٩٣٦ في بعثة لدراسة

الخدمة الاجتماعية إلى فرنسا ، وتقوم رحلة دراسية إلى ألمانيا والسويد وأنجلترا وفرنسا للوقوف على الخدمة الاجتماعية هناك ، ثم التحقت في بلجيكا بكلية الحقوق وحصلت على أجازتها في مادة : «الأحوال الشخصية في بلجيكا» بالمقارنة مع الأحوال الشخصية في مصر ، وتحدثت «أسما فمى» عن : كيف انتقمنا الجامعة لأول مرة عام سنة ١٩٢٤ .

بعد حصولي على الثانوية وقفت أفكر في طريقة تساعدني على مواصلة تعليمي بعد إنتهاء مرحلة الدراسة الثانوية ، ولم أجد أمامي غير باب الجامعة المصرية القديمة ، ولكن لم يكن من السهل طرق هذا الباب ، لأن التعليم المختلط لم يكن معروفا ولا مألوفاً في مصر ، على حين أن الفتاة المصرية لطول عهدها بالحجاب تخشى بالضرورة للوجود بين أفراد الجنس الآخر وتنظر إليهم كما لو كانوا مخلوقات عجيبة نازحة إلى أرضنا من كواكب بعيدة !

كما كان الحجاب لا يزال سائداً وأن لم يعد بالنسبة للطبقات الثميلة أكثر من زى حادى قابل للتغيير والتعديل في آية لحظة ، وعلى الرغم من ضعف سلطان الحجاب وتبدل حاله لم يكن من اليسير التحرر من تأثيره تماماً ، فإن للعرف والتقاليد آثارها البعيدة في النفس ولها قوة الدفع التي يستمر مفعولها مدة طويلة حتى بعد التحرر من نيرها . بيد أن المضطر يركب الصعب من الأمور وهو عالم بركوبه ، ولا مفر إذن من الأقدام على هذه القفزة وافتحام باب الجامعة ، على أنى شعرت بشيء كبير من الاطمئنان عند ما علمت أن سيدتين مصريتين قد سبقاني إلى الميدان الجامعي ، وبذلك مهد الطريق وانتشمت النجوم ، بيد أن هذا التمهيد لم يؤثر إلا قليلاً في تحقيق ما شعرت به من الملح عند ما وجدت نفسي لأول مرة وسط قاعة المحاضرات الرحبة بالجامعة ، وتبينت أن مئات العيون تصوب إلى ، ولا أظن أن دخول ميدان الحرب يكون أشد رهبا من الظهور لأول مرة ، في مكان يستأثر فيه الجنس الخشن على أن زميلتي وقد أنضجتها تجارب الاشتراك في الثورة المصرية ، كانت من الشجاعة ورباطة الجأش بدرجة ألفت في روعى شيئاً من الهدوء والسكينة فانتحينا جانباً من القاعة ، وجلسنا نستمع

للمحاضرة بليغة من التاريخ الرومانى، ولم يصبح ظهورنا فى الجامعة شيئاً مألوفاً، إلا بعد أن سمعنا، لعدد من التجارب القاسية، فقد كانت كل حركة من حركاتنا ترمى علينا بدقة . وشرطنا أن مكاننا وسط الحنس ( المضاد ) يحتاج إلى تدعيم وتمحصين ، وشرعان ما صنعت لنا الفرصة لاحتلال مواقع جديدة حصينة، فلم نتردد فى التقدم والافتحام، وبعد ثلاثين عاماً من وفاة قاسم تحدث الكثيرات عن نهضة المرأة ، نالت هدى شعراوى : كسبت المرأة المساواة بين الجنسين فى التعليم ، تمديد سن الزواج . حق الأم فى الحضانه . إدخال بعض تمديدات فى نظام الخطبة والزواج والطلاق ، اشتراك المرأة المصرية فى العمل على رفاهية الشعوب، وقالت اسمها فهمى : ( نالت B. A. فى التاريخ و M. A. فى التربية ) : أعتقد أننا نبالغ فى تقدير ما وصلت إليه المرأة المصرية إذ الواقع أنه قليل وضئيل ، ولو أن قاسم أمين كان موجوداً ماسرته حالة المصرية ، ولا يصح أن نحكم على تقدم المرأة بحالة المواسم وللدن ، فالواقع أن الأكثرية العظمى التى تبلغ حوالى تسعين فى المائة فى الأرياف لا تزال المرأة جاهلة ومكبلة بالقيود .

وأثيرت محاولات كثيرة لاستغلال نهضة المرأة بتغيير المقومات الأساسية للإسلام : وقد كتبت هدى شعراوى ( الأهرام ٢٨ ديسمبر ١٩٢٨ ) : دعائى الأستاذ سلامة موسى فى كتاب أرسله إلى بناء على إقتراح وجه إليه أن أطلب إلى وزارة الحقاينة سن قانون يساوى بين المرأة والرجل فى حق الميراث وباطلاعى على ملخص هذه المحاضرة قدرت للمحاضر حسن عطافه على النهضة النسائية، ولما كان تقييد المرأة فى الميراث ليس من المسائل الداخلية فى برنامجنا فليس لى أن أتدخل فى هذا الموضوع لا باقرار الحالة الحاضرة أو تعديلها .

وأقول بصفتى الشخصية أنى لست من الموافقين على رأى سلامة موسى فيها بتعلق بتعديل نصيب المرأة فى الميراث، ولا أظن مثله أن النهضة النسوية فى بلادنا تأثرها بالحركة النسوية بأوروبا يجب أن تنبهما فى كل مظهر من مظاهرها ، ذلك لأن لكل بلد تشريعه وتقاليده، وليس كل ما يصلح فى بعضها يصلح فى البعض الآخر على أننا لم نلاحظ تدمراً من المرأة فى الميراث

ومن الرجم بالغيب أن يقال أن المرحوم قاسم أمين لما قام بنشر كتبه في سبيل تحرير المرأة، كان ينوى المطالبة بمساواة المرأة بالرجل في الميراث، وأن القدي آخره عن إعلان هذا الطالب هو أنه نظر نضوج الرأي العام كما ذكر سلامه موسى، فاطلع على كتب المرحوم قاسم يقرأ بين ساعاتها أنه كان يبنى فقط يحمل المرأة عضوا صالحا في الهيئة الاجتماعية وأن تمد الفتاة لتكون أهلا للقيام بتسييرها من العمل في خدمة عائلتها ووطنها .

وتحدث الدكتور هيكل عن المرأة المصرية والفن، وما ينقصها في المهامه . إقال : ما يزال الفن المصري الرقيق خاليا من وحى المرأة أو يكاد ، وتستطيع أن تستعرض ما تفتت ريشة المصورين المصريين، فلا ترى للمرأة فيه إلا أثرا قليلا ولا تكاد ترى فيه للمرأة الملمذة أثرا ناعا . والقاء اليوم على المرأة وحدها فيه ظلم كثير، ويحملها تبعات لا يصح أن تنوء بها منفردة ، ولله من الانصاف أن تقول أن المرأة قد أوجت إلى الفن ورجاله حينما استطاعت هذا الوحي . بل أن فن مختار كاه صادر من وحى المرأة .

أن نمة عاملان أساسيان لها أكثر الأثر في ذلك، «أولهما» : هذه القطيعة بين مسكري الرجال والنساء برغم إرتفاع الحجاب في أكثر طبقات النساء فقل أن تجد المجتمع المشترك الذي يندمج فيه الرجل والمرأة من مختلف الأحاديث في شتى الأمور «والثاني» : هذا الاتجاه من جانب المرأة لتسكب حقوق تهتقد أن الرجل غصبها أياها في الماضي فلا بد لها من استردادها لتقف من الرجل موقف المساواة ، وهذا الاتجاه يحمل المرأة تنظر للرجل وكأنه خصمها اللدود وكأنه القوة العابثة المستبدة التي يجب محاربتها .

## ٢ - مجتمع القاهرة

رسم فكري أباطه صورة مجتمع القاهرة ( ١٩٣٥ ) :

ركبت الترام من مخزن شبراخى حتى المتبة الخضراء ، ومن المتبة الخضراء حتى الأهرام ، ثم انحرفت إلى مصر القديمة ، ومن مصر القديمة إلى مصر الجديدة ، ثم تفللت في الدراسة والحسينية والسيتية ، ثم صعدت للقلمة ثم هبطت للمناورى ، وفي الليل تسالت إلى نواذى والصالات والحانات والحفلات ، ثم ارتفعت إلى كلوب محمد على ، وكراب الفسطاط ، ثم انحدرت إلى قهاوى باب الشمرية ومنها إلى جروبي وصولت .

أول ما يروع السائر فى القاهرة ، حركة القاهرة : هذا ججش ، وهذا حمار ، بفله ، حصان . بسكليت ، موتسيكل ، عربة كاربو ، عربة حنطور ، ترام ، سيارة ، بابور زلط ، رشاشه ، زحافه ، هذه مخلوقات الحيوانية والحارية ، تفوق فى عددها المخلوقات الأدمية ، والشوارع ضيقة والعمارات لا تنجمل ولا تترجرح . وفى القاهرة كرتقال فى كل لحظة ، طاقيه ويجوارها لاسه يجوارها كوفية وعقال ، ويجوارها طربوش ، يجوارها عمة بطربوش . يجوارها برنيطة ، هذه جرمة راءول ، يجوارها ششب ، يجوارها قبتاب .

هذه بدلة بطربوش ، هذه بدلة بياقة ولسكن بعمه ، هذه جبة وقططان ولسكن بعمه ، هذه جاكته بجلاية ، وهذه جلاية بياطو ، وهذا بدطلون بلا جاكته . هذه ملاية لف بيرقع أسود ، هذه حبرة بيرقع أبيض ، هذا بالطوا ببيشه ، هذا فستان بدون قناع .

\* \* \*

إذا ما نمت الساعة الخامسة صباحا ، دق معها صوت بائمة الزبدة وبائمة اللبن ، إذا ما نمت فى الصيف بعد الغذاء ، خرج عامل جروبي بصوته الشفيق معلنا وصول الجيلاتنه ، ودقت الآسة التى تقلم البيانو بجوارى أدواراً غير رخيمة ، وظل الفونونراف يصممنى



رغم أننى أصوات المطربين والمطربات، ونادى بأثوا الجرائد على المقطم والبورص ، وأخذت خادمة الدور الثانى تنفض السجاجيد والأبسطة من شبا كها .

إن القاهرة الموصرة تعيش على حساب المزب والكفور . إن القاهرة تبنى وتشيد على انقاص البيوت القديمة فى الريف . من يوم أن باع الأعيان قطعهم سنة ١٩٢٠ ، سنة ١٩٢١ بأربعين جنبها للقططار ، وامتلات جيوبهم بالمال زحفوا إلى القاهرة ، خفافا فاحتلوها إحتلالها وتحلوا عن قلاهم وحصونهم فى الأرياف .

يمطر المطر فى ميدان الأوبرا وشارع المناخ وحى قصر الدوبارة ، فإذا ما انتهى وجدنا ميدان الأوبرا وشارع المناخ وحى قصر الدوبارة أنظف مما كان وأرشق مما كان ويمطر المطر فى الدراسة ، وبوابة التولى وباب الشعيرة فتظل آثاره أياما ، والقاهرة كما هى تزور وتزيف وتنفس وتندخ ، وتبدو للقادمين من الحطة والنازلين من شبرد والكونتينتال وسميراميس ومينا هاوس عروسا هيفاء ناصعة البياض متقنة التواليت ، ولكنها هى نفسها فى الواقع شطاء صفراء غليظة فى الدراسة والتربية والجمالية والحسين والوابلية .

• • •

إنندم التزاور فى القاهرة داخل البيوت ، وأصبحت المقابلات فى جروبى وصولت وسيلندديار والأنجلو وباب اللواء والشيشة . عيشة القهوات عيشة عقيمة ، الأنس العائلى مفقود ، قلما يتناول رب البيت طعام المشاء على المائدة مع زوجته وأولاده وقلما يعضى معهم السهرات .

فى القاهرة طرب وموسيقى ، ولكنه طرب متعب . أظل أنا طول الليل من الساعة التاسعة مساء إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل أحرق فى وجه أنسة تندب سوء حظها مع حبيبها وأنا جالس لرواية بين المنية وجيبها لا دخل لى فيها .

فى القاهرة سموم قتاله تعصف بشباب الشبان هى المرويين والكوكابين والحشيش .

### ٣ - المقامى

ومنه سورة الصحن المعجوز من المقامى فى القاهرة ( ١٩٢٧ ) .

أفلفت « القهوة الوطنية » أكبر المقهوات والأندية العامة وأشهرها فى ميدان العتبة . وميدان الخازندار . أنشأها سيد القهوجية الخواجا مانولى يوانيدس صاحب مرقص ألف ليلة وليلة لنعو عشرين سنة حلت فى عمارة حسن بك عبد المشرقة على شارع البوسطة والبواكى والباب الشرقى ، وعنى بتأثيرها وتأنىق فى تنظيم غرفها وقاعاتها ، ومنها قاعات البلياردو وقاعات الطاولة والدومينو والشطرنج وقاعات القهوة والشيشة ومنها أبهاء الصيف وأخرى للشقاء .

وكان الإقبال عليها عظيما ، إذ تراكب زبائن أندية العتبة والخازندار مجالسهم فى مقوماتها وتهافتوا على القهوة الوطنية وشاركوهم فيها بمعنى زبائن الاسبلندد بار وغيرها حيث تقدم أنغر الشيش ، وكان لرواج الأسواق المالية ونشاط الوطنية أثرهما فى ازدهار هذه القهوة الجديدة التى اتسمت قاعاتها لعقد كثير من الجمعيات الوطنية والمذاكرة فى الشؤون العامة خفية وعلنا . فلما أعلن الاستقلال والدستور اتخذها كثيرون من أعضاء البرلمان الريفين مركزا لهم ، واحتفظ الشيخ سعد مكرم بالولاء لها حتى أعلن انقائها . وكسب منها الخواجة مانولى وأرى ، حتى أنه اشترى عمارتها ، ولكنه لم يلبث حتى باع المارة والقهوة بأرخسائره المشهورة فى تجارة الدخان وقصر أعماله حتى آخر أيامه على إدارة مرقص ألف ليلة وليلة .

#### الحلاقون

كانت لجماعة الأسطوات المزيدين أو الحلالين فى مصر صولة ودولة ، كان لهم تقيب وكان منهم معلمون كبار وصبيان مزيدين . وكانت دكاكينهم أندية لأهل الذوق السليم والظافة يقصدها عصر كل يوم للمسامرات . وكان الحلاق لا يقتصر على قص شعر الرأس وحلق اللحية والقنون بل كان يجمع إلى ذلك كثيرا من الحرف والصناعات .

## ٤ - منع المسكرات

كتب الدكتور أحمد حلوش الرئيس العام لجمعية منع المسكرات في القطر المصري في مجلة (الاطائف) ١٩٣٦ بـصور حركة منع المسكرات .

يا أن جمعيتنا جمعية تسهر على خدمة الأمة المصرية ولا نألو جهداً في سبيل ما يبرز الروح القومية ويصون الأخلاق الفاضلة ، لم ز بدأ من أن ترى دلونا بين الدلاء قياماً بواجبنا المقدس إننا نرحب بكل حركة ترى إلى خير مصر وتقع أبنائها ، ولما كانت مقاطعة البضائع الأجنبية التي يمكن الاستغناء عنها في مقدمة الأمور النافعة وأساس نهضة الأمة فإننا نضم صوتنا إلى الأصوات الصارخة بضروره مقاطعتها .

غير أننا رأينا خلال الضجة القائمة أموراً من الغرابة يمكن ، وأى أمر أغرب من أن ترى بعض الجرائد تهتف في صفحة من صفحاتها بحياة الصناعة الوطنية ومقاطعة البضائع الأجنبية ، وفي الصفحة الأخرى من نفس العدد تنشر الإعلانات الخلابية المواد هي شر البضائع الأجنبية وأشدّها كيداً وعبثاً ، وأى ضرر يقاس بضرر الخمر شر الآفات الإجتماعية وأفظع ما منبت به الشعوب في متراخيات المصور .

إذا كانت البضائع الأجنبية تضر من الوجهة الاقتصادية وتحرم أبناء مصر أموالاً طائلة هم بها من جميع الشعوب أولى ، فإن الخمر تضرهم في مالهم ودينهم وشبابهم وأخلاقهم ، أيجمل فاشروا إعلانات الخمر أن ملايين الجنينيات تهدر كل مام في مصر على موائد الخمر المستوردة إليها من أوروبا .

لقد آن لهذه المهزلة أن تنتهي ، لقد صبرنا على هذه الدعوات المضارة مدة طويلة إلى أن بات الصبر ضرباً من التقصير والاستهتار .

إننا نمت للأدب بسبب ونفهمى إليه بنسب ، وزمى للأقلام حرمه وتحفظ لأربابها  
عهداً ولا تريد أن نبعث من غضب البراعة شرر إعتقاد كالنار مستطيراً وصرير لوم يصند  
كالسيف الصقيل صليلاً . واسكن طال أمد الصمت ، ولم يبين من أصحاب هذه الجرائد  
بادرة تم عن ميلهم للانفلاق عن هذه الدعوة الخطرة فأصبح استمرار سكوتنا مما نسمع  
وزى ، إساءة لا يقبل لها عذر وليس لها من مساع .

إحترموا يا قوم روح الأديان ولا تسخروا بمواطف الأمة ولا تتجروا بمصالحها  
وأخلاقها ، واعلموا أن الأعين ناظرة ليست بمغمضة ، وأن النفوس يفتى وليست بها  
هجمة ، وأن المصلحين سيصلون هذه الدعوة الثانية من مضاء عزمهم ونور رشدهم ناراً  
حامية ، نحن أمة تريد النوض وتفوضى الاستقلال ، وصرح الاستقلال لن يقوم على جدران  
واهية ، وأركان متداعية يعصف بهاريج السوء وتعبث بهاروح الفساد . ولا بدلى  
من التنويه بفضل الصحف التى ترفع عن الكسب بنشر اعلانات الخمر ، أما نحن  
فلقد عقدنا النية على إثارة حرب شعواء ضد كل ما يضر بمصالح مصر وسنولى وجهنا  
شطر هذه الناحية ونسمع المستهترين من آيات الحق ما يقض المضاجع ويقلب كل ما يرى  
إلى ضرر الأمة رأساً على عقب .

## • - بنك مصر

تم إنشاء بنك مصر سنة ١٩٢٠ وكتبت مجلة الطوائف تحت عنوان «البنك الوطنى المصرى الجديد»  
بنك مصر» في ١٩ يوليو ١٩٢٠ نقول :

نعم لقد قام طلمت بك حرب بنفسيه من العمل ، وأوجد بنك مصر فانتهى الدور الأول  
ودخلنا في الدور الثانى وهو دور عمل أفراد المصريين ، أغنيائهم قبل متوسطيهم ، فالميون  
شاخصة اليهم ، ناظرة إلى كيفية إقبالهم على الشروع . ويقول بمزيد الأسف  
أن الأسهم المعروضة للاكتتاب في تأسيس البنك لم تنط بمد ( إلى حين كتابه  
هذه السطور ) ولا يزال من واجب الثرين المصريين وهم يحصون بالألوف وأموالهم  
مكدسة في المصارف الأجنبية أن يدركوا مزايا هذا المشروع الوطنى العظيم ويعلموا أنه  
ميزان حرارة الوطنية التى نراها تنفذ في كل آن .

\* \* \*

في ٧ مايو ١٩٣٥ احتفل بمرور عشرين عاما على إنشاء بنك مصر في سنة ١٩٢٠ .  
وتحدث كثيرون عن الخطوات التى حققتها .

قال إدوارد كوك محافظ (البنك الأهلى) : يخيل إلينا أحيانا أن هناك رجلا مأملا إحدى  
طبيعتين : الحالمون وأصحاب الرأى والانتباء من ناحية ومن الناحية الأخرى : الرجال العمليون  
وذوو العزيمة ، ومن النادر أن تجد رجلا يجمعون بين مميزات الطبقتين ، وأمامنا هنا مثال  
منهم هو «طلمت حرب» أن كل من يعرفون طلمت حرب لا يهرم ما يرونه فيه من حدة الفكاه  
والجهد على العمل وقوة الذاكرة بقدر ما يهرم ما يلمسون فيه من قوة البداهة وميزة الاستنتاج  
بالسليقة . ، أن تجربة الأمة العربية نجحت في الشركات نجاحا باهرا كما نجحت تماما في أعمال  
البنك ، وأن تجربة جمل الأسهم في البنك والشركات أسميه لا يملكها إلا مصريون قد ظهر  
أثرها الطيب .

قال محافظ البنك الأهلى : أن ماتم في خلال هذه السنوات الخمسة عشر لا يقاس

بالاحصائيات والأرقام وحدها، فقد تم شيء كبير ، بل هناك ما هو أهم من هذا ، وأعني به التأثير النفساني في عقول الشباب المصري ممن يتوقون إلى خدمة وطنهم ، فقد تولدت في نفوسهم آمال جديدة وبثت فيهم روح احترام النفس ، لقد شق طلعت حرب طريقاً جديداً وقد اتسنى له في هذا الباب القيام لبلاده بخدمات أجل كثيراً مما قام به كثيرون .

وقال أحمد عبد الوهاب : في اعتقادي أن أساس نجاحه وسر توفيقه ، أنه عمل قوى بحس ، تجلت فيه القومية بأكل معانيها بحيث لا تفريق بين حزب وحزب ولا تمييز بين طائفة وطائفة ، هو فكرة مصرية يستوى عندها المصريون جميعاً ما هم ما تابعت مذهبهم الدينية وتنافرت نزواتهم السياسية فهو بقوميته الكاملة هذه قد سما فوق الانقسامات والاختلافات ونجا من آفات التحزب والمقصومات .

قال طلعت حرب : كان تأسيس بنك مصر ١٩٢٠ مفاجأة أدهشت الجميع وأقبل بعضهم على بعض من فرط ما دهشوا يتساءلون عن مستقبل هذا المشروع وعن كفاية القدين يتولون أموره ويهيمنون على شئونه ، وعما إذا كان من المستطاع إستعمال لغة البلاد في أعماله ، وعن مدى تأثيره من الناحية الاقتصادية المصرية .

لقد هال بنك مصر بلا شك يوم بدأ حملته ألا يجد أثراً لعمل مصري صميم إلا النادر يدرأ عن الأمة سخرية الساخرين . أما في ٧ مايو سنة ١٩٣٥ فقد تغيرت الظروف وأصبح لمصر بنك قوى بلغ رأس ماله مليوناً من الجنيهات بعد أن كان في البداية ٨٠ ألف جنيه ، وبلغت الودائع أكثر من عشرة ملايين ، وزر إلى جانبه عدد كبير من الشركات تخدم مصر في الأرض والبحر والسماء .

وقال : طلعت حرب : بنك مصر وشركات مصر ليست إلا معاهد للتربية الاستقلالية يكل فيها الشباب المتعلم علومه بالعمل والمران عليه ، لسنا نذبح سراً إذا قلنا أن سبب نجاح بنك مصر ، هو أولاً الابتعاد عن زحام السياحة والحزبية فهو قد فتح أبوابه لخدمة جميع المصريين عامة وخاصة على السواء ، كما يرجع سر نجاح البنك إلى الأسرة ( أسرة بنك مصر ) التي تسود فيها المودة والولاء ويمتنق فيها البر بالرحمة ، وابتعاد البنك عن السياحة ليس ناتجاً

عن عدم أكثر من بمصالح البلد العليا ، فان المصري القدي لا يكثر بمصالح وطنه لم يولد بعد ،  
ولكنه إتباع للحكمة المأثورة « اسأل عمال رجال ، فالسياسة رجال » وللمال رجال ، من يخطط  
بين عمل وعمل يختلط عليه الأمر والتوى عليه القصد وأفلت منه سر النجاح ، أنظروا إلى معامل  
البنك في بحر الخمسة عشر عاما : أنه فتح ميادين عمل مختلفة للشباب المصري كانت موصدة  
في وجهه . ساعد المقاومين المصريين حتى ولجوا باب المنافسة وبرزوا فيها أقرانهم كما أسدى في أيام  
الأزمة من المساعدات والخدمات الوطنية لمواطنيه ما لا يمكن أن ينسوه ، سلو عملاء البنك  
عما لا قوة من بنك مصر . ويلاقونه من مساعدات لزراعاتهم وصناعاتهم وتجاراتهم ، سلو عن  
الروح التي عاملهم وبعاملهم بها بنك مصر ، أنها روح عطف ورحة قبل أن يكون حزما  
موشدة ، سلواكم من صانع لولا بنك مصر لما كان له وجود ، وكم من تاجر مدين ببقائه إلى  
بنك مصر . وكم من دور غنية عامرة وعائلات كبيرة لولا بنك مصر لأسبغت في أوقات  
الشدة طمعا للخراب والافلاس .

لكم أن تسمو بنك مصر أعجوبة مصر ، فاحكموا علينا أولنا ، وما نحن إلا بشر ،  
نخطئ ونصيب . فان أخطانا فلنا من حسن نيتنا شفيع ، وأن أصبنا فذلك فضل  
الله يؤتيه من يشاء ، وحسبنا راحة الضمير ، حسبنا هذه الثقة أعظم جزاء تقدمه الأمة لخدماتها  
المخلصين . أننى على استعداد دائما للتخلي عن العضوية والإدارة لسلك مصرى كفاء بتقديم  
الحل الأمانة مع حسن الفية في كل عمل يأتيه . لنقواسي جميعا بالصبر والحق ، وبالحرص دائما  
على هذا الهيكل القوى المقدس ولنجعل للناس آية على أننا أمة النيل ، أمة نسحق الوجود ،  
نيل وتستحق الخلود ولتحجي مصر .

وقال عبد الله فكرى أباطه : أننى لأذكر أننى رأيت طلعت حرب في مستهل حياة  
البنك يمسك بعض دفاتر البنك بنفسه . ويقيد فيها بيده . ويشترك مع صغار الموظفين في عمل  
قسوية حسابية أو قيد طلبية . وكان يصرف مرتبات موظفيه القلائل من إدراج مكتبه  
حتى لا يعرف الواحد ما يتقاضاه سواء من أجر منما للغيرة وفساد الروح بين الموظفين .

## ٦ - الأزهر

أولت الصحافة إهتماماً كبيراً بتطور الأزهر ، ومن ذلك ما كتبه الدكتور زكي مبارك ( ١٩٣١ ) قال : أن الأزهرين يشعرون بالخطر الدائم الذي يواجههم من كل جانب . فقد أصبح بديهياً أن الأزهر يجب أن يسير الحياة أو أن يزول . ومسايرة الأزهر للحياة ليست مسألة هينة . توضع أصولها في يوم أو يومين . وإنما هي عقيدة صعبة الحل ، لأنها تضم إلى جنباتها عناصر الثورة على القديم ، والشوق إلى الجديد . أهم ما يلاحظ على رجال الأزهر أنهم يهتمون أشد الإهتمام بفظنة الألفاظ وجلجلة الحروف . ومن شواهد ذلك أنهم حين فسكروا في إصلاح الأزهر منذ سنين كان أول ما بدأوا به أن سموه ( الجامعة الأزهرية ) . ولقد أولع صديقنا الشيخ أبوالمعياون بتلك الكلمة ، ولكنها رآها على طرفتها ليست كافية فسمى الأزهر في بعض مقالاته « الجامعة الأزهرية الكبرى » ومن أغرب ما شهدناه من غرام رجال الأزهر بالألفاظ أنهم كانوا يستغلون لفظ « العالمية » فكان المتخصصون منهم ولا يزالون يكتبون على بطاقتهم كلمة ( دكتوراه ) وقال في موضع آخر : أن الخلاف بين الأفندي والشيخ هو خلاف في العقيدة . يلتفت الأفندية إلى الماضي فيرون عطاء مصر كانوا من المشايخ ، أو الأفندية الذين اصطنعوا مذاهب المشايخ ، يرون أسماء سعد زغلول ومحمد عبده وعبد العزيز جاويز وإبراهيم الهلباوي وهؤلاء كانوا مشايخ ، سيرون أسماء مصطفى كامل ومحمد فريد وإسماعيل رأفت وهؤلاء وأمثالهم كانوا أفندية يصطنعون مذهب المشايخ ، ما رأيكم في الشيخ مكرم عبيد ، أن هذا الرجل يحفظ القرآن ويروي الأشعار ويصرح بأنه مسلم وطننا أزهرى ثقافة . والمشايخ في كلية الآداب : طه حسين ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين وإبراهيم مصطفى وأمين الخولي وأحمد الشاذلي وعبد الوهاب عزام ، وفي الصحافة على يوسف وعبد العزيز شاوبش ومحمد



عبد وسعد زغلول وأن أول مظاهرة قامت ١٩١٤ أقامها الأزهريون ، وأول دكتور  
في الآداب كان أزهرياً ، وأول بمئة علمية كانت أزهرية .

X وكتب أحد الصحفيين الأمريكيين سنة ١٩٤٤ مقالا عن الأزهر قال : أن الشيخ  
الباجوري كان يبلغ اعتزازه بكرامة الدين والعلم أن والى مصر في ذلك الحين عباس الأول كان  
معتاداً أن يرد الأزهر أثناء الدرس فكان يذهب إلى حلقة الشيخ ، فإكان الشيخ يفعل أكثر  
من أن يرد عليه السلام وهو جالس في مكانه لا يتحرك ، بينما يأخذ الوالى مكانه على مقعد من  
الخريد يسمع إلى الدرس ماشاء ثم ينصرف في هدوء ، والشيخ رابض حيث هو لا يخف  
لاستقبال الوالى ولا توديعه ، والشيخ الشربيني ولى مشيخة الأزهر ١٣٢٣ هـ فرأى الخديو  
توفيق أن يكرمه فدعاه لتناول الأفطار على مائدته في أحد أيام رمضان ، فاعتذر الشيخ اعتذاراً  
مقرب إلى أن يكون رفضاً ، فما زال به رجال القصر حتى قبل ولكن اشترط شرطاً عجيباً ،  
هو أن يأخذ معه طعامه وشرابه ، ودنت ساعة الأفطار وامتلاأت ردهات القصر بالدعويين  
وإذا بالشيخ يقبل على ظهر بغلته ، وفي إحدى يديه قلة ماء غطيت بقطعة من الليف الأحمر  
وفي الأخرى منديل معلوى ، ظهر فما بعد أنه كان يحوى طعام الأفطار ، وتناولت الأعناق  
وأسقط في أيدي رجال القصر ولكن أحد لم يستطع أن يناقش الشيخ ، بل أفسحوا له صدر  
المكان ، حتى إذا انطلق المدفع فتح الشيخ منديلته ، فإذا هو يحوى رغيفاً وقطعة من الجبن القريش  
و قليلا من التمر ، تناول الشيخ واحدة منها في سكون ، ثم خاع عباءته وفرشها وأقام الصلاة حتى  
إذا ما اتعها عاد إلى طعامه فأكله دون أن ينظر إلى شيء مما كانت المائدة تذخره من فاخر  
للطعام والشراب ، وهذا هو الشيخ الذى زاره كرومر في داره ومعه عقيلتة فإذاها يجدانها  
خالية من الآثاث ، لأن الشيخ كان ينام على حصير ولا يمس من مرتبه ولا من الأموال الطائلة

التي كانت تؤول إليه غير ما يكفي لطامه وشرابه، ثم يوزعها جميعا، ومن شيوخ الأزهر الذين كانوا على كثير من الفتوى والزهد الشيخ حسونة النواوي، حدث في عهد توليه أن توفي الشيخ عبده الذي لم يكن موضع رضا الحديو، وإذا بأحد رجال المية يزور الشيخ حسونة ليفهمه ويفهم بقية العلماء أن الإمام لم يكن غلصا للخديو، وأنه لذلك يحسن عدم الاشتراك في جنازته، فظل الشيخ يصنى إليه دون أن يتسكلم حتى إذا فرغ من كلامه التفت إلى من كان معه من العلماء قائلا: « بالله بنا يمشايخ أحسن معاد الجنازة قرب » ورأى الرسول أن كلامه لم يؤثر التأثير المطلوب فلم يجد بدا من مصارحه الشيخ بأنه يحمل إليه أمر أفندينا بعدم الاشتراك في الجنازة فنظر إليه الشيخ وهو يقول: ان الله وحده هو أفندينا، فذهب وقل لا أفنديك أن حسونة النواوي سيضيع جنازة الإمام . ه .

\* \* \*

ومن أخبار الأزهر إشتراك كبير من نوابغ المسيحيين في دراسة اللغة العربية والفقه في الأزهر متخفين، ومن ذلك ما وقع لوهبي بك مدير مدارس الأقباط، فقد قضى تسع سنوات في الأزهر مجاورا، قال له الشيخ الأنبا بى: لولم تكن ياوهبي نصرانيا لعدناك من شيوخ الأزهر. ثم أصبح يتردد على دار العلوم والأزهر، قبل أن ينشأ الرواق العباسي وكان من شيوخه الذين حضر عليهم: عمدا الشريف، عبد الهادي البياري وكان الطلبة يجهلون أمره، فهو يتردد على الأزهر متأبطا المحفظة بشرح طابدين في فقه أبي حنيفة وصحيح البخاري وتفسير الخازن وشرح ابن عقيل على الألفية والأشعري على الألفية، وقد اتصل بكبار رجال الأزهر وخاصة جمال الدين، الذي أعجب بذكائه وأخذ نفسه مدرسا للغة الفرنسية، وقد صلى الجمعة مرة واحدة في حياته، ليحضر خطبة منبرية للشيخ إبراهيم السقا، كما ألف عدة خطب منبرية في موضوعات مختلفة نذرتها الوقائع ومن ذلك قوله: « الحمد لله جلا من آياتة البينات عجبنا وجل لأولى البصائر من أسرار الكائنات حجبنا، فوصب على مختار بديمها خطيب المعاني وصبا، واستطيع بحلى حسنات صنفها وصبا .

## ٧ - مهرات رمضان

وتحدثت للمصحف عن مهرات رمضان : وهذه سورة منها :

مجالس ومهرات رمضان في بيت طلعت حرب . إنه حريص على أن يدعو جلساءه إلى مائدة السحور متى جاء وقتها ، الحديث في العلم والأدب والمال والفكاهة والظرف . مضيعة القاياتي ، حسن القاياتي ، لما كان بيت القاياتي بيتا صوفيا قبل كل شيء ، فرنين تقبيل الأيدي لا ينقطع ، وجفان الثريد واللحم المسلوق تملأ المكان وتطعم كل البطون ، ولعلماء الأزهر وطلابه ورجال الشعر والأدب نصيبهم الكبير في هذا المجلس الحاشد ، تجري المناقشات في مسائل ههنية وصوفية وأدبية ، وتروى القصائد والأزجال ويقرأ القرآن وترتل ترانيم دينية بأصوات جميلة منبثة من بطن الريف ، الراوية حمام ، ومعمم الأديب حسن القاياتي وقد احتلوا ركننا هادئا في مقهى الفيشاوى ، جماعه الصحفيين فريق يترجمه الأستاذ المهيأوى يلتف حول الشيخ مزوز ، فكاهة الحى ، وهو رجل بادن الجسم صغير الرأس ، في سرعة اليدين وحلاوة النكتة وأهل الفن زكى طلبات وعزيز عبيد .

## ٨ - المولد النبوى

كتب الدكتور زكى مبارك ( ١٩٣١ ) يتحدث عن تقاليد المولد النبوى قال :

قبل المولد بأيام قابلت بعض مشايخ الطرق ومنهم ناس ظرفاء ، سألت ماذا اعتزمتم هذا العام في مهرجان المولد ، فأجاب : تريد الزفة ، قلت نعم ، فقال : لقد رأينا لشدة الحر أن نلنى الزفة في هذه المرة ، وإبتدأ المولد مبكرا وقد بكرت أنا أيضا لمشاهدته وقد لاحظت أن الجانب الدينى سبق الجانب الدينى بأيام ، الأول لأصحاب الملامى والثانى للصوفية . أما الصوفية

فلم يبقوا موسمهم إلا متأخرين ، في حين أن أصحاب الملاحى أسرعوا ففصبوا خيامهم وأعدوا ملاحهم في خفة ونشاط . أصحاب الملاحى يستفيدون ماديا من ملاحهم . أما مشايخ الطرق فإنهم يتهيبون نفقات الاستقبال من قهوة وقرقة ، وفول نبات وحمص مجوهر ولحم مقدد أو مسلوق ، لقد غشيت خيام الملاحى لأعرف بعض ما هناك . الشيخ شمس الدين شيخ السادة المرازقة ، زرته في خيمته مرتين واتفق أن أحد المريدين وقع منشيا عليه فسألت في خشوم عن ذلك فأجاب : داخ فوقع .

وقضيت لحظات في خيمة الشيخ التقنازاني ، وكنت أعلم أنه إستقدم الموسيقار عبد الوهاب للانشاد على حلقة الذكر : فأخبرني أنه لاقى في ذلك مشقة شديدة حيث قضى اثني عشر يوما يعلم محمد عبد الوهاب كيفية القيام والتمود ، حتى استطاع أن يؤدي المهمة . . . وفي خيمة الشيخ التقنازاني أديب مطلع هو الشيخ حسن الغزالي أحد أدباء نجم حمادى بالصعيد ، ولصدايدة فرام بالشمر البليغ والفصيح من الكلام ، وقد مررت بخيمة الشيخ الجربى وهو يعظ عند الشيخ حامد سلامة وهو زعيم من زعماء الشاذلية ، وكنت قرأت له فقرات في غاية الجودة ، وقد رأيت خيمته أكبر الخيام في ساحة المواد ، ورأيت أتباعه أكثر عدداً من جميع المريدين .

## ٩ - الطرق الصوفية

وحفلت الصحف بأخبار الطرق الصوفية ورجالها :

والصوفية مجلس أعلى : شيخ المشايخ السيد عبد الحميد البكرى وهو نفسه شيخ السجّادتين البكرية والوفائية ، وقد تلقى ذلك عن عمه الأديب المشهور محمد توفيق البكرى . هن أخيه عبد الباقي البكرى . والطرق الصوفية في مصر : تضم : الطريقة السعدية : الطريقة الغزالية : المرازقة الأحمدية ، الطريقة الشاذلية ، الرفاعية ، البراهمة ، القادرية ، البكرية ، السباعية ، الخلوتية .

الطريقة الدمرداشية : تولى المنفور له عبد الرحيم الدمرداش الطريقة من عام ١٢٩٤هـ إلى ١٣٤٨هـ . فأحيا أربعة وخمسين مولداً ، بقدر عدد رجالها الآن بخمسة آلاف شخص ، لم يحمل له خلفاء في الأقاليم ، من يريد الدخول فيها لابد أن يأتي القاهرة ويتقدم إلى شيخ الطريقة ويلقنه نقيب النقباء بحضوره ، وعبد الرحيم الدمرداش هو ابن مصطفى بن صالح أبا أحد المهاليك الشراكسة الوالدين لمحمد علي . تزوج والده من إحدى كريمي الشيخ محمد محمد الدمرداش ، وتوفي في ٥ فبراير ١٩٣٠ - ١٠ شعبان ١٣٤٨ .

#### رسالة الولاية

من عبد الرحيم مصطفى شيخ الطريقة الدمرداشية الخلوتية إلى صاحب السباحة السيد عبد الحميد البكري شيخ المشايخ الصوفية بالديار المصرية ورئيس المجلس الصوفي العالي .

#### حضرة صاحب السباحة :

السلام على مقام سماحتكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فقد تمينت شيخا لطريقة السادة الدمرداشية عام ١٢٩٥هـ في عهد جدكم المنفور له السيد علي البكري ومعلوم لسماحتكم أن مشيخة هذه الطريقة في بيتنا من بدئها ، ومنذ ما عرفت شيخا لها بدلا من المرحوم والدي بعد وفاته ، وأنا قائم بخدمة خبر قيام ومشييد لأركانها وموطد لدعائهم وساهر على مصلحتها ليل نهار ، ولم أفرط يوما من الأيام في أقل واجب من واجباتها ، والآن قد أصبحت بفضل الله تامة النظام من الطرق الرفيعة التي يشار إليها بأطراف البنان ، وإنني قد بلغت سن الشيخوخة مع أني حافظ لقواي العقلية والأوصاف الشرعية ، ولا بد من يوم يلاقى كل إنسان فيه ربه ، وإنني أحب أن أكون في كل حين مطمئنا على طريقتي حاملا على ما يحفظ كيائها في الحال والاستقبال ، وأريد أن أعهد في مشيختها لمن يقع في قلبي أن فيه الخير والصلاح لهذه الطريقة ، ولما لم يكن عندي ذكور من الأولاد وقع إختيارى على سبطى عبد الرحيم مصطفى الدمرداش ، وذلك لما عهدته فيه من حبه للطريقة وميله إليها كل الليل وحضوره معي في حفلاتها ، ولما أراه من كونه ميسور الحال

فيكون ذلك سببا لتوطيد أركان الطريقة ، ولقد لقنته المهد بحضور رجال الطريقة وكلمهم راضون عن ذلك ، وإنى لازالت قائما بأعمال الطريقة باعتبارى شيخا لها ما مت حيا ، فإذا قضى الله عما هو كائن وهى سنة الله فى خلقه ، فيكون من مهدت إليه فى هذا الأمر شيخا لها بدلا منى ، بدون منازع ولا معارض له فى ذلك ، وإذا لم يكن قد بلغ سن الرشد حينذاك فيكون الوكيل عنه فى إدارة شؤونها هو تقيب نقباء للطريقة وقتذاك .

فبناء عليه :

التس من سباحتكم صدور قراركم الكريم بذلك حفظا لسكيان الطريقة واستبقاء لببتنا الذى قام بخدمتها الأزمان الطويلة ولما قدمته لهذه الطريقة من الخدمات الجليلة مدة حياتى والله أسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والسلام .

« إمضاء »

عبد الرحيم مصطفى الدمرداش

على أثر ورود هذا الكتاب لمقام الشيخة إنتدب سماحة السيد البكرى شيخين من شيوخ الطارق الصوفية وأعضاء المجلس الصوفى لعمادة الشيخ الدمرداش والوقوف على حالته الصحية ومناقشته فى محتويات كتابه . وعاد الشيخان المرحوم الشيخ الدمرداش وقدا تقديرهما لسماحة شيخ المشايخ بأنه فى حالة عاديه ، واضح الحديث مستقيم التفكير حاضر البديهة ، وقد أكد لهما أن رغبته فى إسناد مشيخة الطريقة من بعده إلى حفيده عبد الرحيم مصطفى مختار الدمرداش هى رغبة جدية .

وتوفى عبد الرحيم مصطفى الدمرداش بعد ذلك بشهر تقريبا ، ونمته المشيخة العامة إلى جميع مشايخ الطرق الصوفية الذين شهدوا تشييع جفازته باتباعهم وأعلامهم باعتباره واحداً منهم كما هى عادتهم ، وقد تلقى سماحة شيخ المشايخ طلبات عن محمود رشيد القاضى ، الدكتور محمد بدر الدين ، كامل محمود عثمان الدمرداش برغبة كل منهم فى أن يعين شيخا لطريقة السادة الدمرداشية ، باعتبارهم من أفراد الأسرة ومن بيت المشيخة ، الأولان من بنات اخوات المرحوم الشيخ الدمرداش الإناث والأخير ابن أخيه لأمه ، ورفض المجلس الصوفى

طلبهم عند عرضه ، إذ ثبت لديه أنهم جميعا لم يسلكوا طريقة السادة الدمرداشية ولم يلقنوا عهدها ولا يحفظون أولادها وأحزابها ولم يمارسوا خلوتها ولا أذكراها ، وهى الشروط واجبة الراحة فيمن يعين شيخا لأى طريقة صوفية .

وأنحصر الطلب فى ترشيح حفيد شيخها المتوفى لأنه معزز بطلب شيخ الطريقة فى حياته . وتأيد هذا الترشيح من تقباء الطريقة الإثنى عشر ، وهم فى العرف أصحاب التحدث النبائى عن سائر رجالها ، ووصلت عرائض بتأييد هذا الترشيح مقدمة إلى سباحة شيخ المشايخ من أعيان رجل الطريقة الدمرداشية وبهم عدد من العلماء والأعيان والتجار والموظفين ، وعدد يربو على الأربعين من علماء الأزهر ومدرسيه وكلهم من أتباع الطريقة الدمرداشية ، الشيخ محمد الحامى أحد أعضاء هيئة ( هكذا كانوا يكتبونها ) كبار العلماء بالأزهر .

ثم إنعقد المجلس الصوفى المالى للنظر فى تعيين شيخ لطريقة السادة الدمرداشية ، وأصدر قراره بتعيين الشيخ عبد الرحيم الدمرداش التاجر شيخا للطريقة وسمى خصوم الشيخ الجديد جهدهم لإنارة المحكوك حول هذا التعيين ، واعتراضوا لدى وزارة الداخلية . وأحالت الداخلية إعتراضهم إلى فضيلة مفتى الديار المصرية ، فأفتى بما أفتى به ، طبق لنصوص مذهبه . وردت المشيخة على فتوى فضيلته . وعاد فضيلته ففقدرد للشيخة ، وأصرت المشيخة على قرارها معانة أنه ليس هذا هو الأول من نوعه بين مشايخ الصوفية وأن هذه الوراثة تقليد من تقاليدهم ، لو عدل عنها لهدمت بيوت ولتفرق أتباعهم .

## ١٠ - أصحاب اللحى

تحدث المصحف فى مجال الدعابة عن ثلاثة من أصحاب اللحى : الدكتور محجوب ثابت والدكتور أحمد غلوش وحسن شافعى الجيزاوى . قال الدكتور محجوب ثابت : أطلقت لحيتى منذ ٣٥ عاما زهدا . فى عام ١٩٠٣ بدأت أطلق لحيتى سنة ، وكنت قد أحسست قبلها بانصراف عن الدنيا وميل إلى الزهد ، وكان للحية فى تركيا مقام كبير فهى علامة الوفاق الاحتشام كما أنها توحى إلى نفس صاحبها بكثير من معانى الرجولة والمهزمة .

وقال الدكتور غلوش : إنما أطلقتم تصوفاً فقد أخذت المعهد على شيخى المرحوم عبد الله البنا شيخ الطريقة الخلوتية بالإسكندرية وكان الناس يعتبرون به ويمرفون فضله ، وأنا الآن مسلك على الطريقة الشاذلية والطريقة الخلوتية . وقد وضعت رسالة عن التصوف في الإسلام باللغة الإنجليزية قدمتها لجامعة بروكسل ، كما قررت جامعة بوسطن منحى لقب دكتوراه شرف في الآداب . ولكنى مع ذلك لا أفخر بهذا اللقب قدر ما أفخر بأنى «مسلك طريقه» ، لقد كنت في شبابى عياقة كل شباب هذه الأيام ، ولكنى بعد أن درست كتب الإمام الغزالي منذ أكثر من عشرين عاماً سنة ١٩١٥ . انجذبت نيتى إلى التصوف تقرباً إلى الله وزلى .

وقال حسن شافعى الجيزاوى : اللحية فضلاً عن كونها مظهراً دينياً فإنها تدعو أصحابها إلى التزام الوفاق والاحتشام والمحافظة على الآداب .

## ١١ - لباس الرأس

كانت لحركة تغيير لباس الرأس معارك وتطورات وهذه صورة منها :  
( توفيق الحكيم ) دعوت إلى خلع الطربوش ولبس القبعة ليس فقط لأسباب صحية واجتماعية ولكن لسبب آخر هو مركزنا الدولى كافة بين الأمم ذات الحضارة . لا يدهش شئ مثل أولئك الذين يستفكرون ليس القبعة ، لأن ذلك تقليداً للأوربيين ، أن فكرة التقليد نفسها أصبحت الآن لا محل لها ولا معنى ومع ذلك فهل نحن لم نقلد العالم المتمدين فى كل شئ .  
( الدكتور سليمان عزمى ) : إن مسألة لباس الرأس مسألة عادة وقليل منها ما يخص الطب ومن يزعم أن الطربوش يحدث عند لابسـه إستعداداً لضربة الشمس رددت عليه بأن الإصابة بضربة الشمس إنما ترجع للاستعداد الشخصى .

ولا يمكن القول بأن القبعة بشكلها الحالى تمنع لطفة الشمس لأننا إذا أردنا غطاءً



للرأس يستوفى الشروط وجب أن يوافر تغطية الصدفين والقفا . ومن أراد حقيقة لباسا للرأس بقى لطشة الشمس فعليه بالممامة المستعملة في جنوب الصعيد . ( ذات الرقارف ) إن العالم تحتاز الآن موجة ترمى إلى هدم تغطية الرأس بالمره .

## ١٢ - التمثيل

كتب عبد الرحمن رشدى فصلا عن : ذكرياته في التمثيل قال : ذاع في الإسكندرية خبر مؤذن جامع ( تربانه ) وتناقضه الألسن فوصل خبره إلى اسكندر فرج الذى كان له مسرح باسمه في شارع عبد العزيز فاستقدم الشيخ - لاهه ( حجازى ) ومنحه مرتباً لا بأس به ، وأخذ في تدريبه على الأدوار الرئيسيه . صار قاك كل همه في استئلال هذا الصوت المذب المدهش .

وقد استقبلته الجماهير بتشجيع لم يلقه فنى قبله ، فقد عرف كيف يعلأ مركزه ويصادق على حسن ظن الجمهور فيتقدم بقديم ثابتة . . وكان أحمد الفار القديم وناجى وسيد قشطة أول من جاء بالتمثيل الكوميدي ، ومن البلاهة أن يقول أحد أن أولئك كانوا أرقى من السينما والتمثيل الهزلى ، ولستكنهم كانوا على الطبيعة وكانت أعمالهم أدخل إلى النفوس خلوها من عنف التأليف والتكاف الذى نراه في التياترات . وكانت طائفة الأدبانية يرتجلون الأزجال الآخذة بمجامع القلوب .

## ١٣ - الفكاهة

مازال اسم الشيخ حسن الآلاتى معروفا لدى الذى شاهدوا رجال الجيل الماضى ، وما كان لهم من أدب وفكاهة ونوادى ، وقد أشتهر من ظرفاء الجيل الماضى بمضحكانية التى أسماها « المضحكانة الكبرى » للمضحك والتنسكيت . ، كان حسن الفكاهة لطيف النادرة جذابا فى أحاديثه . يجيد الزجل بأنواعه . رأى أعضاء هذا الحرب

أن البيوت لا تنسع لعدد كبير، فاختاروا مقهى في شارع الخليفة بحى السيدة زينب بالقاهرة، أطلقوا عليه اسم (المضحكة الكبرى) واختاروا له رئيسا هو الشيخ حسن الآلاتي وأطلقوا عليه اسم (الشيخ المتيد). أطلق الرئيس على وزرائه أسماء: ناظر مقاطف، باش مفتري، يسرع الفراغ، بلطجى وخاب إلخ وابتدع أمام المبد طريقة القفش في الصحف الهزلية فكان أول من برع من الصحفيين الهزليين. كان من زبائن ملاهى الأزيكية يجتمع بحافظ إبراهيم والبابلي في قهوة بشارع خيرت، ومعه عبد العزيز البشري، وحسين انتريزى، أمام المبد هو صاحب فسكرة نادى البؤساء الذى ينمقد تحت شجرة على رصيف ميدان لاطوغلى برئاسة وعضوية حافظ إبراهيم و خليل نظير وأحمد فؤاد صاحب الصاعقة.

X ومحمد البابلي وحفنى ناصف وأبو النصر المنفلوطى ومحمد عثمان جلال وعلى الايثنى، وعمود ثابت وعمود لاشين وإبراهيم ناجى.

## ١٤ - الأغاني الشعبية

حفلت الصحف طوال هذه الفترة بأبحاث ودراسات وكتابات مختلفة عن الأغاني الشعبية والأناشيد القومية، وقد إنصل ذلك بثورة ١٩١٩ وما ظهر خلالها من أناشيد، وقد أشارت هذه الكتابات إلى أن الأغاني قبل الحركة الوطنية كانت مبتذلة تحذش الأذان فلما جاءت الحركة هذبها، وكان سيد درويش أكثر اتجاها، وقد ظهر التجديد فى الأغاني فى روائتى « هدى وشهر زاد » ورواية هدى هى التى انتفعت بها فرقة عاكشة مسرح الأزيكية ١٩٢٢ (عمر حارف) وكانت مقدماتها على هذا النحو :

« بلادنا نعيمنا ، هفاؤنا ، أنا فداؤنا ، نحب بلادنا ، تميث » ومن بينها أغاني رواية العشرة الطيبة ، وأعلن عن مسابقة لنظم النشيد الوطنى المصرى فتقدم للمسابقة ٥٩ شاعرا فاختارت لجنة النشيد أنشودة شوق وكتبت جريدة الأهرام افتتاحيتها

في ٢٧/١١/١٩٢٠ عن النشيد القومى فقالت : أشهر أناشيد اليونان من أناشيد أورفه وهوميروس وكاليك وأشهر أناشيد الرومان أناشيد هوارس . أما العرب فإن لكل قبيلة منهم أناشيدها ، وتقدمهم في ذلك السريان فوصلوا إلى مفتحي البلاغة في أناشيدهم حتى قيل أنهم حفروها على جدار الصين لما اتسع ملكهم اتساعا عظيما ، حتى أنهم وجدوا من آثارهم على سواحل الاوقيانوس الأطلنطي ، وكانت الشعوب جيما تنشد أناشيدها في الحروب فتثيرهم الرجال بتلك الأناشيد . وقال مؤرخو اليونان الحديثة والبلغار أن الذي حفظ اليونان من الضياع ، أناشيد أجدادهم ورجال دينهم وكلا العاملين كان باعثا للحياة ولم يكن الأناشيد من الأمور الدينية أقل منها أهمية في الأمور الدنيوية .

ويستهل شوقي نشيده على هذا النحو :

بنى مصر مكانكم هيا      فيها مهدوا الملك هيا

وقد غناه الشباب ، ثم انصرفوا عنه وفي ١٩٢٢ نظم مصطفى صادق الرافعي نشيده المعروف :

اسلمى يا مصر إننى الفدا      ذى يدي إن مدت الدنيا يدا  
وناصرته جريدة الأخبار ، ثم نظم عباس العقاد نشيدا وطنيا عام ١٩٣٤ وجرت معركة أدبية بين مصطفى الرافعي والعقاد في المناضلة بين النشيديين ، ثم عقدت سنة ١٩٣٦ مباراة في النشيد القومى نظم فيها نحو مائتين من الشعراء ، وقاز منهم : محمود صادق ، والرافعي ومحمد المراوى ومحمد فضل إسماعيل . وكان نشيد الرافعي يبدأ بقوله :

إلى الملا إلى الملا بنى الوطن      إلى الملا كل فتاة وفتي

وقد وضع له الشيخ حسن الملوك النوتة الموسيقية

### الأغاني القومية

وكتب عبد الفتاح عباده سنة ١٩٢٦ عن الأغاني القومية التي تستحق البقاء فقال :  
مادخل على الفتياث في حذورهن والعواتق في حجالهن أضر عليهن وأدعى لأن يتورطن من  
هذه الأغاني والألحان الملوثة بجراثيم الفجور . ألم تسمع تلك الحناجر المطربة بأوتارها الرنانة  
ذات الصوت الشجي الرخيم ، وهي تدفع في آذان الجمهور ميكروب الفساد ، وجراثيم هجر  
القول وفخسه مع ما تدفع الأغاني .

أست ترى السم يسرى في أحشاء هذه الأمة ، وينساب في عرقها النابض ، وشبابها  
الغض 'عدة المستقبل ، بفعل الموسيقى ، وما أشد فعلها في النفوس ، وأخطر أثرها في الأخلاق  
ومن في الحياة ينسكركم للموسيقى والأغاني من الخطر وعظيم الأثر في تسكين تربية النفوس  
وتوجيه الميول وإيقاظ العواطف وتنبيهها ، وفعلها بالاجمال في الأخلاق وفي الحياة القومية  
والتربية الوطنية ، وقال « المصور » أن شركات الفونوغراف لا تدون على أقراصها إلا الأدوار  
للمشهورات المتداولة .

\* \* \*

وقد تناول الأستاذ العقاد موضوع الأغاني بين الأمس واليوم قال : أغانينا اليوم ليست بخير  
ولا أجمل من أغانينا بالأمس ، وربما صح أنها تأخرت من جهة المعنى والصياغة عما كانت عليه  
قبل جيل أو جيلين حيث يمكن تقسيم الغناء إلى عهد الحجاب وعهد الشهور .

في عهد الحجاب كان للرجال غناء وللنساء غناء . غناء النساء بين أيدى العوالم والراقصات  
وبنتات المهوى ، وكان يغنى ويسمع في حدود الحجاب فيقال فيه كل ما يطيّب للعائلة أو الراقصة  
أو بنت المهوى أن تغنى به ولا حرج فيه عندهن من السخف والتكشّف والإباحية .

أما غناء الرجال فقد كان غناء الطبقة الممتازة من الأمة ولا سيما الرؤساء والكبراء  
وذوى الهيئات ، لم يكن نظّم الحفلات العمومية معروفا ، في تلك الأيام ، وهي الحفلات  
التي يحضرها السامعون بتذاكر .

× ثم انطوى عهد الحجاب وتلاه على التعديج عهد السفور ، وشاع في المواسم والمدن نظام الحفلات العمومية والتذاكر المروضة ، وظهرت السيدات والفتيات في تلك الحفلات وأصبح الحكم على الأغاني مسألة عدد كثير وجمهور مزدحم لا مسألة ذوق واختيار ، فكانت النتيجة أن الفن الذي كان في أيدي النخبة الممتازة من الرجال أصبح معرضا لسيطرة المرأة وهي في بواكير نهضتها قبل أن تستوفي تلك النهضة حظها من النماء ، وأصبح معرضا لسيطرة الجماهير التي لم تستوف حظها من الدراية والتهذيب ، ونظر هؤلاء وهؤلاء إلى الغناء نظرة حسية جسدية لأنهم لم يستطيعوا أن تبطروا إليه نظره فنية روحية ، كما ينبغي أن ينظر إلى الفنون العالية ، فغزابة ذلك عجب من العجب . فن أكثر المشيمين لغناء أم كلثوم الرجال بلا جدال ، ومن أكثر المشيمين لغناء عبد الوهاب النساء ولأمراء ، وعلى هذا لا موضع للدهشة إذا لحظنا أن غناء عبد الوهاب يكثر فيه الحنين والتوجع والشكاية ، ولحظنا أن أم كلثوم لم تلحق به في هذا المضمار ، وقد كان المقول والمتنظر أن نسبة عمراجل ، ومنذ عشرين سنة دخلت الألحان والأنغام عندنا في دور جديد ، تصرف الملحنون في الوفاق بين الأغراض والآلحان ، وجملوا اللحن لغة مفهومة تضاف إليها لغة الكلام ، وتوسع الملحنون في الاقتباس من الموسيقى الغربية والشرقية بل من الموسيقى الشعبية في مصر وفيها كثير من الأنغام السهلة التي بقيت على الفطرة ولم تفسدها ركاوة الترفيع في عصور الضعف والانحلال ، منذ عشرين سنة ظهر سيد درويش الذي يمد بحق أمام فن الغناء الحديث ، ومنشئ المذهب الذي يمشى عبد الوهاب على طريقته .

## ١٥ - الأفراح الشعبية

هذه صورة الأفراح كما كانت ترسمها الصحف :

جرت عادة الجمهور في المبالغة أن نقول عن الفرع المشهور أن صاحبه أقامة أربعين ليلة وليلة . ومن حق الفن علينا أن نفزو تقدم صفاة الفناء والموسيقى وتطورها إلى هذه الأفراح والموالد ، لأنه لم يكن في مصر مسارح ودور للملاهي ، إلا بعض القهاوى ، لم يكن الفناء مقصوراً على الرجال فقد كانت هناك جماعة العوالم ، وكان لمن غناء خاص بهن أشتقت منه الطقاطيق ، على أن بعض العائلات ( العوالم ) قد برعن في غناء الرجال مثل «الظ» زوجة عبده الجمولى ، والست اسماء الكسارية وقد كانتا مضرب الأمثال في تقاء الصوت وموسيقية ومهارة الأداء واتقان الصنعة ، وكان في مصر جماعة من المهرجين والبهلوانات والمضحكين يحيون ليالى الأفراح ويعرضون بضاعتهم في الموالد داخل صواوين أو وسط حلقات في الهواء الطلق ، ربما كانت الليلة السابقة لليلة الدخلة لا تقل عنها إبهة واحتفالاً . لكن الصباحية وهى صبيحة ليلة الزفاف كانت أقل زينة وبهجة وجوراً .

أما زفة العروسة فملى نوعين نوع يسير في الطريق من دار أبيها إلى دار زوجها ، والنوع الآخر يمترق حجرات المنزل ، وزفة الشارع كانت تسير على نطاق متفق عليه . ففي المقدمة تجتهد المهرج الذى يرتدى لباساً من الجلد ويمسك بيده قطعة من الجلد على شكل الطاقية ويضرب بها على يديه ونغذه ويثب في الهواء ويتشقلب ، ويحىء بمداه الطبايون على الجبال يتقدمهم شاعر ربابته وكل جل يمسك به رجل في الزى العربى ، وأمام الشاعر أبطال زائفون في زى العرب أيضاً ، ييدم بنادق وسيوف غير صالحة للفتك ، يتظاهرون بالسكر والفر والهجوم والدفاع ، وفي بعض الأحيان كان يسير بدمى موكب ملك يشبه كثيراً ملك بيت التمثيل إيهاما بأه صاحب الأمر والذى تنازل فصار في موكب العروسة ، ومن خلف الجبال يتهاذى التختروان

«وهو حجرة من الخشب تناهت عندها صناعة التجارة العربية (الأرابسكا) وزخرفت بالصدف والماج والأبنوس .

ثم بعد ذلك (الطبل البلدى) والمادة هي أن الفتوات كانوا ينهزون فرصة مرور الزحف ، فيستوقفونها ليظهروا براعتهم في الرقص بالمصى ، وكان بعض الفتوات يترجمون الغزفة القادمة من خط أى حى يمدونه فيقفون في وجهها وتدور بينهم وبين فتواتها ممركة حامية ، وأكثر ما يحدث ذلك في حى الحسين . وبعد الطبل البلدى نجىء المزيكة . وقد اشتهرت من بينها مزيكة حسب الله ومزيكة فرحات ، وتتألف من فلول الموسيقى الأميرية وموسيقى الجيش .

ثم تأتى عربة مزدانة بالشيلاان الكشميرى والورد وحولها جماعة الضوية يصيحون قائلين (هو السعيد الذى يصلى على النبي) وكانوا يرتدون لباسا واسما مصنوعا من قماش اسمه (النبانى) . وعربة المروسة يجرها جياذ أربعة ويركب خلفها مملوكان يلبس كل منهما بذلة خاصة وطربوشا أحمر ، وخلف عربة المروسة تسير عربات أخرى من صنف (الكوييل) المنقلبة، ويتولى الإشراف على الزفة رجال يثق بهم والد العروس وكنت تسمع الزغاريد تنطلق من العربات كلها إذا كانت الزفة لأولاد البلد . ويرش الملح على صيحات ( ملححة فى عينى ) إلى ما يصلى على النبي ) ومتى وصلت المروسة نزلت من العربية وسارت فى دهليز من الخيام ، وإذا ذاك تبدر النقود وتظل تبدر حتى تستقر على كرسي خاص يسمى الكوشة .

وتزف المروسة داخل المنزل الموالم بالأغنية المشهورة « أعخطرى يا حلوة يا زينه » ..

وتسير المدعوات بين يدى المروسة حاملات الشمعدانات وباقات الورد ، وتبدر عليها قطع الذهب المسمى (الخريجات) . وعند ما يصعد المريس قادما من زفته التى تخترق الشوارع تزف المروسة ثانية معه .

الشاعر على الرابة

قصص أبو زيد الهلالي ، الوزير سالم ، الظاهر بيبرس ، عنتر بن شداد ، الأميرة ذات  
الهمة ، على الزبيق المصري ، ينشد على الرابة بتوقيع موسيقى . في القهوة بعد صلاة العشاء .  
حيث يقوم الشاعر في الأسواق والوالد بانشادها .

وكان الجمهور ينقسم فريقين فثلا كان الأثرية بتشيمون لأبي زيد الهلالي ويسمون  
أنفسهم بالهلالية والآخرين بتشيمون للزناتى خليفة ويسمون أنفسهم (الرغبة) .

ولا شيء كان يزعج الجمهور إذ ذاك كوقوع البطل في ورطة أو إصابته بعملة ولكنهم  
يثقون في فوزه وانتصاره . فإذا فاز على خصمه وإجتاز العقبات فرحوا واعتبطوا وقد اعتاد  
بعض المحدثين والشعراء أن يأخذوا قسطا من الراحة ساعة يكون البطل في موقف حرج  
موروطا حائرا .



## ١٦ - المجتمع بعد ثورة ١٩١٩

كتب الشيخ محمود أبو العيون عدة مقالات (١٩٣٤) تحت عنوان: «ياضيعة الأخلاق في عهد الحرية»: قال كانت ثورة الشعب ١٩١٩ ونتائجها من الناحية السياسية بقدرها «دهافين السياسة»، أما هذا الكاتب فإنه لا يشك في أن نتائجها من النواحي المختلفة كانت من أكبر الشرور والويلات على مصر، فالناحية الدينية والناحية الخلقية والناحية الاجتماعية قد تصدعت وعمصت بها العواصف والأزواء فما كنا نراه من الصفات الحميدة، والآثار الحميدة في تلك النواحي، أصبحت الآن لا يحلمها الناس فيما بينهم محل الاستحسان ولا ينظرون إليها بعين القبول بل قابلوها بما شاءوا من الإغفال والإهمال.

إن الفضائل والأخلاق والآثار الأدبية لا تتأثر بالظروف ولا حكم للحوادث عليها فهي ثابته، ولكن تقديرها ووضعها في منزلتها الملائمة لشرفها والوقوف بها عند حدها، كل ذلك يختلف باختلاف الأغراض التي تقولد في النفوس، فالنفوس قبل ثورة ١٩١٩ كانت بعيدة عن الأغراض والمهوى، فكانت أحكام الدين والأخلاق وقواعد الاجتماع الذي تواضعت عليها الأمة تدرك مقبولة متمدة، أما الآن فقد غشى الناس ما غشيتهم من طغيان المدنية وسحرهم من يهرجها الزائف ما جعلهم في فتنة وضلالة فانقلبوا ساخرين بكل كمال ذاتي.

إن الناس بما أصابهم من الشكوك والريب فقدوا الثقة في كل شيء حتى في أنفسهم، وأصبحوا يقفون بازاء ضرورات الحياة موقفنا حرجا وجعلهم من بعضهم في شبه عزلة، لا يكاد يلوى أحدهم على أخيه إلا لمصلحة مشتركة، والشباب المصري كان زينة الشباب، أصبح بعد الثورة والحرية أرجوحة في يد الأهواء وعبث الأيام فقد فقد قداسة العقيدة والثقة بالنفس وشرف الحرية وعزة الوطن.

إن القحط الخلقى قد أصاب أكثر جماعة الشباب فأوهى بينهم الروابط الإجتماعية والشعور بالواجب ، أصبح الكثير من شبابنا يحدقون الملق والكذب والفنق ، ويألفون القلة والهنوان والضعف ، وأصبحت الكفاءات والمؤهلات بمقدار ما يبذله الشباب لرئيسة من التخضع والمداهن والرشوة ، وبعد أن كانت قيمة العاملين بما يحسنون من الأعمال أصبحت قيمتهم بمقدار ما يعرفونه من وسائل الزلق للرؤساء . وبذلك نعلم سر ايشار هذه (الأممات) على غيرها الباهيين .

وقد جعل كثير من الشباب ينعمون بتلك الحرية، وينزعون إلى الصبوة والفناء في بحبوحتهم ، وما هي إلا أن جنحوا إلى الدعة والترهل ، ولم يتخرجوا عن مقارعة المآثم الفاجرة .

ما أعجب ما نرى من أولئك الشبان أنهم بذلك يهدمون الخلق والفضلة والشرف . أنهم لم يخلقوا أناثا ولكنهم خلقوا شبابا ليؤدوا رسالة الجيل الماضى إلى الجيل المستقبل ، حشيت أفكار الشباب بصور الأوهام الفاسدة ، والهفوات الشائنة ، وأنهم في مقدمهم ومرأهم يحملون أوزاراً وأناثا من الفاظ مستهجنة ونظرات خائبة .

وفي مواسم الصيف تجد الشبان يقيمون عرائشهم (أكشاكهم) على شواطئ البحار ويقيمون فيها المقاصف وصفوف الملاهي، لا شيء أفضل للفضيلة ولا أذى للرودة ولا أحط لكرامة الشعوب من تلك الإباحية الخاسرة ، هذه هي ثمار الحرية التى أفندناها بالمذابح الأتلية والدم المسفوك ، أينما الحرية كم لك من صرعى .

إن ثورة ١٩١٩ قد تركت أثراً بالثا في آداب الامة المصرية وأخلاقيها ولكننا لا نفهم أن ما كنا نسميه نهضة سامية ترمز إليها بالتأثيل وتقيم لها الانتصار ، وما كنا نود أن تأخذ من معناه كماله الاوفى يحور إلى انتكاس واضمحلال في كل معاني الحياة الناهضة . تقول أن ثورة ١٩١٩ التى طأطأ لها التاريخ اجلالا وهومت لها الامم اكبارا واعظاما كانت في حياة مصر فجرا كاذبا لمع ثورة في أقالها . كسان الشمة ثم خبا وأظلم وما نحن في ديجور الظلم نأهين حيارى .

## ١٧ - توت عنخ آمون

كان كشف قبر توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ حدثاً ضخماً إشتراك فيه كارنارفون وكارتر وقد توفي اللورد كارنارفون مكتشف قبر تون عنخ آمون ، بالأقصر في ابريل ١٩٢٣

قالت الأهرام في أوائل هذا العام: دخل اللورد كارنارفون الحجرة المقدسة من مدفن الملك توت عنخ آمون في الأقصر وكان الناس يحملون من هو ذلك اللورد حتى في مصر رغم بقائه سبعة عشر عاماً بمصر وقيم مع شريكه كارتر في وادي الملوك وفي يوم وليلة تبوأ اللورد كارنارفون أعظم مركز في العالم فان رجاله ما كادوا يمشون على درجات قبر توت عنخ آمون وبدخلون الغرفة الأولى ويرون كنوزها المكسدة المدهشة ، حتى كانت الجرايد في ممالك الأرض ومفاربها قد أذاعت الخبر ورفعت اللورد كارنارفون من مستوى الباحثين العاديين إلى مراتب أشهر رجال التاريخ والعلم والاختراع ، وقد توفي اللورد بالموت العاجل الذي حار العلم في تعاليله غداة ثبوته ذلك المقام الخليل فمن لسعة ناموسة مصرية صغيرة إلى تسمم في الدم إلى ذات الرئة وكان له استئثار بالسلطة في وادي الملوك والتحفيز في إعطاء الأخبار لجرائد بلاده، وقد جاء الاكتشاف في وقت تسمى فيه الامة المصرية إلى نيل استقلالها وحريتها واستمادة مجدها فكان عمل اللورد أشبه برفع الستار عن ماضي مصر والمصريين أمام العالم، بأن المصريين هم سلاة أولئك الفراعنة العظام الذين سبقوا العالم في المدن والعمران وها هو مجدم الأمثل .

وتحدث اللورد كارنارفون عن اكتشافه فقال : في ٥ نوفمبر ١٩٢١ كان المستر كارتر يعمل في مكان لم يستطع مسه من قبل لانه كان أمام مدفن رمسيس الرابع، وهو مقصد الزوار والسياح فتمت على درجة عمقورة في الصحراء فواصل إزالة الاتقاض، وبعد ما كشف درجات أخرى بلغ جداراً منطى بالسمت وعليه أختام المدائن الملكية وانظم مؤلف من تسمة

أسرى واقفين في صفوف وفي كل صف منها ثلاثة وفوقهم ثعلب رابص وهو ختم لا يستعمل إلا في الأجزاء الملصكية في مدافن طيبة . وبعد ما فحص المستر كارتر السقوف فحسنا دقيقا أرسل إلى يقول أنه عثر على اكتشاف بديع ثم عاد فزعم المسكان ومكث يفتظر وصولي إلى مصر من إنجلترا .

ولما وصلت إلى طيبة سرعت في الحال في إزالة الردم وقضينا نهراً بطول في صنع باب من الخشب على منوال ( الشمرية ) وأحكامنا غلقه بأربعة أقفال احتياطاً من السرقة . وفي اليوم الثاني بدأنا تطهير المدخل ( الدهليز ) فوجدنا أن طوله نحو ثمانية أمتار ، وكنا نلقى أشياء كثيرة معظمها مكسور في طريقتنا وكان من جملة ما لقيناه صندوق محطم ومنقوش على ضلعه إلا على أسماء عديدة ضمن حلقات بيضاوية ، وكما أكلنا تطهير المدخل بلغنا باباً مخفوقاً أو جداراً عليه عين الاختتام التي على الجدار السابق ، فساء لنا: هل يمكن أن يكون وراء هذا الجدار سلم آخر مسدود ، أو هل أننا سنبلغ غرفة أخرى من الغرف وكلفت مستر كارتر أن يزرع بضمة أحجار ، وينظر إل الداخل ففعل ذلك في دقائق معدودة وأدخل رأسه في الثغر فتمكن أن يشاهد ما في الداخل على نور شمعة وتلا ذلك سكوت عميق فسألته بصوت مرتجف ما هذا ؟

فأجابني : إن هناك أشياء عجبية غريبة . فكان جوابه بشري عظيمة ونزل من مكانه فذهبت أنا وكرمتي إلى الثمرة وعسر على أن أضبط شدة إنفعالي ، فإن كل ما تقع عليه عين الناظر لأول وهلة في نور الشمعة الضئيل يبين لي أن هذه الأشياء ليست سوى مقاعد عظيمة مذهبة لهارووس غريبة وسفاديق صغيرة هنا وهناك .

ثم وسعنا الثوة فتمكن مستر كارتر من الدخول إلى الغرفة وهي أوطأ من أرض المدخل ، ولما أخذ يطوف في أنحاء الغرفة على نور الشمعة علمنا أننا عثرنا على شيء فريد لم يسبق له مثيل على الإطلاق ، فإن الإنسان كان يستطيع أن يرى حتى على نور الشمعة

«الضئيل مجموعة عجيبة من الاثاث والتماثيل وبمد ماوسمنا الفتحة قليلا ، دخلنا الغرفة وأدركنا هذه المرة حق الإدراك عظم الاكتشاف ، وكنا قد أوصلنا النور الكهربائي إلى المدفن الذى فوقنا فيمكننا بذلك من فحص الموجودات بدقة .

#### لعنة الفراعنة

وتردد الحديث عن : « لعنة الفراعنة » فقال الدكتور محرم كمال :

أول من أصابته اللعنة : اللورد كارتفون ، صاحب إمتياز الحفر للكشف عن توت عنخ أمون ويذكر أن مقبرة توت عنخ اكتشفت فى نوفمبر ١٩٢٢ غير أن غرفة المدفن التى كانت تحتوى جثة الملك بقيت مغلقة وظل بابها مسدوداً حتى فبراير ١٩٢٣ .

وقد ظهر يوم ١٦ فبراير ١٩٢٣ كانت الشمس ترسل أشعتها المشرقة فى ذلك الوقت . كان نحو العشرين من الاشخاص بينهم الاستاذ بريستد يستعدون لدخول المقبرة ليقوموا بهدم باب غرفة المدفن ، إلى ذلك الباب المسدود المختوم الذى ظل أربعة آلاف سنة مغلقا مختوما لم تمسه يد بشر . فى هذه اللحظة الرهيبة أراد اللورد كارتارفون أن يعزح فإذا به يقول : إننا لا شك مقيمون حفلة موسيقى وسحر فى ذلك المكان الذى ستزل إليه فى داخل المقبرة .

## ١٨ - أمير الشعراء

وصف أحمد شوقي بأنه أمير الشعراء فكيف جاء هذا اللقب، يقول داود بركات رئيس تحرير الأهرام (١٩٢٦/٥/٩) .

منذ ربع قرن ونيف جرت على لسان « الأهرام » كلمتان في وصف أحمد بك شوقي وشعره الذي كان الأدباء بل الجمهور كله خاصته وعامته يرقب نشره على صفحاتها في كل ظرف من الظروف كالأعياد والحوادث الجسام ، فقالت في وصف انشاعراً أنه « أمير الشعراء » وقالت في وصف شعره « الشوقيات » لأن هذه الكلمة تتضمن في نفسها كل تعريف ، وفي هذا انتمريف كل مدح ، فأقر هذا الوصف بل التعريف للكتاب جديماً ، وأقره الشعراء ذاتهم ومن ورائهم الجمهور ، وما كان ذلك تبرعاً لأحمد شوقي وشعره ، والناس مطبوعون على الضن بمثل هذه الثموت والأوصاف ، وقد بما قالوا : كل ذي نعمة محسود ، وقالوا « والسيل حرب للسكان العالي » ولكنه كان حقاً يؤدي لصاحبه ولم يكن هذا الثوب عارية يزول بل كان الثوب الصحيح فثبت وبقى وازداد مع الزمان رواء وجالا ومثانة .

فلماذا استعنى « شوقي » هذا الوصف ولماذا لقي بقلبيبه بهذا اللقب ذلك الاجماع : سؤال يرجع إلى الجواب عليه إلى تعريف الشعر ، وهل وصل شوقي منه إلى القدوة حتى صار أميره . وحتى صار شعره إذا نسب إليه في غنى عن كل مدح أو هو فوق المدح المتعارف بين الناس ، ليس فرضاً اليوم درس شعر شوقي وما فيه من الروائع ، فان ذلك لا يتسنى لباحث من الباحثين استيفائه إلا إذا كان كل ما نظمه شوقي مبسوطة لديه في مجلداته الأربعة التي لم يصدر فيها الآن سوى مجلد واحد ، وكل ما نقصده ، والجزء الأول من الشوقيات أمامنا أن شوقي كان « أمير الشعر » بلا مفازل لأن صفات الشاعرية توافرت لشعره كل التوافر .

## ١٩ - جمال الدين ومحمد عبده

نشر فتح الله بركات مذكراته التي كانت يملئها عليه سعد زغلول في مفقاه وقد تناولت هذه المذكرات شخصين هامين هما جمال الدين ومحمد عبده قال ( ١٤ / ١ / ١٩٢٢ ) :

إن سمعنا حديثهم في مساء ذلك اليوم عن السيد جمال الدين الأفندي فقال : نقي السيد جمال الدين من بلاد الأفغان فجاء إلى مصر واحتضنه رياض باشا وجعل لي صرتبا قدره عشرة جنيهات شهريا ، وكان رجلا واسع الفكر قوى الذاكرة جدا حلوا الحديث ، جذبا لكل من سمعه ولم يكن واسع العلم ولكن ما اكتسبه من سياحته العديدة ومشاهداته المستوعبة وحرية فكره ، كل ذلك جعله يجلب ألباب سامعيه ، فيتأثرون بأرائه ويعترفون بطريقة تعلم العلم الصحيح ، وكان يلقى دروسا في منزله فالتف حوله كثير من طلبة الأزهر وفي مقدمتهم محمد عبده وإبراهيم الهلباوي والسيد وقا زغلول ( سعد ) .

وإليه يرجع الفضل في تحسين التحرير باللغة العربية الفصيحة بعد ما كان مملوءا لحنا وغلطا ، وكان يحث تلاميذه على أن يكتبوا ما سمعوه منه من المحاضرات ثم يتلوه عليه . في اليوم التالي من مجلسه فكان ذلك داعيا لأن يتبارى التلاميذ في هذا المضمار ، وثانيا : سعى في نشر الجرائد وهو القدي سعى في تأسيس جريدة الأهرام وغيرها ، ثالثا : سعى في تحرير الفكر من قيود التقاليد ، وقد كان الناس قبل ذلك مقتدين باتباع ما يقرأونه من الكتب التي كان تعلمها مقصوراً على فهم الكتب بذاتها يقطع النظر عن العلم ، وكانت الحكومة مقدسة ، لا يمكن لأحد أن يتطاع إليها ينقد مهما كان لها من سيئات ، فأطلق التعلم من قيود التقاليد مسترسلا مع حرية الفكر التامة وأخذ يمود الناس على نقد الحكومة بطريقة غير ظاهرة ومنها إنشاء الجرائد الوجدانية الهزلية .

سأل جمال الدين سعد زغلول ذات يوم : هل تريد أن تكون مثل الشيخ الأنابيسي

«وكان شيخ الأزهر يومئذ ( فرد عليه سمد قائلا : كيف يكون لى ذلك وبينه وبينى بن هائل، وظن أنه يسخر منه، فقال لى السيد : أنك ستكون أحسن منه ؛ وقال سمد : بمد نفى جمال الدين كان الشيخ عمده أ كبر تلاميذه وكان تفوقه فى العلم ، وكان رجل جلد واستمرار على العمل من غير ملل ، وكان فيلسوفا ومسدلا شمر رأسه ومرسلا لحيته على خلاف الأزهرية جميعا .

كتب مرة مقالافى جريدة جاء فيها : «الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وأبنائه أساطين الأولين والآخرين» فوشى به أحدهم إلى الشيخ عlish الذى كان عالما تقيا ورعا وفسر كلمة «أساطين» بغير معناها فقال أنها جمع اسطوانات وأن هذا كفر بالانبياء فغضب الشيخ عlish على الشيخ عبده وقال : اعطونى سكيافا لندج هذا الكافر . فتدخل بعضهم فى الشفاعة له، فعفا عنه بعد خلق رأسه . ولما تقدم لامتحان العالمية كان متضلعا قويا، فتآمر المتحفون على إسقاطه حسداً منه، فلم يتمكنوا من ذلك لتفوقه عليهم فاعطوه شهادة العالمية من الدرجة الثانية أو الثالثة ، والواقع أنه كان أحق بالدرجة الأولى وكان له الفضل فى تدريس العلوم الفلسفية والمنطقية فى الأزهر وكان الأزهر محروما منها .

وقد إتصل رياض باشا بعد عودته من الشام ، حيث ظل منفيا ثلاث سنوات لأنه كان له ( رياض باشا ) دخل فى العفو عنه فعين مديراً لتحرير الوقائع المصرية فأخذ معه سمد زغلول ثم إبراهيم الهلباوى ، وبذلك تطورت الوقائع المصرية من جريدة رسمية إلى جريدة لإرشاد الناس إلى حسن التحرير واصلاح الأخلاق ونقد الأحكام لفة وموضوعا، وكان سمد يتولى نقد المضابط (الأحكام) وذلك أن الجريدة كانت تنقل الإفادات التى ترد عليها من جهات الحكومة بلنقتها العقيمة وتعلق عليها بما يجب أن يكون على لفتها ويرسلها نسخا من الجريدة إلى الجهة التى صدرت منها تلك الإفادة .

وحدث أن مدير بنى سويف ( الياس شقيق خيرى باشا المهددار الخديوى ) وجه



إليه نقد ، فنضب منه وأمر رسميا بمنع وصول جريدة الوقائع الرسمية إلى بنى سويف .  
ولكن الشيخ عبده إحتج لدى رياض واستكتبه خطابا كله توبيخ وتمنيف لذلك المدير .

وكان الشيخ محمد عبده عفورا رحيا ومن ذلك أن الذى وثى به عند الشيخ هليش  
سمى أيضا لدى مأمور السجن الذى كان به الشيخ عبده لى ينزع منه المصحف الذى  
كان يقرأ فيه والكتب الأخرى ، ثم ساعه على هذا كله بعد ذلك وساعده . وقال سعد :  
أنه كان له نقد على طريقة التعلم فى الأزهر منذ أول انحراطة فى تلك المجاورة ، فإنه أولا  
لم يتقيد بتتبع دراسة الكتب على الطريقة التى كانت جارية فيه ، وثانيا أنه فكر مع المرحوم  
السيد وفا زغلول فى عقم طريقة التعليم فيه ولما لم يستطيعا نشر انتقادهما فى الصحف ابتكرا  
طريقة للنقد بنشور كتباه بخطهما من سبع نسخ وألصقا بأعمدة الأزهر قبل الفجر والناس  
نيام فأحدث ذلك رجة فى الأزهر فى الصباح ، وكان المجاورون يتقاطرون على هذه  
المنشورات لقراءتها فكان ذلك باعثا للشيخ أحمد رافع لأن يكتب مقاله ملأها طعنا  
صريحا على الطريقة المذكورة ونشرها فى الصحف فضربه الأزهريون علة حامية وانتقده  
سعد زغلول فى الوقائع المصرية بطريقة يؤيد جوهرها وجهة نظره فى النقد .

وقال سعد : أنه لما بدأ الدراسة فى الأزهر قضى فيه شهرين لم يفهم فى أنفائهما شيئا  
حتى أدركه اليأس وحديثه نفسه بالعودة إلى بلده ولكنه ندرع بالصبر إلى أن أصبح قادرا  
على الإحاطة بدروسه فيها فى القاهرة ، ( سنة ١٨٩٢ ) .

وقال سعد أنه فى ١٨٩١ وقد سافر إلى ألمانيا فرأى عزبة من عزبها ودخل كنيسة  
القرية فرأى الصبيان والبنات يؤدون الصلاة وهى على غاية ما يكون من الأداء والخشوع  
والنظافة ، فلما شاهد ذلك قال فى نفسه أنه لابد أن يكون هذا الرق نتيجة علم لا يعرفه  
إلا الخبير بلغة الاجانب وبكى ومن ساعتها طلب مدرسا يعرف الافرنسية .

## ٢٠ - جوليت آدم

أول الصحف اهتماماً كبيراً لمدام جوليت آدم الصحفية الفرنسية التي شجعت مصطفى كامل على الدعوة لمصر في صحف فرنسا وقد تحدث « توفيق حبيب » صاحب الهامش عنها (١٩٣٣) قال :

لولا مدام آدم لما عرف مصطفى كامل كيف يتصل بكثائر الكتّاب الفرنسيين فيعلمهم على خدمة مصر . التعاون السياسي كان بالكتابة على صفحات الجرائد والمجلات وإلقاء الخطب والمحاضرات والتقارير والرسائل التي كان يكتبها مصطفى كامل وأنصاه إلى آدم . التعاون الروحي الذي يتجلى في الرسائل الخاصة التي كان يبعث بها مصطفى كامل إلى آدم ونشرت بعد وفاة صاحب اللواء في كتاب عنوان ( رسائل مصرية فرنسية ) . كانت رسائل مصطفى كامل الخاصة إلى مدام آدم تكاد تكون بعيدة عن السياسة إلا بعض إشارات فيها إلى ما يتعلق به .

وكتبت إحدى الصحف بمناسبة وفاتها ١٩٣٦ :

توفيت في الأسبوع الماضي ( ١١ سبتمبر ١٩٣٦ ) مدام جوليت آدم عن مائة عام طوتها في الدفاع عن وطنها وعن حرية الأمم المهدومة الحقوق حتى لقت في عالم السياسة بمعبرة الأمم . كانت أدبية كبيرة وسياسية خطيرة ووطنية غلصة ، اشتهرت بالحماسة والدفاع عن حقوق بلادها منذ عام ١٨٧١ ، وهو العام الذي عقدت فيه معاهدة فرانكفورت بعد انتصار الألمان على الفرنسيين في الحرب السبعينية وأملت فيها ألمانيا على فرنسا شروطاً مجحفة ، منها دفع الأخيرة ملياراً من الفرنكات أي ما يعادل مائتي مليون جنيه غرامة حربية . وساعدها في ذلك أنها تزوجت بصحافي كبير هو مسيو آدمون آدم وكانت تنشر « الفصول السياسية والأدبية في صحيفتها : « لانوفل ريفو » وإليها يرجع الفضل في بروز الأديب

الفونسي الكبير ( بيرلوتي ) وقد أجلها الفرنسيون واعترفوا بفضلها ، حتى أن كليمانصو أرسل لها سيارة حملتها إلى الإجتماع الذي عقدت فيه معاهدة فرساي بين الألمان والحلفاء ، وقد دافعت على حرية مصر منذ الاحتلال البريطاني ١٨٨٢ ، ولما سافر مصطفى كامل إلى أوروبا وجد منها عضوا قويا اعتمد عليه في الدفاع عن بلاده . وكانت مدام آدم من أشد المعارضين لاتفاقية ١٩٠٤ بين إنجلترا وفرنسا . وقد أجلت مصطفى كامل وحفنه بمطعمها وكانت تدعوه ابنها . ووصفت تعارفهما فقالت : طالما اتفق أثناء مقاي في هذا الدار — وقد عمرت — جاني البريد بالدهشات التي تتردد في حياتي بقدر ما أحرز أصحاب الرسائل من الشهرة وعلى نسبة ما قالوا من المقام .

تزوج من رسائل مصطفى إلى مدام آدم : طولوز ١٢ سبتمبر ١٨٩٥

سيدتي : إني لا أزال صغيرا ولكن لي أطباء جساما فإني أريد أن أوقظ في مصر الهرمة ، « مصر الفتاة » ، هم يقولون أن وطني لا وجود له ، وأنا أقول ياسيدتي أنه موجود وأشمر بوجوده ، بما آنس له في نفسي من الحب الشديد الذي يتغلب على كل حب سواه ، وسأجود في سبيله بجميع قواي ، وأفديه بشبابي وأجمل حياتي وقفا عليه . إني أبلغ من العمر إحدى وعشرين سنة وقد نلت شهادة الليسانس في الحقوق من طولوز منذ عهد قريب وأريد أن أكتب وأخطب وأنشر الحجة والإخلاص للوطن اللذين أجدتهما في نفسي وقد قيل لي أكثر من مرة أنني أحاول عمالا ، وحقيقة تصبوا نفسي إلى تحقيق هذا المجال ، فاهينيني ياسيدتي فإنك من الوطنية بكمكان بفردك بمزية تدبر قولي وتقوية عزمي ومساعدتي .

وعلفت مدام جوليت على المحفظات فقالت : : حقيقة أعجبنى كثيرا هذا الكتاب الذي لا يتجاوز عشر صفحات ، حتى أنشأت في ١٥ سبتمبر مقال عليه واقتبست منه أسانيد جديدة في المسألة المصرية ، واثبتت على المؤلف في مقالتي وضربت له موعد اللقاء ، وواعدته في دار لانوفل ريفو ، فأقبل على شاب خلته ابن ثمانين عشر سنة فقلت له ضاحكة — لم تصدقني سنك فإنك لم تبلغ الحادية والعشرين قال : قد بلغت ياسيدتي وأكتمها .

وبعد أن تجاوزنا أطراف الحديث رأيت أن عقل هذا الشاب قد بلغ أشده واستوى قبل أوانه ، ورأيت أنه قد أطل التدر والتروى فى إمكان مصيره ، كما يقول خطيب مصر ورأيت أغراضه الجسام محالة ممكنة مما ، ربما لاح اغيرى أن هذا الفتى إنما كل زاده وهم ودعوى ، ولكن جاء كتابه دالا على حقيقته .

## ٢١ - مصريون فى مالطة

كشف حامد المليجى عن حياة المصريين المعتقلين فى مالطة إبان الحرب العالمية الأولى فقال: لما اندلعت الحرب فى أوروبا . ساورت بريطانيا المخاوف من موقف السلطة العثمانية بالنسبة لمصر وأهلها مقدمون لسياسة الاختلاف . كان الأسرى فى جزيرة مالطة موزعين على ثلاث ثكنات تضمها جميعا قلعة واحدة قديمة اسمها ( سانت كلنت ) لا تزال عليها نقوش بأيدي العرب الذين حكموا مالطة نحو ٢٣٠ عاما وكنا ٢٧ مصريا . فافترحت تأليف رواية مصرية سياسية الموضوع تقوم نحن المصريين بتمثيلها ، فقبلوا الفكرة ولكن أبت أكثرتهم إلا اختيار رواية عربية ألفت منذ حين هى رواية حرب الباسوس . فألفت رواية ومثلت ولم يكن رجال السلطة يعلمون موضوعها السياسى ، ولكنهم فوجئوا بالأمر الواقع ، ولم يجدوا بدا من استغلال هذا الأمر لمصلحة حكومتهم ، فبعد مؤاخذتى بشدة على إدخالى السياسة فى هذه الرواية عادوا فطلبوا تصوير مناظرها ثم نشروا فى صحفهم بمالطة هذه المناظر ، وفى سويسرا فظهرت تحت عنوان « كيف يعامل الإنجليز أسراهم » وطلب منى قومندان المعسكر أن أعيد تمثيل الرواية فأعدت تمثيلها خمس مرات متتالية ، أما موضوع الرواية فيتلخص فى سبيل بسط تاريخ دخول الإنجليز للبلاد المصرية وذكر شىء عن معاملتهم للمصريين وفيها حادث دنشواى ، وحوادث القبض على المصريين ومحاكمتهم ، وما يتحملونه من الصبر فى السجون لمصلحة البلاد وللتنصحية فى سيالها .